سيماء الصالحين

الشيخ رضى مختاري

ترجمة
الشيخ حسين كوراني





دار البلاغة

سِيماءُ الصالحين

الشيخ رضى مختاري

سيماء الصالحين

ترجمة
الشيخ حسين كوراني

دار البلاغة

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .
هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥-٨٢٠٣٢٠-٨٣٤٢٦٥ - ص.ب: ٢٥/١٦ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان

سيماء الصالحين

١ ـ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار

٢ ـ رحماء بينهم .

٣ ـ تراهم ركعاً سجداً .

٤ ـ يبتغون فضلاً من الله ورضوانا . .

٥ ـ سيماهم في وجوههم من أثر السجود . .

سورة الفتح ، الاية (٢٩) .

*** هدف الكتاب:**

كيف ينبغي أن نكون وماذا نفعل حتى لا تنطبق علينا الآيات التالية:

١ - ﴿واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾[1] .

٢ - ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[2] .

٣ - ﴿أفرأيت من اتخذ الٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾[3] .

٤ - ﴿مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

(١) سورة الاعراف، الآيات (١٧٥ - ١٧٦).

(٢) سورة الكهف، الآيات (١٠٣ - ١٠٤).

(٣) سورة الجاثية، الآية (٢٣).

اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٤] .

(٤) سورة الجمعة، الاية (٥).

* مقدمة المترجم ..

* الأخلاق... والقدوة:

عندما حدد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الهدف من بعثته المباركة بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فقد حدد بذلك حقيقة الإسلام .. والأمة المسلمة.

وعندما أوضح (صلى الله عليه وآله) أن الحرب مع النفس الأمارة بالسوء هي «الجهاد الأكبر» فقد رسم الطريق إلى حفظ الإسلام .. وبناء الأمة ..

الإسلام مدرسة «مكارم الأخلاق» ومن لم يقرر أن يتدرج في صفوف هذه المدرسة فلم يقرر بعد أن يكون مؤمناً .. مهما كانت معرفته بالإسلام.. ومهما كان موقعه الظاهري بين المسلمين..

إنه أشبه ما يكون بمن يذهب إلى المدرسة باستمرار فيبقى في باحتها.. إنه ضمن سور الإسلام.. إلا أنه لا يتعلم من الإسلام شيئاً **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم﴾**[٥].

---

(٥) سورة الحجرات، الآية (١٤).

والأمة المسلمة التي أرادها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليست الأمة التي تنتمي إليه بمجرد الشهادتين.. وإنما هي الأمة التي تنتمي إليه من خلال الإلتزام العملي بمكارم الأخلاق، لتصبح بذلك مؤهلة لمخاطبة الآخرين بالإلتزام بها ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[٦]. ولكي تبلغ الأمة هذه المرتبة، لا بد وأن تخوض غمار الجهاد الأكبر ليفوز كل فردٍ من أفرادها بالوسام الذي يستحق والغنيمة المتناسبة مع جهاده..

وكما هو الأمر في ساحات الجهاد الأصغر، حيث يكتسب جميع المجاهدين الخبرة، ويتطلب عود كل منهم.. إلا أن مراتب ذلك لا تكاد تحصى..

من المجاهد الذي لم تكن حصيلته أكثر من جرأته على أن يشهد مثل هذه المعركة.. إلى المجاهد الذي يعدل ألف فارس، وأكثر..

كذلك هو الأمر في هذه الساحة «الجهاد الأكبر» الأوسع مضماراً وأثراً.. والأعظم عناءً وخطراً.

من مستوى «أحب الصالحين ولست منهم» ودون ذلك، والى مستوى «ولي الله» الذي جعله الله في درعه الحصينة..

وكما يشكل الفارس المغوار المحور تحت النقع وبين مشتبك القنا... إليه يرجع الباحث عن فئة.. وبه يلحق المثاقل.. فكذلك الأخلاقي العابد «العالم بالله» إنه المحور في ساحة الجهاد الأكبر وعليه تدور رحاها... وكما ترتبط حركة انتصارات الأمة في ساحات الجهاد الأصغر بمدى وفرة المجاهدين الأبطال الذين وتدوا في الأرض أقدامهم وأعاروا الله جماجمهم... كذلك ترتبط حركة انتصارات الأمة في ساحات الجهاد الأكبر بمدى ثرائها بعلمائها

---

(٦) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

الأعلام الذين تشكل سيرتهم امتداداً حقيقياً لصاحب الخلق العظيم (صلى الله عليه وآله) الذين كان الأول في ميادين الجهادين الأكبر والأصغر .

وتكمن أهمية العلماء بالله في مختلف مراحل تاريخنا في كونهم القدوة والنماذج التي يجب على الأمة التواصل معها والإهتداء بهديها؛ إذ أنه لا يمكن - على الإطلاق - لعملية التربية الأخلاقية أن تؤتي أكلها إذا اقتصرت على الجانب النظري ، ولم تمتلك النماذج العملية التي تشكل القدوة التي ينبغي أن ينسج على منوالها . .

ومن هنا كان حامل لواء الرسالة (صلى الله عليه وآله) «أسوة حسنة» يلتزم بأكثر مما يدعو إليه . . .

* حصون الإسلام:

بعد أن قضى الكفر على دولة الإسلام ، استطاع أن يمزق الأمة المسلمة . . إلا أنه لم يستطع أن ينال من الإسلام . .

ظل العلماء بالله يحوطون الإسلام بحبات القلوب والمهج ينفون عنه تحريف المحرفين ويجسدونه في حياتهم مستسهلين في ذلك ما استوعره المترفون ، معرضين رقابهم وصدورهم لحراب الطواغيت . . فكانوا بحق حصون الإسلام المنيعة التي لم يقو الكفر على اجتياحها . . وتكسرت على حدودها كل أمواج الغزو العسكري والثقافي ، وبقيت حرة أبية تنتظر الفرصة لمحو آثار الإستعمار ووصل اشلاء الأمة الممزقة . . وبلسمة جراحها وإعادة بناء كيانها السياسي . . وقد أدرك الكفر أن العلماء هم قلب الأمة النابض الذي يمدها بفوار الدم الزكي ، فجرد ظبا انتقامه ليقطع علاقة الأمة بعلمائها . . وقد نجح في ذلك إلى حد كبير . .

وصلت الأمة الى حيث أصبحت تعيش الجهل المطبق بسيرة علمائها الماضين . . وتعيش الإنغلاق تجاه الموجودين منهم .

ومما يدمي القلب أن الأمة حين أفاقت على هول الضرر الذي حل بها

نتيجة الغزو الإستعماري وبدأت تبحث عن سبيل الخلاص ، ألقت بنفسها في غياهب بلقع جديب. . غردت خارج سربها وسلكت كل الدروب إلاّ دربها. .

انفتحت على كل التيارات الثقافية الواقدة ، تبحث فيها عن مقومات النهوض ، وتعرفت على كل المناهج والرواد والقادة متنكبة منهجها متنكرة لروادها وقادتها الحقيقيين ، فكانت بذلك كالمستجير من الامضاء بالنار. .

تحت ستار التحرر ، تعمقت تبعية الأمة للأجنبي. .

وتحت ستار البحث عن الهوية ، تحول الضياع إلى ضلال بعيد. . .

ويكفي حصون الإسلام فخراً أن كل المنعطفات الإيجابية على طريق كرامة الأمة وعزتها تقترن بأسمائهم. .

ورثوا من صاحب الرسالة الأعظم (صلى الله عليه وآله) ـ فيما ورثوه ـ «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» فأحبوا الأمة ووثقوا بها رغم جفائها. . فقدموا أعمارهم الطاهرة الزاخرة بالمعاناة والبلاء والجهود المضنية هدايا متواضعة إلى الأمة قربة إلى الله تعالى. . لم يكنز هؤلاء العلماء الأبرار من هذه الدنيا تبرا ، ولا أعدوا لبالي ثوبهم طمرا. .

كابدوا الجوع. . وأثقال الفقر والدين وتجرعوا مرارة الشماتة والإستهزاء دون أن يخطر ببال أحدهم ولو للحظة أنه يمن على الأمة بذلك. . فهو خادم للناس. . يحبهم لأنهم مسلمون. . أمة الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله) .

* عصر الإسلام:

«ماذا بعد مدريد؟» هنا هو السؤال المركزي الآن على مستوى الأمة. . .

وفي حين يخيم الإحباط على الكثيرين ، لا يمكن للمسلم إلا أن يكون واثقاً بأن هذا العصر هو عصر الإسلام مهما بدت الأجواء حالكة مكفهرة. .

وتستند هذه الرؤية إلى عوامل عديدة تقوم جميعاً على قاعدة الثقة بوعد

الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[٧] .

* من هذه العوامل الثقة بقدرة الإسلام على احتواء أمواج الغزو العاتية ، ومحاصرة آثارها للإنقضاض عليها في الوقت المناسب .

ليست أمريكا قدراً ، وإنما هي دولة متجبرة تمتلك الكثير من عوامل القوة ، وتختزن الكثير أيضاً من عوامل الضعف .

ولم تبلغ هجمتها على بلاد المسلمين ـ بعدُ ـ ما بلغه الغزو المغولي ، الذي سرعان ما تصدت له حصون الإسلام واحتوته . . فإذا بالإسلام يفتح قلوب هؤلاء الذين ظنوا ردحاً من الزمن أنهم الفاتحون . .

* ومن هذه العوامل أن أمريكا تحاول ما هو في حد المستحيل ، تريد أن تخضع الأمة لليهود ، لتعيش الأمة في سلامهم . . وفي عصرهم . . تقدم لهم ثرواتها ، وتتحول سوقاً لتصريف منتجاتهم . . وتأخذ منهم فتات العيش . . وهذا ما لا يمكن أن يتحقق . . أللهم إلا أن نخرج من ملتنا وندين بغير ديننا . . ما دمنا ننتسب إلى الإسلام . . سيظل القرآن الكريم فينا . . يتلى في نوادينا ، وتهتف به مآذننا . . وسيظل يحذرنا من قتلة الأنبياء أعداء الله تعالى وأعداء رسوله . . وأمام ذلك لن يصمد «مدريد» ولا ما يخطط الكفر لما بعده .

يمكن لأمريكا أن تفرض إرهابها على هذا النظام أو ذاك . . إلا أنها لن تستطيع أن ترهب الأمة . . خصوصاً عندما يتعلق الأمر باليهود . .

استطاعت أمريكا أن تقنع السادات بالتوقيع على كامب ديفيد ، إلا أن الشعب المصري المسلم ما زال خارج كامب ديفيد . .

ستظل الأمة كلها خارج إطار «مدريد» وسيبقى الصراع على أشده . . وكأن شيئاً لم يكن . . لم يتحقق الحل ولا دخلت الأمة في سلام اليهود حتى إذا

---

(٧) سورة التوبة، الآية (٣٣).

وُقع ما يسمونه حلاً ، ومعاهدة للسلام . .

* ومن هذه العوامل ثورة الاسلام الظافرة في هذا العصر التي وفق الله تعالى لقيادتها عبده المسدد الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) ، وما أحدثته من صحوة أسلامية هادرة ، ما يزال خزينها المبارك يملأ الأودية التي سالت منه بقدرها . . وما أكثرها . .

ولا يستطيع أحد أن يجادل في أن الأمة بعد هذه الثورة المباركة أشد التصاقاً بعقيدتها وأشد اعتزازاً بهويتها ، ووعياً لواجباتها . . وحذراً من مؤمرات الأعداء .

لقد التقت الأمة عبر هذه الثورة المباركة بقيادتها . . وقارنت بين «العالم بالله» وغيره . . الأمر الذي أدى إلى كسر الحواجز المصطنعة بينها وبين عقيدتها . . كما أدى إلى أن تكتشف الأمة مع الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) السر الإلهي في قيادة العلماء . .

ورغم أن الأمة قد تلقت ضربات موجعة بدءاً بالظروف التي حتمت قبول القرار ٥٩٨ ووصولاً إلى مدريد وما بعده . . إلا أن جسم الأمة اليوم غيره بالأمس وهو يمتلك من مقومات المناعة ما يجعله أقدر على مواصلة المسيرة التي لا تقاس ـ في عمر الأمم ـ بمقاييس أصغر من العقد من الزمن .

ولقد شكل انهيار الفكر الشيوعي في عصر الصحوة الإسلامية حدثاً عقائدياً مدوياً ينبغي إدراك آثاره الإيجابية لصالح حركة الفكر الإسلامي .

وليس من باب الصدفة أن الإمام الخميني رائد هذه الصحوة هو الذي تولى إعلان التحاق الشيوعية بمتاحف التاريخ . .

وسيكشف المستقبل ـ بحول الله تعالى ـ عن نتائج هذا التحول الكبير . . .

* **هذا الكتاب:**

سنجد في هذا الكتاب ونحن نتابع سيرة علمائنا الأبرار ، مدى الخصب الذي تزخر به حياة سلفنا الصالح في المجالات المختلفة التي تشكل روافد معطاءة تصب في غدير بناء الشخصية الاسلامية الأصيلة القادرة على المساهمة الفاعلة في حركة نهضة الأمة . .

وقد اختار المؤلف ستة عشر عنواناً أساسياً ـ هي أقسام الكتاب ـ في بناء النفس وثمراته ، وتتبع سيرة العلماء الأعلام ، فألحق كل نص أو موقف بالعنوان المناسب له ، مقدماً بذلك للقاريء خلاصات قيمة لحياة هؤلاء الصالحين هي ثمرة كدحهم المتواصل في ميادين الجهاد العلمي والعملي . .

وعندما تقرأ هذا الكتاب لا تجد نفسك أمام كاتب يقدم لك خلاصة معلوماته الشخصية وتجربته الخاصة فحسب . . وإنما أنت أمام حشد من العلماء الكبار يحدثونك بتجاربهم . . وتحدثك تجاربهم بالنتائج التي وصلوا إليها . . وبالطريق إلى هذه النتائج . .

إنه كتاب فريد في بابه ، ينبغي أن يقرأ قراءة متأنية واعية . . وأن يعود إليه من قرأه بين الحين والآخر ليتذكر وينعم مجدداً بفيض مجالسة القمم من علماء الإسلام . . .

ولقد بذل المؤلف جهداً كبيراً ملفتاً في تتبع الشذرات التي التقطها . . فجزاه الله تعالى خير الجزاء . . وأفاض عليه ـ وعلى المترجم ـ من بركات هؤلاء الأعلام . . ورزقنا شفاعتهم . . بالنبي المصطفى وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . .

بيروت ـ حسين محمد كوراني

٢٣ ج١ ١٤١٢ هـ

٢٩ ت ٢ ١٩٩١ م

* مقدمة المؤلف...

*** تمهيد:**

هـذا الكتاب يشتمـل على إرشـادات ونصـائـح لـطلاب العلوم الـدينيـة والمحققين ، وهي تعلمنا استناداً إلى أقـوال العظمـاء وأفعالهم طـريقة الحيـاة العلمية وآدابها ، وطرق التعامل مع المجتمع ومعاشـرة الأقربين والأصـدقاء. . ومواجهة التحديات .

لتحقيق هـذا الهدف ، حـططنـا الـرحـال في رحـاب العلمـاء الكبـار ، واستخرجنا هذه المطالب من مطاوي صفحات حيـاتهم ، وبوّبنـا قصصهم في هذه المجالات ، وأوردناها. . لأنه وكما لا يخفى يجب على الانسان أن يستفيد من التاريخ ، ولينقـل خطاه في هـذا العالم المليء بـالمتناقضـات على بصيرة ووضوح رؤية ليمكنه أن يؤمن سعادته في الدنيا والآخرة .

وكمـا أشـار القـرآن الكـريم : **﴿لقـد كـان في قصصهم عبـرة لأولي الألباب﴾** ، فإنّ الذين يتعظون من التاريخ هم فقط «أولو الألباب» وأصحـاب العقول .

وعليه فمن كان من أصحاب العقول والإدراك وقرأ بدقة سيرة علماء الشيعة الكبار في هذا القسم من الكتاب وتدبرها وفكر فيها. . فلا شك أنه سيعتبر بها

وسيحصل على سعادته الأخروية الخالدة .

وعندها لن يصاب بأنه بعد مضي سبعين سنة من عمره يستيقظ فجأة من نوم الغفلة ويدرك أن العطار قد تجول في مدن العشق السبعة بينما هو لم يتجاوز منحنى زقاق واحد»[1]وأن السابقين سبقوا وبلغوا الذرى . . وهو ما يزال في حضيض الجهل والشهوات وعبادة البطن . . الأمر الذي يحمله على أن تذهب نفسه حسرات على ما فرط في جنب الله . .

يقول الشاعر الفارسي ما ترجمته :

يحتاج الرجل الماهر في دهره الى عمرين . . عمر يكتسب به التجربة وعمر يطبق فيه ما اكتسبه» .

نعم لو كان للانسان عمران لحلت المشكلة . . ولكن حيث أنّ الأمر ليس كذلك فمن الواجب أن تكون الاستفادة من تاريخ الشخصيات العظيمة وسيرتها هي التي تجعل العمر عمرين بل وأكثر . .

في الحقيقة إن الذي يطلع على تجارب إنسان كامل في مسار الحياة ويتعلم منه طريقته في مواجهة التحديات يصبح كأنه اختزن هو هذه التجارب وأضاف الى عمره عمر تلك الشخصية التي اطلع على أحوالها[2] .

وكما تقدم فإن العقلاء فقط هم القادرون على أن يتعظوا بالتاريخ ويتعلموا كيف تكون الحياة . . والمرجو أن يكون ما في هذا الكتاب نوراً في روح أولي الألباب ، الباحثين عن العلم والسعادة الخالدة لهم ولمجتمعهم . . أما «عبيد البطون» الباحثون عن الراحة والدعة وحب الشهرة . . فإنّ هذه البحوث تزعجهم وتغضبهم . . . بل وأحياناً تثير هزأهم وسخريتهم . . ومن الطبيعي أنه لا يتوقع

---

(١) مضمون بيت مستوحى من المضامين المشابهة لما في دعاء الإفتتاح : إلّهي ربح الصائمون ، وفاز القائمون ، ونجى المخلصون ونحن عبيدك المذنبون» .

(٢) راجع نهج البلاغة ـ صبحي الصالح ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ويقول الشاعر :

إذا عرف الانسان أحوال من مضى ... توهمته قد عاش من أول الدهر

من أولئك التعساء غير ذلك .

إنّ محتويات هذا الكتاب ، سير في صدر الزمان ، وحناياه ، وتعلم من حملة مشاعل تاريخ البشرية ، وليس بوسع أحد كما هو واضح ـ أن يبلغ أية مرتبة من دون أسوة وقدوة ، وأهمية الاقتداء بالعظماء لا تحتاج الى إيضاح .

إنّ الأنبياء والرسل والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومن بعدهم العلماء الصالحون ، والمتقون ، والمخلصون ، هم القدوة والأسوة ، والى تعاليمهم وسيرهم تمس الحاجة باستمرار ، في استيضاح معالم الطريق الى السعادة ، وقد اخترنا القدوة في هذا الكتاب من المرتبة الثانية ـ العلماء ـ للأسباب التالية :

أ ـ كان الهدف الأساسي للكتاب أن يطلع الروحانيون الأماجد ، والطلاب الاعزاء ، الذين هم من الخواص ، على سيرة أبناء صنفهم ونوعهم . . ليقتدوا بهم . .

ب ـ عندما يقرأ أحدنا سيرة المعصومين يجد نفسه تلقائياً يقول: وأين نحن منهم؟ ـ إنهم معصومون .

وهكذا نحرم أنفسنا من الاستفادة من سيرتهم . . أما سيرة العلماء والصالحين فلا يستطيع أحدنا أن يقول ذلك ، فيشكل سداً بينه وبين سيرتهم ، لأنهم ليسوا معصومين ، والاقتداء بهم ممكن ، من هنا كانت لسيرة العلماء ، أهمية خاصة ، كانت من دوافع هذا الكتاب .

ج ـ إن من الضروري أن يعرف الناس سيرة علماء الإسلام الواقعيين ، ليستفيدوا منها ، وليمكنهم على اساس ذلك أن يقيموا «العلماء» الذين يتصدون لقيادة الناس وارشادهم ، ويميزوا الحقيقي منهم عن المزيف ، والأصيل عن الدخيل ، وهذا أمرٌ ضروري جداً ، فقد يؤدي وجود أدعياء العلم الى اساءة الظن بالحوزات العلمية والمرجعية والعلماء بشكل عام .

د ـ الأشخاص الذين يريدون الالتحاق بالحوزات العلمية يمكنهم بقراءة

هذا الكتاب أن يلموا بالصعوبات والمسؤوليات والمهام الخطيرة التي يستتبعها هذا الطريق حتى لا يردوا مورداً ليسوا من أهله . . فيختارون طريقاً آخر ، حيث أنه :

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعةٍ وثريد

من الضروري هنا التنبيه على أمور:

١ ـ إن هذه المضامين هي من النوع الذي لا بد للطلاب الأعزاء من العمل به بعد تعلمه وهي ستة عشر قسماً :

٢ ـ ترتيب القصص في هذا الكتاب لا علاقة لها بأهمية أصحابها . . ما عدا ما يرتبط بالإمام الخميني (قدس سره) فقد لوحظ فيها قدر الامكان أن تقدم على غيرها .

٣ ـ القصص التي أوردت في الكتاب أخذت من مصادر معتبرة ، وقد تجنبت إيراد القصص التي تدور على الألسنة دون أن يعرف لها مصدر موثق . . وكذلك لم أورد شيئاً من «صور الواعظين» و«لسان الذاكرين» والا فإن حجم هذا الكتاب كان أصبح أكبر مما هو عليه بكثير .

٤ ـ كذلك تم اجتناب إيراد القصص التي لا توجد شواهد وقرائن على صحتها . . وفي هذا السياق اجتنبت إيراد القصص الأسطورية ، كتلك التي توجد في بعض الكتب ، وكذلك لم أورد القصص التي يستدعي ذكرها الإطالة .

٥ ـ المحور الأساسي والهدف الأصلي هو قصص العلماء ، كلامهم ، وصاياهم ، ووقائع سيرتهم ومقدمات الفصول ، وخواتيمها ليست الا لإيضاح الفكرة .

٦ ـ اذا كان لي من ثواب على هذا العمل عند الله تعالى فإني أهدي هذا الثواب الى اساتذتي الأعاظم الذين استفدت منهم في حوزات العلوم الدينية لأن

لهم حقاً عظيماً عليَّ .

«من علَّم العلم كان خير أب» .

والحمد لله رب العالمين .

قم ـ رضا مختاري

محرم الحرام ـ ١٤٠٥ هـ . ق

* القسم الأول:

* الخطوة الأولى...
* تهذيب النفس

﴿قد أفلح من زكّاها﴾...
الشمس/ ٩

* الخطوة الأولى: تهذيب النفس .

في ضوء توجيهات قادة الدين فإنّ أول ما ينبغي على طالب العلوم الدينية والروحانية القيام به ، هو أن يكون بصدد تصفية قلبه وتطهير روحه . . وتهذيب نفسه . . لأن جميع القيم ترتكز على محور تزكية النفس .

وما لم يتم غسل القلب من الأدران والصفات الشيطانية والرذائل النفسية فلن يكون باستطاعة شيء ـ حتى العلم ـ أن ينجي الإنسان . .

بل إن من لم يهذب نفسه . . كلما ازداد علماً كلما زاد إضراره بنفسه وبمجتمعه ، ان العلم كالسكين اذا كانت في يد جراح مختص فهي سبب الحفاظ على الحياة . . واذا كانت في يد جاهل أحمق فهي خطر على الناس .

فيا أخي «الروحاني» فكر جيداً وانظر في عواقب الأمور وليكن همك قبل كل شيء تطهير باطنك وتنظيف قلبك .

إن حكم قتل آية الله الشهيد الشيخ فضل الله نوري (رضوان الله عليه) قد أصدره معمم لم يهذب نفسه أي الشيخ ابراهيم الزنجاني ممثل زنجان في المجلس النيابي فقد تصدى للقضاء في محاكمة الشيخ الشهيد وأفتى بقتله .

وقد ذمَّت الروايات العلماء الذين لم يزكوا أنفسهم ذماً كبيراً وبينت أن خطر هؤلاء لا تكاد تحد أبعاده ، يقول الامام علي (عليه السلام) : قصم ظهري

عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالجاهل يغش الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه[1] .

يقول الامام الخميني (قدس سره) في هذا الصدد:

إذا لم تصلحوا أنفسكم في الحوزات العلمية. . فأينما ذهبتم فانكم تتسببون بانحراف الناس عن الاسلام وجعلهم يسيئون الظن بالروحانيين .

إذا درستم فقد تصبحوا علماء ، ولكن يجب أن تعلموا أن الفارق كبير جداً ، بين العالم ، والمهذب ، فكلما اختُزِنَتْ هذه المفاهيم في القلب الاسود غير المهذب يزداد الحجاب ، إن العلم في النفس غير المهذبة حجاب ظلام . . العلم نور ولكن في القلب الاسود يصبح سبباً في ازدياد دائرة الظلمة والاسوداد .

إنتبهوا . . إياكم أن تبذلوا الجهد خمسين سنة بكد اليمين وعرق الجبين في الحوزات ثم تكسبوا جهنم . . فكروا وادرسوا سبل اصلاح المناهج الدراسية في مجال الأخلاق وتزكية النفس وتهذيبها .

معاذ الله أن يُقبل الناس على شخص ويحترموه قبل أن يُهذِّب نفسه ، عندها يخسر نفسه ، إبحثوا عن حل قبل أن تبيض اللِّحى .

قال بعض أجلاء قزوين: كنت بالقرب من رجل حال احتضاره وفي آخر دقائق حياته فتح عينيه وقال: إن الله ظلمني ظلماً لم يظلم أحداً مثله!

إذا لم يهذب الإنسان نفسه فيخشى أن يسلم الروح بقلب مملوء ببغض الله .

على الشباب أن لا ينتظروا حتى يعلو بياض غبار الموت رؤوسهم ووجوههم . . ما دمتم شباباً فباستطاعتكم ، أن تفعلوا شيئاً .

---

(١) منية المريد/ بحار الأنوار (ج ١٢ ـ ١١١) .

انتبهوا ما دامت الفرصة باقية ، وكونوا قبل كل شيء بصدد تهذيب أنفسكم وتزكيتها[٢] .

مع آية الله النجفي القوجاني[٣] .

يقول آية الله النجفي القوجاني : إنّ على الطالب أولاً أن يجدَّ في غسل باطنه . . خاصة عندما يكون يافعاً ولم يتلوث باطنه بعد ويتنجس . . عليه عندها أن يحول دون تنجيسه . . والخطوة الأول آنذاك حتى إذا كانت عن تقليد ـ أن يتحلى بعلم العمل والاخلاق وبعدها يسعى بجد لتحصيل علم الحقيقة لكونه مطلوباً ومرغوباً ومندوباً إليه لا لأمر آخر»[٤] .

* حول صدر المتألهين ، الفيلسوف الاسلامي الكبير :

«لم يكن صدر المتألهين يريد العلم لأجل المال والجاه ، وكان يعتقد بأن طالب العلم يجب ان لا يفكر في المال والجاه إلا ما كان ضرورياً لمعاشه . كان صدر المتألهين يقول: الشخص الذي يريد العلم للمال والجاه موجود خطر يجب الحذر منه وكان في جلسات درسه يقرأ هذه الأبيات لجلال الدين الرومي :

«تعلم العلم والفن بدون جوهره أشبه ما يكون بتمكين قاطع الطريق من الخنجر .

إن تمكين الزنجي السكران من الخنجر أفضل من وقوع العلم بيد من ليس أهلاً له .

---

(٢) الجهاد الاكبر للامام الخميني (ره) .

(٣) هو آية الله السيد محمد حسين النجفي القوجاني (١٢٩٥ ـ ١٣٦٣ هـ . ق) تلميذ صاحب الكفاية مجتهد ، يتميز بوعيه السياسي ، وحسه الجهادي ، وعزة النفس ، وقوة البيان ، وهو صاحب كتاب «سياحة في الغرب» و«سياحة في الشرق» ، وقد ترجما الى العربية .

(٤) سياحة في الشرق/٢١٤ .

العلم والمال والمنصب والجاه والقرآن سبب للفتنة في أيدي سيئي السريرة .

عندما يسقط القلم في يد (الجاهل) الغادر فمن الطبيعي أن يشنق الحلاج»[٥] .

وقد دوّن «هنري كربن»[٦] وجمع من المستشرقين سيرة صدر المتألهين (رضوان الله عليه) وتعرضوا لحياة العلماء المعاصرين لهذا الفيلسوف الكبير فقالوا:

يندر أن نجد اليوم في جامعات الشرق والغرب نظيراً لطلاب العلوم في مدارس أصفهان. . كان أكثرهم يطلبون العلم للعلم [وتبليغ الدين] لا لشيء آخر .

ولم يكن يخلو الأمر فمن يطلبون العلم للحصول على المال إلا أن عددهم كان ضئيلاً جداً بحيث أنهم لم يكن لهم أي تأثير على أكثر الطلاب .

أما اليوم فالطالب الذي يدخل الجامعة ـ في الشرق أو الغرب ـ هدفه أن يستطيع في النهاية الحصول على شغل يمكنه من حياة مرفهة ، إن أكثر طلاب مدارس أصفهان كانوا يدرسون ليصبحوا علماء حتى إذا علموا بأنهم سيعيشون العسر المادي حتى آخر يوم من حياتهم .

كان فقر طلاب مدارس أصفهان مضرب المثل. . ولكنهم مع ذلك لم يكونوا يشتكون ما هم فيه من ضيق. . وقد كان عمق إيمانهم الديني والعلمي بحيث أن البعض القليل من الطلاب الذين كانوا بعد انتهاء دراستهم يحصلون على جاه ومال لم يتمكنوا أبداً أن يؤثروا في الباقين. . والحال ان الانسان الذي

---

(٥) ينبغي التنبيه على أن هناك آراء متعددة حول مقتل الحلاج فليلاحظ .

(٦) من أساتذة جامعة السوربون في فرنسا ، جرت مناظرات علمية طويلة بينه وبين آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان (رضوان الله عليه) ، كان بعضها بحضور عدد من أساتذة جامعة طهران. . وقد فسرت حصيلة تلك المناظرات . (المترجم) .

يواجه صعوبة العيش ، ويرى أن نظيره استطاع عن طريق علمه أن يحصل على رفاهيته.. يلجأ عادةً الى الاتجار بعلمه.. على العكس من ذلك ، كان أكثر هؤلاء الطلاب.. لقد كانوا يحبون العلم الى حد لم يستطع بريق الدنيا أن يستهويهم[٧] .

* شروط صدر المتألهين في قبول التلميذ:

كان طلاب العلوم من جميع انحاء إيران يقصدون شيراز للاستفادة من درس صدر المتألهين ولكنه لم يكن يقبل التلميذ إلا إذا قبل التلميذ أربعة شروط وعمل بها .

الاول: أن لا يكون بصدد تحصيل المال الا بمقدار تحصيل معاشه .

الثاني: ان لا يكون همه الحصول على موقع اجتماعي .

الثالث: أن لا يعصي .

الرابع: أن لا يقلد[٨] .

فإذا قبل التلميذ هذه الشروط وعمل بها ، كان صدر المتألهين يقبله في عداد تلامذته ، ويبقيه في مدرسته ، والا فإنه كان يطلب منه مغادرة المدرسة .

كان صدر المتألهين يقول: من المستحيل أن يتمكن من هو بصدد تحصيل المال من تحصيل العلم ، فتحصيل مال الدنيا وتحصيل العلم عملان متخالفان لا يقترنان.. والشخص الذي يزيد طوله يقل عرضه وتقل ضخامته.. وهكذا طالب تحصيل المال قد يمكنه ذلك إلا أنه حتماً لا يستطيع تحصيل العلم ، وأصحاب الثروات الذين يتظاهرون بأنهم علماء هم مراؤون[٩]ومن هذه الشروط في قبول الطلاب يتضح لماذا أن صدر المتألهين أصبح صدر

---

(٧) ملا صدرا فيلسوف متفكر بزرك إسلامي - (١٨) .

(٨) المراد طبعاً التقليد المذموم في الاصول والعادات (المترجم) .

(٩) المصدر السابق (١٨٦) .

المتألهين. . وما هو الذي أوصله الى هذه الدرجة من التقوى والحكمة والعرفان .

وفي الواقع فإن استاذ صدر المتألهين «الميرداماد» هو الذي رباه هذه التربية ـ ولاستيضاح ذلك نصغي الى وصية «الميرداماد» لتلميذه في أول يوم اشترك في مجلس درسه .

* صدر المتألهين في يوم دراسته الأول:

عندما انتهت أول جلسة اشترك فيها صدر المتألهين في درس «الميرداماد» انتحى به استاذه جانباً وقال له: «يا محمد لقد قلت أنا اليوم ان الشخص الذي يريد دراسة الحكمة يجب أن يهتم بالحكمة العملية وها أنذا أقول لك إنّ الحكمة العملية أمران .

الاول: القيام بجميع واجبات الاسلام .

الثاني: اجتناب كل ما تطلبه النفس الامارة من أجل أنسها . أداء الواجبات الدينية ضروري لأن الطالب عندما يؤديها يستفيد من كل منها فائدة هي لمصلحته .

وأما الأمر الثاني ـ اجتناب ما تهواه النفس الأمارة ـ فباعتبار أن طالب الحكمة يجب أن يجتنب تأمين رغبات نفسه. . إن المطيع لنفسه المشتغل بدراسة الحكمة يحتمل في حقه قوياً أن يخسر دينه وينحرف عن الصراط المستقيم[١٠] .

---

(١٠) المصدر السابق (٥٠ ـ ٥١) ومن المهم جداً أن يتعلم المدرسون المحترمون من «الميرداماد» عليه الرحمة الذي أرشد تلميذه في الجلسة الاولى الى الاهتمام بالتقوى ومجانبة الهوى ويضعوا حداً لإهمال الاساتذة لطلابهم بحيث أن بعضهم لا يهتم باخلاق تلميذه رغم علاقته به طيلة سنين عديدة .

* ويتحدث «الرازي» عن صفات تلامذة الطب فيقول:

من الواجب على تلميذ الطب ان لا يدرس هذا العلم لجمع المال.. بل عليه أن يتذكر أن أقرب الناس إلى الله أعلمهم وأعدلهم وأرحمهم بالناس[11].

وعندما يكون واجب طالب علم الطب - على ما ذكره الرازي - هو هذا.. يصبح واجب طالب العلوم الدينية أكثر وضوحاً... نستنتج مما تقدم بكل وضوح أن الوصول الى الكمالات المعنوية والاحاطة بأسرار عالم الوجود و«كمال الانقطاع» الى الله، وبكلمة ان يصبح الانسان «عالماً ربانياً» لا سبيل اليه إلا في إطار الاخلاق.

* يقول صدر المتألهين: عندما كنت في «كَهَك[12]» كنت أعمل على تهذيب نفسي.. كنت أخلو بنفسي وأفكر.. استعرض المعلومات التي تعلمتها.. كنت أحاول جاهداً أن أفهم أسرار الوجوه بقوة العلم والايمان.. وبسبب الاخلاص وتزكية النفس أضاء قلبي وفتحت أمامي أبواب الملكوت وبعدها أبواب الجبروت وفهمت أسرار الدنيا الإلّهية وفهمت أشياء لم أكن في

---

(١١) الرسائل الفلسفية للرازي تحقيق كراواس، نقلاً عن نور العلم العدد ١٢٧/٧.

(١٢) كَهَك (بفتح الاول والثاني) قرية جميلة في سفح جبل شامخ على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً جنوب شرقي قم وقد زارها البروفسور «هنري كربن» عام ١٩٦٢ وكتب عنها كهك تقع على بعد ثلاثين كيلو متراً جنوب شرقي قم وللوصول اليها ينبغي السير خمسة عشر كيلومتراً على طريق قم - اصفهان ثم يدخل المسافر اليها في طريق فرعي شرقي الطريق فيمشي في صحراء جافة خمسة عشر كيلومتراً، وفي كهك مسجد صغير يبدو أنه بني في القرن الحادي عشر الهجري. ويحتمل أن صدر المتألهين كان يؤدي عبادته ورياضته فيه، في كهك كان يتأمل ويكتب.. وهنا أيضاً أشرقت عليه أنوار الملكوت وحصل على ذوق الشهود (ايقاظ النائمين/١٠).

ولا يمكن تحديد السنوات التي قضاها صدر المتألهين في هذه القرية على وجه الدقة ففيما يرى البعض أنها بين ٧ و١٥ سنة يرى «كربن» أنها بين ٩ و١١ سنة (المصدر السابق) وبالقرب من كهك غار يقول البعض ان صدر المتألهين كان يختلي فيه ليشتغل بالرياضة والذكر بعيداً عن الأنظار.

البداية أتصور أن تفك لي رموزها[١٣] وينبغي الاشارة في هذا السياق الى أمرين:

الأول: يستفاد من كلام الامام الخميني المتقدم «أن يقبل الناس على شخص ويحترموه ، قبل أن يهذب نفسه الخ . . » أن طلب العلم الديني ما دام لم يهذب نفسه فلا ينبغي أن يتصدى للمهام الاجتماعية ـ الدينية كإمامة الجمعة والجماعة والخطبة ، واحتراف التبليغ ، وقد أثبتت التجارب أن ضرر ذلك أكثر من نفعه والشواهد على ذلك كثيرة جداً لا مجال لإيرادها .

كما أن الواضح من جهة أخرى أن تزكية النفس لطالب العلم في غير الحوزات العلمية أمر صعب المنال جداً فمع الاستغراق في العمل الاجتماعي كيف يوفق الطالب لتصفية باطنه . .

من هنا كان لزاماً على الطالب أن يهتم بتزكية نفسه قبل دخول ميدان العمل الاجتماعي .

* عن أمير المؤمنين (عليه السلام): من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم[١٤] .

١ ـ ما دمت لم تفتح نفسك يا فلان فكيف يمكنك أن تفتح نفوس الآخرين[١٥] .

٢ ـ شد وثاق نفسك أولاً وسيطر عليها وآنذاك اعرف نعمة الوعظ والنصح .

٣ ـ انصب منبراً لنفسك أولاً عندها يمكنك أن ترعد على المنبر وتبرق .

٤ ـ أضرم اللهب في باطنك أولاً عندها يمكنك أن تلهب (المشاعر أيها السالك) .

---

(١٣) ملا صدرا فيلسوف ومتفكر بزرگ اسلامي (١٩٩) .

(١٤) نهج البلاغة صبحي الصالح/ ٤٨٠ ، الخطبة/٧٣ .

(١٥) مثنوي طاقديس/٢٨٢ .

٥ ـ ما لم تنضج حرقة الدين القلب فلن ينفع كلامك أيهـا المحترم (لن يصبح نفسك حاراً) .

٦ ـ ما لم يكن في كبدك حرقة فلا تنفخ فإن نفخك لن يؤثر[١٦] .

الثاني:

الأمر الثاني الذي تنبغي الاشارة اليه. . وهو ذكر كتب تنفع الـطلاب. . ولا بد من قراءتها عدة مرات:

الاول: منيـة المريـد للشهيد الثـاني يقول الميـرزا الشيرازي حـول هذا الكتاب .

من المهم جداً أن يواظب طلاب العلوم الدينية (اهل العلم) على قـراءة هذا الكتاب الشريف وأن يتأدبوا بالآداب الواردة فيه[١٧] .

الثاني : معراج السعادة وفي أهميته يقول أحد الكتاب المعاصرين .

هذا الكتاب مهم جداً ، ويجب أن يكون سمير الطالب باستمرار ، معنى أن يقرأ كل ليلة مقداراً قليلاً منه ويحاول ولو بجهد كبير ـ أن يطبق ماقرأه. . لان بعض الكتب ليست للمطالعة. . أي يقرأها الانسان ويدعها جانباً كالقصة التي تقرأها ولا تعود إليها. . فمثلاً إذا اشتريت كتاباً في الرياضـة وقرأتـه ثم وضعته جانباً فهل ينفعك؟ كتاب كهذا يجب أن يكون في متناول الانسان باستمرار وبين الفترة والأخرى يقرأ قسماً منه ويعمل به ، يؤدي هذه الحركة وتلك ويكررهما ثم ينتقل الى قسم آخر حتى تظهر تدريجياً آثار هذه الرياضة عليه ، ويكتسب بدناً قـوياً وسليمـاً. . إن كتب الأخلاق كـذلك يجب أن يقـرأ الانسان فصـولها بـل صفحاتها واحدة واحدة ويطبق ما فيها ، ويعمل بـه ، ويبني نفسه من جـديد ،

---

(١٦) نفس المصدر/٢٠٣ .

(١٧) يادنامة علامة أميني/٥٦٥ ، الهامش .

وعندما ينجح في مرحلة ، ينتقل الى مرحلة بعدها(١٨) .

الثالث: «تذكرة المتقين» وهذا الكتاب مجموعة الرسائل والتوجيهات لثلاثة من الاساتذة الكبار في علم الاخلاق وهم :

المرحوم الملا حسنقلي الهمداني ، السيد أحمد الكربلائي والشيخ محمد البهاري الهمداني ، وتتركز هذه الرسائل في المسائل الأخلاقية وطريق السلوك الى الله وقد جمعها الأديب العارف الشيخ اسماعيل التبريزي رحمه الله(١٩) .

وقد نقل أن البعض عمل بمضامين هذا الكتاب وطبق تعليماته فبلغ بذلك مراتب سامية .

---

(١٨) هويت صنفي روحاني (٩٧ ـ ٩٨) . ولا بد من التوضيح هنا ان معراج السعادة هو للمولى أحمد النراقي ابن المولى مهدي النراقي مؤلف جامع السعادات وهو من الكتب التي يوصي الامام القائد بقراءتها كما جاء في كتاب سر الصلاة ولكن لمن لا يجيد الفارسية استبداله بكتاب المراقبات مثلاً لأية الله ملكي جوادي التبريزي فهو كتاب فريد في بابه ، كما يمكن استبدال الكتاب الثالث الذي أوصى المؤلف بقراءته بكتاب سر الصلاة لأية الله التبريزي نفسه . (المترجم) .

(١٩) رسالة السير والسلوك المنسوبة الى السيد بحر العلوم/١١٦ الهامش نقلاً عن كشف الغمة .

* القسم الثاني:

* الحاجة الى استاذ الاخلاق والسير والسلوك

«هلك من ليس له حكيم يرشده...»[1]
الامام السجاد (عليه السلام)

(١) كشف الغمة (ج٢، ص٣٢٥).

* الآن وقـد اتضحت بعض الشيء أهمية تـزكية النفس وتصفيـة الباطن ينبغي التأكيد على أهمية الأستاذ .

لا تقطع هذه المرحلة بدون صحبة «الخضر» .
انها لظلمات فحاذر من خطر الضياع[٢] .

إن تعلم أي علم وصنعة في العالم يحتاج الى معلم. . . وهذا الأمر لشدة وضـوحـه لا يجـادل فيـه أحـد وهـو بحسب الإصـطلاح ، «تصـوره مـوجب لتصديقه» .

وصناعة الإنسان بدون أستاذ وبشكل تلقائي هي غير ممكنة. . ولا يمكن لأحد أن يدعي أنـه وبدون أن يتلقى التـوجيه من أحـد يستطيـع أن يصَفي قلبه ويطهر ذاته من الرذائـل الأخلاقيـة وعليه فـإنّ المسألـة الأولى التي يجب على طلاب العلوم الدينية الاهتمام بها خصوصاً الطلاب المبتدئين أن يكونـوا بصدد البحث عن «أستاذ الاخلاق» فيختاروا إنساناً حراً «متقياً» يتولى تربيتهم. . » .

الأشخاص الذين لم يتتلمذوا طيلة عمرهم على معلم أخلاق ويقولـون: «نحن قرأنا القرآن وأحاديث المعصومين وسرنا ووصلنا» هؤلاء مخـطئون قـطعاً وتائهون .

---

(٢) مضمون بيت شعر فارسي لحافظ الشيرازي .

والحديث في هذا المجال ذو شجون . . ولكن من الأفضل ذكر خلاصة ما يؤكد عليه علماء الأخلاق المربون :

أيها الطالب المبتدىء وأيها الأخ الروحاني . . إبدأ منذ الأيام الاولى لدخولك الحوزة العلمية بالبحث عن استاذ الأخلاق وليكن ذلك همك الاول .

حذار أن تفعل شيئاً دون استشارة لأستاذ يتصف بالفهم والتحرق والوعي .

حذارِ . . انظر بعيداً . . فإن المحتالين الذين يضلون الناس عن الحق كثيرون ، افتح عين بصيرتك جيداً حتى لا تقع في شراكهم .

ولقد عانيت ضرر عدم الاستفادة من استاذ وتذوقت نتائج ذلك . . وواجهت من جرائه مشاكل عديدة وبدافع الاخلاص وحب مصلحتك أقول :

كن بصدد البحث عن خضر هذه المرحلة واعلم أنه لم يستطع أحد أن يصبح شيئاً لوحده .

* مع الإمام الخميني (رضوان الله عليه) :

إختاروا أساتذة أخلاق لكم ، إعقدوا مجالس الوعظ والخطابة والنصيحة ، التهذيب تلقائياً (بدون استاذ) غير ممكن ، إن الحوزات محكومة بالفناء إذا خلت من مجالس الوعظ والنصيحة . . كيف يعقل أن يكون علم الفقه والأصول بحاجة الى مدرس ، بحاجةٍ إلى درس وبحث (كيف يعقل) أن يكون كل علم وصنعة في الدنيا بحاجة الى استاذ . . ولا تكون العلوم المعنوية والأخلاقية بحاجة الى تعلم وتعليم . . ثم يحصل عليها الانسان تلقائياً «أوتوماتيكياً» ويحصلها بدون معلم ، لقد سمعت كراراً أن سيداً جليلاً كان معلم الاخلاق للشيخ الانصاري[٣] .

(٣) سيأتي أن هذا السيد الجليل هو المرحوم السيد علي الشوشتري استاذ العرفان في القرن الأخير .

كثيـرة هي الأمور التي تجعـل الانسان مسكينـاً. . وتمنعـه من التهـذيب والتحصيل ، بعض هذه الأمور للبعض هي هذه اللحية والعمامة ، عندما تصبح العمامة كبيـرة قليلاً وتـطول اللحية. . اذا لم يكن مهـذباً. . يبقى بـلا علم. . يصبح قعيداً ومن الصعب أن يستطيع ان يدرس نفسه الأمارة ويحضر في مجلس درس أحد ، الشيخ الـطوسي في الثانيـة والخمسين من عمره كـان يذهب الى الدرس. . في حين أنه بين العشرين والثلاثين ألف بعض هذه الكتب ، كتاب التهذيب يقال أنه ألّفه عندما كان هذا عمره ومع ذلك في الثانية والخمسين كان يشترك في درس المرحوم السيد المرتضى ولذلك وصل الى هذه المرتبة[٤] .

«ينبغي أن تخيط شفتيك لمدة ــ تتعلم فيها الكلام من العالمين به .

مـا لم تتعلم فلا تقـل من المائـة واحد ــ واذا قلت فستقـول حشواً دون شك»[٥] .

* أهمية الأستاذ:

يقول العارف الجليل آية الله السيد علي القاضي استاذ العلامة الطباطبائي في العـرفان والسيـر والسلوك: أهم ما يلزم في هـذا الطريق الاستـاذ الخبير ، البصير ، الخارج من أسـر الهوى ، الـواصل الى المعـرفة الالهٰيـة ، والانسان الكامل الذي سافر ـ بالاضافة الى السير الى الله ـ الاسفار الثلاثة الأخرى شرط أن يكون تجوله وتفرجه في عالم ــ الخلق «بـالحق» إذا أمضى الإنسان الـذي يطلب طريق الله وسلوك طريق الله ، نصف عمره يبحث عن أستاذ هذا الطريق ويفتش عنه فإنه يكون مصيباً لأن الأمر يستحق هـذا الاهتمام . من وصـل الى الاستاذ وحصل عليه فقد قطع نصف الطريق[٦] .

---

(٤) الجهاد الأكبر ـ العلم والتربية توأمان .

(٥) مضمون بيتين لمولوي .

(٦) رسالة السير والسلوك المنسوبة الى السيد بحر العلوم/١٧٦ ، الهامش .

* طريقة الشيخ الكاشي:

يحدثنا المرحوم آية الله النجفي القوجاني عن أستاذه المرحوم الشيخ محمد الكاشي صاحب الكرامات المشهورة وعن تأثير حديثه الأخلاقي فيقول:

«الشيخ محمد الكاشي الذي قرأت في أصفهان «منظومة السبزواري» عليه كان غاية في العلم والتحقيق وكان مدرساً جيداً، ومع أنه كان معروفاً ومجتهداً في المعقول والرياضيات كان على جانب كبير من القداسة والتدين والرياضيات.. وكان باستمرار قبل الدرس يعظ لمدة ربع ساعة وكانت موعظته مؤثرة جداً بحيث أننا كنا نصمم أن ننصرف كلياً عن الدنيا وما فيها ونهتم بالآخرة[٧].

* تنبيه هام:

الأمر الذي يجب الإهتمام به جيداً هو الدقة في اختيار الاستاذ.. يجب أن يكون الطالب دقيقاً جداً ومحتاطاً.. فلا يختار شخصاً لمجرد أنه يدعي أنه قادر.. وبدون أن يطمئن الى صحة دعواه وفي هذا المجال نصيحة للمرحوم العلامة السيد بحر العلوم حيث يقول:

«وأما الأستاذ العام[٨]فلا يعرف الا بصحبته في السر والعلن ومعاشرته الباطنية وملاحظة إكتمال إيمان جوارحه وايمان نفسه. والحذر الحذر من أن يقع الانخداع بظهور خوارق العادات منه وبيانه لدقائق النكات، واخباره بالخفايا الآفاقية، وخبايا الأنفس، وتبدل بعض حالاتك نتيجة الاقتداء به.. لأن الإشراف على الخواطر والاطلاع على الدقائق والعبور على الماء والنار وطي الأرض والهواء والأخبار بما يأتي وأمثال ذلك.. إنما يحصل في مرتبة المكاشفة الروحية، وبين هذه المرحلة والهدف المطلوب مسافة لا تتناهى.. وكثير من

(٧) سياحة في الشرق/١٨٨.

(٨) المراد به ما يقابل الاستاذ الخاص الذي هو المعصوم كما يصرح صاحب النص فيما تقدم على الفقرات المنقولة هنا ـ المترجم.

المنازل والمراحل وما اكثر السالكين الذين يجتازون هذه المرحلة ثم يـدخلون بعدها في وادي اللصوص والأبالسة. . ومن هنا يستطيع كثير من الكفار أن يأتوا بكثير من الأمور (الغريبة) .

بل إنه من التجليات الصفاتيـة ، لا يمكن استنتاج وصـول صاحبهـا الى المنزل (الهدف المطلوب)[٩] .

* نماذج من دروس الأخلاق في الماضي:

١ ـ يقول أحد الفضلاء المعاصرين:

حوالي سنة ١٣٤١ هـ . ق طلبت مـع عدد من الأصـدقاء من المحـدث القمي ـ صـاحب مفاتيـح الجنان ومؤلفـات اخرى كثيـرة وقيمة ـ أن يبـدأ ليالي الخميس والجمعـة بدرس أخـلاق للطلاب في مدرسـة ميـرزا جعفـر خـان في مشهد. . كان يشترك في الدرس حوالي ألف شخص من العلماء والطلاب وكان يرتقي المنبر ويتحدث حوالي ثلاث ساعات في المسائل الأخلاقية وكان تتبعـه وتبحـره في الأخبار والـروايـات واحتيـاطـه في النقـل والشـرح. . وكـان يـورد الأحاديث المسندة غالباً ـ والتأثير العجيب لكلامه كان يترك أكبـر الاعجاب في نفوس المستمعين الذين كانوا جميعاً من أهل العلم والاطلاع. . ولكن للأسف لم يستمر ذلك المجلس أكثر من عدة شهور[١٠] .

٢ ـ أحد دروس الأخلاق المهمة والغنية في قم أيام كان الامام الخميني

---

(٩) أوضح شارح رسالة السيد بحر العلوم. . السيد الطهراني هذا النص بما خلاصتـه: إن المكاشفة على خمسة أنواع وأن المكاشفات الروحية تأتي في المرتبة الثالثة ومراد السيد بحر العلوم أن من وصل الى هذه المرتبة الثالثة قد ينحرف ، فوصوله إليها لا يكشف أنه أهل للتلقي عنه. . واما العبارة الأخيرة عن التجليات الصفاتية فالمراد بهـا ان التجليات ـ كما اورده السيد الطهراني ـ هي أيضاً على أربعة أقسام ، والتجليات الصفاتية هي في المرتبة الثانية ووصول السالك اليها لا يكشف انه أصبح أهـلًا لأن يكون الاستـاذ العام ـ راجع «رسالة سير وسلوك منسوب به بحر العلوم» (١٥٩ ـ ١٦١) المترجم .

(١٠) الفوائد الرضوية وصفحة (د) بتصرف يسير .

(رضوان الله عليه) مقيماً فيها.. درسه هو دام ظله... ولم نكن آنذاك لنحصل على شرف الاستفادة من نور هذه الشمس المشرقة.. إلا أن الأحاديث التي ينقلها اساتذة الأخلاق عن هذا الدرس والكلمات القصار التي بقيت في الخواطر وتتناقلها الألسن بين الحين والآخر.. كل منها بحر علم ومصباح هداية متوهج على مَر الليالي والأيام .

ومن المؤسف أنه في هذه الأيام والحاجة ماسة الى مثل هذه المجالس أكثر من أي شيء آخر . لا مجال لذلك الرجل العظيم لاقامة مثل هذه الدروس بسبب كثرة المشاغل وقيادة سفينة الثورة التي تعصف بها هوج الرياح.. والصراع المرير مع أعداء الاسلام الأساسيين وعلى رغم ذلك كله فانه ـ دام ظله ـ عندما يذكر بمناسبة أو أخرى في أحاديثه العامة ـ بعض الارشادات ويكشف ويبين بعض الغوامض يقشعر بدن الانسان وتستولي عليه الدهشة لهذا الاخلاص العظيم والاطمئنان والتوكل والعرفان .

واليك فكرة عن درس الامام أيام كان سماحته في قم: في البداية كانت هذه الجلسة محدودة جداً وكان يستطيع الاشتراك فيها اشخاص يطمئن اليهم سماحته.. وكان يشرح لهم المعارف الالهٰية على أساس كتاب «منازل السائرين» وتدريجياً اتسعت دائرة الدرس وأصبح يعقد أسبوعياً مرة وبشكل علني وبالاضافة الى الروحانيين كان يحضره العشرات من مختلف الطبقات...

ثم أصبح إقبال الناس الكبير على هذا الدرس سبباً في أن قرر الإمام أن يعقده يومين اسبوعياً (الخميس والجمعة) وحاول جلاوزة رضا خان أن يعطلوا الدرس لكنهم ووجهوا بصلابة موقف الامام فقد قال الامام لمبعوث الشرطة: أنا مكلف أن أقيم هذا الدرس مهما كلف الأمر.. فلتأتِ الشرطة مباشرة وتمنعه .

ولم تجرأ الشرطة على اقتحام مجلس الدرس ولكنهم استمروا في المضايقات.. مما اضطر الامام أن ينقل الدرس من مدرسة الفيضية الى مدرسة (حاج ملا صادق) في محلة «جهار مردان» وقد استمر الأمر كذلك حتى انتهى عصر رضا خان المظلم فنقل الامام الدرس الى الفيضية واستمر سنوات طويلة

(الظاهر أنها ثماني سنوات) بعدها استطاع جلاوزة الشاه بأساليبهم المختلفة أن يـوقفوا هـذا الدرس المـربي. . إلا أن صرخـة الامـام استمـرت هـادرة تـوقظ النائمين. . فقد كان في النجف وقم يستغل كل فرصـة مناسبـة لينصح طـلاب العلوم الروحانيين بنصائحه البنـاءة داعياً الحـوزات العلمية الى التقـوى وجهاد النفس[١١] .

* مع الشهيد مطهري:

كان الاستاذ الشهيد من أبرز الوجوه التي حضرت هذا الدرس وهو يحدثنا عن تأثيره فيقول:

رغم أنني عندما هاجرت الى قم لم أكن قد أكملت المقدمـات ولم أكن أهلاً لدراسـة «المعقولات» الا ان الـدرس الاخلاقي الـذي كان يقـام من قبل «الشخصية التي هي محبوبي» كل خميس وجمعة. . وقد كان في الحقيقة درس معارف وسير وسلوك لا درس أخلاق بالمعنى الجاف العلمي ـ هذا الدرس ـ كان يُسكرني وبدون أية مبالغة هذا الدرس كان يستولي على مشاعري ويشدني إليه ، إلى حد كنت أجد نفسي حتى الاثنين والثلاثاء من الاسبوع التالي ما أزال متأثراً به بشدة ، جانب مهم من شخصيتي الفكرية والروحية تكوّن في هذا الدرس ، ثم في الدروس الأخرى التي تلقيتهـا من ذلك الاستـاذ الالهي طيلة اثني عشر عاماً ، كنت دائماً اعتبر نفسي مديناً له وما زلت ، حقاً أقول «إنه» روح القدس الالهي»[١٢] .

٣ ـ يقول أحد المدرسين الحاليين في الحوزة:

---

(١١) بررسي وتحليلي أز نهضت إمام خميني ج١/٣ ـ ٤٠ .

(١٢) علل گراش ماديگري الدوافع نحو المادية . الجدير بالذكر أن آية الله الشهيد المطهري لجأ الى هذا التلميح لانه لم يكن يستطيع ذكر اسم الامام بسبب رقابة الساواك ولذلـك كـان المتعارف آنـذاك أن يعبـر عن الامـام بـ (استـاذي الالهي) أو كمـا ورد في النص (المترجم) .

استدعى آية الله البروجردي رحمه الله المرحوم الميرزا علي آقاي شيرازي الى قم لتدريس الأخلاق فيها وكنا نشترك في مجالس درسه .

وقد كان لارشادات الميرزا علي أثر كبير في تكوين شخصية الشهيد مطهري . . وهو نفسه يذكر ذلك في مقدمة كتابه «في رحاب نهج البلاغة»:

أرى لزاماً أن أذكر في هذه المقدمة ذلك الرجل العظيم الذي عرَّفني لأول مرة على نهج البلاغة ، الذي أعتبر دائماً أن تتلمذي عليه وجلوسي إليه من ذخائر عمري النفيسة التي لست مستعداً أن استبدلها بأي شي ـ ولا يمر يوم أو ليلة لا تكون ذكراه مجسمة في خاطري .

أسمح لنفسي أن أتجرأ فأقول: لقد كان بحق عالماً ربانياً ولكني لا أجرؤ أن أقول: كنت متعلماً على سبيل نجاة[١٣] .

٤ ـ المرحوم آية الله ملكي تبريزي الذي سيأتي التعريف بسيرته اجمالاً ، هو من أساتذة الامام الخميني في الأخلاق وكان يدير دروساً في الأخلاق للطلاب وعامة الناس كل على حدة .

* يقول أحد الفضلاء المعاصرين في هذا المجال:

كان ـ عليه الرحمة ـ يصوم الأشهر الثلاثة رجب ، شعبان وشهر رمضان ويلقي درساً عاماً في الأخلاق . . والآن سنة ١٣٩٣ هـ .ق (تاريخ تأليف الكتاب) ـ أي بعد حوالي خمسين سنة من وفاة هذا العالم الرباني ما زالت جدران المدرسة وجوهاً تردد صدى صوته الحزين ومناجاته التي تأسر القلوب وهو يردد: اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت[١٤] .

---

(١٣) لأهمية ما كتبه الشهيد عن استاذه راجع بقية ذلك في المصدر المذكور (في رحاب نهج البلاغة) ، والنص هنا ليس منقولاً عنه بل هو مترجم عن الأصل الفارسي (المترجم) .

(١٤) مفاتيح الجنان اعمال الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان .

وفضائله رحمة الله عليه وكراماته فوق أن يحصرها هذا الكتاب ـ وقد نقل تلامذته الكثير حول زهده وتقواه وعشقه وعرفانه وعدُّوه من بكّائي الزمان. . وصلاة جماعته في المدرسة الفيضية ومسجد «فوق الرأس» ودرسه كذلك. . شواهد على هذا المدعى(١٥) .

٥ ـ المرحوم آية الله العلامة الطباطبائي كان يدرس الأخلاق لبعض الطلاب في قم سنة ١٣٦٨ ـ ٦٩ هـ .ق . وكان ذلك الدورة الاولى من دروسه الاخلاقية والعرفانية ولحسن الحظ فقد طبعت تقريرات درسه باسم «لب اللباب»(١٦) .

كان السيد العلامة يهتم برسالة السير والسلوك المنسوبة الى السيد بحر العلوم وكان يوصي بقراءتها وقد درَّسها هو عدة مرات لخواص من تلامذته من طلاب الحقيقة ولقاء الله وقد كان يشرحها بشكل موسع نسبياً(١٧) .

«يصل راعي الوادي الايمن الى هدفه عندما يخدم شعباً باخلاص عدة سنين»(١٨) .

* وفيما يلي تعريف بعدد من الشخصيات البارزة من اساتذة الأخلاق والعرفان والسير والسلوك في القرن الأخير حيث نذكر مع مراعاة الاختصار ما يتعلق بهذه الشموع المضيئة لتكون اسماؤهم زينة هذه الأوراق ، وتأدية لبعض حقهم .

---

(١٥) گنجينة دانشمندان /١/ ٢٣٠ .
(١٦) لب اللباب ، تقرير آية الله السيد الطهراني (فارسي) .
(١٧) مهرتابان «فارسي» /٥٤ القسم الاول/ هذا الكتاب قسمان القسم الاول سيرة العلامة الطباطبائي عليه الرحمة والقسم الثاني فوائد علمية هامة تلقاها منه تلميذه مؤلف الكتاب آية الله الطهراني وهو كتاب قيّم جداً «المترجم» .
(١٨) مضمون بيت فارسي لحافظ الشيرازي استشهد به المؤلف والمراد براعي الوادي الأيمن نبي الله موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام .

١ ـ العارف الكامل آية الله السيد علي الشوشتري[١٩]أحد ألمع نجوم سماء العرفان في العصر الأخير ، وصي الشيخ الانصاري (ره) وهو الذي صلى على جنازة الشيخ وقول التدريس من بعده على منبره . فكان كأنه الشيخ . . وكان المرحوم الأخوند الخراساني[٢٠](ره) يحضر مجلس درسه . . وكان السيد يولي الآخوند عناية خاصة .

وينتهي نسب السيد علي الشوشتري الى المحدث الجزائري على النحو التالي : السيد علي بن السيد محمد بن السيد طيب بن السيد محمد بن نور

---

(١٩) ينبغي التنبيه على أنه حيث يرد مدح العارف في هذا الكتاب . فان المقصود العارف بالمعنى الحقيقي . . . مثل هؤلاء العلماء الذين ترد اسماؤهم في هذا القسم . . اي الأشخاص الذين يلتزمون تماماً بالشريعة الاسلامية وفقه الامام جعفر الصادق (عليه السلام) لا أولئك الذين يعتمدون على عقلهم الناقص ويخرجون من دائرة الشريعة ولا يطبقون تعاليم الاسلام .
يقول المرحوم آية الله الشيخ محمد البهاري رحمه الله : من جملة أولئك «المغرورين» طائفة يعتبرون أنفسهم عرفاء وقد اكتفوا من العرفان بالزي وخفض الصوت والاطراق بالرأس والزفرات والتباكي . . سيما إذا سمعوا كلاماً في العشق والمحبة والتوحيد والفقر (مع عدم معرفة المعنى) بل البعض يتجاوز ذلك الى الشهيق والنهيق واختراع بعض الاذكار والتغني بالأشعار وغير ذلك من الافعال الشنيعة . . وظناً منهم بأن هذه الأطوار توصل الشخص الى مقام ما . . وليس الأمر كذلك فإن هؤلاء واقعون في الشبهات والمحرمات وترك المستحبات بل الواجبات . مدعين أن المحتاجين الى رياضة البدن هم ضعفاء النفوس من العوام وباصطلاحهم : المحتاج الى الرياضة هو المبتدىء في السلوك ، والواقع أن هذه الطائفة أضعف الناس عقلاً واشدهم جهلاً وحمقاً . . وبعض هؤلاء توهم أرحاماً كبيرة ظناً منه أنه بلغ غاية المعرفة واليقين وأخبار درجات المقربين وأنه الآن هو في مشاهدة المعبود ومجاورة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود متوهماً أنه أصبح مطّلقاً ، فهو في الملكوت يخطر في القدس والجبروت ، مما يؤدي به الى ان ينظر نظرة احتقار وإهانة الى الصلحاء والفقهاء والمحدثين وسائر العلماء مدعياً لنفسه من خوارق العادات أموراً لم يدعها لنفسه أحد من الأنبياء والاولياء ـ «تذكرة المتقين» ـ (٩٣ ـ ٩٥) .

(٢٠) صاحب «كفاية الأصول» علم من أعلام الشريعة أستاذ العلماء ، وقائد «ثورة المشروطة» في ايران ويأتي الكثير مما يدل على سمو منزلته (رضوان الله عليه) .

الدين بن المحدث الجزائري[٢١] .

* يقول عنه صاحب «المآثر والآثار» :

المشهور بالزهد والرياضات الشرعية ومخالفة النفس . . من جملة رؤساء المذهب من العدة المعدودة الذين طبق صيتهم الأرجاء ، كان شيخ الطائفة استاذ الكل الشيخ الأنصاري يرجحه على جميع أصحابه علماً وعملاً . . بل كان عليه الرحمة يعتبر نفسه مريداً له[٢٢] .

* ويقول صاحب «لؤلؤ الصدف» :

السيد الجليل القدر صاحب الكرامات المتواترة الحاج السيد علي الشوشتري وهو يعتبر من زهاد العلماء وقد كان المرحوم الشيخ الأنصاري ـ رغم أنه كان في غاية الزهد والورع والكرامات يجل هذا السيد الجليل بما لا مزيد عليه» .

وجاء في «دار السلام» :

المرحوم الحاج السيد علي الشوشتري من اولاد السيد نعمة الله الجزائري ومن المجاورين في النجف الأشرف ، كان سلمان عصره في الورع والزهد والتقوى وقد رجعت إليه أمور الخلق بعد وفاة الشيخ . . كان مواظباً على الاعتكاف في مسجد السهلة ، والكوفة ، وكان الناس يظنون أنه يتشرف بلقاء صاحب الزمان (عليه السلام) . . وكان معروفاً بالكرامات[٢٣] .

ومشايخ السيد علي الشوشتري في الاجازة هما الشيخ الأنصاري والسيد حسن ، إمام جمعة شوشتر ، التحق السيد بالرفيق الأعلى في النجف الأشرف

---

(٢١) زندگاني شيخ أنصاري (حياة الشيخ الأنصاري ـ ١٣٥) . والمحدث الجزائري هو السيد نعمة الله الجزائري تلميذ العلامة المجلسي رحمه الله ، وصاحب الأنوار النعمانية (١٠٥٠ ـ ١١١٢ هـ) «المترجم» .

(٢٢) المآثر والآثار/ ١٤٥ .

(٢٣) دار السلام للشيخ محمود العراقي ـ فارسي / ٥٥٠ .

عـام ١٢٨٣ هـ .ق . ودفن في المقبرة المتصلة ببـاب القبلة للحـرم الشـريف مقابل مقبرة الشيخ الأنصاري[٢٤] .

* لهذا السيد الجليل قصة طـريفة فقـد درس في النجف الأشرف ، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد ، وأجازه علماء النجف ثم عاد الى وطنه ، فاشتغـل بالتـدريس والقضاء[٢٥]وهنالك وقعت القصة التي يرويها السيد العلامة الطباطبائي (صاحب الميزان) عليه الرحمة فيقول: قبل حوالي مائة سنة كان في شوشتر عالم جليـل القـدر. . وكـان مـرجـع النـاس في القضـاء والأمـور العـامـة إنـه السيـد علي الشوشتري . . كان مشتغلاً كسائر العلمـاء الاعلام بـالتدريس والقضـاء وشؤون المرجعية . . وذات يوم ، فجأة طرق باب المنزل طارق . . وعندما سأله السيـد من أنت قال: افتح الباب ، شخص له معك شغل . . .

عندما يفتح السيد علي الباب يرى شخصاً نساجاً فيسأله: ماذا تريد . .

يقول النساج: الحكم الفلاني الذي حكمت به بناءً على دعـوى الشهود بملكيـة العقار الفـلاني للشخص الفلاني (هـذا الحكم) ليس صحيحاً ، هـذا العقار لطفل صغير يتيم ، ووثيقة ذلك (الحجة) مدفونة في المكان الفلاني . .

هذا الطريق الذي سلكته خاطىء وليس لك .

يقول آية الله الشوشتري: وهل أخطأت؟ يقول النساج: كما قلت لك . . يقـول ذلك وينصـرف . ويستغرق آيـة الله الشوشـتري في التفكير من هـو هذا الرجل . . وماذا قال . . وقـرر أن يتأكـد من صحة كـلامه فيتبين أن وثيقـة ملك الطفل اليتيم مدفونة في ذلك المكان . . والشهود الذين شهدوا على ملكية غيره كانوا شهود زور . . يخاف السيد على نفسه كثيراً ويقول في نفسه: ومن يدري أن كثيراً من الأحكام التي حكمت بها ليست من هذا القبيل فيستبد به الخوف . .

---

(٢٤) زندگاني شيخ أنصاري/ ١٣٥/ ١٣٨ بتصرف .

(٢٥) المصدر السابق وطرائق الحقائق ٣٩/ (٤٦ ـ ٤٦٧) وقد تصرفت في طريقة عرض هذه القصة لأسباب فنية (المترجم) .

وفي الليلة التالية وفي الوقت نفسه يطرق النساج الباب قائلاً يا جناب السيد علي الشوشتري الطريق ، ليس هذا الـذي تسلك. . وفي الليلة الثالثة يتكرر ذلـك بهذه الكيفية ويقول النساج: لا تتـأخر ، هيىء أثـاث البيت للسفر ـ بـع البيت وتشرف بالانتقال الى النجف الأشرف واعمل بما قلت. وانتظرني بعد ستة أشهر في وادي السلام في النجف .

ويبدأ المرحـوم الشوشتـري بتنفيذ التـوجيهات. . يبيـع البيت ، ويستعد للسفر الى النجف الأشرف .

وبمجرد أن يصل الى «وادي السـلام» مع شـروق الشمس يجد النسـاج هناك وكأنه نبع من الأرض فيزوده بتوجيهات وينصرف .

ويدخل المرحوم الشوشتري الى النجف ويعمل بهذه التوجيهات فيصـل الى مرتبة سامية ومقام لا يمكن بيانه .

كان رحمه الله يحضـر درس الشيخ الأنصـاري في الفقه والأصـول وكان المرحوم الشيخ يحضر درسه في الأخلاق مرة في الاسبوع ، وبعد وفاة الشيـخ تولى السيد التدريس بدلاً منه وبدأ من حيث انتهى الشيـخ. . إلا أنّ الأجل لم يمهله اذ توفي بعد فترة قصيرة وفي هذه المدة (التي عـاشها بعـد الشيخ) كتب المرحوم الشوشتري رسالة الى أحد طلاب حوزة الشيخ الأنصاري البارزين وهو الأخوند الملا حسينقلي (عبد الحسين) الهمداني ـ الذي كانت تربطه منذ زمن بعيد في زمان الشيخ صلة وكان يستفيد منه في المجال الأخلاقي والعرفاني وبعد الشيخ قرر أن يدرس بل ويكمل مباحث الشيخ التي كان قـد كتب تقريـراتها ، كتب اليه في هذه الرسالة يوضح له ان طريقتك غير مكتملة ويجب ان تحصل على مراتب اخرى عالية ، وقد تأثر كثيراً بهذه الرسـالة التي ارشـدته الى وادي الحق والحقيقة ، (وباختصار فإن) المـرحوم الآخـوند مـلا حسينقلي الهمداني الذي كان منذ سنوات عدة قبل وفاة الشيخ يستفيـد من مجلس درس المرحـوم الشوشتري في المعارف الالٰهية ، فاق الاقران في مجـاهدة النفس وأصبـح من عجائب الدهر وربى طلاباً أبدالاً كان كل واحد منهم يعتبر قطب رحى المعرفة

والتوحيد ، ويعتبر المرحوم السيد أحمد الكربلائي[٢٦]أحد أبرز طلاب الآخوند الهمداني رحمه الله .

* ويضيف العلامة رحمه الله : وقد كان استاذنا العظيم العارف الذي لم يجد الدهر بمثله المرحوم السيد علي القاضي التبريزي من تلامذة المرحوم الكربلائي ، هذه سلسلة أساتذنا التي تنتهي الى المرحوم الشوشتري ، وبعده الى ذلك الرجل النساج ، ألا انه لا يعلم ان هذا النساج من هو ، وبمن كان ارتباطه ومن أين وبأية وسيلة حصل على هذه المعارف والعلوم[٢٧] .

٢ ـ الشيخ حسينقلي [٢٨]الهمداني رحمه الله :

العارف الجليل والفقيه الصالح والحكيم المرحوم الشيخ حسينقلي الهمداني من أبرز طلاب السيد علي الشوشتري وأكبر أساتذة العرفان والأخلاق في الفترة الأخيرة الذي لم يصل أحد بعده الى مرتبته .

* «من أعاظم العلماء» وأكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الأخلاق في عصره» «وهو في خصوص هذا العلم أمر عظيم لا يحده وصف ، فقد مضت حقبة طويلة لم يجد خلالها الزمن بمن ماثله في علم الأخلاق وتهذيب النفوس وقد ختم به هذا الفن[٢٩] .

* يقول عنه تلميذه الكبير المرحوم ملكي تبريزي :

---

(٢٦) لقد اختصر المؤلف ما أورده العلامة الطباطبائي رحمه الله هنا اذ أنه قال ما ترجمته : أبرز تلامذة مدرسة الأخوند (الهمداني) الميرزا جواد آقاي ملكي تبريزي والمرحوم السيد أحمد الكربلائي الطهراني والمرحوم السيد محمد سعيد الجنوبي والمرحوم الشيخ مخمد البهاري ـ لب اللباب .

(٢٧) لب اللباب (١٥٤ ـ ١٥٨) . و«ياونامه علامة طباطبائي /٩٨ نقلاً عن السيد محمد حسن إلهي القاضي أخو العلامة الطباطبائي عليهما الرحمة .

(٢٨) قلي بمعنى غلام) فيصبح المعنى عبد الحسين الهمداني (أعيان الشيعة ١٣٦/٦) المترجم .

(٢٩) نقباء البشر ـ طبقات اعلام الشيعة ج٢/ ٦٧٤ و٦٧٥ .

ما رأيت له نـظيراً في المـراتب المذكـورة [٣٠]ويريـد بها العبـادة وطول السجود .

وبعد أن دعاه المرحوم الشـوشتري الى تـربية النفـوس المؤهلة. . اهتم بتربية ذوي القابليات. . بحيث أن وقتـه كان مخصصـاً من الصبح حتى طلوع الشمس لقسم منهم ، ومن طلوع الشمس الى صـدر النهـار لقـسم آخـر ، وهكذا. . حتى أن ليله كان مقسماً كذلك ، أول الليل لفريق وآخره لفريق آخر حتى استطاع أن يربي عدداً كبيراً كلاً منهم كان يعتبر من أولياء الله[٣١] .

*** بعض تلامذته:**

١ ـ الشيـخ محمـد البهـاري من قـريـة بهـار في همـدان المتـوفي سنـة ١٣٢٥ هـ ، وقد أوصى الشيخ الهمداني إليه عند وفاته .

٢ ـ السيد أحمد الكربلائي .

٣ ـ آقا رضا التبريزي .

٤ ـ السيد كمال المشهور بميرزا آقا دولت آبادي .

٥ ـ السيد محمد سعيد الجنوبي الشاعر النجفي المشهور .

٦ ـ الشيخ موسى شرارة .

٧ ـ السيد حسن الصدر .

٨ ـ السيد مهدي الحكيم النجفي .

٩ ـ الشيخ باقر القاموسي النجفي .

١٠ ـ السيد عبد الغفاري المازندراني .

١١ ـ الشيخ محمد باقر النجم آبادي .

١٢ ـ السيد علي الهمداني .

١٣ ـ الشيخ علي القمي .

---

(٣٠) الفوائد الرضوية ١٤٨ والمصدر السابق .

(٣١) اسرار الصلاة/ ٢٧٠ .

١٤ ـ السيد محمود الطالقاني النجفي .

١٥ ـ صهر الشيخ الهمداني السيد أبو القاسم الأصفهاني .

١٦ ـ السيد محمد تقي الشاه عبد العظيمي .

١٧ ـ السيد محمد تقي الأصفهاني .

١٨ ـ الميرزا جواد ملكي تبريزي .

١٩ ـ ابن الشيخ الهمداني ، الشيخ علي الهمداني[٣٢] .

٢٠ ـ المجاهد والمصلح الكبير السيد جمال الدين الأسد آبادي[٣٣] ويبدو أنه ليس في متناولنا اليوم كتاب أو أثر مكتوب للشيخ الهمداني إلا الرسائل التوجيهية المدرجة في آخر كتاب تذكرة المتقين إحداها تلك التي كتبها الى المرحوم السيد علي الايرواني بهذا المضمون:

جناب السيد: الحذر الحذر من القواطع الأربعة: كثرة الكلام وكثرة الطعام وكثرة المنام وكثرة المجالسة مع الأنام ، وعليك بتقليبها وتبديلها بذكر الله الملك العلام في الليالي والأيام والسلام[٣٤] .

ولآية الله الهمداني تقريرات درس الشيخ الأنصاري .

وتقريرات تلامذته لدرس فقهه أو أخلاقه من ذلك:

صلاة المسافر ، الحلل ، القضاء والشهادات ، كتاب في الرهن وقد كانت منه نسخة في مكتبة المحدث النوري[٣٥] .

* * *

---

(٣٢) يادنامه علامة طباطبائي/٩٩ .

(٣٣) اعيان الشيعة/٦/١٣٦ ، ونقباء البشر/٢/٦٧٧ .

(٣٤) الحركات الاسلامية في القرن الاخير عن الاصل الفارسي/٣٧ .

(٣٥) تذكرة المتقين/٢٣٧ ، وقد طبع أخيراً في لبنان كتاب القضاء له رحمه الله عن مخطوط ، حدثني سماحة الحجة الشيخ موسى شرارة ففي الهرمل أنه كان قد اشتراها أيام إقامته في النجف الأشرف (المترجم) .

* سأل الميرزا جواد ملكي تبريزي ـ أحد تلامذة الشيخ الهمداني ـ أستاذه بعد ان تتلمذ على يده سنتين: لم أحصل من «سيري» على شيء.. فسأله الشيخ الهمداني عن اسمه ومن يكون؟! فقال متعجباً: ألا تعرفني أنا جواد ملكي تبريزي فيقول له: هل لك قرابة بفلان وفلان من آل ملكي، ولأن الشيخ جواد ملكي كان سيء الظن بهم فقد انتقدهم.. فقال له أستاذه: عندما تستطيع أن تقدم للسيء منهم ـ بحسب رأيك ـ حذاءه فأنا آتي إليك.

وفي اليوم التالي عندما حضر الشيخ جواد ملكي الدرس جلس في مرتبة دون بقية الطلاب.. وأخذ يبحث عن الطلبة من أقاربه الملكيين الذين لم يكن يعتبرهم صالحين ويعطف عليهم حتى وصل في مودتهم الى تقديم أحذيتهم لهم (عندما يزورونه احتراماً لهم) وقد بلغ ذلك عشيرتهم «الملكيين» المقيمين في تبريز فزال التشنج الذي كان يحكم علاقاتهم..

وفيما بعد التقاه الشيخ الهمداني وقال له: لا تعليمات جديدة.. يجب أن تصلح أمرك ليمكنك أن تنتفع من هذه الأحكام الشرعية.. ويوصيه ضمناً بأن العمل بكتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي جيد[٣٦].

* وقد سئل الشيخ علي الزاهد: بماذا كان استاذك الشيخ الهمداني يربي تلامذته؟ فقال: بذكر الموت.

ويقول بعض مريدي الشيخ الهمداني: لو أن شخصاً واظب في الليالي لمدة سنة على سجدة يقول فيها أربعمائة مرة: «لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فانه سيخرج من عالم الطبيعة[٣٧].

* يقول العلامة الطباطبائي: تآمر جمع من منتقدي الطريقة العرفانية الإلٓهية والتوحيدية للمرحوم الشيخ الهمداني، الهازئين بها، وكتبوا عريضة الى

---

(٣٦) نقباء البشر/٢/٦٧٧. (٣٦) تاريخ حكماء وعرفاء متأخر بر صدر المتألهين/١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣٧) المصدر السابق ـ ١٣٥/ توضيح.

المرحوم الشربياني عندما كان يتصدى لرئاسة المسلمين وكان يعتبر الزعيم المطلق ، كتبوا فيها إن الشيخ حسينقلي الهمداني سلك طريقة الصوفيين .

قرأ المرحوم الشربياني العريضة ثم تناول قلمه وكتب في أسفلها: يا ليت أن الله يجعلني صوفياً مثل الشيخ الهمداني ، وبهذه الجملة من هذا العالم الكبير قضي على كل مؤامراتهم .

* ووالد الشيخ الهمداني هو «رمضان الشّوندي ، الدّرجزيني ، الهمداني» وينتهي نسبه الى جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المشهور ، وشوند بفتح الشين والواو وسكون النون قرية قريبة من درجزين من توابع همدان وفيها يقيم عدد كبير من أحفاد جابر .

* قال في «نقباء البشر»:

كان والده راعياً للغنم في بادىء أمره ، ثم صار إسكافاً ، وكان له ولدان أكبرهما المترجم له ، والأصغر «كريم قلي» (أي عبد الكريم) رغب أبوهما أن يكونا من طلبة العلم فاهتم لها . .

وكانت ولادة المترجم له في القرية المذكورة عام ١٢٣٩ ، نشأ بها ثم بعث به والده إلى طهران فدخل فى سلك الطلاب ، وتعلم الميادين ، وقرأ مقدمات العلوم فأتمها .

وقد اجتاز هذه المرحلة الدراسية الأولى بنشاط غريب يستكثر عليه حيث لم يكن حضرياً .

ثم درس سطوح الفقه والأصول على بعض الفضلاء ، وحضر دروس الطبقة العليا . وقد اختص بحوزة العالم الأكبر الشيخ عبد الحسين الطهراني الشهيد بشيخ العراقين ثم سافر الى سبزوار فقطعها مدة لازم خلالها ودرس الفيلسوف المعروف المولى هادي السبزواري . .

ثم عاد إلى قرية شوند ، فمكث بها بين أهله وذويه برهة وهاجر الى النجف الأشرف . وكانت رئاسة التدريس ، ومرجعية التقليد والإفتاء يومذاك

للشيخ المرتضى الأنصاري . . وكان المقدم على سائر أعلام النجف ، فحضر عليه ولازم درسه سنين طوالاً . وكتب من تقريراته في الفقه والأصول كثيراً وتلمذ في الأخلاق على السيد علي التستري ففاق فيه أعلام الفن .

ولما توفي أستاذه الأنصاري في سنة ١٢٨١ لم يتلمذ على غيره إذ لم يكن محتاجاً ، كما لم يخرج من العراق كغيره ممن سافروا إلى إيران وغيرها ، بل لزم بيته وانزوى ولم يتصد للفتوى ولم يطلب الرئاسة ، الا أن الخواص من أهل العلم والفضل والتقى والدين لم يتركوه وشأنه دون أن يستفيدوا منه ويغترفوا من معين فضله ، فقد حق به منهم عدد كبير وألزموه بالتدريس فأجابهم ، لكنه لم يرغب بالتظاهر ويجهر به بل كان مدرسه داره ، ومع ذلك فقد كان درسه مجتمعاً حافلاً ، وكان للطلاب تهافت عليه وزحام حوله وكان يدرس في الفقه والاصول كتبه التي ألفها من تقريرات أستاذه الأنصاري ، وكان له درس في الأخلاق بداره صبح كل يوم ، وبعده يدرس الفقه والأصول . . . » إلى أن يقول :

« . . . هذه زمرة من تلامذته كانوا بعده نجوماً تزان بها سماء العلم والفضيلة ، وأنا وان لم أدرك فيض خدمته ، ولم يكتب لي التشرف برؤيته حيث دخلت العراق بعد وفاته بعامين في ١٣١٣ ، لكن أدركت فريقاً كبيراً من تلاميذه الذين لازموه ليلاً ونهاراً حتى حصلوا ما أرادوا وحظوا بالسعادة الأبدية ، وقد طهرهم من أوضار هذه الحياة ، حتى قرنوا العلم بالعمل ، فقد رأيت أثر تربيته الحسنة بيِّناً عليهم بادياً في سيماهم .

. . . وكان أستاذه السيد التستري ـ وهو مشغول بتربيته وصقل نفسه ـ يحس منه الاستعداد واللياقة لا ليهذب نفسه فقط بل ليقود أمامه جمهوراً كبيراً ويندر في أصحابه وأتباعه هذه الروح المركزة . . . »(٣٨) .

والأصول على أساس كتاباته لتقرير الشيخ الأنصاري . . وقبل ذلك

(٣٨) نقباء البشر/٢/٦٧٤ ـ ٦٧٥ .

ـ صباحاً ـ كان يدرس الأخلاق في منزله .

ويضيف الشيخ آقا بزرگ الطهراني :

وقد ربى الشيخ الهمداني في فن الاخلاق عدداً كبيراً من الطلاب كانوا نجوماً مضيئة وزينة سماء العلم والفضيلة ومحور التقوى والفضيلة وأنا وان كنت لم أوفق للتزود من فيض دروسه حتى أني دخلت العراق عام ١٣١٣ أي بعد وفاته بسنتين إلا أني أدركت جمعاً كبيراً من تلامذته الذين كانوا ملازمين له في الليل والنهار وقد وصلوا الى ما أملوا وحصلوا على السعادة الأبدية. . وقد كان أثر تربيته واضحاً في ملامحهم .

ولأن استاذه المرحوم الشوشتري كان يعرف كفاءته والمرحوم السيد محسن الامين الذي كان له شرف مشاركة ما في درس الشيخ يقول:

لم يكن في زمانه ولا قبله بسنين ولا بعده كذلك من يماثله في علم الأخلاق وتهذيب النفوس وكان جارنا أول ورودنا الى النجف سنة ١٣٠٨ وحضرنا درسه في الأخلاق أياماً قليلة وصدنا عن المداومة عليه اشتغالنا بما هو أهم ومع ذلك فقد أسفنا على عدم المداومة عليه بأي نحو كان ، وانتفع بدرسه الاخلاقي خلق كثير من فضلاء العرب والعجم ممن أراد الله بهم الخير ، رأينا جملة منهم ووجدنا أثر ذلك فيهم كما أننا رأينا بعض من حضر عليه ولم ينتفع بذلك بل كان على العكس ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾ وصقال السيوف الهندية يجعلها صالحة للضراب أما صقل الأخشاب فلا يجعلها سيوفاً وكان يصلي جماعةً في داره ببعض خاصته وحضر مرة الى مسجد السهلة فأقام أياماً ونحن هناك فكان أصحابنا يذهبون ويصلون خلفه[٣٩] .

وبعد عمر حافل بالجهاد والسعي وتربية العشرات من ذوي الكفاءة . التحق بالرفيق الأعلى عندما كان مسافراً الى كربلاء في الثامن والعشرين من

---

(٣٩) أعيان الشيعة ط ج/١٣٦ وقد أوردت النص بتمامه لفائدته (المترجم) .

شعبان لسنة ١٣١١[٤٠] ودفن في الحجرة الرابعة من الصحن المطهر على يسار الداخل من الباب الزينبي ، وتوفي ابنه الشيخ علي عام ١٣٥٩ في النجف الأشرف ودفن في وادي السلام خلف مقام المهدي (عليه السلام) ، رحمة الله عليهما .

٣ ـ العارف الشهير آية الله ملكي تبريزي:

* هو المرحوم الميرزا[٤١] جواد بن الميرزا شفيع ، عارف كامل ، وعالم عامل ، وسالك واصل ، وفقيه جليل ، وكما تقدم فقد كان من تلامذة المرحوم جمال السالكين الشيخ ملا حسينقلي الهمداني .

ولد في تبريز ، وبعد أن درس المقدمات والسطوح سافر الى النجف الأشرف فدرس الفقه على الأقا رضا الهمداني صاحب «مصباح الفقيه» والأصول على الاخوند الخراساني (صاحب الكفاية) والحديث على المحدث النوري (صاحب المستدرك) واختار ملازمة الشيخ الهمداني فاستفاد منه حوالي أربعة عشر سنة .

* رجع المرحوم التبريزي في سنة ١٣٢٠ أو ١٣٢١ وسكن في تبريز ثم سافر الى قم في اوج ثورة «المشروطة»[٤٢] سنة ١٣٢٩ واشتغل بتدريس الفقه والأخلاق وأداء سائر الفرائض. . . كان درس فقهه على أساس «مفاتيح» الفيض الكاشاني .

---

(٤٠) في تذكرة المتقين/٣٢٧ ، أن وفاته عليه الرحمة في شهر رجب من السنة المذكورة الا ان المصادر الأخرى ومنها نقباء البشر/٢٦٠/٦٧٧ وزندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/٢٦٢ وتاريخ حكماء وعرفاء متأخر/١٢٣ تذكر ما ورد في المتن .

(٤١) الميرزا تعني ابن الأمير. . وهو مصطلح يطلق على من كان علوياً من جهة الأم فقط .

(٤٢) ثورة قادها صاحب الكفاية (رضوان الله عليه) استهدفت تحديد صلاحيات الملك وتأسيس «مجلس نواب» الأمر الذي يجعل الملكية مشروطة لا مطلقة. . ويأتي مزيد من الايضاح حولها إن شاء الله . (المترجم) .

* كان يقيم جلستين في الأخلاق إحداهما في منزله للخواص والأخرى في المدرسة الفيضية للعموم. . وكان يؤم المصلين في حرم المعصومة عليها السلام وأحياناً في المدرسة الفيضية وكان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يأتم به ويشترك في درسه الأخلاقي للخواص في المنزل .

وكان رحمه الله بكل معنى الكلمة من أهل العبادة والتهجد بل كان يعتبر من بكائي زمانه وكان يصوم رجب وشعبان وشهر رمضان بشكل دائم. . يقول في أسرار الصلاة:

أقول: لا تكن كافراً بهذه الأخبار وإني أشهد الله أني أعرف من المتهجدين من كان يسمع من يوقظه ويناديه وقت تهجده في أوائل أمره بلفظة (آقا)[٤٣]فيقوم لورده .

ويبدو أن هذا الشخص الذي كان يستيقظ لورده على صوت الملك هو نفس المرحوم التبريزي وقد بيّن الأمر بهذه الصياغة كي لا يمدح نفسه .

نعم. . إن الذين يظهرون الاستقامة في طريق الوصول الى المحبوب تتنزل عليهم الملائكة وهو صريح قوله تعالى: ﴿**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا. .**﴾ وقد كان المرحوم التبريزي واحداً منهم فلم يكن له هدى ولا مرام غير الله تعالى ولم يكن يفكر بشيء غيره .

وكان رحمه الله من خيرة الموالين المولعين بآل الرسالة وخصوصاً الامام صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي كان يكنّ له حباً عارماً كما يظهر بوضوح من مطاوي كتابه (المراقبات) (ص ١٧٩ ـ ١٨٣) .

ويكفي لبيان عظمة منزلته أن الحكيم والفقيه الشهيد الشيخ محمد حسين الأصفهاني مع أنه كان في العلم والعمل ذا مقام كبير ـ كتب رسالة الى المرحوم التبريزي يطلب فيها أن يزوده بتعليمات ليطبقها ـ فكتب اليه رسالة مختصرة

---

(٤٣) آقا: سيد .

تضمنت مطالب مفيدة وتجد ذلك في مجلة «حوزة» العدد الرابع .

*** من قصصه:**

يقول أحد خواص تلامذته:

ذات ليلة رأيت في «شاهرود» في المنام أن صاحب الأمر (عليه السلام) مع جماعة في صحراء وكأنهم في صلاة الجماعة ، دنوت لأتشرف بلقائه (عليه السلام) وأقبّل يده المباركة فرأيت بالقرب منه شيخاً جليلاً تظهر في سيماه آثار الجلالة والوقار. . . وعندما استيقظت فكرت في ذلك الشيخ من هو هذا المقرب الى هذا الحد من صاحب العصر أرواح من سواه فداه ، وذهبت الى مشهد للبحث عنه فلم أره . وسافرت الى طهران فلم أصادفه ومضيت الى قم فوجدته في احدى غرف المدرسة الفيضية مشغولاً بالدرس ، سألت عنه قالوا الميرزا جواد ملكي التبريزي ، تشرفت بلقائه فسلّم علي سلام معرفة ، وسألني متى جئت وكأنه كان قد رآني وعرفني واطلع على ما جرى . بعد ذلك لازمته فوجدته كما رأيته وأردت[٤٤] .

* ويقول أحد المتصلين به:

ذهب يوماً بعد انتهاء الدرس لزيارة أحد الطلبة في مدرسة دار الشفاء وكنت في خدمته. . دخل الغرفة وبعد السلام والضيافة المتعارفة جلس قليلاً ثم قام وخرجنا. . وسألته عن هدف هذه الزيارة فقال: الليلة الماضية في السحر أفيضت علي فيوضات عرفت أنها ليست مني ، وعندما تأكدت وجدت أن هذا الطالب كان يتهجد ودعا لي في صلاة الليل وهذه الفيوضات بسبب دعائه فجئت لزيارته شكراً لاهتمامه[٤٥] .

---

(٤٤) رسالة لب اللباب/ ٣٥ ـ٣٦ .

(٤٥) رسالة لقاء الله/ المقدمة/ ص هـ .

*** تلامذته:**

كان مجلس درسه في الأخلاق عامراً.. وعلى ما كتب البعض فقد كان يشترك في درسه في تبريز حوالي أربعمائة[٤٦]ومن تلامذته في هذا العلم.

الامام الخميني (رضوان الله عليه).

المرحوم آية الله فاطمي القمي.

المرحوم السيد محمود اليزدي.

المرحوم محمود مجتهدي.

الشيخ اسماعيل التبريزي (مؤلف تذكرة المتقين).

مؤلفاته:

له عليه الرحمة مؤلفات عديدة بعضها لم يطبع بعد، من مؤلفاته:

١ ـ اسرار الصلاة وقد طبع مراراً وهو باللغة العربية.

٢ ـ المراقبات أو أعمال السنة، طبع مراراً كذلك وهو باللغة العربية.

٣ ـ رسالة لقاء الله، طبع مراراً وقد ترجمه بعض الفضلاء المعاصرين مع تقديم له وتوضيح وإضافات.

٤ ـ كتاب في الفقه لم يطبع بعد جاء في خاتمته:

تم الجزء الاول من كتاب النكاح ويتلوه الجزء الثاني، وأوله الولاية بيد المذنب العاصي أسير الآمال والأماني في يوم السابع عشر من شهر المظفر وقد مضت من الهجرة السنوية ألف وثلاثمائة واثنتا عشرة سنة في مشهد الغري» وكتب على غلافه:

لا يخفى أن هذه الوجيزة من تصنيفات حضرة مولانا العلامة حجة الاسلام ملاذ الأعلام باب الفتاوى والأحكام آية الملك العلام صاحب النفس الزكية العبد الصالح ميرزا جواد ملكي تبريزي متع الله المسلمين بطول بقائه كتبه في

---

(٤٦) آئينه دانشوران/ ٣٥٠.

عنفوان شبابه بمشهد ولي رب العالمين أمير المؤمنين أرواح العـالمين فداه في شهر شعبان[٤٧] .

٥ ـ رسالة في الحج[٤٨] .

٦ ـ حاشية بالفارسية على «الغاية القصوى» ترجمة «العروة الوثقى» وهي ترجمة المحدث الجليل القمي للعروة الوثقى الى الفارسية وقد طبعت هذه الترجمة مراراً من ذلك طبعة عام ١٣٢٨ هـ .ق . في بغداد ، وقد كتب المرحوم التبريزي حاشية بالفارسية على الغاية القصوى ويبدو أنها لم تطبع ، وقد رأيت نسخة خطية منها على حاشية نسخة مطبوعة من الغاية القصوى أورد هنا نماذج منها :

في باب سجود الصلاة جاء في متن العروة : يجوز في القنوت وغيره من أحوال الصلاة الدعاء بالفارسية نكتب المرحوم التبريزي في الحاشية : حتى الشعر الفارسي كأن يقول في سجوده :

وأورد بيت شعر فارسي ترجمته :

أتمرغ بالتراب متذللاً   مؤملاً أن أرضي الحبيب بتضرعي . .

وفي باب مواقيت الصلاة حيث جاء في المتن : من صلى أربع ركعات أو أكثر من صلاة الليل ثم طلع الفجر يأتي بالباقي مخففاً أي بدون سورة كتب عليه الرحمة : في هذه الفروع لم أعثر على دليل على التخفيف لا سيما بقيد «بدون سورة» .

ويكفي في بيان أهمية آثاره المكتوبة أن الامام الخميني يوصي في كتاب «معراج السالكين وصلاة العارفين» بقراءة كتبه فيقول أيها العزيز لا يوسوس لك الشيطان ولا يقنعك بما أنت عليه تحرك قليلاً وتجاوز الشكل الذي لا محتوى له

---

(٤٧) رسالة لقاء الله / المقدمه ص ج ـ ٣ .

(٤٨) آئينه دانشوران / ٣٥٠ .

والقشر الذي لا لب معه. . وادرس بدقة ذمائم أخلاقك. . ولنفترض أنك لا تعرف حلاله قدر أحد من العرفاء ، فاتبع علماء المعرفة والأخلاق الكبار أولئك المتفق عليهم عند جمع العلماء وطالع من كتب العلماء المعاصرين كتب الشيخ الجليل القدر العارف بالله الميرزا جواد التبريزي قدس سره لعلك إن شاء الله تخرج من هذا الانكار والتعسف(٤٩) .

الوفاة:

توفي المرحوم التبريزي هذه الشمعة المتوهجة. . ومعين المعارف الالٰهية الفوار ، بعد أن أمضى عمراً في الجهاد وبناء النفوس ، في الحادي عشر من شهر ذي الحجة ١٣٤٣ هـ .ق ويقع قبره في مقبرة «شيخان» بالقرب من مقبرة المحقق القمي وهو دائماً مزار أهل القلوب(٥٠) .

«لن يموت أبداً من أحيا قلبه بالعشق ، وقد خط في صفحة الوجود بقاؤنا» .

وقد أرخت وفاته بالعربية : «رفع العلم وذهب الحلم» وبالفارسية بهذا المصرع : «أزجهان جان رفت وأزملت پناه» .

أي ذهب من العالم الروح ومن الشعب الملجأ .

---

(٤٩) معراج السالكين وصلاة العارفين المطبوع في ذكرى الشهيد المطهري الكتاب الاول/٥٦ .

(٥٠) سمعت آية الله الشيخ حسن زاده آملي عبر إذاعة طهران الفارسية يقول ما خلاصته : لم أكن أعرف أين دفن المرحوم ملكي تبريزي ، فسألت أحدهم فقال إنه مدفون في مقبرة «شيخان» وكانت الساعة حوالي التاسعة ليلاً ، وكنت قريباً من المقبرة فقررت أن أذهب لقراءة الفاتحة عن روحه الطاهرة. . ولمقبرة «شيخان» بابان. . دخلت من أحدهما وبدأت أبحث عن ضريحه الطاهر. . فلم أعثر عليه حتى وصلت الى الباب الثاني وهممت بالخروج. . فإذا بشخص يرتدي عباءة وعلى رأسه «طاقية» يقول لي : تريد قبر الشيخ التبريزي. . قلت نعم. . فأخذني ودلني على القبر. . ومضى ليخرج. . قلت في نفسي : من أين عرف أني أريد قبر الشيخ. . فناديته! . من أين عرفت أني أردت قبر الشيخ التبريزي. . فقال: نحن نعرف زبائننا. . ومضى لشأنه. . (المترجم) .

يقول أحد تلامذته:

ليلة وفاة المرحوم التبريزي وحوالي السحر رأيت في حالة بين النوم واليقظة أن أبواب السماء فتحت أمامي وارتفعت الحجب فأمكنني أن أرى الى ما تحت العرش الالٰهي ورأيت المرحوم واقفاً يقنت ويتضرع ويناجي ويبكي فتعجبت لمنزلته وقربه من الله سبحانه.. وفجأة سمعت طرق باب المنزل قمت فوراً وفتحت الباب فاذا بأحد الأصدقاء يقول هلم بنا الى منزل الأستاذ، قلت ما الخبر قال: أعزيك لقد انتقل الى جوار الله(٥١).

ويعتقد البعض أن وفاته عليه الرحمة كانت كما تقدم الآن وقت السحر ليلة الحادي عشر من ذي الحجة الا أن الشيخ آقا بزرگ الطهراني يرى أن وفاته كانت في اليوم العاشر أي يوم عيد الأضحى وقد ورد في مقدمة لقاء الله ما يدل على أنّ وفاته كانت في صلاة الظهر بعد ان كبّر تكبيرة الاحرام. (رضوان الله تعالى عليه).

٤ ـ جمال السالكين السيد أحمد الكربلائي:

هو من أبرز تلامذة الشيخ حسينقلي الهمداني.. يقول فيه العلامة الطباطبائي في أول محاكماته(٥٢):

المرحوم السيد أصفهاني الاصل، الا أنه نشأ وترعرع في كربلاء، وبعد بلوغه سن الرشد بدأ بدراسة الأدب، وتدل رسائله لتلامذته، وبعض محبيه على قلم فصيح وبيان ساحر.. وبعد إكمال العلوم الأدبية بدأ بدراسة العلوم الدينية ثم التحق أخيراً بحوزة المرحوم الشيخ كاظم الخراساني (رضوان الله

---

(٥١) گنجمينته دانشمندان ج١/٢٣٢، وقد أورد المؤلف هنا تحقيقاً مختصراً حول وفاة آية الله التبريزي رحمه الله خلاصته أن البعض أرّخ وفاة المترجم عام ٤٤ والصواب ٤٣.

(٥٢) للعلامة الطباطبائي رحمه الله كتاب باسم المحاكمات في المراسلات بين الفيلسوف الشهير الشيخ محمد حسين الاصفهاني المعروف بالكمياني والعارف الكبير السيد أحمد الكربلائي.. دارت هذه الرسائل حول بيت للشاعر العطار وقد قام أحد الفضلاء مؤخراً بطبعه مع تعليقات عليه.

عليه) وأكمل دراسة دورة العلوم الظاهرية تحت إشرافه وأخيراً انضم الى حلقة التربية والتهذيب للمرحوم آية الحق واستاذ الوقت الشيخ الجليل حسينقلي الهمداني قدس سره العزيز.. ولازمه سنين طوالاً.. وقد فاق الأقران وأصبح في طليعة تلامذته المهذبين واحتلّ في العلوم الظاهرية والباطنية مكاناً مكيناً ومقاماً أميناً، وقد أختار الاقامة في النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الهمداني وشرع بتدريس الفقه، كما كانت له اليد البيضاء في المعارف الالٰهية وتربية الناس وتهذيبهم.. وقد بلغ عدد كبير من الأجلاء والأحرار دائرة الكمال بيُمن تربيته وتهذيبه.. فأعرضوا عن بساط الطبيعة وأصبحوا من سكان دار الخلود ومحارم حريم القرب.. منهم سيد العلماء الربانيين المرحوم الميرزا علي القاضي الطباطبائي التبريزي (١٢٨٥ ـ ١٣٦٦ هـ.ق) الذي هو في المعارف الالٰهية والفقه الحديث والأخلاق استاذ هذا (اللاشيء)[٥٣] رفع الله درجاته السامية وأفاض علينا من بركاته.

وقد ودع المرحوم السيد ـ صاحب الترجمة ـ الحياة المستعارة سنة ١٣٣٠ هـ في النجف الأشرف والتحقت روحه بالملأ الاعلى رحمة الله عليه[٥٤]، وينقل العلامة الطباطبائي عن استاذه المرحوم القاضي عن السيد ـ الكربلائي ـ قوله: كنا دائماً في خدمة المرحوم آية الحق الشيخ حسينقلي الهمداني، وكان الشيخ لنا مائةً في المائة ولكن بمجرد أن تعرف الشيخ محمد البهاري على الشيخ الهمداني واتصل به واصبح يتردد عليه باستمرار فقد «سرقه» منا.

* كان المرحوم القاضي يقول: قال المرحوم السيد أحمد الكربلائي: التقيت في سفر بدرويش نيّر الضمير فقال لي أنا مأمور أن أطلعك على شيئين: الاول الكيمياء، الثاني: أني غداً اموت فجهزني وادفني.

---

(٥٣) يقصد العلامة نفسه.

(٥٤) المحاكمات المطبوعة في ذكرى الشهيد قدوسي/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

فقال له السيد: أما أنا فلا حاجة لي الى الكيمياء ، وأما تجهيزك فأنا مستعد ، وفي اليوم التالي توفي ذلك الدرويش فقام المرحوم السيد بتجهيزه وتكفينه ودفنه[٥٥] ونقل عن صاحب الترجمة أيضاً أنه قال: ذات يوم كنت نائماً في مكان ما فايقظني شخص قائلاً: اذا كنت تريد أن ترى نور الأسفهبرية فانهض. . وعندما فتحت عيني رأيت نوراً لا يتناهى ملأ مشرق الدنيا ومغربها .

قال العلامة الطباطبائي : «اللهم ارزقنا» هذه هي رحلة تجلي النفس التي تشاهد بهذا الشكل وبصورة نور غير متناه[٥٦] .

* من تلامذة السيد أحمد الكربلائي (عليه الرحمة والرضوان) .

١ ـ آية الله الشيخ محمد البافقي[٥٧] (١٢٩٢ ـ ١٣٦٥ هـ) .
٢ ـ المرحوم السيد محمد كاظم القصار[٥٨] .
٣ ـ السيد محسن الامين صاحب أعيان الشيعة[٥٩] .
٤ ـ آية الله السيد علي القاضي .

وقد كان المرحوم السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) من أصدقاء المرحوم السيد أحمد الكربلائي وأصدقاء المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي التلميذ الآخر للمرحوم الهمداني[٦٠] .

---

(٥٥) مهرتابان/١٤٠ القسم الثاني .
(٥٦) لب اللباب/٣٦ .
(٥٧) كتاب «مجاهد شهيد شيخ محمد تقي بافقي/٥٧ والمرحوم البافقي هو الذي طلب من آية الله الحائري الانتقال الى قم لادارة الحوزة فيها ، وكان يتولى شؤون شهرية الطلاب. . وكان على علاقة بالامام المنتظر (عج) كما كانت لـه عناية خاصة بالامام القائد أدام الله ظله وقد تنبأ بسقوط الحكم الشاهنشاهي على يديه ، وللمرحوم البافقي مواقف جهادية نادرة ضد رضا خان وتفاصيل ذلك كله في الكتاب المذكور وهو فارسي/ المترجم .
(٥٨) تاريخ حكماء وعرفاء (١٣٤) .
(٥٩) اعيان الشيعة/٢/٤٧٢ .
(٦٠) الحركات الاسلامية في القرن الأخير/٣٨ .

يقول الشيخ آقا بزرگ الطهراني في كتاب هدية الرازي في سياق تعداد تلامذة الميرزا الشيرازي:

٣٤ ـ السيد أحمد الكربلائي النجفي سافر بعد ١٣٠٠ هـ. ق الى سامراء ودرس لسنوات على الميرزا ثم رجع الى النجف وفيها حضر بحث العلامة ميرزا حبيب الله، والميرزا حسين الطهراني وبعد ذلك أصبح من خواص العلامة حسينقلي الهمداني وقطع مراحل تهذيب النفس كلها.. وكان له درس كان يحضره عدد من الطلاب وكانت وفاته في النجف سنة ١٣٣٢ هـ. ق[٦١].

ويقول في «نقباء البشر»:

كان السيد يختار العزلة في الصلاة ويجتنب اقتداء الناس (به) وكان كثير البكاء بحيث أنه حتى في الصلاة لم يكن يستطيع تجنب البكاء فكان يبكي لا إرادياً خصوصاً في نوافل الليل.. وكان لي شرف مجاورته لعدة سنين فقد كان منزلي قريباً من منزله وقد شاهدت منه في هذه المدة أموراً يطول ذكرها.

كان كثير الخدم لأمه وقد توفي قبلها وقد شيع جنازته جمع من طلابه ومحبيه ودفن في الصحن المرتضوي مقابل الايوان الواقع خلف المرقد المنور[٦٢].

* يقول المرحوم السيد الأمين:

شيخنا وأستاذنا قرأنا عليه في الفقه والأصول في النجف سطحاً واستفدنا من علمه وأخلاقه، كان عالماً فاضلاً وورعاً تقياً كاملاً مرتاضاً مهذب النفس يروي عن الشيخ حسينقلي (الهمداني) وعن الميرزا حسين بن ميرزا خليل الطهراني النجفي وعن الشيخ علي بن الحسين الخيقاني كلهم عن الملا علي بن الميرزا خليل الرازي الخ[٦٣].

---

(٦١) ميرزاي شيرازي/ ١٠٨، هدية الرازي/٦٦.

(٦٢) نقباء البشرج ١/٨٨.

(٦٣) أعيان الشيعة/٢/٤٧٢..

وقد أورد في آخر تذكرة المتقين عدة رسائل للمرحوم السيد أحمد الكربلائي . . كما أصبحت المكاتبات المتبادلة بينه وبين المرحوم الكمياني في متناول الجميع .

يقول السيد علي القاضي تلميذ المرحوم السيد أحمد الكربلائي :

كنت أمضي ليلة من الليالي في مسجد السهلة وحيداً . . عند منتصف الليل جاء شخص الى مقام إبراهيم واستقر فيه . . سجد إثر فريضة الصبح حتى طلوع الشمس عندها ذهبت ورأيت أنه السيد أحمد الكربلائي البكاء (قدس سره القدوسي) ومن شدة البكاء حوّل تراب محل الى طين وفي الصباح ذهب وجلس في الحجرة وكان يضحك بحيث كان صوته يصل الى خارج المسجد(٦٤) .

٥ ـ سيد العلماء الميرزا علي القاضي (رضوان الله عليه):

آية الله الميرزا القاضي من عجائب الدهر ونوائب الأعصار وصاحب الكرامات والمكاشفات الكثيرة ومن أبرز تلامذة المرحوم السيد أحمد الكربلائي المتقدم ذكره .

في البدء تتلمذ المرحوم القاضي في أمور المعرفة على أبيه المرحوم آية الحق السيد حسين القاضي الذي كان من طلاب الميرزا الشيرازي البارزين وهو من تلامذة المرحوم إمام قلي النخجواني وهو تلميذ آية الحق السيد قريش القزويني ، عندما جاء المرحوم القاضي الى النجف الأشرف ، أشرف على تربيته المرحوم السيد أحمد الكربلائي «وقد طوى الطريق بمراقبته» لازم المرحوم القاضي لسنين متمادية المرحوم العابد الزاهد الناسك السيد مرتضى الكشميري (رضوان الله عليه) ، طبعاً لا بصفة التلميذ وانما بعنوان الملازمة والاستفادة من حالاته ومشاهدة أحواله وارداته (ما يرد عليه من المكاشفات وشبهها) ومن نافلة القول أن هناك تبايناً بعيداً في المسلك العرفاني بين هذين

---

(٦٤) تاريخ حكماء وعرفاء متأخر بصدر المتألهين/ ١٣٥ .

العظيمين[٦٥] .

ولد المرحوم السيد علي القاضي سنة ١٢٨٥ هـ .ق . وتوفي سنة ١٣٦٦ . . كان أستاذ الأخلاق والسير والسلوك الوحيد في عصره في حوزة النجف وتربت على يديه شخصيات عظيمة[٦٦]منهم العلامة الطباطبائي ، وأخوه ، والمرحوم آية الله الشيخ محمد تقي الأملي صاحب تعليقة شرح منظومة السبزواري وسيأتي ذكر عدد من تلامذته .

* يقول العلامة الطباطبائي : نحن كل ما عندنا فهو من المرحوم القاضي ، سواء ما تعلمناه منه في حياته واستفدناه من محضره أو الطريق الخاص بنا ، كل ذلك من المرحوم القاضي[٦٧]«كل عطر يتضوع من نسيم السحر فهو من مرور الريح بحيك» .

كان المرحوم القاضي يعطي لكل من تلامذته تعليمات خاصة به طبق الموازين الشرعية مع رعاية الآداب الباطنية للأعمال ، وحضور القلب في الصلوات ، والاخلاص في الأفعال ، . . . وهكذا كان يؤهل قلوبهم لتقبل الإلهامات الغيبية .

كانت له حجرة في مسجد الكوفة وحجرة في مسجد السهلة وكان يقضي الليالي فيها وحيداً . . . وكان يوصي تلامذته بإحياء بعض الليالي بالعبادة في مسجد الكوفة أو السهلة . . وكان قد أوحى أنه اذا كنتم في الصلاة أو قراءة القرآن أو في حال الذكر والفكر فرأيتم صورة جميلة أو أشياء أخرى من عالم الغيب فلا تهتموا وتابعوا عملكم .

يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله : ذات يوم كنت جالساً في مسجد الكوفة مشتغلاً بالذكر . . فرأيت حورية من الجنة جاءت عن يميني وفي يدها

(٦٥) مهرتابان/١٨ ـ ١٩ .

(٦٦) يادنامه علامة طباطبائي/٦١ .

(٦٧) يادنامه علامة طباطبائي/ ٦٢ .

كأس من شراب الجنة جاءت به الي وهي تحاول إثارة اهتمامي بها ، وبمجرد أن أردت الإلتفات اليها تذكرت كلام الأستاذ ، فأغمضت عيني ولم أهتم قامت تلك الحورية وجاءت عن شمالي وقدمت لي ذلك الكأس فلم أهتم أيضاً وصرفت وجهي فتألمت تلك الحورية ، وأنا الى الآن كلما تذكرت ذلك المشهد أتأثر لتألمها(٦٨) .

* وقد كان المرحوم القاضي من المجتهدين الكبار وقد درّس كتباً في الفقه .

«في العشرة الاولى والعشرة الثانية من شهر رمضان كانت مجالس التعليم والأنس. . بعد مضي أربع ساعات من أول الليل كان الطلاب يذهبون الى مجلسه. . فيستمر المجلس ساعتين. . ولكن في العشرة الثالثة كان المجلس يعطل. . وبعدها لم يكن المرحوم القاضي يُرى الى آخر الشهر وبالرغم من أن الطلاب كانوا يبحثون عنه في النجف ، ومسجد الكوفة ومسجد السهلة أو كربلاء ، فانهم لم يكونوا يوفقون للعثور على أثر له ، وكانت هذه سيرة المرحوم القاضي كل سنة حتى وفاته(٦٩) .

* يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله: في الأحوال العادية كان بالإمكان رؤيته ولقاؤه من عشرة الى عشرين يوماً (من شهر رمضان) وكان الاصدقاء يترددون إليه وتدور مذاكرات وأحاديث وفجأة ينقطع خبره وأثره ويبقى لمدة أيام لا وجود له ولا يمكن العثور عليه لا في البيت ولا في المدرسة ولا في المسجد لا في الكوفة ولا في السهلة. . أبداً لم يكن يوف أي خبر عنه حتى عائلته لم تكن تعرف أن يذهب وماذا يفعل ولم يكن أحد يعلم بذلك وكان الرفقاء لا يبحثون عنه في هذه الأيام في أي مكان احتملوا وجوده فيه فكأنه لم يعد موجوداً ، بعد عدة أيام كان يظهر مجدداً ، وكانت له مجالس خاصة في المنزل

---

(٦٨) مهرتابان/١٩ .
(٦٩) المصدر السابق/١٧ .

والمدرسة وكانت له كذلك الكثير من الغرائب والعجائب ، كانت له حالات عجيبة وغريبة[٧٠] .

وقد روي أن القائم (عليه السلام) اذا ظهر يبدأ دعوته من مكّة وذلك بأن يقوم بين الركن والمقام وظهره الى الكعبة ويعلن أمره ويجتمع إليه من خواصه ثلاثماءة وثلاثة عشر شخصاً .

كان استاذنا المرحوم القاضي يقول: عندها يقول لهم الامام شيئاً فيتفرقون في اقطار العالم لأنهم جميعاً ممن تطوى لهم الأرض فيبحثون في جميع أنحاء العالم ويتأكدون أنه لا يوجد شخصٌ له الولاية المطلقة الإلهية ، مأمور بالظهور والقيام ، محيط بجميع خزائن الأسرار الإلهية ، وصاحب الأمر غيره (عليه السلام) ، فيرجعوا الى مكة جميعاً وينقادون له .

كان المرحوم القاضي (رضوان الله عليه) يقول: أنا أعرف تلك الكلمة التي يقولها لهم (عليه السلام) فتفرقوا جميعهم من حوله وأنا «السيد الطباطبائي» رأيت في رواية أن الصادق (عليه السلام) يقول: أنا أعرف تلك الكلمة .

وكان المرحوم القاضي عليه الرحمة يقول: لا شك في أن بعض المعاصرين أدركوا محضر الامام (عليه السلام) وتشرفوا بخدمته .

أحد هؤلاء كان منشغلاً بالدعاء والذكر ، في مسجد السهلة في مقامه (عليه السلام) المعروف بمقام صاحب الزمان وفجأة يراه (عليه السلام) وسط نور شديد جداً يقترب منه . . وقد بهرته جلالة النور وعظمته بحيث كادت تفيض روحه فقد انقطع نفسه وبدأ بالعد وتقريباً بقي بينه وبين الموت نفسان أو ثلاثة . . . فأقسم على الامام المنتظر (عج) بأسماء الله الجلالية أن لا يقترب منه أكثر . . . وبعد أسبوعين كان هذا الشخص في مسجد الكوفة مشغولاً بالذكر فيظهر عليه صاحب الزمان (عج) وحصل على مراده وتشرف بلقائه

---

(٧٠) المصدر السابق .

(عليه السلام) كان المرحوم القاضي يقول: هذا الشخص هو المرحوم الشيخ محمد تقي الآملي (أحد تلامذة القاضي وصاحب «مصباح الهدى»[٧١] .

يقول احد تلامذة المرحوم القاضي:

كان للسيد القاضي في الليالي مجلس أخلاق ولم يكن ينير مصباحاً. . . وفي تلك الظلمة كان يشترك في هذا المجلس بعض علماء النجف من الذين كانوا من أهل الباطن وكان الحديث يدور غالباً حول معرفة النفس وتهذيب الأخلاق وكان يتحدث في العرفان ولكن غالب الحديث عن معرفة ذات الانسان. . واذا حضر شخص غير معروف كان يغيّر الحديث فيتكلم حول زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) وكان يقول (في توجيه ذلك): القابليات مختلفة ولا يمكن أن تقال كل شيء لأي شخص[٧٢]وكما تقدم كان السيد القاضي تلميذ السيد أحمد الكربلائي في الأخلاق والعرفان. . . ويرى البعض أنه تتلمذ أيضاً على المرحوم الشيخ محمد البهاري أحد تلامذة الملا حسينقلي الهمداني المتوفي سنة ١٣٢٥ هـ . ق[٧٣] .

* يقول الشيخ آقا بزرك ، حول السيد المترجم:

هو السيد ميرزا علي ابن الميرزا حسين (. . . .) الطباطبائي ، التبريزي ، القاضي عالم مجتهد ، تقي وورع أخلاقي فاضل .

ولد في تبريز في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ ، ونشأ في بيت العلم والشرف ، فأخذ الأوليات عن بعض الأفاضل وتلمذ على والده ، وعلى الميرزا موسى التبريزي صاحب (أوثق الوسائل) حاشية الرسائل ، والسيد محمد علي

---

(٧١) نفس المصدر ١٤٦/١٤٧ .

(٧٢) تاريخ حكماء وعرفاء متأخر. . ./١٤١ .

(٧٣) أعيان الشيعة ٤٠٢/١ ويقول عنه السيد الأمين .

كان من العلماء الربانيين ، والسالكين المراقبين ، تتلمذ في النجف على الملا حسينقلي الهمداني ، وكان من أفضل تلامذته ، وكان ذا صفات ومقامات رفيعة ، مشتغلاً بالعلم دائم المراقبة ، وكان لوجوده آثار شريفة .

قراجة داغي صاحب (حاشية شرح المعة) وهاجر الى النجف في سنة ١٣١٣ هـ فحضر على المولى محمد الفاضل الشربياني ، والشيخ محمد حسن المامقاني ، وشيخ الشريعة الأصفهاني ، والشيخ محمد كاظم الخراساني ، والميرزا حسين الخليلي ، وكان يعد من أفاضل تلامذة الأخير ، فقد برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها ، وكان من رجال الأخلاق أيضاً فقد تهذب على الخليلي وغيره وعرف بذلك في أوساط أهل العلم ، ودرَّس في ذلك وكان له حلقة وتلامذة وملازمون ومريدون ، وكانت معرفتي به قديمة إذا اتفقت هجرتنا إلى النجف في عام واحد وبدأت صلتي به يومذاك ، وقد دامت المودة والصحبة بيننا عشرات السنين فرأيته مستقيماً في سيرته كريماً في خلقه ، شريفاً في ذاته وكان أهل العلم والإستقامة يجلونه ويكرمونه حتى انتقل الى رحمة الله ليلة الأربعاء سادس ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ ودفن في وادي السلام قرب مقام المهدي عجل الله فرجه (. . .) له تفسير القرآن من أوله إلى قوله: ﴿**قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾ في سورة الأنعام.

وعلمت أن له آثاراً وكتابات غيره ولكني لم أقف عليها ، ولوالده المتوفي سنة ١٣١٤ هـ تفسير أيضاً ، والميرزا مهدي القاضي عم جد المترجم له من الأعاظم المشاهير ، ويأتي ذكر جده الأمي (لأمه) الميرزا محسن ، وبيتهم بيت فضل وتقى قديم»[٧٤] .

*** من كراماته:**

كان المرحوم القاضي يذهب من النجف الى كربلاء في أيام الزيارات. . ولم يره أحد يستقل سيارة ولم يكن قد اطلع على سره احد الا شخص من كسبة سوق الساعة (السوق الكبير) حيث كان قد سافر الى مشهد ورآه هناك وطلب منه اصلاح أمر جواز سفره وفعلاً قام السيد بذلك. . . وعندما رجع ذلك الرجل الى النجف اذاع فيها بأني رأيت السيد القاضي في مشهد. . .

---

(٧٤) نقباء البشر/٤/١٥٦٥ ـ ١٥٦٦ .

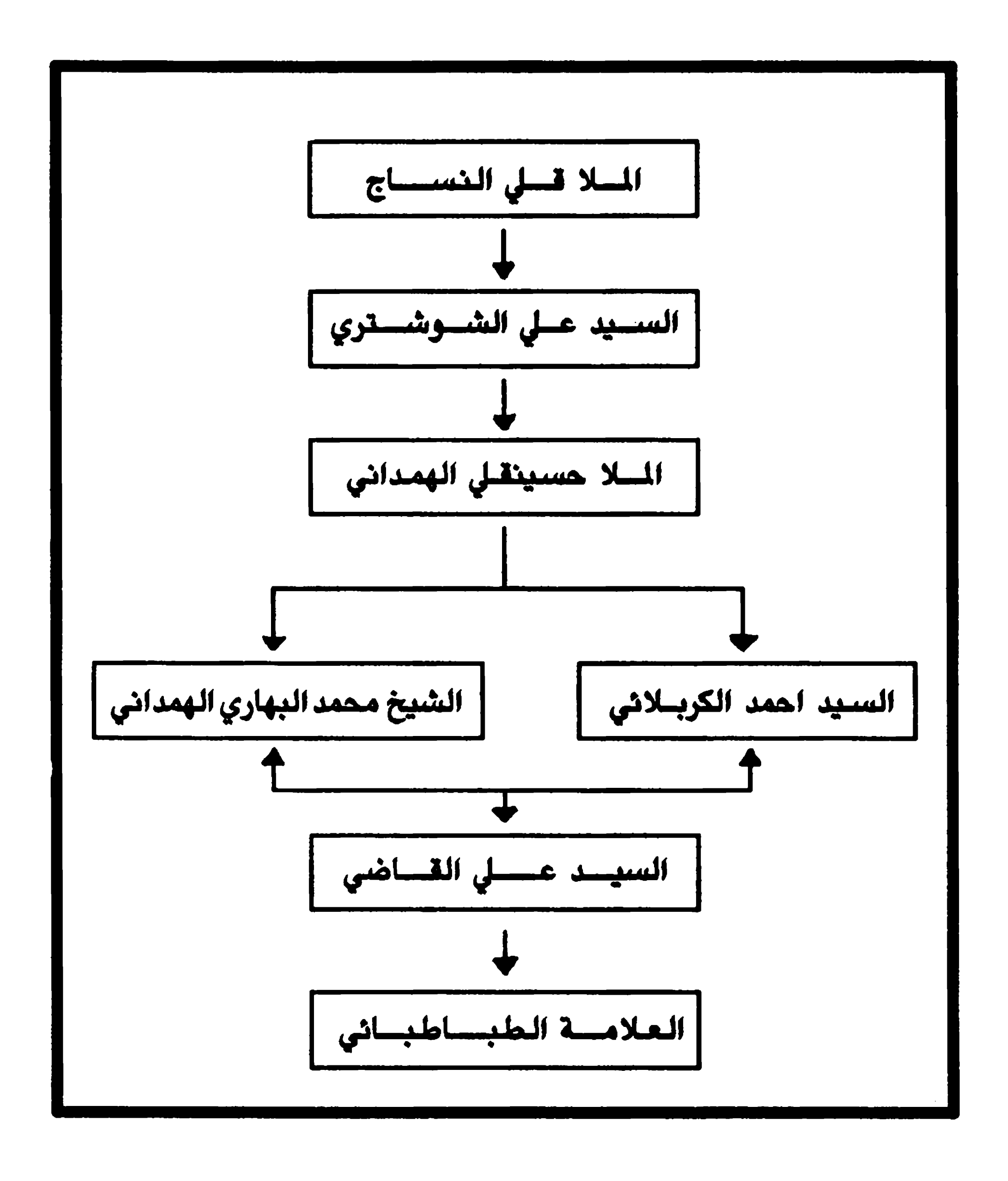
غضب السيد القاضي كثيراً وقال: يعرف الجميع أني كنت في النجف ولم أسافر .

وينقل هذه القصة بعض الفضلاء بتفصيل اكثر فيقول:

عندما رجع ذلك الرجل الكاسب من مشهد المقدسة الى النجف قال لرفاقه واجهت مشكلة في جواز سفري ولم تكن تحل في دائرة الشرطة. . . فرجعت الى السيد القاضي واعطيته الجواز فقال: اذهب غداً الى دائرة الشرطة واستلم جواز سفرك .

وفي اليوم التالي ذهبت فوجدت الجواز جاهزاً فأخذته ورجعت الى النجف فقال له أصدقاؤه: السيد القاضي كان في النجف ولم يغادرها فجاء ذلك الرجل بنفسه الى المرحوم القاضي وحدثه بالقصة فأنكر السيد القاضي وقال: كل أهل النجف يعلمون أني لم اسافر فحدَّث ذلك الرجل فضلاء ذلك العصر في النجف بما جرى مثل: الشيخ محمد تقي الآملي ، الشيخ علي محمد البروجردي والسيد علي الخلخالي. . . فذهبوا الى السيد القاضي فاتحوه بالأمر فأنكر أصرّوا عليه والّحوا حتى يوافق أن يبدأ لهم درساً في الأخلاق آنذاك كان المرحوم القاضي مغموراً جداً ولم يكن أحد يعرف شيئاً عن مكانته. . . وأخيراً وافق وبدأ بدرس في الأخلاق لهم وكان في الطبقة الأولى من تلامذته الأشخاص المذكورون بالاضافة الى السيد حسن المسقطي وفيما بعد كان من الطبقة الثانية العلامة الطباطبائي والسيد أحمد الكشميري والميرزا إبراهيم السيستاني وأخو العلامة السيد محمد حسن الإلّهي . وفي الطبقة الثالثة في مرحلة تالية كان الشيخ عباس القوجاني وآية الله الشيخ محمد تقي بهجت فومني الرشتي المقيم في قم وعدد آخر من فضلاء النجف الأشرف وهناك شواهد أخرى تثبت أن المرحوم القاضي كانت تطوى له الأرض ، بصرف النظر عنها رعاية للاختصار .

مما تقدم يتضح أن سلسلة الأساتذة في العلوم والسيرة والسلوك للعلامة الطباطبائي هم باختصار كما يلي :



الملا قلي النساج
السيد علي الشوشتري
الملا حسينقلي الهمداني
السيد احمد الكربلائي
الشيخ محمد البهاري الهمداني
السيد علي القاضي
العلامة الطباطبائي

وينتظر أن يقوم تلامذة العلاّمة الطباطبائي الأجلاء بحفظ هذه العلوم وأن يبذروها في قلوب الأفراد الكفوئين يحفظوها في الضياع . . .

وحول أن المرحوم الشوشتري كان له أساتذة آخرون عند الملا قلي النشاج وقاهي سلسلتهم على فرض وجودهم أم لم يكن له استاذ غيره راجع كتاب: تاريخ حكماء وعرفاء متأخر. . . ١٥٢/١٤٨ .

وكذلك لمزيد من الاطلاع على سلسلة العرفاء المتشرعة في القرون الأخيرة راجع كتاب منتخباتي از آثار حكماي إلهي ايران ج ٢/ ١٥ الهامش .

٦ ـ العارف الكامل آية الله الشاه آبادي استاذ الإمام الخميني في العرفان:

العارف الكامل المرحوم آية الله الميرزا محمد علي الشاه آبادي بن العالم الكبير الشيخ محمد جواد الأصفهاني ولد في اصفهان سنة١٢٩٢ هـ .ق وبدأ الدراسة عند المرحوم الميرزا هاشم الجهارسوقي صاحب مباني الاصول وأخيه الأكبر الشيخ احمد المجتهد ثم انتقل الى طهران واشترك في درس الميرزا حسن الآشتياني صاحب «بحر الفوائد» والميرزا هاشم الگيلاني والميرزا ابو الحسن جلوة وقد تعلم من هؤلاء الثلاثة العظماء بالترتيب الفقه والأصول والفلسفة والعرفان ثم هاجر الى النجف الأشرف ودرس فيها على الأخوند الخراساني وشيخ الشريعة الاصفهاني والميرزا حسين خليلي وغيرهم .

ثم انتقل الى سامراء فاستفاد فيها من علوم الميرزا محمد تقي الشيرازي المعروف بالميرزا الصغير ، والميرزا الثاني ، بعدها عاد الى ايران وسكن في محلة «شاه آباد» في شارع «جمهوري اسلامي» فعلاً ، ولهذا اشتهر بالشاه آبادي وبدأ يقيم صلاة الجماعة ويدرس في مسجد «سراج الملك» وهو المسجد الذي كان والده يقيم الصلاة فيه .

انتقل المرحوم الشاه آبادي عام ١٣٤٧ هـ .ق الى قم واشتغل فيها بتربية الطلاب وبعد سبع سنوات استفاد فيها الامام الخميني (رضوان الله عليه) من انفاسه القدسية وفي سنة ١٣٥٤ هـ .ق عاد الى طهران واشتغل فيها كذلك

بالقيام بما يجب ، والتأليف والتصنيف ، الى أن بلغ السابعة والسبعين من عمره وتوفي يوم الخميس الثالث من صفر ١٣٦٩ هـ . ودفن في مقبرة الشيخ «ابو الفتوح الرازي» صاحب التفسير المشهور في زاوية مرقد عبد العظيم الحسني (رضوان الله عليه) في شهرري . . . وتقع هذه المقبرة في القسم الشمالي من صحن مولانا حمزة وهي مدفن رجال عظماء(٧٥) .

*** شخصيته العلمية والعرفانية:**

لقد كان المرحوم الشاه آبادي بحق عالماً عاملاً ، وعارفاً كاملاً ، وشخصيته مجاهدة ، ويكفي في عظمته أنه مربي قائد الثورة الكبير الامام الخميني (رضوان الله عليه) ولقد اشار الإمام في بيانه بمناسبة وفاة ابن استاذه إلى هذا الأمر فقال: «هذا الشهيد العزيز هو الابن البار لشيخنا المعظم الذي له علي في الحقيقة حق الحياة ولا يمكنني باليد واللسان أداء حقه علي» .

والإمام ايضاً عندما يذكره يعبر عنه عادة بالعارف الكامل روحي فداه مما يدلّ على مراتب علاقته به وحبه ايّاه وتقديره له واليك بعض النماذج من ذلك من كتاب معراج السالكين وصلاة العارفين:

١ ـ يجب أن يكون الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه كان يقول: يجب أن يكون الانسان وقت الذكر كمن يلقن الطفل الكلام ليردده الطفل بعده . . . هكذا يجب أن يلقن الإنسان قلبه الذكر وما دام الانسان يذكر بلسانه منشغلاً بتعليم قلبه فإن الظّاهر يُمدّ الباطن . . . وعندما تحل عقد لسان طفل القلب فإن الباطن يمدّ الظاهر كما أن تلقين الطفل كذلك . . . ما دام الإنسان يلقن الطفل فإنه هو الذي يعلمه ويمدّه ، وبمجرد أن ينطق الطفل يتولد في الإنسان نشاط تزول معه كل آثار التعب السابق . . .

إذن في البدء يكون المدد من المعلم له . . . وفي النهاية يكون المدد منه الى المعلم فإذا واظب الإنسان لمدة في الصلاة والأذكارُ والأدعية على هذا

---

(٧٥) راجع في كثير مما ذكر «نقباء البشر» ج ١٣٧/٤ .

المنوال اعتادت النفس وتصبح الأعمال العبادية عندها كالأعمال العادية لا يحتاج حضور القلب فيها إلى جهد. . . بل تصبح مثل الامور الطبيعية والعادية[٧٦] .

٢ ـ في الحديث أن رسول الله (صلوات الله عليه) خطَ خطاً مستقيماً وخطوطاً في أطرافه وقال: هذا الخط المستقيم هو سبيلي ويقال إنه قال: شيبتني سورة هود لمكان هذه الآية إشارة إلى قوله﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ .

والشيخ العارف الشاه آبادي روحي فداه كان يقول: كلامه (ص) سببه أنه طلبت منه استقامة الأمة . والدليل أن هذه الآية وردت في سورة الشورى ولم يقل عنها رسول الله (ص) ما قاله عنها هنا والسبب انها في سورة الشورى) غير مذيلة بهذا الذيل (ومن تاب معك)[٧٧] .

٣ ـ الشيخ العارف الكامل جناب الشاه آبادي (روحي فداه) كان يقول: جميع العبادات تنقل ثناء الحق جلته عظمته الى النشأة الملكية للبدن. . . فكما أن للعقل حظاً من المعارف والثناء الربوبي. . . وللقلب حظاً وللصدر حظاً فلملك البدن أيضاً حظ هو عبارة عن هذه المناسك. . . إنتهى ما أفاده (دام ظله)[٧٨] .

وفي مكان آخر يقول: طيلة عمري لم أجد روحاً بلطافة روح آية الله الشاه آبادي وظرافتها ويقول العلامة الشهيد مطهري في هذا المجال:

جمع المعقول والمنقول. . . وصل في طهران الى مقام المرجعية والفتوى. . وأثناء إقامة المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري في قم هاجر الى قم لسنوات واستفاد الفضلاء من محضره كمال الإستفادة كان له في العرفان

---

(٧٦) معراج السالكين وصلاة العارفين المطبوع ضمن «الذكرى السنوية للشهيد مطهري» الكتاب الأول/٤٩ .

(٧٧) المصدر السابق/٧٥ .

(٧٨) المصدر السابق ، من الجدير بالذكر أن الإمام أنهى كُتابة هذه الرسالة بتاريخ ٢١ ربيع الثاني/١٣٥٨ هـ .ق أي في حياة استاذه ولذا يعبّر عنه بـ «دام ظلّه» .

امتياز لا ينافس فيه وقد استفاد استاذنا الكبير آية الله العظمى الإمام الخميني (قده) من محضره في تلك المدة وكان يثني عليه غاية الثناء خصوصاً في العرفان[٧٩] .

وقد كان عليه الرحمة بالاضافة إلى مقامه العلمي والعرفاني مجاهداً صلباً لا يلين. . . عندما قرر «رضا خان» تعطيل المساجد والمحافل الدينية تصدى (له) رحمه الله وظل يعمل بوظائفه الشرعية والتوعية في اطار المعارضة لرضا خان بحيث اعتصم لمدة أحد عشر شهراً في حرم عبد العظيم الحسني (رضوان الله عليه) وقد شاركه في هذا الاعتصام الميرزا محمد قمي وآخرون .

* يقول سماحة الإمام بهذا الصدد: المرحوم آية الله الشاه آبادي فضلاً عن أنه كان فقيهاً وعارفاً كاملاً كان مجاهداً بكل معنى الكلمة .

*كيف تعرف عليه الإمام:

جاء في بعض المجلات عن ابن الإمام :

قال الإمام: التقيت به في المدرسة الفيضية فسألته مسألة عرفانية فبدأ يتحدث. . . علمت أنه من أهل العرفان قلت أريد أن أدرس فلم يوافق فألححت عليه حتى قبل أن يدرسني الفلسفة. . . لأنه تصور اني أطلبها. . . عندما وافق قلت درست الفلسفة ولم آتك لأجلها أريد أن أدرس العرفان «شرح الفصوص» فامتنع ولكن لفرط إصراري وافق .

يقول إبن الامام: سألته كم شخصاً كنتم. . . فقال: احياناً عندما كنا نكثر كنا ثلاثة ولكن أكثر الأوقات كنت وحدي وقرأت العرفان عنده. . . سألته هل قرأت درساً آخر عند المرحوم الشاه آبادي قال: أيام التعطيل الخميس والجمعة قرأت عنده «مفاتيح الغيب» في وقت واحد كنت أقرأ شرح الفصوص ومفاتيح الغيب وقد كتبت حاشية على مفاتيح الغيب ، سألته وهل قرأت عليه كتباً أخرى

---

(٧٩) خدمات متقابل اسلام وايران/ ١٦٥ بتصرف يسير .

قال: كتاب «منازل السائرين» وكنت وحيداً والظاهر أنه أحياناً كان يأتي بشخصٍ او اثنان ولكنهم كانوا (ينقطعون) بعد فترة سألت الشاه آبادي: المطالب التي تبينها ليست في كتاب من أين تأتي بها فقال: إني اقولها من عندي... إن له حقاً كبيراً عليّ وكان محيطاً جداً سواء في الفلسفة أو العرفان.

سألته كم سنة قرأت عليه في العرفان قال: لا اتذكر جيداً ولكنها حوالي خمس الى ست سنوات وأضاف: شرح الفصوص الذي كان يشرحه الشاه آبادي يختلف عن شرح القيصري... كان يأتي بمطالب كثيرة من عنده وعندما جاء الشاه أبادي الى قم لم أكن قد تزوجت وبعد الزواج استمر درسي عنده أيضاً.

كما تقدم فإن المرحوم الشاه آبادي كان في قم من سنة ١٣٤٧ الى ١٣٥٤ أي سبع سنوات والامام استفاد منه خلال هذه المدة... ولم يرد في أي مصدر لماذا جاء المرحوم الشاه آبادي الى قم سنة ٤٧ ثم انتقل الى طهران عام ٥٤... وليس بعيداً أن تكون اليد الغيبية والعناية الإلهية (هي التي) جاءت به من طهران الى قم ليربي هذا الرجل العظيم الذي من المقرر أن يتحمل في المستقبل مسؤولية عظيمة جداً ويجتث جذور الطاغوت ويرمي بها في سلة مهملات التاريخ...

واذا لاحظنا أن الدرس لم يكن عاماً وكان المرحوم الشاه آبادي مع علو مقامه العلمي وعظمته يدرس الإمام فقط وأحياناً مع شخصين آخرين، يصبح هذا الاحتمال أقرب الى اليقين فاعتبروا يا أولي الأبصار.

مؤلفاته:

١ ـ شذرات المعارف أو مرام الإسلام فارسي طبع مراراً.

٢ ـ القرآن والعترة.

٣ ـ الايمان والرجعة رد على كتاب الاسلام والرجعة لشريعت السنگلجي.

٤ ـ الإنسان والفطرة وهذه الكتب الثلاثة بالعربية.

٥ ـ مفتاح السعادة في أحكام العبادة رسالة عملية بالفارسي مطبوع .

٦ ـ رشحات المعارف جانب من دروسه العرفانية جمعها بعض مريديه في ٩٣ صفحة وطبعت في مشهد عام ١٣٩٠ هـ .ق .

٧ ـ حاشية كفاية الآخوند الخراساني .

٨ ـ منازل السالكين في العرفان .

٩ ـ رسالة العقل والجهل .

١٠ ـ رسالة في النبوة .

وبعض الرسائل الأخرى .

من قصصه :

يقول المرحوم آية الله السيد احمد الزيجاني وهو من مباحثي الإمام الخميني دام ظله ورفقائه في الدرس حول تهيئة الأسباب من الله تعالى :

المنام الآخر الذي أصبح سبباً في نجاة شخص من خطر الموت وهو المنام الذي رآه الميرزا أحمد علي الشاه آبادي وهو من معتمدي علماء طهران قال :

رأيت في المنام أني جالس مع عدّة أشخاص في مكان وكان معي طفل. . . وكان يوجد هناك منحدر. . . وكنت خائفاً أن يسقط الطفل في ذلك المنحدر. . . وفيما كنت مشغولاً بالحديث معهم كنت منتبهاً للطفل. . . وفجأة رأيت الطفل سقط. . . ومن خوفي استيقظت. . . أخرجت رأسي فرأيت ذلك الطفل واقفاً على حافة خزان الماء في المحلة أردت أن أصرخ : ارجع فإذا به في تلك اللحظة يسقط في الماء فأسرعت وتناولته ولو أني استيقظت بعد لحظة لكان ذلك الطفل ـ بحسب الظاهر ـ قد مات .

هذا مختصر في ترجمة عدة من عظماء العرفان في العصر الأخير. . . ومن الجدير بالذكر أن اختيار هؤلاء الصالحين كان من باب النموذج. . . وإلا فإن العرفاء الكبار والأجلاء في المرحلة الأخيرة كثيرون .

حول دروس الأخلاق :

يتضح مما تقدم أن درس الأخلاق واستاذ الأخلاق سابقاً غيره الآن فقد كان اساتذة الأخلاق يهتمون بمن يجدون فيهم الكفاءة ، يدرسونهم درساً خاصاً ويراقبون سلوكهم وأفعالهم خشيةً من عدم التزامهم بالتعليمات وكانوا يحرصون على الاطلاع على أحوال تلامذتهم باستمرار ويعطونهم التعليمات في الوقت المناسب حتى يصل التلامذة إلى مرتبة الكمال ومن الواضح طبعاً إن تأثير هذا النوع من الدروس هو أفضل بكثير من الدروس المتداولة الآن التي تعقد أحياناً ليلة الجمعة او في يوم عطلة أخرى مع كثرة التعطيل فيها والموانع الأخرى ثم إن كون الدروس عامة تمنع من طرح كثير من المسائل ، ولكن بالرغم من ذلك كله «ما لا يدرك كله لا يترك كله» عندما لا يمكن الحصول على ذلك النوع من الأساتذة الخصوصيين يجب السعي دائماً للاشتراك في هذا النوع من جلسات الأخلاق وإيّاك أن تغيب عنها حتى مرة واحدة. . . اذ أن عدم المشاركة فيها يعود على الطالب بضرر عظيم جداً. . . ومن حسن الحظ أن في حوزة قم الآن جلسات أخلاقية قيّمة مفيدة وينبغي على الطلّاب الإهتمام بها .

كما أنه توجد الآن هنا وهناك بعض الدروس من ذلك النوع الذي كان سابقاً يتولّى فيها اساتذة اكفاء العناية بذوي الكفاءة وارشادهم الى طريق الكمال .

* اطلب من الله:

هنا قد يتبادر إلى أذهان القرّاء هذا السؤال: الشخص الذي لا يعرف أحداً ولا شيئاً ويدخل الحوزة قادماً (من) أرض بعيدة أو قريبة كيف وبأية طريقة سيجد الأشخاص الكاملين ويتعرف عليهم ويستفيد منهم. . . وبالاضافة الى ذلك فلنفترض أنه عرفهم. . فهل هم مستعدون لتربية أي كان؟ والجواب نعم ، إن الأمر كذلك ولكن يجب عن طريق التوسل بالأئمة الأطهار عليهم السلام والتضرع والبكاء بين يدي الله الملك العلّام الوصول الى الحلقات التربوية لهؤلاء الأساتذة الكاملين والاستفادة منهم فإذا كان الشخص متعطشاً الى الهداية

واقعاً ومن صميم القلب فإن الله تعالى يأخذ بيده ويضعه في يد انسان حر .

«العطشان يصرخ اين الماء الزلال ، والماء يقول اين شارب الماء»[٨٠] وتوضح القصة التالية جواب السؤال المتقدم :

يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله : عندما كنت في طريقي من تبريز الى النجف الأشرف للدراسة لم أكن اعرف شيئاً عن النجف ، ولم أكن أعرف أن أذهب ، وماذا أفعل ، . . . كنت في الطريق افكر دائماً أي درس أدرس؟ وعلى من اتتلمذ؟ وأي طريقة أختار ويكون فيها رضا الله تعالى؟ عندما وصلت الى النجف الأشرف وحين الدخول توجهت الى قبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وقلت :

«يا علي تشرفت بمحضرك لمواصلة الدراسة ولكني لا أعرف أي نهج اسلك وأي برنامج أختار اريد منك أن ترشدني الى ما فيه صلاحي . استأجرت منزلاً وسكنته . . . وفي الأيام الأولى وقبل ان ابدأ اي درس . . . كنت جالساً في البيت أفكر في مستقبلي . . . فجأة طرق الباب فتحت الباب فرأيت احد العلماء الكبار سلم ودخل . . . جلس في الغرفة ورحب بي . . . كانت له طلعة جذابة ونورانية جداً حادثني بكامل الصفاء والصميمية والأنس . . . وخلال احاديثه قرأ لي أشعاراً وقال لي ما مضمونه : الشخص الذي يأتي الى النجف بهدف الدراسة من الجيد أن يفكر بالإضافة الى الدراسة بتهذيب نفسه وتكميلها وأن لا يغفل عن نفسه . . . قال هذا ومضى . . .

وفي ذلك المجلس أسرتني أخلاقه وتصرفاته وقد أثرت في قلبي كلماته القصار والأخاذة الى حدّ أني عرفت منها برنامجي المستقبلي . . . وطيلة الفترة التي كنت فيها في النجف لم أترك محضر ذلك العالم التقي ، اشتركت في درسه الأخلاقي واستفدت من سماحته . . . ذلك العالم الكبير هو المرحوم آية الله الحاج الميرزا علي القاضي (رضوان الله عليه)[٨١] .

---

(٨٠) ترجمة بيت شعر فارسي لمولوي .

(٨١) يادنامه علامة طباطبائي / ١٢٠ .

* القسم الثالث:

* اجتناب الذنب
الشرط المهم للتوفيق في الدراسة

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ .

البقرة/٢٨٢

اللقمـة التي تـأتـي من طـريـق شبـهـة كل الدم والتراب ولا تضع اسنانك عليها

انـمـا تـفـتـنـك فـي طـريـق الـديـن وتخـرج نـور العـرفـان من قلبـك[١]

الشيخ البهائي رحمه الله

---

(١) يادنامه علامة طباطبائي/١٢ .

إحدى آثار تصفية الروح ونتائجها اجتناب الذنب. . . يجب أن نعرف أن ترك المعصية من الشروط المهمة للتوفيق في تحصيل العلوم الشرعية فمن يرتكب المحرمات ويسود قلبه ولا تبقى فيه قابلية إشراق نور العلم (لا معرفة بعض الاصطلاحات الجافة) .

يقول الشهيد الثاني عليه الرحمة:

وقال علي بن خشرم: شكوت الى وكيع قلة الحفظ فقال استعن على الحفظ بقلة الذنوب ، وقد نظم بعضهم ذلك في بيتين فقال:

شكوت الى وكيع سوء حفظي
وقال اعلم بأن العلم فضل　　وفضل الله لا يؤتاه عاصي

لذا يجب الحذر حتى الذنب الذي يبدو في الظاهر صغيراً فإنه قد يجرّ الى الشقاء. . . ويتسبب بالبعد الدائم عن الدراسة والحوزات وسوء الظنّ بالاسلام والروحانية .

الأشخاص الذين دخلوا الحوزات العلمية ثم طردوا من هذا المحيط المقدس واختاروا طريقاً آخر. . . ليس السبب في ذلك الا أنهم لم يكونوا يتمتعون بصلاحية البقاء في هذا المكان المقدس والتزي بهذا الزي المقدس

ويد القدرة الإلهية وولي العصر عجّل الله فرجه الشريف هيأت أسباب خروج مثل هؤلاء الأفراد من زي الروحانيين وحوزتهم[٢] .

* الأمر الآخر الذي يجب الانتباه له أن الشيطان يضل كل شخص عن طريق يناسبه. . . لا يقول للمتظاهر بأنه روحاني ـ نعوذ بالله ـ إشرب الخمر ـ إزن ، العب القمار ، بل يأتيه عن طريق الحسد وحب الجاه وعبادة الرئاسة والمقام ، والغيبة والتهمة ونشر الشائعات والمزاح في غير موقعه والثرثرة وأمثال ذلك ويقرب ذلك ويزينه له حتى يضله. . .

* عن الامام الصادق (عليه السلام):

وجدت علم الناس كله في أربع أولها أن تعرف ربك والثاني أن تعرف ما صنع بك والثالث ان تعرف ما أراد منك والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك[٣] .

ومحل الشاهد هو الفقرة الأخيرة. . . يجب أن نبقى متنبهين لما يخرجنا من ديننا ويؤدي بنا في وهدة السقوط يجب ان نحذر من الترف ـ حب الكماليات ـ والأنانية ، وحب الدنيا ، والكسل ، والبطنة ، وأمثال ذلك . ولنصغ هنا الى مقتطفات من حديث الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في هذا المجال:

«ولكن بعضكم تدوسون كل شيء ، تغتابون عظماء الاسلام. . . إذا كان الآخرون يغتابون عطار الزقاق أو البقال فهؤلاء ينسبون الى علماء الإسلام افوراً مشينة ويهينونهم ويتجرؤون عليهم» «لماذا تقعون الى هذا الحدّ في غيبة أخوتكم المسلمين او الإساءة إليهم او استماع غيبتهم وأنتم مرتاحو البال هل تعلمون يا ترى أن هذا اللسان الذي يمتدّ بالغيبة يداس في يوم القيامة تحت أرجل الآخرين هل تعلمون يا ترى أن الغيبة إدام كلاب النار» «العزم على ترك

(٢) ترجمة شعر فارسي للشيخ البهائي عليه الرحمة والرضوان .
(٣) هذا صحيح في الجملة لا مطلقاً ـ المترجم .

الذنب لا يتوفر للأشخاص الذين ارتكبوا الغيبة والكذب طيلة خمسين او سبعين سنة لقد ابيضت لحاهم في المعصية... هؤلاء يظلون مبتلين الى آخر عمرهم[٤] .

* يقول آية الحق ملا حسينقلي الهمداني في إحدى رسائله: وما استفدته انا الضعيف ، من العقل والنقل ، أن أهم الأشياء لطالب القرب ، هو الجد والسعي في ترك المعصية ، وما لم تؤدِ هذه الخدمة فإن ذكرك ، وفكرك مجال قلبك ، لن ينفعك شيئاً لأن خدمة الشخص للسلطان مع أنه عاص له ومتمرد عليه لا فائدة فيها... ولا أدري أي سلطان أعظم من هذا السلطان العظيم الشأن وأي خصومة أقبح من هذه الخصومة .

فافهم مما ذكرت أن طلبك محبةً إلٓهية مع كونك مرتكباً للمعصية أمر فاسد جداً وكيف يخفى عليك كون المعصية سبباً للنفرة وكون النفرة مانعة الجمع مع المحبة ، وإذا تحقق عندك أن ترك المعصية أول الدين وآخره ، وظاهره ، وباطنه ، فبادر الى المجاهدة ، واشتغل بتمام الجد في المراقبة ، من أول قيامك من نومك في جميع اناتك الى نومك ، والزم الأدب في مقدس حضرته ، واعلم أنك بجميع أجزاء وجودك ذرةً ذرةً اسير قدرته وراعِ حرمة شريف حضوره أواعبده كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك والتفت دائماً الى عظمته وحقارتك ، ورفعته ودناءتك ، وعزته وذلتك ، وغناه وحاجتك ، ولا تغفل عن شناعة غفلتك عنه جل جلاله ، مع إلتفاته إليك دائماً ، وقم بين يديه مقام العبد الذليل ، الضعيف ، وتبصبص تحت قدميه ، بصبصة الكلب الخائف ، أولا يكفيك شرفاً وفخراً أنه أذن لك في ذكر اسمه العظيم بلسانك القذر الذي نجسته قاذورات المعاصي؟

أذن ايها العزيز حيث أن هذا الكريم الرحيم جعل لسانك مخزن جبل النور ، يعني ذكر اسمه الشريف ، فمن عدم الحياء أن يكون مخزن السلطان

---

(٤) أصول الكافي ج١/ ٥٠ .

بالنجاسة وقاذورات الغيبة والكذب والفحش والأذى وغير ذلك من المعاصي .

مخزن السلطان يجب أن يكون محله مملوءاً بالعطر وماء الورد لا النجس المليء بالقاذورات .

ولا شك أنك اذا لم تكن دقيقاً في المراقبة فلن تعرف أية معاصٍ ترتكب بجوارحك السبعة ، أي الأذن ، واللسان ، والعين ، واليد ، والرجل ، والبطن ، والفرج ، وأي نيران توقد ، وأي فساد تلحق بدينك ، وأية جراحات منكرة توقعها بقلبك بسيف لسانك ، وسنانه ، اذا كنت لم تُقتل فذلك جيد جداً . . . واذا أردت شرح هذه المفاسد فالكتاب لا يتسع لها . . . ماذا يمكنني (أن أفعل) في ورقة وانت الذي لم تطهر جوارحك بعد من المعاصي كيف تنتظر أن أكتب إليك شيئاً في شرح احوال القلب إذن :

البدار البدار الى التوبة الصادقة ثم العجل العجل في الجد والمراقبة[٥]

* ويقول الاستاذ الكبير في علم الأخلاق المرحوم الشيخ محمد البهاري رحمه الله :

إن السالك سبيل التقوى ، يجب عليه مراعاة امور، الأول: ترك المعاصي وهذا هو الذي بني عليه قوام التقوى ، واسس عليه اساس الآخرة والأولى ، وما تقرّب المتقربون بشيء اعلى وأفضل منه .

ومن هنا فعندما سأل موسى (عليه السلام) الخضر (عليه السلام) ماذا فعلت حتى أمرت أن أتعلم منك ، بم بلغت هذه المرتبة قال: بترك المعصية .

فعلى الإنسان أن يعلم هذا ونتيجته كبيرة حقاً كم هو قبيح من العبد الذليل الذي هو آناً فآناً فستغرق في النعم الإلهية وهو في المحضر المقدس الالهي وذلك بمقتضى قوله مع كل شيء لا بالمقارنة وغير كل شيء لا بالمزايلة[٦]واينما

---

(٥) جهاد أكبر ـ الرفق بـ «ولايت فقيه» ٢٤٧/ ٢٥٠/ ٢٥٧ .

(٦) تذكرة المتقين ط ١ انتشارات نور فاطمة/ ١٧٧ ـ ١٧٨ ومن قوله فافهم مما ذكرت الى

كنتم فهو معكم .

كم هو قبيح من العبد ـ انه بالرغم من هذا يزيـل ستار الحيـاء عن وجهه ويرتكب وبكل جرأة وصلافة ـ مناهي ملك الملوك وما أشنعه وما أجفاه ـ الحق أن مثل هذا الشخص ينبغي أن يحبس في سجن جبار السماوات والأرضين أبد الآبدين إلا أن يتوب وتشمله أذيال الرحمة الإلّهية الواسعة[7] .

قال الامام الصادق (عليه السلام) لحفص بن غياث:
يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد[8] .

وبالاضافة الى جميع ذلك حيث أن صاحب العصر ارواحنا فداه وحسب قوله هو[9]مطلع على أعمالنا ومحيط بجزئيات أفعالنا فإن كل معصية تصدر منا هي كسهم مسدد الى قلب من هو واسطة فيض المخلوقات. . . أنظر كيف يتألم من ذنوب الشيعة ويشكو منها على ما ورد في توقيعه المبارك الى الشيخ المفيد ويعتبر أن سبب غيبته طول الغيبة هو عدم عمل الشيعة بواجباتهم:

ولـو أن أشياعنـا وفقهم الله لطاعتـه على اجتماع من القلوب في الـوفـاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا فما يمسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممـا تكرهـه ولا نؤثره منهم[10] .

«قاذورات المعاصي» هو عبارته عليه الرحمة بتصرف يسير والسطر الأخير هو كذلك بلفظة (المترجم) .

(٧) في نهج البلاغة ـ صبحي الصالح/ ٤٠ ج١ هكذا: مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة .

(٨) اقتباس من سورة الحديد/٤/ واصـل الآية: ﴿وهـو معكم اينما كنتم (١٠٩)﴾تـذكرة المتقين الطبعة المذكورة آنفاً/١٩ ـ٢٠ .

(٩) اصـول الكافي ج ٤٧/١ بـاب لزوم الحجّـة على العالم وتشـديد الأمـر عليه الحـديث رقم ١ .

(١٠) نحن وان كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكين الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا

*** الامام الخميني:**

يقول أحد المقربين من الامام:

من الأمور التي يتفق فيها جميع الذين يعرفون الامام أنه لا يغتاب مطلقاً منذ شبابه لا يسمح في مجلسه بأي شكل كان أن يغتاب أحدٍ وإذا تكلم وأراد أن يبدأ بالغيبة فإنه يتدخل فوراً ويغير الموضوع والحديث .

ومن هنا حيث أن هذا الرجل يطبق قبل أن يتكلم. . . وكل شيء يقوله. . . يكون قد التزم به عملياً ـ من هنا ـ فإن مواعظه تستقرّ في القلب وتروي أرواح المتعطشين الى السعادة .

*** المحدث القمي رحمه الله:**

جاء في سيرة الشيخ عباس القمي عليه الرحمة لم يكن احدٌ يجرؤ أن يغتاب احداً في مجلسه. . . مهما كان الشخص كائناً من كان. . . وهو أيضاً كان يحترز من الغيبة والكذب بما يفوق التصور. . . أيام مرضه الذي كانت وفاته فيه جاء أحد علماء طهران لعيادته ، كان الشيخ عباس ذلك اليوم متألماً جداً ، ويفكر في أمراً شغل باله . سأله ذلك العالم عن سبب تألمه ، فأجابه في سفري الى الحجّ أردت طبق سيرة المحدثين في الاجازة ـ أن اتميز من أحد محدثي العامة. وعندما فاتحته بالأمر قال لي شيئاً ، ولمصلحة ما أنكرت ذلك كذباً. . . والآن أفكر كيف سأبرر هذا الكذب غداً في يوم القيامة في محضر العدل الإلهي[11] .

*** ترك المكروه والمباح:**

كثير من علمائنا كانوا يبقون دهراً لا يرتكبون مكروهاً ، ولا مباحاً ، فكيف

من الصلاح وبشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين فإنا يحيط علمنا بانبائكم ولا يغرب عنا شيئاً من أخباركم . بحار الأنوار ج ١٧٥/٥٣ .

(١١) نفس المصدر .

بالحرام؟ ولإيضاح ذلك نذكر بعض النماذج:

١ ـ يقول الشهيد الأول في قواعده: ومن الخسران صرف الزمان في المباح وإن قل[١٣]ومن الواضح أن من هذا قوله وهو من نعرف، كيف ستكون سيرته.

٢ ـ يقول المرحوم الملا عبد الله الشوشتري الذين هو من تلامذة المحقق الأردبيلي في موعظته لابنه: يا بني اني بعدما أمرني مشايخي رحمهم الله بالعمل برأيي ما ارتكبت مباحاً ولا مكروهاً الى الآن حتى الأكل والشرب والنوم[١٤].

٣ ـ وقالوا في المقدس الأردبيلي: ولم يصدر عنه فيها ـ أربعين سنة ـ فعل مباح فضلاً عن الحرام والمكروه[١٥].

٤ ـ يقول المحدث القمي: لم يصدر من الميرداماد الفيلسوف الاسلامي الكبير، فعل مباح، طيلة عشرين عاماً[١٦].

٥ ـ يقول أحد المقربين من الامام: ذات يوم قال الامام؛ ارفعوا هذه السجادة من هنا فإن عليها صور حيوانات وتكره الصلاة في الغرفة التي فيها صورة[١٧].

٦ ـ يقول الفيلسوف الشهيد الملا هادي السبزواري في ترجمة نفسه:

والحقير كنت الى عشرة كاملة من عمري في سبزوار وبعدها أخذني الى مشهد جناب المستطاب العالم العامل والعابد الناسك والناسك المتهجد الحاج

---

(١٢) حاج شيخ عباس قمي مر وتقوا وفضيلت/٦٥/٦٦.

(١٣) القواعد والفوائد ج١ ص ١١٩.

(١٤) دار السلام للنوري.

(١٥) منتخب التواريخ/١٩٦ وتجد غير ذلك في احتياط المقدس الاردبيلي في روضات الجنات/ج ١/١٨١.

(١٦) الفوائد الرضوية/٤٢٣.

(١٧) فازهائي أز أبعاد روحي إمام/٢٠.

ملا حسين السبزواري أعلى الله مقامه الذي كان لسنوات يقيم في مشهد مشتغلاً بالدراسة. . . كان سماحته مراقباً «لنفسه» في الإنزواء وتقليل الطعام والعفاف واجتناب المحرمات والمكروهات والمواظبة على الفرائض والنوافل. . . والداعي حيث كنت معه في غرفة واحدة كنت مساهماً في ذلك ومشاركاً وقد بقينا على هذا المنوال مدة طويلة وأمضيت سنوات في الرياضات وقد كان ذلك المرحوم استاذنا في العلوم العربية والفقهية والأصولية[١٨] .

* سؤال لرسول الله (ص):

المرحوم الملا محمد صالح البرغاني القزويني وهو أخو الشهيد الثالث ومن العلماء الكبار رأى رسول الله (ص) في المنام وسأله عدة أسئلة أحدها: ما هو السبب في أن العلماء في السابق كانوا أصحاب كرامات ومكاشفات وفي هذا الزمان سد باب المكاشفات؟

فأجابه (ص): السبب أن العلماء في الماضي قسموا الأحكام الى قسمين واجب وحرام وكانوا يتركون الحرام ويأتون بالواجب وكلما كان مكروهاً أو مباحاً كانوا يعتبرونه من المحرمات أي كانوا عملياً يتركون المباحات والمكروهات ويأتون بالمستحبات ويعتبرونها من الواجبات ولكنكم طبقة المتأخرين ـ قسمتم الأحكام عملياً إلى خمسة أقسام وتتركون المستحبات وتفعلون المكروهات والمباحات ولهذا سدت دونكم أبواب الكرامات والمكاشفات[١٩] .

* مع المرحوم الشيخ محمد البهاري الهمداني:

يقول هذا العارف الجليل الذي هو من أبرز تلامذة الآخوند ملا حسينقلي الهمداني وبتعبير الشيخ آقا بزرگ الطهراني هو أجلّهم وأعظمهم[٢٠] .

*** الثاني**: (من شروط السالك) أن يجتنب المكروهات مهما امكن

---

(١٨) تاريخ حكماء وعرفاء متأخر. . /١٠٩ .

(١٩) قصص العلماء/٥٢ .

(٢٠) نقباء البشر ج ٢/٦٧٧ .

وينشغل بالمستحبات ولا يحقرنّ شيئاً من المكروهات فيقول «كل مكروه جائز» فكثيراً ما يكون ترك المكروه أو فعل مستحب صغير أشد أثراً في القرب من المولى (واكثر مقبولية عنده) من كل ما عداه . ويتضح هذا من التأمل في العرفيات .

* **الثالث**: ترك المباحات في غير مقدار اللزوم والضرورة ، صحيح أن الشارع المقدس أباح أموراً كثيرة ولكن حيث أنه في الباطن لا يرغب لعبده أن ينشغل بغيره وينصرف إلى امور الدنيا ، فمن المستحسن للعبد أن يستجيب لرغبة المولى ، فيترك هذه الزخرات ، حتى وإن لم يكن ارتكابها حراماً ، إقتداءً بالنبيين وتأسياً بالأئمة الطاهرين[٢١] .

* وصية المرحوم البيد آبادي رحمه الله:

في رسالة توجيهية له يقول الحكيم والعارف الكبير المرحوم البيد آبادي :

عليه إذن أن يوحد همومه (يجعلها هماً واحداً) وأن يبذل كامل الجد والجهد ، ليضع قدمه في جادة الشريعة ، ويحصّل ملكة التقوى ، أي لا يحوم بقدر الممكن حول الحرام والمشتبه المباح ، قولاً ، وفعلاً ، وحالاً ، وخيالاً ، واعتقاداً ، لتحصل له الطهارة الصورية والمعنوية ، وهي شرط العبادة وليترتب أثر على العبادة ولا تكون محض صورية[٢٢] .

* قال بعض العارفين :

إن عامة الناس أبداً ، دون المتلبس بالعلم بمرتبة ، فإذا كان ورعاً تقياً صالحاً تلبست العامة بالمباحات ، وإذا اشتغل بالمباح تلبست العامة بالشبهات ، فإن دخل بالشبهات تعلق العامي بالحرام ، فإن تناول الحرام كفر العامي ، وهذا مما هو مشاهد بالعيان فلا يحتاج الى النقل من الأعيان»[٢٣] .

---

(٢١) تذكرة المتقين /١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢٢) الأنوار النعمانية ٣٤١/٣ .

(٢٣) حوزة (مجلة) العدد ١٠ ص ٧٤ .

* ويقول لقمان العصر الامام الخميني (رضوان الله عليه):

المؤلم هنا أن الناس إذا رأوا منكم عملاً لا يتوقعونه ينحرفون عن الدين ويغيـرون رأيهم بالعلمـاء لا بالشخص يـا ليت أنهم يغيـرون رأيهم بـالشخص ويسيئون الظن به[٢٤] .

(٢٤) جهاد أكبر المرفق بولايت فقيه/٢٠٦ .

* القسم الرابع:

* اخلاص ، وطهارة النية...

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين. . . ﴾
(البيِّنة/٥) .

إحدى المسائل التي ينبغي لطلاب العلوم الدينية الاهتمام بها ، هي أن يكونوا بصدد تحصيل الإخلاص وتطهير نيّتهم وتصفيتها ، وأن لا ينقلوا خطاهم منذ البداية إلا من اجل «الله سبحانه» وأن لا يكون هدفهم ابداً الوصول الى الاهداف الدنيوية الملوثة .

يجب أن يخرج الطالب من رأسه من أوّل الطريق ، التفكير بالمركز ، وحب الجاه ، والبحث عن الشهرة والوصول الى المرجعية والقيادة ، إمامة الجمعة والجماعة ، نيابة المجلس ، الموقع الاجتماعي حب الناس واحترامهم وأمثال ذلك والا فإن علمه ليس فقط لن ينفعه بل كلما سار اكثر كلما ازداد قرباً من جهنم ووفر أسباب تعاسته ـ وفي أغلب الأحيان تعاسة المجتمع والناس . الأضرار التي لحقت بهذا الدين الحنيف طيلة تاريخ الاسلام بواسطة غير المخلصين والضربات التي ارهقت جسده لا تعد . . . وقد رأينا نماذج من ذلك وعليه فلا داعي للتفاصيل .

إن تحصيل الأخلاق صعب جداً ولا يمكن الحصول عليه ببساطة إنه الشرط الأساسي لكل الأعمال ويحتاج الى جهاد طويل ومستمر كما أنه يحتاج الى الإستقامة . . . جاء في الحديث أن الله تعالى قال:

الاخلاص سر من أسراري استودعته قلب من احببت من عبادي[1] .

---

(١) منية المريد/ ٤٣ .

ومن حصل على هذه الرتبة ووفق لتصفية نيته فقد منّ الله عليه بأكبر نعمة . . .

في الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) :

ما أنعم الله عز وجلّ على عبد أجل من أن لا يكون في قلبه مع الله عز وجل غيره[٢] .

* * *

١ ـ يقال أن المرحوم السيد بحر العلوم (رضوان الله عليه) رآه تلامذته يوماً مبتسماً ضاحكاً فسألوه عن السبب فقال : بعد خمس وعشرين سنة من المجاهدة ، تأملت في نفسي الآن فوجدت أن أعمالي لم تعد عن رياء ، فقد استطعت أن أتخلص من ذلك[٣] .

٢ ـ يقول العارف الواصل الكامل المرحوم الشيخ جواد الملكي التبريزي :

نقل عن أحد العلماء أنه كان لمدة ثلاثين سنة ، يصلي في الصف الأول ، في صلاة الجمعة . . . وبعد ثلاثين سنة ، لم يستطع ذات يوم أن يصل الى الصف الأول ، فوقف في الصف الثاني . . . وإذا به يحس بالخجل حيث أن الناس يرونه في الصف الثاني ، فتنبه أن صلاته خلال هذه المدة الطويلة ، أمام الناس ، وفي الصف الأول ، كانت مشوبة بالرياء فقضى صلاة هذه المدة كلها .

* ويضيف التبريزي عليه الرحمة : وانظر يا أخي إلى هذا العالم المجاهد ، وتأمل في رتبته من المجاهدة ، كيف لم تفته صلاة الجماعة والصف الأول في هذه المدة الطويلة ، ولم يتصد للإمامة ، وانظر لقضائه صلوات ثلاثين

---

(٢) بحار الأنوار ج ٧٠/ ٢٤٩ .
(٣) لب اللباب/ ٥٥ .

سنة بهذه الشبهة ، وتفطن من ذلك إلى عظمة الأمر وشدة اهتمام السلف في الإخلاص والمجاهدة»[٤] .

نعم إن المهم كيفية العبادة ، لا الكمية والكثرة والقلة ففي القرآن الكريم : ﴿**يبلوكم أيّكم أحسن عملا**﴾ وليس ليبلوكم أيكم اكثر عملاً .

٣ ـ ينقل البعض ممن كانوا قريبين من المرحوم آية الله العظمى البروجردي رحمه الله :

«رأيناه قبل الوفاة متألماً جداً وكان يقول: الخلاصة انتهى عمرنا وها نحن ذاهبون ولم نستطع أن نقدم لأنفسنا شيئاً أو أن نعمل عملاً فقال أحدهم على عادة المتملقين من أصحاب الجاه ـ ظناً منه أن المقام مقام تملق ـ:

مولانا . . أنت لماذا تقول ذلك . . . نحن المساكين يجب أن نقوله أما أنت فلا . . . بحمد الله كل آثار الخير هذه التي تركتها ، كل هؤلاء الطلاب الذين ربيتهم ، كل هذه المؤلفات ، المسجد الذي بنيته بهذه العظمة ، بنيت مدارس في المكان الفلاني والمكان الفلاني . . .

عندما قال ذلك قال السيد: «أخلص العمل فإن الناقد بصير بصير» أتظن أن هذه الأعمال حيث أنها عند الناس كذلك يجب أن تكون في محضر الله تعالى كذلك: ﴿**إن الله بما تعملون خبير**﴾[٥] .

بناءً عليه يجب أن يبقى الإنسان حذراً الى آخر عمره حتى لا يستدرجه الشيطان الى دائرته ، ويخطف من كفه جوهرة الاخلاص ويجب أن نعلم أن الشيطان لا يترك الإنسان وشأنه حتى النفس الأخير . . . الا المخلصين: كما يستفاد من القرآن الكريم ـ فإنهم لا يقعون في شراكه .

---

(٤) المراقبات/ ١٤١ بتصرف .

(٥) تعليم وتربيت در اسلام/٢٣٤ وتجد الحديث المذكور في رسالة باسم چهل حديث قدسي ٣٨ ط كتابفروشي علمية اسلامية ١٣٦٨ هـ .ق .

٤ ـ الحاج «إمام قلي ننجواني الذي كان استاذ المرحوم السيد حسين القاضي والد المرحوم السيد علي القاضي وطوى كل مراحل الكمال ـ في الأخلاقيات والعلوم الإلّهية ـ على المرحوم السيد قريش القزويني يقول:

بعد أن بلغت سن الشيخوخة رأيت الشيطان وكنا واقفين معاً على جبل فوضعت يدي علي لحيتي وقلت له: لقد بلغت سن الشيخوخة فإذا كان بالإمكان أن تدعني قال الشيطان أنظر الى هذا الجانب وعندما نظرت، رأيت وادياً عميقاً جداً ومن شدة الخوف منه يفقد الانسان صوابه ويطير لبّه.. قال الشيطان: ليس في قلبي رحمة ومروءة وعطف أبداً، وإذا قُدِّر ووقعت في قبضتي فسيكون مكانك قعر هذه الوادي التي تراها(٦).

* * *

في بدء الدراسة يمكن أن يعتبر البعض أنفسهم منزهين من التلوث بالأهداف الفاسدة ويتصورون انهم ليس لهم أي دافع او هدف غير الله... ولكن يجب الانتباه إلى أنه لا يمكن الاطمئنان بهذه السرعة ومن الواجب البحث ـ في ضوء مصباح العقل والقرآن والأحاديث (عليه السلام) في زوايا القلب ومحاكمة النفس وتطهيرها من الأهداف الفاسدة.

عندما يكون الأنسان عاجزاً عن كل شيء يظن أنه ليس له هدف الا «رضا الله تعالى» ولكن هذا ليس كافياً بل يجب ان يصبح الشخص بحيث أنه اذا اقبلت عليه الرئاسة والشهرة والمنصب والموقع يوماً ما فلا يخسر نفسه وينبهر بها وأن يستعمل هذه الأمور الاعتبارية كوسيلة للوصول الى الأهداف الإلّهية... إلا أن الإطمئنان لهذا لا يمكن أن يحصل بهذه البساطة كما تقدم يقول مولوي:

في نفسك افعى في غاية الضخامة من قال انها ماتت
فانها في ذبول من غم العجز (عن الوسيلة)

---

(٦) لب اللباب/٥٥.

ولو أنها وجدت الوسيلة فإن فرعونها الـذي اختارت الإنـزواء بأمـره يقيم عندها مؤسسة فرعونية تقطع طريق مائة موسى ومائة هراون» .

* * *

يمكن القول بجرأة أن سبب أكثـر ابتلاءات المجتمـع ومشاكله هـو عدم الإخلاص وفقدان التفكير بأن يكون الشخص إلّهياً .

والاختـلافات المـوجودة في بعض الأمـاكن بين المسؤولين الـروحـانيين وغيرهم سببها هو هذا الأمر وعلى الأقل فإن أحد الـطرفين ـ واحيانـاً كلاهمـا ـ ليس مخلصاً .

* يقول الامام الصادق (عليه السلام) :

اذا رأيتم العـالم محباً للدنيـا فاتهمـوه على دينكم فإن كـل محب لشيء يحوط ما أحبّ[٧] .

لو أن أولئك الذين ليسوا أهلاً لمواقعهم ومراكزهم تنحوا جانباً . وسلموها لأهلها ، لما كنا اليوم ابتلينا بكل هذه التعاسة :

خـلق الله لـلحـروب رجـالاً ورجـالاً لـقـصـعـة وثـريـد

* التحية والسلام لروح المرحوم آية الله العظمى الميلاني الطاهرة الذي كان قد روض نفسه ، وأعرض عنه المنصب والموقع ، وكتب في رسالة له الى الامام الخميني بمناسبة ابعاده الى تركيا ما يدل على حبه الكبير لهـذا الوجـود المقدس وتضامنه معه جاء في الرسالة :

هنيئـاً لتلك الأرض السعيـدة بتشـريف سمـاحتـك فيهـا ، قلوب جميـع المؤمنين تتطلع إليك ، فإنه تعالى جعل أفئدةً من الناس تهوي إليك ، والكـل يدعون لك بالنصـر والتأييـد ، فانت اللسـان الناطق لكـل المحافـل الروحـانية والـدينيـة وقـولـك كـلام الحق والحقيقـة إن طـريقـك ـ وأنت وارث الأنبيـاء

---

(٧) منية المريد/ ٤٦ ومعالم الدين/١٢ المقدمة .

(عليهم السلام) هو الطريق الذي عينه الله للأنبياء أولي العزم وأئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام[٨] .

ومن المناسب هنا الإشارة الى أن المرحوم آية الله الميلاني كان يهتم اهتماماً خاصاً بالمدرسة الحقانية[٩]في قم والشهيد بهشتي والشهيد قدوسي اللذين كانا مسؤولي تلك المدرسة وكان مستعداً أن يؤمن ميزانيتها دون أن يتدخل في برامجها ليتمكن المسؤولون من التخطيط لها كما يشاؤون. . . وهذه من خصوصياته. . . أي انه كان مستعداً أن يتم عمل بمساعدته دون أن يذكر اسمه أبداً .

* يقول العالم المستنير المرحوم آية الله السيد حسن النجفي القوچاني (رضوان الله عليه):

الطالب يجب أن يدرس لله ، يعني أن يدرس من أجل انقاذ الجهال وهدايتهم وارشادهم ، أن يحرر عباـ الله من ورطة الجهالة والضلالة ، إن الله يحب مثل هذا الطالب . اذا درس بنية أموال الدنيا والرئاسة الدنيوية وغلبة الأمثال والأقران فإنه لن يحمل نفسه جهد فهم شيء ولا يكون بصدد ذلك. . . بل يقنع بأربع كلمات براقة يمكنه أن يقنع بها الجهال ولذا فإن المتظاهرين بالقداسة ، الذين يسلكون طريق التدليس ليسوا علماء ولا يمتلكون المعارف اليقينية ، والحال أن أوّل الدين معرفة الله ، ووسط الدين معرفة الله ، **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[١٠]أي ليعرفون .

* هذا النوع من الناس باعة الدين وقطاع الطرق يجب حتى الامكان الحد من نفوذهم ولا يصح أن يُعلّموا شيئاً لأنه كأعطاء السلاح الى السارق وعدو الدين .

---

(٨) بررسي وتحليلي أز نهضت امام خمينين ج ١/ ٧٤٩ .

(٩) المدرسة الحقانية مدرسة كانت قبل الثورة الاسلامية مركزاً للطلاب المجاهدين في خط الامام القائد (قدس سره) .

(١٠) الذاريات/ ٥٦ .

* إن تعليم مثل هؤلاء أسوأ من بيع الأسلحة ، الى الكافر الحربي بل إن إعـطاء إجـازة الاجتهـاد لهم ـ ولـو كـانـوا مجتهـدين ـ أسـوأ من المحـرمـات الشديدة[11] .

* هذا العالم الكبير الذي يخشى الله ، يؤنّب بشدة بعض المتبوئين بدون كفاءة لمنصب المرجعية المتصدين لهـذه المسؤولية ويـوضح مـا دار بينه وبين بعض أصدقائه بهذا الصدد كما يلي :

ياسيد بهبهاني (رفيق السيد النجفي) عندما سافرنا الى الكاظمية للجهاد ، وكنت جنابك مـوجوداً ، عنـدما بـدأ الحجاج يـأتون فـوجاً فـوجاً رأيت اشيـاء أذهلتني .

* يقول الإمام الصادق (عليه السلام) اذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم[12] .

وأيضاً رأوا وفهموا أنه يقول «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لـدينه مخـالفاً لهـواه مطيعـاً لأمر مـولاه فللعوام أن يقلدوه[13]وهؤلاء يعتبـرون أنفسهم مراجع تقليد والحال أنهم يسيرون على خلاف هذه الأوصاف. . . ولو أنهم من عوام الناس كنا قلنا (. . . .) لكن كلاً منهم يقرع طبل «لمن الملك» .

والمضحـك هنا ، أنـه رغم وجود خمسـة أو ستـة أشخـاص من الشيبـة العريقين من مراجع التقليد ، رأيت عشرة الى خمسة عشـر من فضلاء تـلامذة المرحوم الآخوند ، يقومون بمحاولات ويبذلون جهوداً ـ ومـا يزالـون ـ ليحتلوا مـرتبة الافتـاء والتقليد. . . حتى يصـل إليهم سهم الامام والأحـوال الشـرعيـة الأخـرى ويصبح لهم الاسم والشهـرة مع أن القضـاء والفتـوى من الـواجبـات الكفائي وبوجود شخص تسقط عن الآخرين .

---

(١١) سياحة في الغرب مقدمة ، ٣٠ ـ ٣١ وانظر سياحة في الشرق/٥١/٥١٢ .

(١٢) المعالم/١٢/ المقدمة .

(١٣) وسائل الشيعة ج ١٨/ ٩٥ الحديث رقم ٢٠ .

في الحديث فر من الفتوى كما تفر من الأسد . . . ومن البديهي أنه مع وجود هؤلاء الشيبة لن يصفو الأمر لهؤلاء الاحداث ، إذن لا بد وأن يسقطوا أولئك من ذلك المقام الشامخ ، إما بالذم والتهمة والافتراء والغيبة أو باللعب ، وإقامة مجلس الفاتحة عن أرواحهم ، وإذا لم يتسنّ ذلك فبالاعتراض على الله في إبقائهم وبث الشائعات في القال والقيل والكفر. . . وهذا لا يحتاج الى همة كبيرة! .

* قال السيد بهبهاني : أنا لا أرتضي هذا الحديث لأنه تضييع للنوع (حرب على الصنف) وإن شاء الله نياتهم سليمة .

* قلت: يا سيد بهبهاني أصالة الصحة هذه ، وأصالة الحسن ، إنما هي في الأعمال الفردية والأمور الدنيوية وبشرط أن تكون من العارف النوعي (من يحتمل معرفته عادة) مثلاً: اذا صدر عقد نكاح أو عقد بيع من شيخ أو مقيم في المدينة ممن يعرف المسائل عادةً (نوعاً) (ونشك في هذا العقد) يجب أن يقال: إن شاء الله صحيح ، وكذلك إذا شرب مسلم مائعاً ، وحصل احتمال أن يكون هذا المائع خمراً هنا يجب أيضاً أن يقال: لم يصدر منه عمل شيء ويده وفمه طاهران .

وأما ما نحن فيه فليس من هذا القبيل. . . المسألة (هنا) مسألة ارشاد المسترشد وهداية الضال والطريق طريق الآخرة وفضلاً عن ذلك فإن الامام الصادق (عليه السلام) نصب ميزاناً للمفتي والهادي والمرشد وحدد أوصافاً لهم وإذا سألك عوام الناس فمن الواجب أن تجيبهم وإذا كان بين المسؤول عنهم اعلم عادل فيجب عليك أن تبيّن للناس منزلته وتنهاهم عن غيره إذ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروع التولي والتبري والأصل والفرع ، الأربعة جميعاً واجبة .

هنا مقام عنقاء اليقين الشامخ ومجال «أصالة الصحة» مساحة صغيرة ويمكن القول: أيتها البعوضة انها ساحة العنقاء وليست مجالك . بعبارة أخرى: مقام الخلافة لا يمكن إثباته «بأصالة الصحة» وكلامك هذا أشبه ما يكون

باستخارة الاعرابي في الصحراء لتعيين مقلده. . . لا شورى الأول التي رفضت النصوص المتواترة والآيات المحكمة ولا هذه السذاجة. . . أي تعيين المقلد بالاستخارة. . . علماً بأن هذا يمكنه أن يعتذر بشيء فيقول إنه بدوي وصحراوي ، وأما أمثال جنابك مع هذا الفضل والكمال ودخان المصباح واللحية والعمامة فلا يصح منك أن تفهم هذه المسائل هكذا ، ولا ينبغي أخذ المطلقات الواردة على اطلاقها ، مع وجود المقيدات العديدة ، عقلاً ، ونقلاً ، لأن من البديهي أن إطلاق «فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا» لا تشمل الأشخاص الذين يعملون بهوى النفس لا بالأحاديث ، بل أن «رواة الأحاديث» مقيدة «بالعاملين بها» ومن الواضح جداً أن الفتاوى والاحتياطات التي يكتبها طالبو الرئاسة في الرسالة ـ إنما يكتبونها ـ فقط للمقلِّد أما هم فكما رجحا لا يعدون أنفسهم (في الموجودين) ولا يعتبرون أنهم مسؤولون عن العمل بتلك المسائل .

هذا النوع من العلماء غارقون جداً بحيث أنهم لا يفكرون بالتدقيق ليفهموا أن حساباتهم حجة ام خاطئة وأنهم هم المسؤولون عن العمل بأحكام الشرع أم لا . . . مثلاً يفتون أن الرشوة حرام وينقلون للمقلدين عن النبي (ص) أن : «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ولا يعدون أنفسهم في عداد أمة رسول الله فيأكلون الرشوة ويحبون الدنيا ولا ينتظر من حمار الشيطان ـ بل وأسوأ ـ أن يعتبر نفسه من المكلفين مع أن مقتضى كبرى دليله الإجتهادي التي هي : كلما أدى إليه ظني فهو حكم الله في حقي وحق ومقلدي ، إنه هو أول مكلف .

إذن يا سيد ساوه جي (احد رفاق السيد النجفي) تبيّن أن هؤلاء اكثر غفلة من الغافل. . .

* قال السيد بهبهاني : لا بد أن لهم توجيهاً لأعمالهم التي تبدو في ظاهرها سيئة. . . طبعاً خالطوا لها قباءً ووضعوا على رأسها قبعة (كناية عن أنهم تحاشوا الحرام) كيف يمكن أن يرتكبوا الحرام جهاراً نهاراً؟

قلت : طبعاً سيضعون على رأس أعمالهم قبعة أمام العوام كما قال شريح

القاضي: قتل الحسين بن علي بسيف جده...

إنهم يختلقون أعذاراً أقبح من الذنب كعذر جحا عندما أرادوا استعارة حبله فقال: فرشت «القمح» عليه قالوا: القمح لا يفرش على الحبل قال: أردتم عذراً وقد أتيت لكم بعذر... علماً بأنه هو أقرّ بأن عذره ليس مقبولاً... ولكن اذا اجترأ أحد واعترض على هؤلاء العلماء يصبح خارجاً من ربقة الاسلام ومهدور الدم! وبالاضافة الى ذلك فإن عوام هذا العصر يقلدون هذا المرجع لمجرد تحقيق اهدافهم الفاسدة، واذا لم يفْتِ المرجع طبق اهدافهم فإنهم سيهربون (منه).

إذن... ومن أجل استمالتهم وحتى لا ينصرفوا الى مكان آخر. وشخصٍ آخر فلا بد أن يمضي المرجع أغراضهم الفاسدة بل ويذيلها بإمضاء الله والرسول... وعليه فإن جناب هذا المرجع باطناً مقلِّد للأهواء النفسية لأولئك العوام... وفي الحقيقة تتم «القاعدة بينهما (التقليد من الطرفين)[١٤].

* مقتطفات من كلام الامام الخميني:

«تعفن العالم يجعل العالم متعفناً، في جهنم يلوذون من عفن العالم بالنار وهذا التعفن هو الاهتمام بالدنيا... لتتيقظ الحوزات العلمية التقوى، التقوى، التقوى، اجعلوها نصب أعينكم أيها الفضلاء، يا طلاب العلوم الدينية التقوى، التقوى تنزيه النفس مجاهدة النفس[١٥]

«اذا ابتلي الانسان بمرض الدنيا وحب الهوى واستولى حب الدنيا على

---

(١٤) سياحة في الشرق ٥٠٩ ـ ٥١٥ بتلخيص، وتصرف يسير، ومن الجدير بالذكر أن ما كتبه هذا العالم الواعي والموقن بالمعاد منسجم مع ما كان عليه الأمر في عصره قبل سبعين عاماً وهو يقصد فقط الباحثين عن الشهرة والموقع الاجتماعي وليس مراده المخلصين الواعين والمجاهدين المقاومين الثابتين في طريق نصرة الدين... فإن السيد النجفي نفسه يمدح في كتابه هذا النوع من العلماء ويثني عليهم أيمّا ثناء.

(١٥) من اقوال الامام سنة ١٣٥٧ هـ. ش «إمام وروحانيت» ٢٧٠/٢٧٥.

قلبه يتأذى من غير أهل الدنيا وما فيها ، العياذ بالله يضمر العداء لله وعباد الله والأنبياء والأولياء الإلّهيين وملائكة الله ويشعر تجاههم بالحقد والبغض وعندها ، عندما تأتي الملائكة بأمر الله لقبض روحه ينفر منهم بشدة لأنه يرى أن الله وملائكة الله يريدون أن يفصلوه عن محبوبه ـ الدنيا والأمور الدنيوية ـ ومن الممكن أن يغادر الدنيا وهو معادٍ للحق تعالى ، واذا كان حب الدنيا وحب النفس يتغلب عليكم ولا يدعكم تدركون الحقائق والواقعيات تخلصون اعمالكم لله ويحول بينكم وبين التواصي بالحق والصبر وتشد طريق هدايتكم فأنتم واقعون في الخسران إنكم حينذاك ممن «خسر الدنيا والآخرة» لأنكم خسرتم شبابكم وبقيتم محرومين من نعم الجنة والمزايا الأخروية ومع ذلك فليس لكم من الدنيا شيء ، الآخرون اذا لم يكن لهم طريق الى الجنة فلهم دنيا ما على الأقل يتمتعون بالمزايا الدنيوية ولكن أنتم ! ! !

احذروا ان يزداد حب الدنيا ـ لا سمح الله ـ في قلوبكم بالتدريج ويصل الأمر الى أن يستطيع الشيطان أن يسلب إيمانكم ، ءإذا كان فيكم علقة ارتباط بالدنيا فاجهدوا أن تقطعوها . . . هذه الدنيا بكل زخارفها واغراءاتها الظاهرية أحقر من أن تستحق المحبة فكيف عندما يكون الإنسان محروماً من مظاهر الحياة هذه وماذا لكم من الدنيا حتى تتعلق قلوبكم بها . . أنتم والمسجد والمحراب والمدرسة أو زاوية البيت (ليس لكم غير ذلك) فهل من الصحيح أن تتنافسوا مع بعضكم على المسجد والمحراب وتوجدوا الاختلاف وتفسدوا المجتمع .

انتم اذا خلصتم نياتكم وأصلحتم أعمالكم وأخرجتم من قلوبكم حب النفس والجاه فإن المقامات العالية والدرجات الرفيعة تنتظركم إن المقام المعد لعباد الله الصالحين لا يعادل في مقابله جميع الدنيا وما فيها ـ رغم مظاهرها المصطنعة شروى نقير .

اجهدوا أن تصلوا الى مثل هذه المراتب العالية . . . واذا استطعتم أن ترفعوا من مستوياتكم بحيث تصبحون لا تهتمون بهذه المقامات ولا تعبدون الله

للوصول الى هذه الأمور بل. . . ادعوه واسجدوا له ومرغوا رؤوسكم بالتراب لأنه أهل للعبادة والكبرياء. . . عندها تتمزق «حجب النور» وتصلون الى «معدن العظمة»[١٦] فهل تستطيعون يا ترى بهذه الأعمال والأفعال التي تقومون بها. . . بهذا الطريق الذي تسلكون أن تصلوا الى مقام كهذا[١٧] .

* اجتناب المرجعية:

يقول النبي الأكرم (صلوات الله عليه وآله): من تقدم على قوم من المسلمين وهو يرى من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين[١٨] .

ويقول الامام الصادق (عليه السلام):

من دعا الناس الى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال .

الدعوة الى «النفس» لها مصاديق كثيرة ولأسباب يصرف النظر عنها هذا فلندعها ولنمض:

«عتابنا ليس عتاباً للذئب إذ أن كل هذا الظلم مصدره الراعي» .

«متى تستقيم السطور والحال أن الاعوجاج في المسطرة[١٩] علماؤنا السابقون الذين تحلوا بتربية دينية سليمة وكانوا يدرسون علم الأخلاق وتهذيب النفس وكانوا علماء في هذا المجال لكانوا يحتاطون أشدّ الاحتياط في التصدي للمسؤوليات الدينية. . . ولم يكونوا فقط يجتنبون التصدي للحصول على مقام

---

(١٦) اشارة الى ما في المناجاة الشعبانية: حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور وتصل الى معدن العظمة الخ مفاتيح الجنان/١٥٥ .

(١٧) «جهاد أكبر» الملحق بـ «ولايت فقيه/٢٥٢/٢٥٦ ملخصاً .

(١٨) الغدير ج ٨/٢٩١ نقلاً عن التمهيد للباقلاني .

(١٩) ينبغي التنبيه على أن المراد بيانه هنا (هو) أن تسلل بعض غير الأكفاء الى هذا الموقع المقدس والخطير تترتب عليه هذه المفاسد علماً بأن تاريخ المرجعية يشهد بأن أمثال هؤلاء يفتضح أمرهم عادة ويفقدون ثقة الناس بهم وليس المراد ابداً المسّ بكرامة هذا الموقع الذي هو استمرار لولاية المعصوم عجل الله تعالى فرجه الشريف .

وموقع بل إنهم كانوا عندما تتوجه الأنظار إليهم شكل طبيعي يرفضون (الزعامة) ويستكشفون عنها خاصة في شأن المرجعية الخطير وحماية الدين وحفظ نواميس الله .

علماء الشيعة الذين روضوا أنفسهم ، والعارفون بالله ، والموقنون بالمعاد العلماء المتبصرون الذين لم يكن حب الدنيا والرئاسة قد أعمى قلوبهم لم يكونوا على استعداد ان يضحّوا بمصالح الامة من اجل أربعة أيام من الرئاسة. . . كانوا يعلمون جيداً أن اموراً كثيرة ـ غير الفقه المدوّن والذهني ـ لا بد من توفرها في التصدي للمسؤوليات الدينية وهي عبارة عن الفقه الخارجي العيني والعملي وكثير من المعلومات. ومن هنا لم يكونوا يتصدون ببساطة لاحراز هذه المواقع والشواهد على ما ذكر كثيرة»[20] .

واليك بعض النماذج :

١ ـ الامام الخميني (قدس سره) :

منذ شبابه حيث بلغ مرتبة الاجتهاد والى اليوم وقد استوى على كرسي القيادة لم يخطي أية خطوة في التعريف بنفسه والحصول على مقام وموقع ولم يصرف الأموال الشرعية وحقوق الكادحين والمحتاجين في الترويج لاسمه والتوصل الى المنصب ولم تصدر عنه دعايات شخصية وهو من حيث المبدأ يتنفر من بساط الرئاسة ومقام المرجعية كما يتنفر الإنسان من الميت المتعفن وفي الحقيقة أن المرجعية والرئاسة هي التي جاءته تسعى إليه ولا تتركه ولولا أن الإحساس بالخطر على المجتمع الاسلامي يمنعه من ترك قيادة هذه القافلة المنهوبة والحيرى. . . فلم يكن أبداً ليطأ هذه الوادي كما فعل طيلة ستين سنة من عمره ولم يقم بأية خطوة في طريق الحصول على منصب ، فلم يكن يسمح بطبع صورته ورسالته حتى بدء الثورة حيث طبعها الناس ونشروها علماً بأنه لم يسمح بطبع رسالته العلمية أبداً حتى كثرت المطالبة بذلك من المقلدين وعلت

(٢٠) بيداء گران أقاليم قبلة/١٢٦ .

أصواتهم ، ولم يصرف في طبعها شيئاً من بيت المال. . . بل إن أول طبعة جمعت كلفتها من الناس وطيلة الفترة التي كان فيها الامام في قم لم تعط نسخة واحدة منها إلى أحد مجاناً وأصلاً لم يكن يوجد في بيته من نسخها(٢١) .

* جاء في بعض المجلات نقلاً عن أحد تلامذة الامام: قبل وفاة المرحوم آية الله البروجردي سنوات عديدة كان الامام قد كتب حاشية على «الوسيلة» و«العروة» ومع أننا كنا نتردد الى منزله كثيراً فلم نكن نعلم أن له حاشية على هذين الكتابين مع أن هذه الأمور لها حساباتها عند من يريد أن يصبح مرجعاً يعني إذا أراد أحد المرجعية فإنه يخبر المقربين فيه على الأقل ـ بأنه كتب هذه الكتابات. . . إلا أن الامام لم يخبرنا بذلك ولو تلميحاً. . وكنا أحياناً نسأله عن فتواه في مسألة ما فيجيب ببيان رأيه دون أن يشير الى حاشيته على «العروة» او «الوسيلة» ولم نعلم بها الا بعد وفاة المرحوم آية الله البروجردي وذلك أيضاً بعد أن راجعه الطلاب بهذا الصدد وطلبوا منه ذلك .

*** جاء في بعض الصحف عن احد المقربين الى الامام:**

بعد وفاة المرحوم آية الله البروجردي ورغم أن الدرس الأول في حوزة قم كان درس الامام ، ألا أنه لم يكن يفكر بالمرجعية ، حتى أنه لم يكن يشترك في المجالس والمحافل ، التي كانت تعقد في قم .

ذات يوم اقترح عليّ احد محبّي الامام وتلامذته أن اذهب الى سماحته لعلي أحصل على موافقته على طبع رسالته. . .

كان الوقت صباحاً دخلت منزل الامام. . . كان الامام جالساً على بساط وكان زميلي تحدث في أن المجتمع اليوم بحاجة لكم. . . ومن شدة حبه للامام قال كلمة لعلها كانت لغوّاً. . . أتذكر جيداً أن وجه الامام احمر فجأة وقال: «كلا ليس كذلك إن الإسلام ليس متوقفاً علي» .

---

(٢١) بررسي وتحليلي أز نهضت امام خميني ج١/٢٨ بتصرف يسير .

وحتى حاشية العروة الوثقى قام عدد من الطلاب بطبعها على نفقتهم. . . إلا أنهم احتاجوا مبلغاً من المال. . فقلت للمرحوم إشراقي (صهر الامام).

اذا امكنك أن تأخذ بقية المبلغ من الامام. . وبعد عدّة أيام أجاب بأن الامام قال: «انا لم اقل اطبعوها».

* وبعد وفاة المرحوم آية الله الحكيم ليلاً أعلن نبأ وفاته من المكبرات. . . تلك الليلة كان الامام (في النجف) على السطح يقول أحد الأخوة: سمعت صوت بكاء الإمام، ورأيته جالساً يبكي، وفيما بعد قال الامام: أحضروا الجميع وقولوا لهم: ليس لكم الحق أن تدافعوا عني وأن تذكروا اسمي في أي مجلس حتى اذا تلقى مصطفى (ابن الامام) صفعة على اذنه واذا سبوني فلا تقولوا شيئاً. . .

وعلى الرغم من وجود اشخاص كانوا يرسلون من يقومون بحملات دعائية لهم، الى هذه الجهة، وتلك، فان الإمام كان موقفه كما ذكر. . بحيث أنه لم يكن يرضى أن يدعى الى مرجعيته، وفي تلك الأيام كان أشخاص من الموصل وكركوك يزور الإمام ويسألونه: من نقلد؟ فيقول: من كنتم تقلدون. . ويجيبون: السيد الحكيم. . فيقول الإمام: ابقوا على تقليد السيد الحكيم.

نعم من كان مع الله كان الله معه. . . ومن هنا نرى اليوم أن الله العلي وهبه قدرة وشوكة لا نظير لها بين علماء الشيعة من الغيبة الكبرى وحتى عصرنا الحاضر.

* جاء في سيرة السيد بن طاووس عليه الرحمة: على الرغم من أنه كان اهلاً للافتاء والمرجعية فلشدة تقواه لم يفْت أبداً ولم يتصدَّ للمرجعية.

* وحول الميرزا الشيرازي الكبير جاء أن طلاب الشيخ الأنصاري بعد وفاة الشيخ اختاروه للمرجعية وأصروا عليه اصراراً كبيراً حتى أقنعوه بقبول هذه المسؤولية فجرت دموعه على خديه ولحيته المباركة ثم أقسم أنه «لم يخطر في ذهني أبداً أني احمل عبء هذه المسؤولية العظيمة».

وهذه الجملة القصيرة من الميرزا الكبير جديرة بالتأمل جداً ، وينبغي على طلاب العلم أن يقتدوا به ويفكروا كما كان يفكر .

٢ ـ الشيخ الأنصاري وسعيد العلماء رحمه الله:

أمر المرحوم صاحب الجواهر في أيامه الأخيرة بعقد اجتماع يضم جميع علماء النجف من الطراز الأول. . . وعقد المجلس المذكور بحضور صاحب الجواهر إلا أن الشيخ الأنصاري لم يكن موجوداً .

قال صاحب الجواهر: أحضروا الشيخ مرتضى ايضاً (الأنصاري) وبعد البحث عنه كثيراً وجدوا الشيخ في زاوية من حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) متوجهاً نحو القبلة يدعو لصاحب الجواهر بالشفاء. . . وبعد دعائه أخبروه بالأمر فمضى للاشتراك في ذلك المجلس .

اجلس صاحب الجواهر الشيخ بجوار فراشه وأخذ يده ووضعها على قلبه وقال: «الآن طاب لي الموت» ثم قال للحاضرين: «هذا مرجعكم من بعدي» ثم توجه الى الشيخ الأنصاري وقال له: «قلل من احتياطك فإن الشريعة سمحة سهلة» وانتهى المجلس ولم يلبث صاحب الجواهر أن التحق بالرفيق الأعلى وجاء دور الشيخ مرتضى في تولي قيادة الأمة ولكنه بالرغم من أن اربعماءة مجتهد مسلم باجتهادهم اعترفوا بأعلميته[٢٢]امتنع عن الافتاء وقبول المرجعية وكتب رسالة الى «سعيد العلماء» المتوفي حوالي ١٢٧٠ ـ هـ الذي كان آنذاك في ايران وكان الشيخ زميله في الدراسة في كربلاء وكان يرى أنه أعلم منه ـ كتب إليه رسالة بهذا المضمون: عندما كنت في كربلاء ، وكنا ندرس معاً على «شريف العلماء» كنت اكثر مني فهماً واستيعاباً والآن ينبغي أن تأتي الى النجف وتقوم باعباء هذا الأمر فكتب إليه «سعيد العلماء» في الجواب بما حاصله: لقد بقيت انت خلال المدة الماضية في الحوزة مشتغلاً بالتدريس والمباحثة ، وبينما

---

(٢٢) علماي معاصرين ٦١ نقلاً عن زندگاني شيخ انصاري .

انشغلت أنا بأمور الناس ، ولذا فأنت أحق مني بهذا الأمر . . .

وبعد وصول الجواب تشرف الأنصاري بزيارة حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وطلب من ذلك الامام العظيم أن يعينه بإذن الله تعالى في هذا الأمر الخطير ويسدده(٢٣) .

* بكاء الشيخ الأنصاري رحمه الله:

يقول احد خدم حرم امير المؤمنين (عليه السلام): «كالعادة ذهبت الى الحرم الشريف قبل طلوع الفجر ساعة . . . فجأة سمعت من شرقي الضريح المقدس صوت بكاء عالياً متفجعاً ونشيجاً متحرقاً . . . تعجبت كثيراً . . صوت من هذا؟ هذا البكاء المشجي من أين؟

في هذا الوقت عادة لا يأتي الزوار إلى الحرم . . .

وفيما كنت افكر في ذلك ، كنت أتقدم قليلاً قليلاً لأرى ما الخبر . . فجأة رأيت الشيخ الأنصاري رحمه الله وقد وضع وجهه على الضريح المقدس وهو يبكي كالثكلى ويخاطب باللهجة الدزفولية بحرقة وأنين أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً: سيدي ، مولاي ، يا أبا الحسن ، يا امير المؤمنين هذه المسؤولية التي أصبحت على عاتقي خطيرة جداً ومهمة جداً اريد منك أن تحفظني من الزلل والخطأ وعدم القيام بواجبي ، وأن ترشدني دائماً في طوفان الحوادث المؤلمة وإلا فسأهرب من تحمل مسؤولية القيادة والمرجعية ولن أقبلها(٢٤) .

٣ ـ المرحوم آية الله السيد حسين الكوه كمري:

يقال أن المرحوم آية الله السيد حسين الكوه كمري الذي هو من تلامذة صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري وكان مجتهداً مشهوراً وكان درسه من

---

(٢٣) زندگاني شيخ أنصاري /٧٣/ ٧٤ والكلام يجرّ الكلام ج١ /١٢٧ .
(٢٤) المكاسب ج١ /١٢٣ المقدمة ط كلانتر .

الدروس الأساسية ومن الواضح أن درس الخارج في الفقه والأصول تمهيد للرئاسة والمرجعيّة ، والمرجعية لأي طالب هي بمعنى أنه ينتقل دفعة واحدة من الصفر الى ما لا نهاية. . . وعليه فالطالب الذي له حظ في المرجعية يجتاز مرحلة حساسة ـ هي مرحلة تدريس الخارج ـ وكان السيد الكوه كمري في مثل هذه المرحلة ـ .

ذات يوم كان عليه الرحمة عائداً من مكان ـ مثلاً من زيارة شخص ـ لم يكن قد بقي الى حين درسه اكثر من نصف ساعة. . . فرأى أن الوقت لا يتسع للذهاب الى البيت. . . ولذا فضّل أن يجلس في المسجد بانتظار موعد الدرس ، دخل المسجد ولم يكن قد حضر أحد من طلابه. . . رأى في زاوية المسجد شيخاً عادياً جداً جلساً مع عدة طلاب يدرسهم ، استمع المرحوم السيد حسين الى درسه. . وبمنتهى الغرابة رأى أن هذا الشيخ العادي قمة في التحقيق. . . حمله ذلك على أن يأتي في اليوم التالي مبكراً عمداً ويستمع الى درسه. . . جاء واستمع فازداد اقتناعاً بانطباعه الذي كونه في اليوم الماضي. . . وتكرر ذلك لعدة أيام. . . فحصل للمرحوم السيد حسين اليقين بأن هذا الشيخ أعلم منه وأنه يستفيد من درسه وأنه إذا حضر تلامذته درس هذا الشيخ فسيستفيدون اكثر. .

هنا رأى نفسه مخيراً بين التسليم والعناد ، بين الايمان والكفر ، بين الآخرة والدنيا ، وفي اليوم التالي عندما جاء طلابه إجتمعوا قال:

أيها الأحبة. . أريد اليوم أن أقول لكم شيئاً جديداً: هذا الشيخ الجالس في ذلك الجانب مع عدة طلاب أحق مني بالتدريس وأنا أستفيد منه والآن نذهب كلنا الى درسه ، والتحق بحلقة درس الشيخ العادي المستضعف الذي كانت آثار الفقر بادية عليه هذا الشيخ الرث اللباس هو الذي عرف فيما بعد باسم الشيخ مرتضى الأنصاري الدزفولي «واستاذ المتأخرين» .

وكان الشيخ آنذاك قد عاد لتوه من سفر استمر عدة سنوات الى مشهد واصفهان وكاشان وكان قد حصل من هذا السفر على زاد وافر خصوصاً من

محضر المرحوم الشيخ أحمد النراقي . . مثل هذه الحالة في أي شخص وجدت فهو مصداق «اسلم وجهه لله»(٢٥) .

ومن الجدير بالذكر أن الشيعة الأتراك قلدوا المرحوم الكوه كمري بعد وفاة الشيخ الأنصاري(٢٦) .

٤ ـ آية الله السيد محمد فشاركي:

عندما جاؤوا إليه بعد وفاة الميرزا الشيرازي الأول لقبول المرجعية قال: «لست أهلاً لذلك لأن الرئاسة الشرعية تحتاج الى امور غير العلم بالفقه والأحكام ، من السياسات ومعرفة واقع الأمور وأنا رجل وسواسي في هذه الأمور ، فإذا دخلت في هذا المجال أفسد ولا أصلح ، ولا يسوغ لي غير التدريس» وهكذا أرجع هذا العالم المروض نفسه ، الناس الى الميرزا محمد تقي الشيرازي(٢٧) .

* ميزات الأعلمية:

أورد آية الله المرحوم السيد أحمد الزنجاني رحمه الله قال ابن المرحوم السيد محمد فشاركي رحمه الله: بعد وفاة الميرزا الشيرازي الكبير أرسلني والدي الى المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي ـ الميرزا الصغير ـ لأقول له: إذا كنت تعتبر نفسك أعلم مني فتفضل قل ذلك حتى أُرجع زوجتي وأولادي إليك في التقليد ، واذا كنت تعتبرني اعلم فأرجع انت عائلتك إلي في التقليد . .

وعندما نقلت هذه الرسالة إلى الميرزا فكر قليلاً وقال: قل لسماحته هو ما رأيه؟

---

(٢٥) عدل آلهي /٣٤٧ بتصرف يسير والمكاسب ج ١ /١٥٠ المقدمة ط كلانتر .

(٢٦) هدية الرازي/١٩/ والكرام البررة/ ج١/٤٢١ .

(٢٧) لمزيد الاطلاع على ترجمته راجع «ريحانة الادب» ج٤/٣٤١/ والفوائد الرضوية/٥٩٤ .

ونقلت هذا السؤال الذي كان بمنزلة الجواب الى والدي فقال: اذهب وقل له اي شيء تراه أنت ميزاناً للأعلمية... اذا كان الميزان دقة النظر (والتحقيق) فأنت أعلم واذا كان الميزان الفهم العرفي فأنا أعلم وذهبت ثانية إلى الميرزا وابلغته بذلك... ففكر قليلاً أيضاً وقال: سماحته أي الاثنين يعتبره ميزاناً؟ وأبلغت هذا الجواب ـ السؤال ـ ففكر والدي قليلاً وقال بسرور: لا يبعد أن دقة النظر في ميزان الأعلمية وملاكها ثم قال: فلنقلد جميعنا الميرزا الشيرازي(٢٨).

* فرح المرجعية:

كان المرحوم السيد محمد فشاركي أحد اكبر تلامذة الميرزا الشيرازي الأول وكان بعده يعتبر من كبار الفقهاء وهو استاذ المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم واستاذ عدد آخر من الأعاظم.

* يقول المرحوم الحائري: سمعت من استاذي آية الله فشاركي: عندما توفي الميرزا الشيرازي الأول ذهبت الى البيت فرأيت أن في قلبي سروراً... وكلما فكرت فلم أجد مبرراً لذلك فالميرزا توفي، وقد كان أستاذي ومربي، والعظمة التي كان يتمتع بها من حيث العلم والتقوى والنباهة والذكاء عجيبة وقليلة النظر...

يضيف المرحوم الفشاركي وفكرت مدة لأرى أي مكان أصابه الخراب (من أين أتيت) هذا السرور ما سببه؟ وأخيراً وصلت الى هذه النتيجة: لعل سبب السرور أنني سأصبح في هذه الأيام مرجع تقليد.. فنهضت وذهبت الى الحرم وطلبت منه (عليه السلام) أن يرفع هذا الخطر عني.. يبدو أني أحس بميل الى الرئاسة.

بقي الى الصبح في الحرم... وعندما جاء صباحاً الى التشييع رأوا أن

---

(٢٨) الكلام يجرّ الكلام ج١/٢٦٢/٢٦٣.

عينيه محمرتان بشدة. . وكان واضحاً أنه كان طيلة ليلته يبكي . . واخيراً حاول وحاول ولم يخضع لتحمل أعباء الرئاسة .

نعم هكــذا يـراقب رجــال الله أنفسهم ، بحيث أنَّهم يصلون إلى حـد المرجعية والجو مهيّأ تماماً ولكنهم مع ذلك يظلون أكبر من الرئاسة[٢٩] .

٥ ـ الميرزا القمي والسيد محمد المجاهد:

يقال أنه عندما جاء السيد محمد المجاهد ابن صاحب الـرياض الى قم كان المحقق القمي صاحب القوانين قد بلغ آنذاك سن الشيخوخـة فاستضـاف ذات ليلة السيد محمد مع جمع وكانت له معهم مباحثات علميـة. . . في ذلك المجلس قال المحقق القمي: الهدف من دعوتكم هذه الليلة ومن المبـاحثات العلمية ، هو أن سن الشيخوخة ، فتت قواي فأردت أن أتحدث معكم قليلاً ، لتروا هل أن ملكـة الاستنباط مـا تزال مـوجودة في ام لا؟ فقـال السيد محمـد المجاهد: إذا كانت ملكة الاستنباط هي هذه الموجودة فيك فانا وأمثالي ليست لنا ملكة استنباط .

* ونقل عن السيد محمد المجاهد أنه سئل: هل آية الله السيد محمد باقر حجة الاسلام مجتهد أم لا فقال:

شأنه أجل من أن أشهد باجتهاده أنا وأمثالي ، بل اسألوه هل السيد محمد (يعني نفسه) مجتهد أم لا[٣٠] .

٦ ـ السيد محمد مهدي الطباطبائي الأخ الأصغر للسيد محمّد المجاهد):

درس السيد محمد مهدي على والده السيد علي صاحب الـرياض وبـدأ بالتدريس في زمن والده ، وكان تلامذة والده يحضرون درسه الذي كان يشترك فيـه مائتـا طالبـاً ، وقد كـان معترفـاً له من الجميـع بـالاستـدلال ، والنقض ،

---

(٢٩) يادنامه شهيد قدوسي/٢٠٣ .
(٣٠) الوحيد البهباني/٢٦١/ وقصص العلماء/١٤٣/١٢ .

والإبرام ، والجدل ، وكان مجتهداً مطلقاً ، بصيراً ، كاملاً ، وكان يعتبر أهلاً للمرجعية ، ولكنه بالرغم من هذا المقام العلمي الشامخ ، لم يتصد للقضاء ، والافتاء ، مع أنّ الجميع كانوا يعترفون له ، وقد بذلت جهود كثيرة ليقبل استلام الأموال التي كانت تأتي من الهند للساكنين في كربلاء ، ويشرف على صرفها فلم يوافق[٣١] .

والقصة التالية خير شاهد على عظمة السيد محمد مهدي رحمه الله :

* يقول الشهيد الملا محمد تقي البرغاني القزويني رحمه الله : شرفت بزيارة العتبات المقدسة (في العراق) بعد الدراسة في أصفهان وحضرت درس العالم الكبير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض وكان يدرس في اليوم الاول في مسألة «نسخ الوجوب وعدم بقاء الجواز» فنقضت كلامه بالشجرة المقطوعة حيث ذهب «الفصل» وبقي «الجنس» . . . وفجأة تصدى لي شاب لم ينبت الشعر في وجهه بعد ، وكان جالساً بالقرب من السيد وكان يتكلم كلاماً تحقيقياً بمنتهى الفصاحة والبلاغة وطلاقة اللسان ، وكاد أن يلزمني ويتغلّب عليّ ، ولم أكن أتمكن من مجاراته ، فغضبت وقلت : أيها الطفل لماذا تخلط؟ فغضب المرحوم السيد علي وقال : إذا كان عندك شيء فقله طبقاً لقواعد البحث . . إنه وإن كان طفلاً إلا أنه شبل . . . وعندما سألت من هو ذلك الطفل قالوا إنه الإبن المحبوب والخلف الشريف للسيد علي ، عندها سكت ولم أقل شيئاً[٣٢] .

٧ ـ الشيخ محمد ابراهيم الكلباسي رحمه الله:

جاء في ترجمة الشيخ محمد ابراهيم الكلباسي الخراساني (الأصفهاني) أنه كان يقول لم أكن أريد كتابة رسالة عملية لكن الميرزا القمي رحمه الله حكم علي بوجوب كتابة رسالة وبيان فتاواي قلت له : لا طاقة لبدني على جهنم ، وفي

---

(٣١) قصص العلماء/ ١٩ ـ ٢٠ ونجوم السماء/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

(٣٢) قصص العلماء/ ١٩/ ٢٠/ ونجوم السماء/ ٤٠٧/ ٤٠٨ .

النهاية وبناءً على اصراره (وحكمه) كتبت رسالة[٣٣] .

* مع المرحوم ملا صالح المازندراني:

يقول رحمه الله : إنما تصلح الرئاسة لمن يكون حكيماً ، عليماً ، شجاعاً ، عفيفاً ، سخياً ، عادلاً ، فهيماً ، ذكياً ، متواضعاً ، رقيقاً ، رفيقاً ، حيياً ، سليماً ، صبوراً ، شكوراً ، قنوعاً ، ورعاً ، وقوراً ، حراً ، عفوّاً ، مؤثراً ، مسامحاً ، صديقاً ، وفياً ، شفيقاً ، مكافياً ، متودداً ، متوكلاً ، عابداً ، زاهداً ، موفياً ، محسناً ، باراً ، فائزاً بجميع اسباب الاتصال بالحق ، متجنباً عن جميع أسباب الانقطاع عنه[٣٤] .

* انقطاع الإلهام الغيبي:

يقول المرحوم الشهيد قدوسي :

سمعت من السيد البروجردي رحمه الله مباشرةً قوله: سابقاً ، قبل الوصول الى المرجعية والرئاسة كنت أحياناً اسمع صوتاً يرشدني ، ولكني لم أكن أرَى قائله ، هذه الأصوات تكررت كثيراً واستمرت الى ما قبل فترة. . . ومع مجيء أمر المرجعية والرئاسة لم يستمر ذلك الإلهام وانقطع. . . كان المرحوم القدوسي يقول: الملفت أن رئاسة صحيحة مائة في المائة وآلهية كرئاسة السيد البروجردي هي ايضاً مانعة. . فكيف بنا نحن. . . إن لنا حساباً آخر[٣٥] .

* التقوى واجتناب الامامة في صلاة الجماعة:

١ ـ المحدث الجليل القمي :

---

(٣٣) بيدار گران أقاليم قبله ٢١٤/ وقصص العلماء/١١٨ والفوائد الرضوية/١٠ وريحانة الادب ذ/٣/٤٣ .

(٣٤) تحفة العالم في شرح خطبته العالم ج ٢/١٥٧ .

(٣٥) يادنامة شهيد قدوسي/٢٠٧ .

يقول أحد العلماء المعاصرين:

عندما كنت في بداية دراستي، وفي مرحلة المقدمات، كنت اسمع كثيراً اسم المحدث القمي في مجلس والدي المعظم، مقروناً بالإجلال، وعندما تشرفت بالاقامة في مشهد للدراسة، اعتبرت أن زيارته غنيمة كبرى، وطيلة عدة سنوات من معاشرة هذا العالم المؤمن وبعد التعرف الى مراتب علمه وعمله وعبادته وتقواه عن قرب كان إكباري له يزداد يوماً بعد يوم..

في أحد الشهور الرمضانية طلبت منه ـ مع عدة من الاصدقاء ـ أن يمن على المؤمنين والمحبين باقامة صلاة الجماعة في مسجد «كوهرشاد» وبعد إصرار والحاح، قبل هذا الاقتراح... وأقام صلاة الظهر والعصر لعدة أيام في أحد أقسام المسجد...

وكان عدد المصلين يزداد يوماً بعد يوم... ولم تمض عشرة أيام حتى كان الخبر قد انتشر وأصبح عدد الحضور كبيراً جداً وغير اعتيادي..

وذات يوم بعد إتمام صلاة الظهر قال لي وكنت قريباً منه.. أنا لا استطيع اليوم أن أصلي العصر ثم ذهب ولم يعد تلك السنة الى صلاة الجماعة.. وعندما التقيته وسألته عن سبب ترك صلاة الجماعة قال:

الحقيقة اني في ركوع الركعة الرابعة سمعت صوت المقتدين خلفي يقولون: «يا الله يا الله إن الله مع الصابرين» وكان الصوت يأتي من مكان بعيد جداً... جعلني هذا أنتبه الى زيادة عدد المصلين بنسبة كبيرة ففرحت لأن المجتمعين كثيرون الى هذا الحد... وبناءً عليه فلست أهلاً للإمامة[٣٦].

والطريف أن المحدث القمي هو ذلك الذي كان في النجف الأشرف في احدى ليالي الجمعة يقرأ سورة يسّ بعد صلاة الليل وعندما وصل الى هذه الآية الشريفة: ﴿**هذه جهنم التي كنتم توعدون**﴾ كرر تلك الآية عدة مرات ثم جعل

---

(٣٦) الفوائد الرضوية/ صفحة ج المقدمة بتصرف يسير.

يكرر قوله: أعوذ بالله من النار ويتغير حاله جداً بحيث أنه لم يستطع إكمال السورة وبقي كذلك حتى أذان الصبح فقام الى الصلاة[٣٧] نعم... وعلى الرغم من هذه التقوى والإيمان الصادق بالله، والخشية منه سبحانه، لا يرى نفسه أهلاً لإقامة الجماعة.. ويعتزلها... هذا هو الانسان المخلص الذي ملك نفسه وبكلمة العالم الرباني وأمثاله.. هؤلاء من كانوا... ونحن ماذا؟ أولئك روحانيون أم نحن؟

٢ ـ الميرزا علي الشيرازي الأصفهاني:

يقول الإستاذ الشهيد مطهري ضمن الثناء على هذا الإستاذ الشهيد الكبير: عندما كان يأتي الى قم كان العلماء من الطبقة الأولى يصرون عليه أن يصعد المنبر ليعظهم كان منبره «حال» أكثر من كونه قال» وكان يجتنب إمامة الجماعة.

في احدى السنوات وفي شهر رمضان الزموه وبعد اصرار كبير أن يصلي جماعة في هذا الشهر في مدرسة الصدر في أصفهان، ومع أنه لم يحضر بانتظام حيث لم يكن يتحمل التقيد بساعة محددة فإن المؤتمين به بلغوا من الكثرة حداً كبيراً. سمعت أن صلوات الجماعة المجاورة لم يبقَ فيها أحد. ولكنه رغم ذلك لم يستمر[٣٨].

٣ ـ المرحوم الشيخ عبد الله الشوشتري:

ذهب المرحوم الشوشتري ذات يوم لزيارة الشيخ البهائي بقي عنده مدة... فارتفع صوت المؤذن قال له الشيخ البهائي: صلوا هنا لنقتدي بكم ونحصل على ثواب الجماعة ففكر المولى قليلاً ولم يوافق أن يصلي في بيت الشيخ بل نهض وذهب الى منزله:

وسئل لماذا لم تجب الشيخ الى طلبه مع أنك تهتم بالصلاة أول وقتها

(٣٧) حاج شيخ عباس قمي مرد تقوا وفضيلت /٦١ ـ ٦٢.
(٣٨) در نهج بلاغة/١٢ المقدمة.

فقال: تأملت نفسي قليلاً فرأيت أن وضعي النفسي يختلف اذا اقتدى بي الشيخ... ولست بحيث لا يكون عندي أي فرق بين اقتدائه وعدمه.. ولذا لم اجبه الى البقاء[٣٩] .

٤ ـ فارابي عصرنا العلامة الطباطبائي رحمه الله:

يقول احد تلامذة العلامة: منذ أيام الدراسة كنت أذهب الى بيت العلامة كثيراً ولم يدعني أبداً أوفق للصلاة خلفه جماعة... بقيت هذه الغصة في قلبي... اذ لم احصل على فيض الإتمام به ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن والأمر كذلك الى أن تشرف في شهر شعبان ١٤٠١ هـ.ق (بزيارة الإمام الرضا (عليه السلام)) في مشهد وصلّ في بيتنا... جعلنا غرفته المكتبة ليستطيع تناول أي كتاب اراد... وحان وقت المغرب... فأخذت سجادتين له ولأحد مرافقيه الذي كان ممرضاً له يسهر على راحته فرشت السجادتين وخرجت من الغرفة ليبدأ هو بالصلاة فادخل الغرفة واقتدي به لأني كنت أعلم أني اذا كنت موجوداً في الغرفة فلن يرضى بالامامة .

ومضى حوالي ربع ساعة على وقت الغروب... سمعت صوتاً يناديني... كان المنادي هو المرافق وعندما جئت قال: إنه جالس هكذا وينتظرك لتصلي .

قبلت انا أقتدي قال: نحن نقتدي رجوته: اطلب متوسلاً تفضلوا أنتم وصلوا صلاتكم قال: نحن نقدم نفس الطلب ، قلت: منذ أربعين سنة وأنا أطلب منك أن أصلي معك صلاةً واحدة وحتى الآن لم أوفق فتفضل بالقبول... وبتبسم محبب قال: سنة أخرى ايضاً فوق تلك الأربعين... والواقع أني لم أجد في نفسي القدرة للتقدم عليه والصلاة واقتدائه بي... فخجلت خجلاً شديداً... وأخيراً رأيت أنه مصرّ على موقفه ولا يتنازل عنه بأي وجه من الوجوه... وليس مناسباً بعد استدعائه لي ـ أن أخالفه وأذهب الى غرفة

---

(٣٩) بيدار گران أقاليم قبله .

أخرى وأصلي فرادى قلت: أنا عبد لك ومطيع إذا أمرتني أطيع. . . قال: آمر؟ ماذا أقول؟ لكن ذلك طلبي. . . فقمت وصليت المغرب واقتدى هو بي. . .

وهكذا وبعد أربعين سنة بالإضافة الى أنني لم أتمكن من الإقتداء به وفي صلاة واحدة وقعت تلك الليلة في مثل هذا الفخ. . . يشهد الله أن قسمات وجهه، وحالة الحياء التي كانت ظاهرة في وجهه أثناء طلبه كانت تخجل النسيم أما صلابته فكانت تذيب الجماد(٤٠).

٥ ـ شريف العلماء رحمه الله:

هذا العالم الكبير الذي كان استاذ الشيخ الأعظم الأنصاري لم يكن يرضى أن يصلي إماماً. . . ولكن عندما أصر عليه الناس ذات مرة وافق وصلى. . . وأثناء الصلاة انصرف ذهنه لا إرادياً ـ الى حل مسألة علمية. . . فلم يصلِّ بعد تلك الصلاة اذ أنه لم يرَ نفسه أهلاً لذلك(٤١).

٦ ـ آية الله السيد صدر الدين الصدر رحمه الله:

هو والد الامام موسى الصدر وأحد ثلاثة مراجع كانوا يتولون ادارة الحوزة العلمية في قم بعد آية الله الحائري وقبل آية الله البروجردي.

«عندما جاء آية الله البروجردي الى قم تنازل له ـ السيد الصدر ـ عن محل اقامته صلاة الجماعة واعتزل أمور الرئاسة الى حد كبير وقال في بيان سبب ذلك. . : **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين(٤٢)﴾**.

* * *

(٤٠) مهرتابان ـ القسم الأول/ ٥٠ ـ ٥٢.

(٤١) قصص العلماء/ ١١٥.

(٤٢) نور العلم ـ مجلة ـ العدد ٧/ ٧٩ وليس كلامه عليه الرحمة تعريضاً بالسيد البروجردي اذ يبدو أن مراد السيد الصدر أن السيد البروجردي جاءته الرئاسة فمن نازعه فيها فهو ممن ﴿يريد علوّاً في الأرض﴾. . . وفساداً، لأن الله اعلم حيث يجعل رسالته ويؤيد هذا أن الوسادة ثنيت للسيد البروجردي ولم تكن قبله مثنية لغيره ـ المترجم ـ.

٧ ـ آية الله الشهيد قدوسي رحمه الله:

جاء في ترجمة هذا العالم الجليل: كان قدوسي يكره الشهرة وحب الشهرة... وكان يعتبر ذلك منشأ سقوط الإنسان.. لم يتول طيلة عمره إمامة الجماعة مرة واحدة.. وفي حدود المستطاع كان يدخل المجالس بهدوء ودون أن يثير انتباه الآخرين ويجلس في آخر المجلس بين الأشخاص العاديين لم يكن يتصدى للوعظ والخطابة إلا إذا أحسّ بأن التكليف الشرعي يفرض ذلك... ونادراً ما كان يوافق على المقابلات الإعلامية (اذاعة وتلفزيون وصحافة) خصوصاً اذا كان الهدف تبرير أعماله والدفاع عنها كان يقول: السقوط من أعين الناس أفضل من السقوط في شرك هوى النفس[٤٣] .

كان الحضور في درس أخلاق الشهيد قدوسي صباح الخميس مرة واحدة ، كافياً ليتهاوى قصر آمال الإنسان ويتيقن أن كل شيء غير الله ، لا قيمة له ، كان يقول بصراحة)

أيها السادة[٤٤]: اذا كنتم قد جئتم لتتعلموا ثم تذهبون لتحاربوا الروحاني في مدينتكم أو قريتكم وتصبحوا أئمة جماعة ليقبل الناس أيديكم ويقتدوا بكم وتجصلوا على اسم ورسم (جاه) ويعطوكم سهم الامام... فالعجل وقبل فوات الأوان وقبل أن تتعاظم مسؤوليتكم اذهبوا وابحثوا عن كسب حلال حتى لا تصبحوا ممن «خسر الدنيا والآخرة»[٤٥] .

* * *

* اخلاص العلامة الطباطبائي رحمه الله:

احدى خصوصيات الاستاذ العلامة الطباطبائي (ره) اخلاصه الكامل والتام

---

(٤٣) يادنامهء شهيد قدوسي/١٣٦ .

(٤٤) المخاطبون هم طلاب العلوم الدينية ـ وكان الشهيد قدوسي يشرف على مدرسة «الحقانية» كما تقدم ـ المترجم ـ .

(٤٥) المصدر المتقدم/١٤٠ .

وشهـرة مؤلفاتـه ، وتربيتـه هذه النـوعية من الـطلاب شاهـد صـدق على هـذا المدعى .

يقول أحد تلامذته في هذا المجال: «. . . ٣ ـ الأمر الثـالث الذي يلفت الانتبـاه من الناحيـة المعنويـة والأخلاقيـة اكثر من الأمـرين السابقين هـو تحرر الاستاذ من أي نوع من أنواع التظاهر بالعلم والمعـرفة ودائمـاً كان محـركه في العمل الإخلاص ورضا الله سبحانه نحن الذين كنا على صلة به اكثر من غيرنا لا نتذكر أنه (ولو مرة واحدة) تحدث في موضوع بحيث تشعر منه التظاهر بالعلم أو انه تحدث في أمر لم يسأل عنه. . .

لو أن شخصاً بقي معـه في السفر لمـدة سنة ولم تكن لـه معرفـة مسبقة بمستواه العلمي لم يكن يتصور أبداً أن هذا الشخص مؤسس طريقة جديدة في التفسير وصاحب اطـروحة في القـواعد الفلسفيـة ومبتكرة لمسـائل جـديدة في الفلسفة واستاذ معترف له في السير والسلوك. . . كان سلوكه بحق طبق مضمون الحديث الذي روي عن جده رسول الله نبي الاسلام العظيم[٤٦] (ص) (أخلص العمل فإن الناقد بصير) .

* اخلاص العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي رحمه الله:

«كان في أعماله شديد التوجـه الى الله سبحانـه ، شديـد الإخلاص في العمل بحيث أنه في بعض كتبه المطبوعة مثل رسالة «التوحيد والتثليث» وكتاب «الرحلة المدرسية» (المطبوع ١٣٤٤ هـ .ق) لم يكتب اسمه بل نشرهما باسم كاتب مجهول وكان يقول: هدفي الدفاع عن الاسلام وآلتشيع والحقيقة وسـواء طبع الكتاب باسمي او باسم آخر فلا فرق ابداً[٤٧] .

«نعم هذا هو شعار المصلحين المؤمنين بقيم الايمان العليا وبهذه الفضيلة والسمـو أصبح البـلاغي في صف الاحرار والخـالدين وهـذا نموذج فمـا يبطل

---

(٤٦) يادنامه علامة طباطبائي /٤٨ .

(٤٧) مشكاة/ مجلة/ ١/ ١٢٦ .

التفسير المادي لحركات الانسان»[٤٨] .

* صاحب الذريعة :

المرحوم الشيخ اقا بزرگ الطهراني صاحب الكتاب القيم «الذريعة» عندما يطلع على عظمة كتاب الغدير للعلامة الاميني ، يطلب من الله أن يهب بقية عمره ، لصاحب الغدير ، لينجز الغدير . وقد كتب في التقريظ الذي حرره في الثاني من شهر رمضان سنة ١٣٧١ هـ .ق للعلامة الاميني ما يلي :

اني قاصر عن وصف هذا الكتاب القيم ، وشأنه ـ الغدير ـ اجلّ وأسمى من أن يوصف ويثنى عليه إن العمل الوحيد الذي يمكنني القيام به أن أدعو الله أن يطيل عمر المؤلف وان يجعل عاقبة أمره خيراً ولهذا فإني ادعو الله مخلصاً أن يضيف بقية عمري الى عمره الشريف ليتمكن من تحقيق كل ما يصبو إليه[٤٩] .

* الحكيم الشهير :

الحكيم الصالح المرحوم الشيخ هادي السبزواري . . . مع أن شؤون الزعامة كانت متوفرة له . . . فقد أعرض عنها كليّاً ، حتى أنه لم يتولّ إمامة جماعة ، ولم يشترك في وليمة ، ولم يخالط زعماء بلده ، ولم تظهر منه أية رغبة في تصدر المجالس والاهتمام بالموائد والدعوات الفخمة وألوان الأطعمة ودعاء قارىء التعزية له وتقبيل العوام ليده . . . كانت حياته عادية جداً بعيدة عن الكماليات ، ولم يكن يعتبر لنفسه ميزة على الآخرين ولم يستغل ابداً احترام الناس الوافر له ، ولم يدخر مالاً ولم يرب أطفاله تربية مترفة ، بل عوّدهم على التواضع ، والإبتعاد عن الرئاسة والزعامة .

---

(٤٨) بيدار گران أقاليم قبله/٢٧/٢١٢ .
(٤٩) مير حامد حسين/١٤٥ بتصرف .

* **صاحب الحدائق:**

يقول المرحوم الشيخ عبد الله المامقاني في رجاله: حكم الوحيد البهبهاني ببطلان الصلاة خلف صاحب الحدائق ، ولكن صاحب الحدائق حكم بصحة الصلاة خلف الوحيد البهبهاني وعندما سئل عن ذلك قال: «تكليفي أن أصحح الاقتداء به ، وتكليفه بمقتضى فتواه أن لا يصحح الصلاة خلفي ، وعدم تصحيحه الصلاة خلفي اجتهاد لا يسقطه عن العدالة» .

وقد تحمل صاحب الحدائق هذا بسبب رواج المذهب الأصولي[٥٠]ويضيف المرحوم المامقاني :

أنظر يرحمك الله تعالى الى هذا الرجل كيف روّض نفسه وطهرها من أرجاس هوى النفس ولمثله يحق اطلاق اسم النائب عن الحجة (أرواحنا فداه) .

«نعم انه وامثاله مصداق «العالم الرباني» لا أولئك الذين هم مصداق هذه الأبيات:

يا من باطنك عار من التقوى   وعليك من الخارج ثوب الرياء
لا تضع على الباب ستاراً ذا سبعة   ألوان فليس في بيتك سوى حصير

وضيع (سعدي؛ يعدون الرياء حلالاً وكأس الخمر حراماً ، ما أطرف هذه الطريقة والملة ، ما أطرف هذه الشريعة وهذا الدين (حافظ) .

* **إخلاص المحدث القمي:**

عندما كان المحدث القمي مقيماً في مشهد كان في أحد المواسم يعظ في مسجد گوهرشاد فجاء المرحوم الشيخ عباس تربتي ـ وهو من العلماء الأبرار والروحانيين العُبَّاد ـ من «تربت حيدرية» محل اقامته الى مشهد ليستفيد من

---

(٥٠) وحيد بهبهاني/١٢٣/ وتنقيح المقال ج٣/٣٣٤/٣٣٥ .

مواعظ الشيخ عباس القمي .

كان الشيخ التربتي صديقاً قديماً للشيخ القمي وكانت تربطهما علاقة حميمة ومتينة . وذات يوم ومن فوق المنبر وقعت عين الشيخ القمي على الشيخ عباس ـ التربتي ـ في زاوية من المجلس المكتظ يستمع الى حديثه عندها قال الشيخ القمي : ايها الناس سماحة الشيخ موجود . . . استفيدوا من علمه وعلى الرغم من كثرة الناس الذين كانوا قد جاؤوا لأجله نزل عن المنبر وطلب من الشيخ أن يتولى الحديث . . الى آخر شهر رمضان بدلاً منه ، وهكذا كان «أنا عبد الهمة من تحرر من كل ما أطلته السماء مما فيه لون الجذب والإغراء[٥١] .

* **قال المحدث القمي لابنه الكبير :**

«عندما ألفت كتاب «منازل الآخرة» وطبعته ووصل الى قم . . وصلت إحدى نسخه الى الشيخ عبد الرزاق الذي كان يبيّن بعض المسائل دائماً في صحن حرم المعصومة عليها السلام قبل صلاة الجماعة وكان والدي المرحوم (الزاير) محمد رضا من مريدي الشيخ عبد الرزاق وكان يشترك يومياً في مجلسه . . . كان الشيخ عبد الرزاق في النهار يفتح كتاب منازل الآخرة ويقرأ منه للمستمعين :

وذات يوم جاء والدي الى البيت وقال : يا شيخ عباس ليتك كنت مثل هذا الواعظ تستطيع أن ترقى المنبر وتقرأ في هذا الكتاب الذي قرأ لنا اليوم فيه .

وعدة مرات اردت أن أقول له إن هذا الكتاب من مؤلفاتي ولكني كنت في كل مرة أسيطر على نفسي وأسكت ، واكتفيت بأن قلت : تفضل بالدعاء ليوفقني الله تعالى[٥٢] .

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (الدنيا كلها جهل إلاّ مواضع العلم ،

---

(٥١) مضمون بيت شعر فارسي والنص بكامله من كتاب «حاج شيخ عباس قمي مرد تقوا وفضيلت/٢٨/ ٢٩ .

(٥٢) المصدر السابق ٤٨/ ٤٩ .

والعلم كله حجة ، إلا ما عمل به ، والعمل كله رياء ، إلا ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر ، حتى ينظر العبد بما يختم له)[٥٣]وبناءً عليه : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**[٥٤] .

* * *

---

(٥٣) بحار الأنوار ج ٧٠/٢٤٢ .

(٥٤) الكهف/١١٠ .

* القسم الخامس:

* العبادة...

﴿ ومـا خلقت الجن والانس إلا
ليعبدون﴾
(الذاريات/٥٦) .

أهم امـر ينبغي أن يكون محـل اهتمام كـل مسلم هـو عبـادة الله تعـالى والتوجه الى ساحة قدسه. . .

ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة بالنسبة لمن هم قادة قافلة البشرية التائهة وعلماء الدين الإلّهيون .

ومن هنا نرى أن العلماء الكبار بالإضافة الى عنايتهم الكبيرة سائـر أبعاد الدين الحنيف كانت لهم عنـاية خـاصة استثنـائية بهـذا الأمر. . . وكمـا كانـوا يحـزرون قصب السبق في العلم كانـوا يأتـون في الطليعـة في مجالي العبـادة والعمل وقد بلغوا في ذلك القمة الشامخة وبكلمة كانوا «علماء» و«عباداً» .

وبعبارة أخرى كان سلفنا الصالح وعلمـاؤنا الكبـار يولـون أهمية خـاصة للواجبات والمستحبات والأدعية والزيارات والصلوات المستحبة واذا كنا نريد أن نكون الخلف لهؤلاء الأعاظم والعلماء الربانيين فلا شك أن من الواجب علينا أن نحيـا حيـاتهم ونقتـدي بهم ونقتفي أثـرهم ونسعى أن لا نكـون مصـداق هـذا الحديث الشريف:

«. . . عالم تارك لعلمه ، فهذا هالك ، وإن أهل النار ليتـأذون من ريح العالم التارك لعلمه ، وإن اشد أهل النار ندامة وحسـرة ، رجل دعـا عبداً الى الله ، فاستجاب له ، وقبل منه ، فأطاع الله ، فأدخله الله الجنة ، وأدخل الداعي

النار بتركه علمه وأتباعه الهوى وطول الأمل»[1] .

* نصيحة من شيخ الاشراق:

يقول هذا الفيلسوف الكبير حول أهمية العبادة الاسلامية وأثرها في تكميل الروح ورقي النفس: «ومن الطرائق العبادة الدائمة مع قراءة الوحي الإلهي والمواظبة على الصلوات في جنح الليل والناس نيام ، والصوم وأحسنه ما يؤخر فيه الإفطار الى السحر[2]لتقع العبادة في الليل على الجوع ، وقراءةُ آيات في الليل مهيجة لرقة وشوق (كذا)[3] . . وإليك نماذج من عبادة الشموس الساطعة في عالم الروحانية ، واهتمامهم بالفرائض والمستحبات .

* الإمام الخميني:

هذا الرجل العظيم الذي لم تعرف بعد منزلته العلمية والعملية حتى للكثيرين من الخواص ، يمتاز على علماء الشيعة في هذا الميدان أيضاً ، وعندما تطرح أحياناً قصص عن توجهه وعبادته في الخطب والكتب والمجلات ـ ورغم أنها قطرة من بحار إلا أنها تترك المرء غريق الحيرة ويذكر هنا بعض ذلك:

* يقول أحد المقربين من هذا القائد الإلّهي:

في الوقت الذي نجد أن كل مظاهر الشجاعة وعدم الخوف في سبيل الله قد تبلورت في روح الامام. . . فإنه أبداً لا يغفل عن الأذكار والنوافل والمستحبات ، وحتى عندما يكون يتمشى تكون السبحة في يده ويكون مشغولاً بالذكر والزيارة .

---

(١) اصول الكافي ج ١ باب استعمال العلم .

(٢) لا تصرفك غرابة ذلك عن احترام الفكرة إذ الظاهر أن المراد ان يجرب الانسان ذلك ويمكن أن يختار له نهاراً قصيراً. . . هذا اذا امكنه ذلك «وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم» المترجم .

(٣) فريادروزها/١٩٥ والتلويحات . ط استامبول/١١٣/١١٤ .

يقرأ الامام القرآن عدة مرات يومياً بذلك الصوت الملكوتي. . . وفي كل فرصة تسنح ويكون ذلك عادة بعد صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء او في أية فرصة أخرى. . . فانه ملتزم في هذه الأوقات بهذا المستحب الإلهي وعندما نذهب إليه مراراً في النهار نجده مشغولاً بقراءة القرآن. . . في منزل شارع (دربند شميران) رأيناه مراراً يقرأ دعاء كميل بصوته الملكوتي الذي يذكر بتسبيح الملائكة وتقديسها(٤) .

* ويقول أحد ملازمي الامام في النجف الأشرف: يقرأ سماحته كل يوم عشرة أجزاء من القرآن في شهر رمضان أي أنه في كل ثلاثة أيّام يختم القرآن مرة. . . كان الاخوة يفرحون أنهم ختموا القرآن مرة فيكتشفون أن الامام قد ختمه في نفس المدة عشراً او احدى عشرة مرة وأتصور أن برنامجه الآن ما يزال كذلك. .

ذات ليلة في شهر رمضان كنت نائماً كان بيت الامام صغيراً (٤٥ متراً) استيقظت. . سمعت صوتاً. . . ثم تبيّن أنه الإمام كان واقفاً في الظلام يصلي وقد رفع يديه في القنوت وهو يدعو ويبكي. . . كانت عادته في شهر رمضان أن يبقى الى الصباح مشغولاً بالصلاة والدعاء وبعد صلاة الصبح ينام قليلاً ثم يبدأ بمزاولة اعماله(٥) .

* جاء في بعض المطبوعات عن ابن الامام قوله:

في اليوم الأول لمغادرة الشاه لطهران كنا في نوفل لوشاتو ، اجتمع حول منزل الإمام حوالي ثلاثماءة الى أربعماءة صحفي أعدّ للامام مكان ووقف فيه وكانت جميع الكاميرات تعمل. . . كان المقرر أن يشترك كل عدة اشخاص من الصحفيين في سؤال واحد أجاب الامام على عدة اسئلة سؤالين أو ثلاثة وسمع صوت آذان الظهر. . . وفوراً غادر الإمام المكان وقال : الآن يفوت وقت فضيلة

---

(٤) فرازهائي أز أبعاد روحي أخلاقي وعرفاني إمام خميني/ ١٩
(٥) المصدر السابق/ ٧٠ .

الظهر فتعجب جميع الحاضرين من أن الامام غادر المكان بدون مبرر فطلب منه شخص أن يصبر عدة دقائق ليجيب على الأقل على أربعة أو خمسة اسئلة أخرى فأجاب الامام مغضباً: غير ممكن أبداً» .

*** الميرزا الشيرازي الكبير:**

هذا العالم الرباني ، والمرجع الشجاع الواعي ، محطم حكم الأجانب ، والمقلص لنفوذهم ، منجي الشعب الإيراني ، حيث أعاد إليه شخصيته ، وعزته ، وثقته بنفسه. . . أي الميرزا محمد حسن الشيرازي صاحب الفتوى الشهيرة (تحريم التنباكو) جاء في ترجمته:

كان يحفظ أكثر آيات القرآن وكذلك أدعية شهر رمضان وأدعية الأوقات الأخرى والزيارات التي كان يقرأها في حرم الأئمة ولم يكن يأخذ معه كتاب دعاء الى أي حرم. . . علماً بأنه كان يقضي فترة طويلة في قراءة الدعاء ، والزيارة وحيث أنه كان رقيق القلب فوار الدمعة فقد كان يبكي كثيراً وكانت له هيبة كبيرة في نفوس الجميع حتى أبنائه. . . وهذا هو الجلال الإلّهي[٦] نقل الشيخ آقا بزرگ الطهراني في هدية الرازي عن المولى محمد زمان المازندراني أحد تلامذة الميرزا قوله:

أورد استاذنا العلامة النوري في «الكلمة الطيبة» بعض كراماته وأحواله وعباداته ورياضاته الشرعية في النجف الأشرف[٧] .

*** حجة الاسلام السيد محمد باقر الشَّفتي رحمه الله:**

يقول المرحوم الميرزا احمد التنكابني رحمه الله: أوائل دخولي الى النجف الأشرف كنت أذهب في وقت صلاة المغرب والعشاء الى مسجد الشيخ الطوسي ، حيث كان يصلي فيه صاحب الجواهر لأقتدي به. . . ولكن في وقت صلاة الصبح كنت أقتدي بالمرحوم الشَّفتي وكنت أذهب يومياً من منزلي الواقع

---

(٦) بيدارگران أقاليم قبله/٢١٩/٢٢٠ وهدية الرازي ٥١/٥٢ .

(٧) هدية الرازي/١٠٥ .

على مسافة بعيدة نسبياً ، للاقتداء به وكنت أقف قريباً منه. . . عندما كان يكبّر تكبيرة الإحرام كان يمد سألت طلابه ليس في «الله» مد فلماذا يمد السيد قالوا: سألناه عن ذلك فقال: عندما أتلفظ بالكلمة المباركة «ألله» أخرج من حالة الاختيار وهذا المد ليس اختيارياً .

كان السيد يؤدي الصلاة كلها بخضوع تام وحزن. . بل وبكاء. . وكان واضحاً لأي مستمع أنه يؤدي صلاته بمنتهى حضور القلب. . . وكان يقرأ ذكر الركوع والسجود في النوافل ثلاثاً. . . ويضع تحت كفيّه تربتين. . . وباختصار:

كانت صلاة ذلك العظيم لا نظير لها ولا مثيل في الحضور والخضوع. . . وكانت تشجي المستمع وتبكيه ، كان السيد بحفظ «المناجاة الخمس عشرة» ويقرأها يومياً وهو يبكي. . . وقد سمعت أن صلاة الملا علي النوري الحكيم المعروف هي من حيث الخوف والهيبة والحضور اكمل من صلاة حجة الاسلام الشّفتي وفي ذلك الزمان كان العلماء غالباً يؤدون الصلاة بأفضل مما عليه علماء هذا العصر. . . وكان والدي يصلي بمنتهى حضور القلب. . . كما كانت صلاة المرحوم الكلباسي (محمد ابراهيم) كاملة وكان يطيل الصلاة كثيراً[٨] .

* أهمية صلاة الجماعة:

يقول المحدث القمي : رأيت رسالة فيها صورة إجازتين من المرحوم الكلباسي العالم المعاصر للسيد الشّفتي الى ولده محمد كتب في آخر إحداهما: أخبر الاخوة في الدين والاخلاء المؤمنين أني قلت لك يا نور عيني محمد مواجهة: أني لا ارضى أن تترك الجماعة بل قلت مبالغاً; لا تصل صلاة واحدة بغير جماعة[٩] .

---

(٨) قصص العلماء/١٠٤/١٣٧ .

(٩) الفوائد الرضوية/١١/١٢ .

*** الشيخ الأنصاري رحمه الله:**

العبادات التي كان الشيخ مواظباً عليها يومياً إلى آخر عمره الشريف بالاضافة الى الفرائض والنوافل الليلية والنهارية والأدعية والتعقيبات هي عبارة عن قراءة جزء من القرآن وصلاة جعفر الطيار وزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء(١٠) .

*** الميرزا حسين الخليلي رحمه الله:**

هذا الرجل العظيم أحد قادة جركة المشروطة «كان حسن الاخلاق كريم النفس واليد ، بهي الطلعة جميل المحضر. . متزناً وقوراً وفي الوقت نفسه مرحاً. . . لا يترك أبداً القيام بأعمال مسجد الكوفة والسهلة وسائر العبادات. . . وكان يعتكف سنوياً في العشرة الأخيرة من شهر رمضان في مسجد الكوفة ويقرأ بين الطلوعين زيارة عاشوراء باستمرار كما كان يذهب سيراً على الأقدام الى كربلاء في أغلب الزيارات المخصوصة(١١) .

*** الميرزا محمد جعفر الأنصاري رحمه الله:**

هذا العالم الجليل من أقارب المرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري ومن مراجع خوزستان المشهورين «على الرغم من كل انشغالاته الدراسية لم يترك عباداته التي كان قد التزم بها منذ سن البلوغ وبالاضافة الى قراءة جزء من كلام الله وصلاة جعفر الطيار (رضوان الله عليه) كان يقرأ يومياً زيارة الجامعة وعاشوراء في وقت واحد واقفاً وكان توجهه اثناء العبادة مميزاً. . .

كانت ذاكرته عجيبة جداً. . . فقد كان يحفظ القرآن المجيد وتعقيبات الصلاة وأدعية كل شهر وكل يوم وليلة في شهر رمضان و. . .»(١٢) .

---

(١٠) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/ ٩٠ .

(١١) المصدر السابق/ ٢٤٩ .

(١٢) زندگاني وشخصيت شيخ انصاري/ ٣٨٢ .

*** العلامة الطباطبائي رحمه الله:**

قطع العلامة مراحل في مراتب العرفان والسير والسلوك المعنوي ، وكان من أهل الذكر والدعاء والمناجاة عندما كنت أراه في الطريق كان ـ في الغالب ـ منشغلاً بذكر الله ، وفي الجلسات التي اشتركت فيها بين يديه ، عندما يخيّم السكوت على المجلس كانت شفتاه تتحركان بذكر الله ، كان ملتزماً بالنوافل ، وكان أحياناً يرى في الطريق يصلي النافلة . . .

كان يحيي ليالي شهر رمضان ، يطالع قليلاً ويقضي باقي الوقت في الدعاء ، وقراءة القرآن ، والصلاة ، والأذكار .

كان في قم يذهب مرة في الاسبوع على الأقل لزيارة حرم المعصومة عليها السلام ، وفي موسم الصيف كان يتوجه غالباً الى زيارة الامام الرضا (عليه السلام) وفي الليالي يتشرف بزيارة الحرم ويجلس من جهة الرأس الشريف ، منصرفاً الى الزيارة والدعاء[١٣] .

*** الشيخ آقا بزرگ الطهراني رحمه الله:**

نقرأ في أحوال هذا العالم المتتبع ، والنشيط والنموذج الرفيع في الاستقامة وعلو الهمة والجلد: كان الشيخ بالرغم من كل مشاغله العلمية الكبيرة ، وتتبعه الواسع جداً ، لا يغفل عن القيام بالعبادات الاسلامية ، والرياضات الشرعية وتهذيب النفس ، وترويضها ، كان يذهب كل ليلة أربعاء ، سيراً على الاقدام ، من النجف الى مسجد السهلة (١٠ كيلو مترات عن النجف) ويشتغل هناك بالصلاة والدعاء والعبادة وكانت هذه سيرته دائماً حتى بعد وصوله الى سن الثمانين .

وكان لشيخ أيضاً إمام جماعة استمر في ذلك حتى سنة ١٣٧٦ في مسجد الشيخ الطوسي في النجف. . . بعد هذه السنة حيث تعرض لحادث سير في

---

(١٣) يادنامه علامة طباطبائي / ١٣١ ملخصاً .

طريق كربلاء وبسبب بعد مسجد الطوسي عن منزله اختار مسجد آل الطريحي واستمر يؤم المصلين فيه الى ما قبل وفاته بعدة سنوات(١٤) .

* الفيلسوف الكبير الملا هادي السبزواري:

وكان يستيقظ كل ليلة في الشتاء ، والصيف ، والربع ، والخريف ، في أول الثلث الأخير من الليل وينشغل بالعبادة في ظلام الليل وحتى طلوع الشمس. . . وكذلك كان ينصرف إلى العبادة أول الليل لمدة ثلاث ساعات في الظلام ، كما كان يمشي في داره نصف ساعة يومياً .

* الحكيم الجليل الملا صدرا ـ صدر المتألهين الشيرازي:

هذا المحقق البعيد الغور تشرف بحج بيت الله الحرام مراراً وقد توفي في البصرة في المرة السابعة التي كان في طريقه فيها الى بيت الله الحرام(١٥) .

يقول أحد الفضلاء المعاصرين:

صدر المتألهين ، أكبر فيلسوف وعارف اسلامي ومن نوادر الزهاد والعبَّاد ، ومن (سُراة) أتباع الشريعة المحمدية الحقيقيين ، ومن المخلصين الواقعيين لأهل بيت النبوة .

كان يعتبر في مراعاة الآداب والسنن الاسلامية والمواظبة عليها ، سلمان العصر وأبا ذر الزمان لم يتصل طيلة عمره بأصحاب النفوذ ، ولم ينحرف آناً

---

(١٤) شيخ آقا بزرگ/٧ ـ٨ .

(١٥) تصرح بذلك كثير من المصادر منها «ادوار الفقه» ج١/٣٣ . وهدية الأحباب/٢٠٥ والفوائد الرضوية/٣٨ وسفينة البحار ج١/٣١١ ـ ولؤلؤة البحرين/١٣١/ والكنى والألقاب ج٢/٤١٠ ونجوم السماء ومعجم المؤلفين ، مستدرك الوسائل ج٣/٤٢٤ والبحار ج١٠٩/١٣١ ، وتصرح مصادر أخرى بأن وفاته أثناء رجوعه من الحج للمرة السابعة منها قصص العلماء/٣٢٩ ورسالة «سه أصل»/٩ وفرهنگ معين ج٥/٩٩٠ ومنها ما يتردد في ذلك مثل أعيان الشيعة ٩/٣٢٢ حيث قال «وقد توفي سنة ١٠٥٠ في البصرة في طريقه للحج للمرة السابعة أو بعد رجوعه» .

واحداً عن صراط الحق والحقيقة ، ولم يتخذ العلم وسيلة للتقرب الى الملوك والحكام ، وقد قرن العلم بالعمل وكان من القوة في الأمور النظرية في السنام الأعلى ، وفي الاشتغال في العبادة وتصفية الروح في سلك اعاظم أرباب الكشف واليقين[١٦] .

* العالم الجليل الميرزا سليمان التنكابني:

يقول صاحب قصص العلماء حول والده المرحوم الميرزا سليمان التنكابني الذي كان من تلامذة الحكيم الكبير والشهير الآخوند ملا علي النوري رحمه الله : كان والدي مواظباً على الصلاة أول وقتها وقراءة النوافل الراتبة وكان يقرأ جزءاً من القرآن يومياً وأيضاً سورة يٓس في كل صباح مع ماءة مرة «لا إله إلا الملك الحق المبين» وبعض الأذكار الأخرى وكان يقرأ سورة الواقعة في قنوت الوتيرة (نافلة العشاء) ولم يترك صلاة الليل ابداً .

استيقظت ذات يوم وقت السحر فرأيته يبكي بكاءً مريراً. . . وبعد مدة عندما توقف بكاؤه سألته عن السبب ، فقال: كنت أقرأ في قنوت صلاة الوتر المناجات الخمس عشرة وكنت أبكي. . . فجأة سمعت من السقف صوتاً يقول: ايها العالم العامل. . .

ولم يصرح المرحوم الوالد بأكثر من ذلك. . . ثم قال عندما سمعت ذلك الصوت استولى عليّ البكاء بحيث لم اتمكن من اتمام الصلاة ولا ارادياً جلست وبكيت. . . وما دمت على قيد الحياة فلست راضياً أن تخبر احداً بذلك .

يقول صاحب قصص العلماء: كان المرحوم يقرأ مناجاة الخمسة عشر» في قنوت الوتر دائماً[١٧] .

---

(١٦) اللمعة الإلَهية والكلمات الوجيزة/٣٧ المقدمة .

(١٧) قصص العلماء/٧٣ .

إدراك ليلة القدر:

جاء في سيرة الشيخ محمد ابراهيم الكلباسي ، الذي كان من معاصري الميرزا القمي والسيد الشفتي ، ومن تلامذة السيد بحر العلوم ، وصاحب الرياض. . . أنه أدرك ليلة القدر حتماً وأحياها بالعبادة. . ذلك لأنه ظل لمدة سنة كاملة يحيي الليالي بالعبادة حتى الصباح ومن الواضح أن ليلة القدر هي احدى ليالي السنة[١٨] .

* جزء من القرآن يومياً:

في وصية العلامة المجلسي الأول رحمه الله لولده الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب بحار الأنوار يوصيه بقراءة جزء من القرآن يومياً ومطالعة رسالة أمير المؤمنين للامام الحسن (عليه السلام) المذكورة في نهج البلاغة والعمل بها .

* السيد علي صاحب الرياض:

«عانى صاحب الرياض كثيراً في سبيل العلم ، والمشهور أنه عليه الرحمة حصل على العلم بالبكاء والتضرع ومناجاة الله تعالى لأنه ظاهراً لم يكن مستواه أثناء الدراسة بحيث يمكنه الوصول إلى هذه الرتبة العالية التي وصلها ويقال إنه كان يحيي ليالي الجمعة ، حتى الصباح ، مشتغلاً فيها بعبادة الله تعالى .

* آية الله النجفي القوجاني رحمه الله:

يقول هذا العالم الجليل حول أيّام دراسته ما يلي : «في هذه الفترة ، التي هي السنة الثالثة لاقامتي ودراستي في اصفهان وسبب تأثير مواعظ الاستاذ الكامل الآخوند الكاشي الذي كنا نقرأ عليه منظومة السبزواري وبسبب المعارف التي كنا نتلقاها منه ، رغبت تدريجياً بإحياء الليل. . . الى أن بدأت افكر بالرياضة في مكان رياضة الشيخ البهائي في (مقبرة) تخت فولاد أصفهان بين

---

(١٨) نفس المصدر ١/ ١١ والفوائد الرضوية/ ١٠ .

القبور وفي سرداب حيث بنوا بمساحة قبر مكاناً مصقفاً بحجار مليئة بالنتوء على عمق درجتين ، بمقدار القبر إلا أن وجهته الى القبلة بحيث يمكن للانسان أن يؤدي فيه صلاته بركوع وسجود. . . فكرت أن أُظهر للاصدقاء أنني ذاهب الى طهران وأذهب الى ذلك السرداب أختفي فيه نهاراً. . . وأقضي الليل في الصحراء بجوار الموتى لأطهر نفسي من الرذائل واحليها بالفضائل واكون بذلك قد قمت بسياحة في مقامات العارفين ومنازلهم وبقيت هذه الأفكار تراودني مدة. . . وكنت أحياناً أتصور أن ذلك محض رهبانية (. . .)

وكنا نقرأ العزاء ليالي الجمعة وقررت أن أبقى مستيقظاً حتى الصباح منشغلاً بقراءة القرآن والأدعية والأوراد وأن اشتغل بين الطلوعين بزيارة عاشوراء. . . وشيئاً فشيئاً أقلعت عن التفكير بمشروع «تخت فولاد»[١٩] .

*** الفيلسوف العظيم المرحوم الميرداماد:**

يقول المحدث القمي : نقل عن حدائق المقربين أن الميرداماد بلغ الغاية في العبادة وكان يقرأ القرآن الكريم كثيراً بحيث أن أحد الأشخاص المعتمدين نقل لي أنه كان يقرأ في كل ليلة خمسة عشر جزءاً من القرآن[٢٠] .

الآخوند الخراساني صاحب الكفاية رحمه الله:

يقول مؤلف كتاب حياة الاسلام :

كان الآخوند يصلي الصبح والمغرب جماعة الا في شهر رمضان حيث كان يصلي كل صلواته جماعة ولم تفته أبداً نوافل الليل ولا النهار. . ولم تكن عبادته صرف أداء التكليف بل كان جذبة الحق ظاهرة من عباداته[٢١] .

يقول أحد جيران سماحته : كان سقف بيتنا متصلاً بسقف منزله . . وكان له

---

(١٩) سياحت شرق /١٩٦/ ١٩٨ ملخصاً .

(٢٠) فوائد الرضوية/ ٤١٩/ وهدية الاحباب/١٥٢ .

(٢١) اشارة الى قمة الخضوع وحضور القلب في العبادة والمراد بحذبة الحق أن الله تعالى يأخذ بيده ويقربه منه .

عليه الرحمة في سجوده تحرق وأنين وعويل يفتت القلب بحيث أن كل من كان قاسي القلب وسمعه فمن المستحيل أن لا يتغير كان يبكي كما المحب عند وصاله وهو يبكي على زمان الفراق كما العبد الجاني الذي يعيش كل هذا الخوف والاضطراب . .

كان صافي الباطن نظيف الظاهر لم يكن يتصنع أبداً وكان مبرءاً من التزوير والتدليس وكان غاية في مراقبة نفسه ولم تفته زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ابداً إلا أنه كان يؤديها مختصرة . . .

قال أحد أصحابه : قلت له أطل المكث في الحرم قليلاً حتى إذا لم تكن منشغلاً بشيء ، اهتم بنفسك بعض الشيء (أي راع ما يقوله الناس) فرأيت أنه قبض على لحيته بيده وقال بمنتهى الانكار: يعني تقول أن أشرك بالله تعالى وألجأ الى الرياء في آخر عمري ومع ابيضاض لحيتي؟

والخلاصة أنّي تأملت في أحوال هذا النور الإلهي اثني عشر عاماً فلم أرَ في حالات هذا الشخص الجليل وأقواله وأفعاله مخالفة ابداً للمندوبات والمكروهات الإلّهية لم يكن يأتي بذلك تكلفاً . . بل أصبح ذلك مقتضى طبعه . . . وكان يشارك في تشييع الجنائز ومجالس الفاتحة وعيادة المرضى وينظر في الأمور الحسبية والحوائج النوعية والشخصية للمسلمين ولم يكن يرد لصاحب حاجة طلباً(٢٢) .

* شهيد المحراب ملا محمد تقي البرغاني القزويني:

جاء في نجوم السماء حول هذا العالم الذي استشهد على يد «البابية» الضالين :

كان قدس سره يذهب دائماً عند منتصف الليل الى مسجده ويشتغل بالمناجاة والأدعية والتضرع والتهجد الى طلوع الفجر الصادق وكان يحفظ

---

(٢٢) مرگي درنور/ ٣٩٤/ ٣٩٥ .

المناجاة الخمسة عشر. . وكانت هذه سيرته الى الليلة التي شرب فيها شربة الشهادة (. . .)[٢٣] .

* السيد صدر الدين العاملي الاصفهاني:

أورد المرحوم الشيخ عباس القمي في ترجمته:

وهذا السيد الجليل كان بكاءً وكثير المناجاة. . . وقد نقل أنه في احدى ليالي شهر رمضان دخل حرم المؤمنين (عليه السلام) وجلس بعد الزيارة في جهة ما فوق الرأس المقدس وبدأ بقراءة دعاء أبي حمزة. . . وبمجرد أن بدأ بعبارة «إلهي لا تؤدبني بعقوبتك» سيطر عليه البكاء وأخذ يكرر هذه العبارة ويبكي حتى أغمي عليه وأخرجوه من الحرم المطهر[٢٤] .

* دعاء الامام الباقر (عليه السلام) في السحر:

يقول احد تلامذة العلامة الطباطبائي رحمه الله:

تشرفت ذات مرة بزيارته (رضوان الله عليه) وذكرت له حاجتي فقال لا تنس دعاء باقر علوم النبيين (عليه السلام) في السحر فإن فيه البهاء والجمال والعظمة والنور والرحمة والعلم والشرف وليس فيه ذكر للحور والغلمان اذا كانت الجنة حلوة فإن سبب الجنة أحلى .

«لماذا أنت زاهد في هوى الجنة لماذا أنت غافل عن سبب الجنة»[٢٥] .

* ابن سينا):

يقول ابن خلكان في تاريخه حول الشيخ الرئيس:

«وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد الجامع وصلى ودعا الله عز

---

(٢٣) نجوم السماء/٤٠٨/٤١ وتجد ترجمة هذا العالم الجليل في شهداء الفضيلة للعلامة الاميني / والكرام البررة/ج١/٢٢٦/٢٢٩ .

(٢٤) منتهى الآمال ج٥/٦٣ .

(٢٥) مجموعة مقالات/١٥٦ ـ ١٥٧ السطر الأخير ترجمة بيت شعر فارسي .

وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له» .

إن الانسان اذا اعرض عن علائق هذه النشأة وصفا خاطره ووجه نفسه الناطقة فإنه يمكنه الوصول الى عالم الملكوت بشكل أفضل ويمكنه الحصول على هدفه «الحقيقة» بشكل أسرع[٢٦] .

* حفيد الوحيد البهبهاني:

الشيخ أحمد حفيد استاذ الكل الوحيد البهباني يقول عن فترة دراسته وذكرياتها:

كان في القلب رأفة عجيبة وفي الصدر انشراح عجيب وكنت في أغلب الأوقات ابقى الى الصبح مشغولاً بالمطالعة والكتابة ولم أكن أملّ ذلك أبداً. . . وفي اكثر ليالي الجمعة كنت اذهب مع الطلاب الى مسجد الكوفة واشتغل بالعبادة وكنا نذهب الى مسجد الشهلة وصعصعة وزيد ومسجد الحنانة وزيارة قبر كميل بن زياد وميثم التمار ومسلم بن عقيل وهاني بن عروة وكلما كنت اشعر بانقباض قلبي كنت اذهب الى زيارة اهل القبور ومقام صاحب الأمر (عليه السلام) وقبر هود وصالح في وادي السلام وكان يحصل لي فوراً ، انشراح وأنس يعجز قلمي ولساني عن بيانهما[٢٧] .

* الشيخ المفيد رحمه الله:

كما هو واضح فإن الشيخ المفيد من كبار علماء الشيعة الأجلاء «يقول عنه صهره وتلميذه أبو يعلى الجعفري:

«ما كان ينام من الليل إلا هجعة ثم يقوم يصلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن»[٢٨] .

* * *

(٢٦) المصدر السابق/١٠٢/١٠٣ .

(٢٧) الوحيد البهباني/ ٣٣٩ .

(٢٨) خدمات متقابل اسلام وايران/٤٨٣ ومير حامد حسين/ ٥٥ .

نعم. . . هؤلاء العظماء هم الأتباع الحقيقيون للقـرآن ومصداق واضـح لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أما الليل فصافون أقـدامهم تالين لأجـزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً ، يحزنون به انفسهم ، ويستثيـرون به دواء دائهم . فـإذا مروا بآية فيها تشويق ، ركنوا اليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقا . وظنوا أنها نصب أعينهم ، واذا مروا بآية فيها تخويـف ، أصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حائون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم ، وأكفهم ، وركبهم ، وأطراف أقدامهم ، يطلبـون الى الله تعالى في فكاك رقابهم ، وأما النهار ، فحلماء ، علماء ، ابرار أتقياء[٢٩] .

* الافراط والتفريط:

للأسف فإن الكثيـرين مبتلون في هذا الأمـر ـ العبادة ـ امـا بالافـراط أو التفريط. . . فالبعض وهم طبعاً قلة يعدون على الأصابع بمجرد أن يتعلموا عدة مصطلحات حرفية وحفظ عدة أبيات من ألفية ابن مالك يبتلون بالتكبر والتبختر والتفـرعن الى حد أنهم يصبحـون وكأنهم فتحـوا الفضـاء أو فلقـوا الـذرة. . . فيديرون ظهورهم لصلاة الجمـاعة والـدعاء وزيـارة عاشـوراء و. . . ويجعلون وردهم دائماً ما يلي: إن مقام العالم اسمى من مقام العابد ، والدعاء ، وقراءة القرآن ، والزيارة ، شغل العجائز ، ومن ليسـوا مشغولين بـالدراسـة ، والعمل الاجتماعي ، إن الدراسة واجبة ، وهذه الأمور مستحبة .

هؤلاء المساكين لا يعلمون أن أشخاصاً كالفيلسوف السبزواري رغم مقامه العلمي والعرفاني الشـامخ كـان دائماً يتفـرغ للعبادة ثـلاث سـاعـات أوّل الليل وكذلك الشيخ الأعظم الأنصـاري ، وفي زمانـنـا الإمام الخميني مـع أنه محيط العلوم والمعارف ورغم كل مشاغله الاجتماعية. . فإنـه يولي هـذا الأمر أهميـة كبرى ويهتم به ايمّا اهتمام .

العلم بدون زيارة عاشوراء وأمثالها ليس في الحقيقـة «علماً» ولا يستحق

(٢٩) نهج البلاغة/ صبحي الصالح/٣٠٤/ خ ١٩٣ المعروفة بخطبة همام .

أن يسمى «العلم الإلهي» بل ليس اكثر من معرفة بعض الإصطلاحات الجافة .

وطبقاً لما قاله الإمام الصادق (عليه السلام) فإن نورانية العلم وحقيقته لا تحصل بقراءة بعض الكتب الأدبية والأصولية والفقهية بل «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء» ومن حيث المبدأ فإن الدراسة ليست هدفاً بل هي مقدمة لإقامة احكام الله تعالى وتوجه عباده إليه .

في مقابل هذا الفريق فريق آخر تشبثوا بالدعاء والزيارة فقط ووضعوا جانباً كل أبعاد الإسلام الأخرى وانشغلوا بهذا البعد فقط . . وبشكل ناقص أيضاً ومخرب ومضر وحصروا هذا الدين الحنيف بالزيارات وأمثالها فهم لا يدرسون أو يقتصرون في الـ ٢٤ ساعة على درس واحد ويمضون اكثر أوقاتهم بالبطالة والكسل ويعتذرون بأننا «مشغولون ببناء النفس وتهذيبها» وأن «العلم يجلب الغرور» وهو «الحجاب الأكبر» وأمثال ذلك . . . بحيث أنه يجب أن يقال حول هذه الأقوال من هؤلاء الأشخاص: «كلمة حق يراد بها باطل» .

هؤلاء أيضاً مخطئون جداً وكما يرفض الإسلام الفريق الأول فإنه يرفض الفريق الثاني وينطبق عليهما معاً كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً»[٣٠] الا يعلم هؤلاء الأشخاص أنه لو كان بالامكان أن يصبح الانسان عالماً بالدعاء وإدارة السبحة وتحريكها فما هي الضرورة التي أوجبت على كبار علمائنا ـ كما تقدم ـ أن يبذلوا كل تلك الجهود المضنية في الدراسة ويعانوا كل أنواع الحرمان والمشاكل والصعوبات والمصائب . .

هذا الفريق تكون عاقبة أفراده أنهم يصبحون جهلاء وبعد فترة يضلون . . . ولا يستفيدون شيئاً إلا كونهم عبئاً على المجتمع ويصرفون أموال بيت المال ويريقون ماء وجه الشيعة .

من الجدير بهؤلاء أن يطلعوا على ما جاء في مفاتيح الجنان في اعمال الليلة الواحدة والعشرين والثالثة والعشرين اللتين هما ليلة القدر وربيع العباد

---

(٣٠) نهج البلاغة/ صبحي الصالح ٤٧٩ باب الحكم الحكمة/ :ـ٧٠ .

و«ليلة القدر خير من ألف شهر» ويقرؤوا هذه الجملة: وقال شيخنا الصدوق: ومن أحيا هاتين الليلتين بمذاكرة العلم فهو أفضل[٣١] .

نستنتج مما تقدم حتى الآن أن الإفراط والتفريط كلاهما خطأ وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة»[٣٢] .

* الاعتدال والطريق الوسطى:

يجب أن يسلك الطالب طريقة معتدلة ويجب أن يكون منشغلاً بالدراسة بكل وسعه. . . وأن يبذل الجهد الكبير في ذلك مستنفراً كل طاقته وأن ينشغل مع ذلك وجنباً الى جنب بالعبادات والزيارات والأدعية بحيث لا يضر ذلك بدراسته فيأتي بهذه المستحبات فيزيد توجهه الى الله تعالى يوماً بعد يوم وإلا فإن عمله يكون سبباً لتعاسته وشقائه. . . وفي صورة العكس (العبادة بدون دراسه) يجره جهله ويؤدي به الى ورطة الهلاك .

وسيأتي فيما يلي المزيد حول هذا. . . إن شاء الله .

* * *

(٣١) مفاتيج الجنان/٢٢٢ .

(٣٢) نهج البلاغة/ صبحي الصالح/ ٥٨/ خ١٦ .

* القسم السادس...

* الدعاء..
* الزيارة..
* التوسل بالأئمة عليهم السلام...

«. . . بأبي أنتم وأمي ونفسي ،
وأهلي ومالي ، من أراد الله
بدأبكم . . ومن وحّده قبل
عنكم ، ومن قصده توجه
بكم . . .»
من الزيارة الجامعة . . .

* ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾[1]من أهم اسباب التوفيق التوجه الكثير نحو الله تعالى والاهتمام بالأدعية والتوجه والتوسل بالأئمة الأطهار عليهم السلام خصوصاً بالوجود المقدس بقية الله الأعظم .

إن هذه التوسلات تساعد الإنسان مساعدة عظيمة جداً في تحصيل العلم وكسب الاخلاص وتهذيب النفس وترك الذنوب ولذا لا تصبح الغفلة عن هذا الأمر وجدير هنا أن نتذكر أن من أهم اسرار توفيق الامام الخميني دام ظله هو توجه هذا القائد الإلهي وعلاقته وتوسله بالأئمة الأطهار المعصومين عليهم السلام وإليك نماذج من ذلك ، [ومن سيرة العلماء بشكل عام]:

*** الامام الخميني:**

جاء في إحدى المطبوعات: طيلة اقامته في النجف فإنه لم يترك زيارة (حرم الأمير (عليه السلام)) كل ليلة ، الا في موارد استثنائية ، وفي أغلب الزيارات ، كان يقصد ضريح سيد الشهداء (عليه السلام)، وفي عاشوراء يقرأ يومياً ، زيارة عاشوراء ، مع تكرار الفقرات التي ينبغي تكرارها ماءة مرة .

منذ اكثر من خمسين سنة والى الآن نادراً ما يطلع الفجر والإمام نائم ،

---

(١) سورة الفرقان، آية (٧٧).

يهتم كثيراً بالتهجد ، وقيام السحر في النجف الأشرف وحين كانت درجة الحرارة خمسين ورغم شيخوخته والضعف المفرط صام شهر رمضان الذي كان يومه عند ثمانية عشرة ساعة ولم يكن يفطر إلا بعد صلاة المغرب والعشاء والنوافل .

وفي كتاب «نهضة الامام الخميني» حديث عن فترة اقامة الامام في النجف نجد فيه :

«الآن أيضاً في النجف لم يترك الامام أبداً برنامجه الخاص الزيارة والعبادات والأعمال المستحبة . في هذه السنوات التي أمضاها الإمام في النجف ، في الشتاء ، وفي الصيف ، وفي الليالي الممطرة ، والباردة ، دائماً وفي الساعة الثالثة (عربي أي ثلاث ساعات بعد الغروب) يكون الامام في الحرم المطهر للامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولم يترك ذلك إلا في موارد استثنائية التي يكون فيها مريضاً أو أن الأحكام العرفية أعلنت في المدينة[٢] .

* وفي المطبوعة السابقة الذكر:

يقول ابن الإمام: ذات ليلة وقع في العراق انقلاب وفرضت الأحكام العرفية وجاء وقت زيارة الإمام. . . تبيّن أنه ليس موجوداً فاضطربت ، فتشت الغرف فلم أجده. . . صعدت الى السطح فإذا بالامام واقفاً بتجاه حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) مشغولاً بالزيارة .

* ويقول احد المقربين من الإمام:

مثلاً زيارة الجامعة الكبيرة كان الامام يقرأ هذه الزيارة طيلة خمسة عشرة سنة ، كل ليلة ، الا في الليالي التي كان يذهب فيها الى كربلاء ، أو أنه يكون مريضاً مرضاً شديداً ، بحيث لا يمكنه الانتقال من داخل البيت الى غرفة

---

(٢) بررسي وتحليلي أز نهضت إمام خميني /ج١/ ٢٩ .

الاستقبال ، كان كل ليلة وفي ساعة خاصة يقف بأزاء ضريح مولى المتقين ويقرأ زيارة الجامعة ، . . الزيارة التي تحتاج قراءتها الى ساعة (تقريباً) إلا أن الامام يشعر عند قراءتها أنه واقف بين يدي أئمته المعصومين يبين ما هو حقهم . . إنها في الحقيقة دورة في التعريف بالامام . . . وإنه لأمر ذو دلالة كبيرة أن الامام التزم بها طيلة خمسة عشر عاماً .

كان الامام في جميع الزيارات المخصوصة ينتقل من النجف الى كربلاء وزيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والآن حيث الامام في طهران فإنه يؤدي هذه الزيارات بشكل آخر . . .

(. . .) إنه وبكل قوة ونشاط يتمشى يومياً ساعتين أو ثلاثة والسبحة بيده وهو منشغل بالذكر أو بزيارة عاشوراء وفي هذه الفترة قلما يزعجه أحد بالاقتراب منه .

* علاقة الامام بأهل البيت عليهم السلام لا توصف . . . الامام عاشق لأهل البيت . . . عاشق بمجرد أن يسمع نداء «يا حسين» يبكي لا إرادياً . . . رغم أن الامام صابر في مواجهة المصائب ولا تبكيه حتى المشاكل التي تكون بمستوى شهادة السيد مصطفى (ابن الامام) إلا أنه بمجرد أن يقول قارىء العزاء (السلام عليك يا أبا عبد الله) تجري قطرات دموعه . . . وهذه في الحقيقة ليست علاقة عادية . . . وفي تلك الأحيان كان فيها كثيرٌ من «المتجددين» قبل الثورة يهاجمون مواكب العزاء واللطم ـ ولو أن هذا التفكير نمىٰ لما بقيت آثار من شعائر الاسلام ولأفرغنا من محتوانا ـ منذ ذلك الوقت كان الامام يشجع تلك المراسم التقليدية في مواكب العزاء . . والآن نرى كيف يوصي الناس بإقامة مجالس العزاء في الأيام المهمة خصوصاً في يوم عاشوراء وعادة يأتي قراء العزاء العريقون ويقرؤون الأشعار التي كانت تقرأ قديماً . . . والامام يبكي . . . ويختصر القراء ذكر المصيبة في مجالسهم عادة مراعاةً لحال الإمام ، حيث أنه شديد التعلق بأهل البيت الى حد أنه قد يؤذيه البكاء الكثير . . . خاصة وأنه في هذه الأوقات يبكي بصوت عال .

* ذات يوم وكان ذكرى شهادة الزهراء عليها السلام طلب من الامـام أن يتفضـل بـالحضـور في المجلس الـذي ضم الاخـوة في مكتب الامـام بهـذه المنـاسبة. . جـاء الامام وجلس. . وبمجـرد أن بـدأ أحـد الاخـوة من أعضـاء المكتب بذكر المصيبة بكى الامام بصوت عال. . . فاختصر القارىء رعاية لحال الامام وكانت قطراته تنهمر على خديه كحبات اللؤلؤ ورغم أن الدنيا والاعـلام يفسـرون بكاء الامـام تفسيرات مختلفـة فإنـه لا يتحـرج من البكـاء على سيـد الشهداء حتى أمام عدسة التلفزيون .

ذات يوم قال أحد طلاب مـدرسة الـرفاه لـلإمام: لمـاذا لا تذكـرون في احاديثكم الامام المنتظر إلا قليلاً وبمجرد أن سمع الامام ذلك وقف وقال: ماذا تقول؟ ألا تعلم أن كل ما عندنا هو من الامـام صاحب الـزمان (عـج) وكل مـا عندي هو من الامـام صاحب الـزمان وكـل ما عنـدنا من الثـورة هو من الامـام صاحب الزمان .

من هنا فإن الامام بهذا الارتباط المعنوي بالله واهل البيت يبقى شـامخاً دائماً كالطود ولا يزلزله شيء[٣] .

* يقول أحد اساتذة الأخلاق المعروفين في حوزة قم: عندما كان الامام الخميني في فرنسا كتب ثـلاث رسائـل الى ثلاثـة من علماء قم قـائلاً: الثـورة بحاجة الى دعاء فادعوا لنصر الثورة .

* العلامة الامين صاحب الغدير:

من خصائص العلامـة الأميني العشق والولاء الكـامل لآل محمـد عليهم السلام ، عشقاً كان مشهوراً تتناقله الألسن ، بحيث يمكن القول أن الغدير أثر من آثار العشق العارم ، ومن هنا كانت له علاقة خاصة بسماع مصـائب الامام الحسين وأصحابه ، والتأمل في مصابهم ، وكان يبكي بصوت عال بكاءً مريـراً

(٣) فرازهابي أز ابعاد روحي ، أخلاقي وعرفاني إمام خميني/٢٢/ ٢٤ .

ومتفجعاً ، وكثيراً ما اتفق أن الخطباء والنائحين وسائر الحاضرين والمستمعين كانوا يرون العلامة الأميني وتغيُّر حاله ، عند ذكر المصيبة ، فيتأثرون تأثراً شديداً ، ويبكون مثله بكاء المتفجع . . حقاً كان المجلس الذي يحضره العلامة الأميني ، ويجري فيه ذكر مصائب آل محمد ، وكأنَّ واحداً من آل محمد (ص) موجود في ذلك المجلس . . . وكانت هذه الحالة تشتد وتبلغ أوجها عندما يذكر قاريء المصيبة اسم الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليه . . . عندها كان تحمر جبهته وخداه ، ويبكي كما يبكي من اعتدي على ناموسه وها هم يحدثونه الآن عن ذلك وتشعر أن عينيه تقذفان اللهب مع الدموع الغزيرة المنهمرة منهما»[٤] .

*** الوحيد البهبهاني:**

المعروف أن «الشيخ» محمد باقر المعروف بالوحيد البهباني كان عندما يتشرف بحرم سيد الشهداء (عليه السلام) للزيارة ، يقبل أولاً عتبة «الكفشدارية» . (محل نزع الأحذية) ويمسح وجهه المبارك ، ولحيته الشريفة ، وبعد ذلك يتشرف بدخول الحرم بخضوع ، وخشوع ، ورقة قلب ، ويقرأ الزيارة وكانت له عناية واحترام خاصين لذكر مصيبة سيد الشهداء (عليه السلام)[٥] .

*** الاستشفاء بآثار الأئمة عليهم السلام:**

يقول المحدث القمي حيث أن السيد نعمة الله الجزائري لم يكن يستطيع في بدء دراسته أن يشتري مصباحاً للمطالعة ، فقد كان يطالع في ضوء القمر ، ونتيجة كثرة المطالعة ، ضعف بصره ، ولذلك بدأ يمسح بتربة سيد الشهداء ، وتربة سائر الأئمة ، عليهم السلام على عينيه ، ومن بركة تلك التربة كان نور بصره يزداد ويقوى .

---

(٤) حماسه غدير/٢٩٨ .

(٥) قصص العلماء/٢٠٢ .

* ويضيف المحقق القمي : وليس هذا الأمر غريباً لأن الـدميري (مؤلف حياة الحيوان) وغيره ينقلون أن «الأفعى عندما تصاب بالعمى تمسح عينيها بنبات معين فتبصر. . وإذا كان الله تعالى يجعل تلك الخاصية في نبتةٍ مًّا ، فما العجب في أن يجعل مثلها في تربة ابن النبي (صلى الله عليه وآله).

ويضيف أيضاً: وهـذا الحقير أيضـاً كلمـا ضعف بصـري بسبب كثـرة الكتابة ، أتبرك بتراب مراقد الأئمة عليهم السلام واحياناً بمس كتابة الأحاديث والأخبار وبحمد الله فـإن عيني في غايـة القوة وأملي ان شـاء الله أن تقرّ عيني ببركتهم في الدنيا والآخرة[٦] .

* يقول ابن المحدث القمي : لا أنسى أننا عندما كنا في النجف ذات يوم صباحاً (حوالي سنة ١٣٥٧ هـ .ق اي قبل وفاته بسنتين) استيقظ والدي وقال: اليوم تؤلمني عيناي بشدة ولا استطيـع المطالعـة والكتابـة ، وكان يبـدو متألمـاً جداً ، كان لسان حاله تقريباً: لعل آل النبي صلوات الله عليهم أبعدوني عنهم وطردوني . . كانت عادته أن يقول ذلك أحياناً بتأثر ويبكي . . .

* ويضيف ابن المحدث القمي :

عندها كنت منشغلاً بالدراسة ذهبت الى المدرسة وعنـدما رجعت ظهـراً رأيته مشغولاً بالكتابة قلت: تحسنت عيناك؟ قال: زال الألم كلياً .

قلت بم عالجته؟ قال توضأت وجلست تجاه القبلة ومسحت كتاب الكافي على عيني فارتفع الألم ، ولم يبتل بعدها طيلة عمره بألم العينين .

وكتاب الكافي الذي مسح به عينيه كان خطياً بخط الفقيه المشهور الملا عبد الله التُّوني صاحب كتاب «الوافية» وكان المحدث القمي يحبه كثيراً .

وعندما كان مقيماً في مشهد مرض ابنـه الصغير الـذي كان عمـره ثلاث سنوات فأحضر له دواءً محلياً وبعد الغلي ، واضافة قليل من السكر إليه ، جاؤوا

---

(٦) فوائد الرضوية/ ٦٩٥ .

بالدواء الى الطفل ليشربه فوضع المحدث إصبع يده اليمنى في الدواء وحـركه قليلاً . . .

قالت زوجته: اصبر قليلاً لأحضر ملعقة قال: قصدت بـذلك الاستشفـاء لأني كتبت بهـذه اليد آلاف الأحـاديث عن الأئمة الـطاهرين سـلام الله عليهم أجمعين(٧) .

***زيارة عاشوراء:**

جاء في ترجمة المرحوم الشيخ مرتضى حفيد الشيخ الأنصاري «كان من جملة عاداته قراءة زيارة عاشوراء مرتين في اليوم صبـاحاً وعصـراً وكان مـواظباً على ذلك جداً. . . وبعد وفاته رآه شخص في النوم فسأله عن حـاله فقـال في الجواب ثلاثاً: عاشوراء ، عاشوراء عاشوراء .

وقد كان الفقيه العادل المرحوم الشيخ جواد مشكور مرجع تقليد قسم من الشيعة في العراق وفي ليلة ٢٦ صفر ١٣٣٦ هـ .ق . رأى في منامه في النجف الأشرف عزرائيل (سلام الله عليه) وبعد السلام سأله: من أين جئت؟

ـ من شيراز وقد قبضت روح المرحوم الميرزا ابراهيم المحلاتي .

ـ وما حال روحه في عالم البرزخ .

ـ في أفضل الحالات وفي أحسن حـدائق البرزخ وقـد وكل الله بـه ألف ملك يطيعون أوامره .

ـ بسبب أي عمل وصل الى هذا لمقام .

ـ بسبب قراءة زيارة عاشوراء .

«المرحوم الميرزا المحلاتي لم يترك زيارة عاشوراء طيلة ثلاثين سنة في آخر عمره. . . وفي اليوم الذي كان لا يستطيع قراءتها لمرض أو غير ذلك كان

---

(٧) حاج شيخ عباس قمي مرد تقوا وفضيلت/٥٦/٥٨ .

يستنيب من يقرأها عنه» .

وفي اليوم التالي لليلة التي رأى فيها الشيخ مشكور هذا المنام ذهب الى منزل آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي ، الميرزا الثاني وحدثه بالمنام فبكى الميرزا. . . وسئل عن سبب البكاء فقال لقد توفي الميرزا المحلاتي وقد كان من أعمدة الفقه. . . قالوا: لقد رأى الشيخ مناماً وصدقُه غير معلوم ، قال الميرزا: بلى . . . منام. . . إلا أنه منام الشيخ مشكور وليس منام أفراد عاديين .

وفي اليوم التالي جاءت برقية من شيراز الى النجف تحمل نبأ وفاة الميرزا المحلاتي وتثبت صدق منام الشيخ[٨] .

*** الشهيد المجهول:**

كان الشهيد آية الله القدوسي رحمه الله يحب أهل بيت العصمة حبّاً جمّاً وكان ملتزماً بزيارة الجمعة وعاشوراء والتوسل بآل بيت النبي وبالحضور في مجالس عزاء سيد الشهداء (عليه السلام) كان رحمة الله عليه يقول: «كان العلامة الطباطبائي يؤكد على ذلك» ولم يكن يترك زيارة عاشوراء في أيام محرم وصفر وكان يهتم بزيارة الجامعة وكان يعتقد بقراءة النسخة الأكثر اعتماداً. . كان يقول أنا ملتزم في زيارة عاشوراء بنسخة المرحوم آية الله القاضي استاذ العلامة الطباطبائي ، نسخة المرحوم القاضي كما يلي: في جملات «فأسأل الله الذي اكرم مقامك واكرمني بكل أن يرزقني طلب ثأرك حذف كلمة «بك» ووصل وأكرمني بـ «أن يرزقني» وكذلك في جملة «أن يرزقني طلب ثارك مع إمام هدى اختار نسخة «مع امام مهدي»[٩] .

يقول أحد أصدقاء المرحوم القدوسي :

الظاهر أنه كان مواظباً على زيارة عاشوراء لأنه عندما كان المدعي العام للثورة رأيت في المنام أنه قد وهب علوماً خاصة نتيجة مواظبته على زيارة

---

(٨) داستانهاي شكفت/٢٧٣/ ٢٧٤ الفقه ١١٤ .

(٩) يادنامة شهيد قدوسي/ ٦٧/ ٦٨ .

عاشوراء ، وعندما حدثته بذلك تأثر وقال: منذ مـدة لم اوفق لذلـك. . . وكان هذا بسبب كثرة اشغاله في الادعاء العام وقد كان يعتبر هذه الأعمال أولى ومن هنا قال: منذ مدة لم أوفق لقراءة زيارة عاشوراء[10] .

* علاج البلاء:

يقول الشهيد دستغيب: نقل عن المرحـوم آية الله العـظمى الشيخ عبـد الكريم الحائري (مؤسس الحوزة في قم): عندما كنت أدرس في سامراء ابتلي اهالي سامراء بمرض الوباء والطاعون وكان يموت في كل يوم عدة .

ذات يـوم كنت في منزل استـاذي المرحـوم السيد محمـد فشاركي وقـد اجتمع عدة من أهل العلم وفجأة شرف المرحوم الميرزا محمـد تقي الشيرازي وجرى الحديث عن مرض الوباء وأن جميع الناس معرضون للخطر .

قال المرحوم الميرزا: إذا حكمت بحكم فهـل يجب تنفيذه أم لا؟ قـال جميع أهل المجلس: طبعاً قال: أنا أحكم أن يقرأ الشيعة الساكنون في سامراء من اليوم وحتى عشرة أيام زيارة عاشوراء ويهدون ثواب ذلـك الى روح السيدة نرجس والدة الامام الحجة بن الحسن عليهما السلام ليرتفع البلاء عنهم. . .

أبلغ أهل المجلس هذا الحكم الى جميـع الشيعة وبـدأ الجميع بقـراءة زيارة عاشوراء .

وفي اليوم التالي لم يمت أحد من الشيعة. . وتوقف ذلك كليـاً. . . نعم كان يموت في كل يوم عدد من السنة بحيث أصبح للجميع أن الشيعـة لم يعد يموت منهم أحد فسأل بعض السنة أصـدقاءهم الشيعـة عن لسبب فقالـوا: إنه زيارة عاشوراء وبدأ السنة بقراءتها فارتفع عنهم البلاء .

يضيف الشهيد دستغيب: لا شك أن مقام الميرزا الشيرازي أجل من أن

---

(١٠) المصدر السابق/ ٤٩ .

يقول شيئاً من عنده وحيث أن هذا التوسل أي قراءة عاشوراء لمدة عشرة أيام لم يرد في رواية. . . فلعله أصدر ذلك الحكم إثر رؤيا صادقة أو مكاشفة أو رؤية الإمام وقد ثبت صدق تأثيره .

كان يقام مجلس عزاء في منزل الميرزا الشيرازي في كربلاء طيلة أيام عاشوراء وكان في اليوم العاشر يذهب ومعه العلماء والطلاب الى حرم سيد الشهداء وحرم أبي الفضل العباس ويقيمون مجلس عزاء هناك أيضاً ، كانت عادة الميرزا أن يقرأ في غرفته كل يوم زيارة عاشوراء ثم ينزل للاشتراك في مجلس العزاء يقول أحد الأعاظم: ذات يوم كنت حاضراً قبل الموعد المقرر فجأة نزل الميرزا بحالة غير عادية منكسراً حزيناً. . . نزل الدرج ودخل المجلس وقال: اليوم يجب أن تذكروا مصيبة عطش سيد الشهداء ويكون العزاء حولها. . . فتأثر جميع أهل المجلس كثيراً وأغمي على بعضهم وعلى تلك الحالة انتقلوا برفقة الميرزا الى الصحن والحرم المقدس وكأنَّ الميرزا كان مأموراً بهذا التنبيه(١١) .

* زيارة عاشوراء اربعين يوماً:

يتحدث العالم الواعي والمتقي المرحوم آية الله النجفي القوجاني رحمه الله ـ الذي كان من طلاب الآخوند الخراساني البارزين ـ عن ذكريات أيام دراسته في أصفهان التي استمرت أربع سنوات (١٣١٤ ـ١٣١٨) هـ .ق . فيقول:

«بعد المجيء الى المدينة (أصفهان) رأيت ذات ليلة ، الموت في النوم. . . على شكل حيوان بحجم عجل عمره سنة ورأيت خلفه ثلاثة أو أربعة من أولاده وهم يسيرون خلفه في الهواء وهم أصغر منه. . . وأثناء مسيرهم في الهواء مرّوا من فوق منزلنا الذي كان في قوجان ونزل واحد من أولاده فقط على حائط منزلنا . كتبت الى والدي أخبرني عن وضعك لأني مشوش البال عليك

---

(١١) داستهانهاي شگفت/٣٢٣ القصة رقم ١٤٨ .

وقبل أن تصله رسالتي وصلتني رسالته يخبرني فيها بوفاة زوجته. . . وكتب أيضاً أن مبلغ الاثني عشر توماناً الذي اقترضته قبل عشر سنوات لـزيارة العتبـات قد أصبح بسبب الربا ثمانين توماناً. . . ولم تكن كل ممتلكات أبي تعادل ثمـانين توماناً .

قررت أن اقرأ زيارة عـاشوراء أربعين يـوماً على سـطح مسجد الشـاه في اصفهان وكانت لي ثلاث حوائج :

احداها دين والدي والثاني المغفرة والثالثة العلم الكثير والاجتهـاد كنت أبدأ بقراءتها قبل الظهر وأنتهي فيها قبل الآذان كـانت تستغرق سـاعتين انتهت الأربعون يوماً. . ولم يمض شهر حتى جاءتني رسالة من والدي يقول فيها لقـد أدى الامام موسى ابن جعفر (عليه السلام) ديني. . . فكتبت إليه بـل أداه سيد الشهداء «وكلهم نور واحد» ولأن زيارة عاشوراء ظهر اثرها سريعاً ولم يكن ذلك ممكناً بحسب الأسباب الظاهرية فقد عقـدت العزم على أن اقـرأها في محـرم وصفر لحاجة هي أهم الحاجات في رأيي. . . وقرأتها أربعين يومـاً على سطح مسجد الشاه بكامل الاهتمام وكمال الاحتيـاط بمعنى أني كنت أمضي ساعتين متجهاً الى القبلة ، واقفاً في مقابل الشمس حتى النهاية . انتهى الختم الثـاني بعدها رأيت مناماً أن الحاجة قضيت»[١٢] .

وقد سافر المرحوم النجفي القوجاني الى النجف الأشرف عام ١٣١٨ هـ وقد كان عمره آنذاك ثلاثاً وعشرين سنة وهو يبين بعض عادات الـطلاب آنذاك كما يلي :

سنوياً وفي زيارة الأربعين ، نصف رجب ، نصف شعبان وعرفة. . . كان من واجباتي أنا وطلاب النجف ـ نوعاً ـ الذهـاب الى كربـلاء. . . أما في أول رجب وعيد الفطر وعـاشوراء فقـد كان الـذهاب من المستحبـات كانـوا أحيانـاً يـذهبون وأحيـاناً اخـرى لا يذهبـون. . . سبب عدم ذهـابهم الى كـربـلاء في

(١٢) سياحت شرق بتصرف .

عاشوراء أن مجالس العزاء نوعاً في خصوص عاشوراء هي في النجف أفضل منها في كربلاء بمحتواها وروحانيتها ولذلك كانوا يبقون في النجف ويزورون من هناك[١٣] .

العلاقة بسيد الشهداء (عليه السلام):

«إحدى خصوصيات الشهيد السيد مصطفى الخميني ابن الامام الخميني أنه كان ملتزماً بالذهاب الى كربلاء من النجف الأشرف سيراً على الأقدام وفي جميع الزيارات الخاصة بالامام الحسين (عليه السلام) كان الناس في النجف عادة يذهبون الى كربلاء سيراً على الأقدام سنوياً في النصف من شعبان وعرفة والأربعين وأول رجب ونصفه وكان هو يذهب في عدة مناسبات. . أحياناً كانت قدماه تتورمان وتدميان. . إلا أنه وبالرغم من ذلك يواصل طريقه. . . لقد كان رحمه الله ظريفاً ذواقة حلو المعشر أنيس المجلس. . ومع ذلك فقد كان في أوقات الدعاء والزيارة لا نظير له أثناء دعاء التوسل في الطريق الى كربلاء. . كان يواصل السير ويقرأ الدعاء بكل توجه والدموع تنهمر من عينيه طيلة فترة الدعاء وعندما يحين ذكر مصيبة سيد الشهداء كان يبكي بكاء الثكلى وبصوت عال وكتفاه يهتزان من شدة البكاء. .

كان هناك شخص اسمه الشيخ جعفر. . يقرأ العزاء دائماً باختصار بعد صلاة الامام الخميني في مسجد الشيخ ولم يكن الحاضرون يهتمون بمجلسه فكانوا يغادرون المسجد تدريجياً. . . الوحيد الذي كان ملتزماً بالاستماع إليه هو المرحوم الشهيد السيد مصطفى. . . حتى أنه احياناً كان يبقى المستمع الوحيد لمجلس الشيخ جعفر»!

نعم هذا هو رجل الجهاد ومجلس العزاء. . . رجل الكفاح ودعاء التوسل ، رجل السيف وزيارة سيد الشهداء سيراً على الأقدام .

---

(١٣) سياحت شرق/ ٣٩٠ .

* الشيخ محمد جواد البلاغي رحمه الله:

كـان شديـد العلاقـة بـآل بيت الـرسـالـة. . خصـوصـاً الإمـام الحسين (عليه السلام) يقول مؤلف «ماضي النجف وحاضرها» .

له في الحسين (عليه السـلام) عقيدة راسخـة وحب ثابت ولـولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية (. . .) لكنه تمسك بها والتزم بشعائـرها وقـام بها خيـر قيـام (. .) وكـان يسـر شخصيـاً في مـواكب العـزاء ويحث النـاس على ذلك[14] .

* قراءة العزاء قبل التدريس:

كان آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري يأمر أن يقـرأ أحد قبـل بدئه بالتدريس مجلس عزاء سيد الشهداء (عليه السلام) وبعد ذلك يبدأ درسه .
كذلك كان سماحته حتى بعد أن أصبح المرجع الأعلى يشترك في مواكب اللطم والعزاء وكسائر الناس العاديين يلطم على رأسه وصدره وعندمـا سئل عن ذلـك قال: كلما عندي فهو من الإمام الحسين (عليه السلام) ثم يهدي له قصة مرضه ونجاته عن الموت بشفاعة سيد الشهداء (عليه السلام)[15] .

* صاحب عبقات الأنوار رحمه الله:

يقول الشيخ آقا بزرگ الطهراني: في ترمة العالم المحقق المتتبع صاحب المجموعة العظيمة والقيمـة «عبقات الأنـوار» مير حـامد حسين رحمـه الله: ما يلي: أخبرني الميرزا محمد الطهراني العسكري نقلاً عنّ السيد حسين اليزدي الخطيب الحائري أنه ـ أي السيد حسين ـ قال:

«كنت مسبوقاً أن السيد حامد حسين لا يطيق سماع المصائب المشجيـة التي جرت على جده الحسين، وأهـل بيته عليهم السـلام، ولذا لا تُقـرأ في

---

(١٤) مشكاة، العدد١/١٢٦/١٢٨ .

(١٥) گنجينه دانشمندان ج١/٣٠٢ .

محضره ، فاتفق يوماً أنه دخل الحسينية في «لكهنوا» حين قراءتي ولم أشعر به ، وقرأت بعض المصائب واذا بالأصوات قد ارتفعت ، والكل يأمرني بالتوقف عن القراءة ، وبعد حين ظهر لي أن السيد قد غشي عليه»[١٦] .

* صاحب مستدرك الوسائل:

يقول صاحب الذريعة عن استاذه الكبير المرحوم الشيخ حسين النوري ـ صاحب مستدرك الوسائل:

ومما سنه في تلك الاعوام: ـ اثناء اقامته في النجف ـ زيارة سيد الشهداء مشياً على الأقدام فقد كان ذلك في زمن الشيخ الأنصاري من سفن الأخيار وأعظم الشعائر ولكن ترك في الأخير وصار من علائم الفقر وخصائص الأدنون من الناس فكان العازم على ذلك يتخفى عن الناس لما في ذلك من الذل والعار فلما رأى شيخنا ضعف هذا الأمر اهتم له والتزمه فكان في خصوص زيارة عيد الأضحى يكتري بعض الدواب لحمل الأثقال والأمتعة ويمشي هو وصحبه لكنه لضعف مزاجه لا يستطيع قطع المسافة من النجف الى كربلاء بمبيت ليلة كما هو المعتاد آنذاك ، بل كان يقضي في الطريق ثلاث ليالي (. . .) وفي السنة الثانية والثالثة زادت رغبة الناس والصلحاء بالأمر وذهب ما كان في ذلك من الاهانة والذل الى أن صار عدد الخيم في بعض السنين أزيد من ثلاثين لكل واحدة بين العشرين والثلاثين نفراً .

ويقول رحمه الله :

كان ـ أعلى الله مقامه ـ ملتزماً بالوظائف الشرعية على الدوام وكان لكل ساعة من يومه شغل خاص لا يتخلف عنه فوقت كتابته من بعد صلاة العصر الى قرب الغروب ووقت مطالعته عن بعد العشاء الى وقت النوم وكان لا ينام إلا متطهراً ولا ينام من الليل الا قليلاً ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين فيجدد وضوءه

---

(١٦) نقباء البشر ، طبقات أعلام الشيعة ج ١/٣٤٩/٣٥ .

ولا يستعمل الماء القليل بل كان لا يطهر الا بالكر ـ ثم يتشرف قبل الفجر بساعة الى الحرم المطهر ويقف ـ صيفاً وشتاءً ـ خلف باب القبلة فيشتغل بنوافل الليل إلى أن يأتي السيد داود نائب خازن الروضة وبيده مفاتيح الروضة فيفتح الباب ويدخل شيخنا وهو اول داخل لها وقتذاك وكان يشترك مع نائب الخازن بايقاد الشموع ثم يقف في جانب الرأس الشريف فيشرع بالزيارة والتهجد الى أن يطلع الفجر فيصلي الصبح جماعة مع بعض خواصه من العباد والأوتاد ويشتغل بالتعقيب وقبل شروق الشمس بقليل يعود الى داره فيتوجه رأساً الى مكتبته العظيمة المشتملة على ألوف من نفائس الكتب والآثار النادرة العزيزة الوجود أو المختصرة عنده فلا يخرج منها إلا للضرورة (. . .) أما في يوم الجمعة فكان يغير منهجه ويشتغل بعد الرجوع من الحرم الشريف بمطالعة بعض كتب الذكر والمصيبة ـ العزاء ـ لترتيب ما يقرؤه على المنبر في داره ويخرج من مكتبته بعد الشمس بساعة الى مجلسه العام فيجلس ويحيي الحاضرين ويؤدي التعارفات ثم يرقى المنبر فيقرأ ما رآه في الكتب ذلك اليوم ومع ذلك يحتاط في ما ليس مصرحاً به في الأخبار القطعية وكان إذا قرأ المصيبة تنحدر دموعه على شيبته. . وبعد انقضاء المجلس يشتغل بوظائف الجمعة من التقليم والحلق وقصّ الشارب والغسل والأدعية والآداب والنوافل وغيرها وكان لا يكتب بعد عصر الجمعة ـ على عادته ـ بل بتشرف بزيارة الحرم ويشتغل بالمأثور الى الغروب. . . كانت هذه عادته الى أن انتقل الى جوار ربه[١٧] .

*** العلامة الطباطبائي رحمه الله:**

من صفات هذا الرجل الروحاني الكبير تعلقه الذي لا يوصف ، وخشوعه في محراب آل النبي الأكرم ولم تكن انشغالاته العلمية ليلاً ونهاراً لتحول بينه وبين التوسل بهم ورفع التحية والسلام الى مقام الرسالة والولاية وكان يعتبر أن

---

(١٧) رجم المؤلف النص نقلاً عنه طبقات اعلام الشيعة ج٢/٥٤٦/٥٤٨ وقد أوردته هنا نقلاً عن مقدمة دار السلام نقلاً عن المصدر المذكور بتصرف يسير .

توفيقه رهن بهـذه التوسـلات ،.. وكان شـديد الإحتـرام لأحاديثهم... حتى الروايات المرسلة والضعيفة ، كان يتعامل معها باحتياط ولم يكن يحتمل ادنى اساءة أدب واعوجاج سليقة تجاه هذه السلالة الطاهرة .

* يقول أحد تلامذة العلامة :

كان للأستاذ علاقة خاصة ومحبة مميـزة للأئمـة الطاهـرين «صلوات الله عليهم أجمعين»... وعندما يذكر اسم أحدهم كانت تـظهر في وجهـه ملامـح التواضع والأدب... وكان يكن احتراماً خاصاً للامام صاحب الزمان (أرواحنـا فـداه) كان يعتبـر أن لهم (عليهم السلام) رسـول الله (صلى الله عليه وآلـه) ، والأئمة عليهم السلام ، والصديقة الكبرى) مقاماً ومنزلـة فوق التصـور ، وكان يتميز بالخضوع والخشوع الواقعيين ، والوجدانيين ، تجاههم ، ويعتبر منزلتهم ملكوتية ، كما كان محيطاً بسيرتهم وتاريخهم بشكل كامل .

* ويقول تلميذ آخر من تلامذته :

«... النقطة الأولى العلاقة بأهل البيت عليهم السلام وفي الحقيقة كان الولاء إهل البيت بالنسبة إليه بمنزلة الشمعة التي تضيء ليـل حياتـه... كانت عـلاقته بـأهـل البيت ، خصـوصـاً أميـر المؤمنين (عليـه السـلام) ، تبلغ حـد العشق.. لا أذكـر أبـداً أنـه مـر بــذكـر اسم احــد الأئمـة دون أداء مــراسم الاحترام ،... في مشهد حيث كان يتشرف سنوياً ويقضي الصيف... عندما يدخل صحن حرم الامام الرضا (سلام الله عليه) رأيت مـرار ـ عندمـا كنت في خـدمتـه ـ أنـه يضـع يـديـه المـرتعشتين على عتبـة البـاب ويقبلهـا ـ وببــدنـه المرتجف ـ من صميم القلب .

وأحياناً عندما كنت التمسه الدعاء كان يقول لي : اذهب وخذ حاجتك من الامام (عليه السلام) نحن هنا لسنا شيئاً كل شيء هناك» .

لم يكن يتحمـل أدنى اساءة أدب ومن أي شخص تجـاه آل النبي ومقام الولاية... وكان يتعامل مع هؤلاء الأشخـاص بمنتهى الحزم... من الممكن

أن يتساهل في الأخطاء العلمية. . . ويلتزم في تصحيحها ونقدها حدود الأدب العلمي. . أما في مقابل الأشخاص الذين يسيؤون ولو قليلاً الى مقام ولاية أهل البيت فلم يكن يستطيع أن يسكت. . . بل كان يواجه ذلك بأي نحو كان، طريقته هذه واضحة في كتبه أما في المجلس فقد كانت اكثر صراحة وأشد وضوحاً.

في ليالي شهر رمضان كان يشترك في المجالس التي يقرأ فيها عزاء سيد الشهداء (عليه السلام)، أحياناً كان يبقى الى السحر، وكان حبه لأهل البيت، وتعلقه بهم، يظهر بوضوح.

وكان غالباً ما يشترك في مجالس العزاء والمراثي، في أيام الجمعة، وأحياناً كان يبكي بكاءً مريراً، وبصوت عال، بحيث أن بدنه كله يرتجف، والدموع تنهمر من عينيه، ولا شك أن كثيراً من توفيقاته وليدة هذه الخصلة (. . .) وهي خصلة بارزة في جميع تلامذته، كان يحيي جميع ليالي شهر رمضان حتى الصباح مستغلاً بالعبادة والكتابة وكان ينام مع طلوع الشمس ـ وبعد عبادات السحر ـ الى الظهر. . .[18].

* المسير الى الجهاد ومسجد السهلة:

عندما هاجم الروس والانكليز ايران في أواخر أيام الآخوند الخراساني (صاحب الكفاية) رحمه الله ـ وأصدر المرحوم الخراساني، حكم الجهاد، قررت الأكثرية الساحقة من علماء العراق، التوجه معه الى ايران، يقول مؤلف كتاب «حياة الاسلام» في هذا الصدد:

بعد أن اتفق جميع علماء النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء مع سماحته على التوجه للدفاع عن البلد الاسلامي (إيران) قرر سماحته التوجه ليلة الأربعاء ٢١ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩ هـ.ق الى مسجد السهلة للتوسل بولي

---

(١٨) يادنامة علامة طباطبائي/١٧٢/١٧٤ بتصرف.

العصر (عجل الله فرجه:) ومنه الى كربلاء فالكاظمية ومنها إلى إيران مع جميع حجج الإسلام .

عند ذلك حجز كثير من الفضلاء والمجتهدين غرفهم قبل يوم من الموعد المقرر وكان لكل عشرة أو اثني عشر منهم غرفة ونقلوا كل أمتعة السفر الى مسجد السهلة. . . حتى أن الكسبة كالخباز والبقال نقلوا أسباب كسبهم الى مسجد السهلة وكثير منهم قرروا السفر الى ايران[١٩] .

*** صدر المتألهين:**

هذا الفيلسوف الكبير كان مقيماً في «كهك» مشغولاً ببحث المسائل الفلسفية وتحقيقها. . . كان ينتقل بين الحين والآخر من كهله الى قم لزيارة المعصومة سلام الله عليها والتوسل بها لحل المشكلات العلمية (. . .) يقول الملا صدرا في بحث اتحاد العاقل بالمعقول بهذا الصدد ما يلي:

إن مسألة كون النفس عاقلة لصور الأشياء المعقولة من أغمض المسائل الحكمية التي لم تنقح لأحد من علماء الاسلام الى يومنا هذا ونحن لما رأينا صعوبة هذه المسألة وتأملنا في اشكال كعب العلم بالجوهر جوهراً او عرضاً ولم نر في كتب القوم سيما كتب رئيسهم «أبي علي» كالشفاء ، والنجاة ، والاشارات ، وعيون الحكمة ، وغيرها ، ما يشفي الغليل ، ويروي الغليل ، بل وجدناه وكل من في طبقته وأشباهه ، كتلميذه «بهمينار» وشيخ أتباع الرواقيين والمحقق الطوسي نصير الدين وغيرهم من أصحابه الأوهام والخيالات (. . .) فتوجهنا توجهاً توجهاً الى منسبب الاسباب وتضرعنا تضرعاً غريزياً الى مسهل الامور الصعاب في فتح هذا الباب إذا كنا قد جربنا مراراً كثيرة سيما في باب اعلام الخيرات العلمية والهام الحقائق الإلهية لمستحقيه ومحتاجيه أن عادته الإحسان والانعام وشيمته رفع أعلام الهداية وبسط أنوار الإفاضة فأفاض علينا في ساعة تسويدي هذا الفصل من خزائن علمه علماً جديداً وفتح على قلوبنا من

---

(١٩) مرگي درنور/٢٦٩ .

أبواب رحمته فتحاً مبيناً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فنقول. . . »[٢٠] .

(. . .) وقد نقل أحد العلماء عن خط صدر المتألهين رحمه الله ما يوضح انتقاله عليه الرحمة من «كهك» الى قم لزيارة المعصومة عليها السلام لهذا الغرض. . . وهو قوله:

«كنت حين تسويدي هذا المقام «بكهگ» من قرى قم فجئت الى قم زائراً لبنت موسى بن جعفر سلام الله عليهما مستمداً منها وكان يوم جمعة فانكشف لي هذا الأمر بعون الله تعالى[٢١] .

كما نقل أحد العلماء عن خط ابن صدر المتألهين تاريخ هذه الافاضة (الذهاب الى قم للزيارة وما أفاضه الله عليه وأنه يوم الجمعة في شهر جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين بعد الألف وقد مضى من عمر المؤلف آنذاك ثمان وخمسون سنة»[٢٢] .

ويوضح نص آخر أن يوم الجمعة ذاك كان السابع من شهر جمادى الأولى[٢٣] .

*** الحقيقة المرة:**

مما قدم يتضح جيداً أن طريقة العلماء الربانيين هي التوجه والتوسل بالأئمة الأطهار عليهم السلام وقراءة الادعية والزيارات. . . هنا يجب الاعتراف للاسف أن الدعايات المسمومة التي بثّها المستعمرون قبل الثورة ـ الاسلامية في ايران ـ تركت اثرها في ابعاد الناس عن الأدعية والأمر كذلك أيضاً بالنسبة لكثير من الطلاب الأميين أو المتعلمين إلا أنهم ليسوا هادفين بل هم لا أباليون حتى

---

(٢٠) الاسفار/ ج ٣/٣١٢ ـ ٣١٣ .
(٢١) اتحاد عاقل به معقول ـ فارسي/١٠٧/١٠٩ .
(٢٢) المصدر السابق .
(٢٣) منتخباتي أز رثار حكماي إلهي إيران /ج١/١٨ الهامش .

أن بعض المدارس العلمية لا تقرأ فيها أدعية تعقيب الصلاة ويقرؤون بدلاً منها سورة من القرآن وباختصار ، تركت «المفاتيح» جانباً الى ان كان انتصار الثورة واستطاع الامام هذا القائد الإلهي أن يقضي على آثار تلك الدعايات المسومة بحيث أصبح الآن وببركة وجوده الشريف يقرأ دعاء الندبة وكميل والتوسل والخ . . . في أكثر مدن ايران وقراها . . .

ومن المناسب في نهاية المطاف هنا إيراد بعض كلماته الدرية :

يقول (رضوان الله تعالى عليه) :

أوضح الأئمة الطاهرون كثيراً في المسائل بلسان الأدعية . . . لسان الادعية يختلف كثيراً عما عداه من اساليبهم عليهم السلام والتي كان يبينون بها الأحكام .

اكثر المسائل الروحانية ، مسائل وراء الطبيعة ، وما يتعلق بمعرفة الله ، بينوه بلسان الأدعية ولكن نحن نقرأ هذه الأدعية الى الآخر وللأسف لا نلتفت الى هذه المعاني[٢٤]«هذه الأدعية هذه التوجهات الى الله تنبه الانسان الى المبدأ الغيبي ، وليست فقط لا تحد من النشاط ، بل انها سبب النشاط والفعالية ، الفعالية التي ليست للذات ، بل لعباد الله . . . ويفهم أن الفعالية لعباد الله هي خدمة لله .

هؤلاء الذين ينتقدون كتب الأدعية انما يفعلون ذلك لأنهم لا يعلمون أن هذه الأدعية الواردة عن أئمتنا كالمناجاة الشعبانية ودعاءِ كميل ودعاء عرفة والسمات و. . . كيف تصلح الانسان[٢٥] .

ومن هنا نرى أن الإمام عندما ابعد الى تركيا يطلب في إحدى رسائله الأولى التي كتبها الى عائلته أن يرسلوا إليه «مفاتيح الجنان» والصحيفة السجادية

---

(٢٤) الجهاد الأكبر .

(٢٥) دعاي روز عرفه (روز شناخت» المقدمة بتصرف .

ولم يغفل عن هذا الأمر كسائر أبعاد الإسلام ـ في أي وقت من الأوقات[٢٦] .

﴿واذا سـألـك عبـادي عني فـإني قـريب أجيب دعـوة الـداع اذا دعـان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[٢٧] .

* * *

(٢٦) نهضت امام خميني ج٢/٨ .
(٢٧) سورة البقرة، آية (١٨٦).

* القسم السابع...

* صلاة الليل... سر النجاح...

يا طويل الرقاد والغفلات   كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت إليه   لرقاداً يطول بعد الممات
ومهاداً ممهداً لك فيه   بذنوب عملت أو حسنات

المحجة البيضاء/ ج٢/ ٣٩٧

* من الأمـور التي يجب على جميـع المسلمين. . . خصـوصـاً طـلاب العلوم الدينيةوالروحانيين. . أن يهتموا بها مسألة قيام السحر والتهجد والتضرع في الأسحار .

ذكرت هذه المسألة في القرآن الكريم في اكثر من عشر مواضع وقد ورد الثناء على المتهجدين بالأسحار بعبارات مختلفة .

* والـروايات في فضيلتـه صلاة الليـل وذم تركهـا. . . بنـاءً على كـلام العارف الواصل المرحوم الملكي التبريزي رحمه الله. . . بلغت حد التواتر[١] .

* يقول الإمام الصادق (عليه السلام): ليس من شيعتنا من لم يصل صلاة الليل[٢] .

* ويرى احد أساتذة الأخلاق أن من الواجبات الحتمية للطلاب أن يهتموا بهذا المستحب ويلتزموا به وينيروا قلوبهم بالمنـاجاة في الأسحـار ، والاختلاء بالله تعالى ، والتفكر في ريات الحق . ويحوِّلوا بذلك ظلمة الليل الى نهار .

* يقول المرحوم الملكي التبريزي :

---

(١) اسرار الصلاة/٢٨٩ .

(٢) اسرار الصلاة/٢٩٣ بتصرف يسير .

وحكى لي شيخي في العلوم الحقة: أنه ما وصل أحد من طلاب الآخرة الى شيء من المقامات الدينية إلا ـ إذا كان ـ من المتهجدين» .

* يقول العلامة الطباطبائي :

عندما تشرفت بالنجف الأشرف للدراسة ونظراً للقرابة والرحم ، كنت أحياناً أتشرف بزيارة المرحوم القاضي وذات يوم كنت واقفاً في مدرسة في النجف فمر المرحوم القاضي من هناك وعندما وصل اليّ وضع يده على كتفي وقال: يا بني اذا كنت تريد الدنيا فصلِّ صلاة الليل واذا كنت تريد الآخرة فصلِّ صلاة الليل .

وقد أثر فيّ هذا الكلام الى حد اني بعد ذلك وطيلة خمس سنوات رجعت بعدها الى ايران لم اترك مجلس السيد القاضي وكنت أصلي الليل عنده بالنهار . . ولم أفوت لحظة يمكنني الاستفادة فيها من فيضه . . وبعد عودتي الى وطني المألوف وحتى وقت وفاة الاستاذ كانت علاقاتنا قائمة وكان المرحوم القاضي ـ وبمقتضى علاقة الاستاذ والتلميذ ـ يزودني بأوامره وتوجيهاته وكانت المراسلات بيننا مستمرة .

ويضيف العلامة: نحن كل ما عندنا فهو من المرحوم القاضي(٣) .

نعم . . . هكذا تصنع المواعظ البليغة بأهلها . .

في حديث عن الامام الصادق (عليه السلام) :

أبغض الخلق الى الله جيفة بالليل يطال بالنهار(٤) .

---

(٣) مهرتاباان/ ١٦ .

(٤) اسرار الصلاة/ ٢٨٩ .

* **التربية السيئة:**

قال أحد الطلاب: قال لي احدهم ـ وهو بحسب الظاهر عالم متّقٍ: الأفضل أن لا يصلي الانسان صلاة الليل، وأن يصلي صلاة الصبح في اخر وقتها، حتى لا يصاب بالعجب والتكبر... وحيث أن صلاة الليل تؤدي الى الغرور فيجب تركها..

أضاف ذلك الطالب: إثر كلامه ـ وحيث أني كنت اثق به ـ تركت صلاة الليل عدة سنوات مع أني كنت أبقى مستيقظاً وقت السحر.

انظر الى هذه التربية السيئة والتفكير الأعوج.. قيل لذلك الطالب: إن ذلك الشخص كان شيطاناً قال هذا القول المزخرف لأنه اذا كان ذلك صحيحاً فإنه ينسحب على جميع المستحبات وعليه فيجب القول بترك صلاة الجماعة وقراءة القرآن والدعاء حتى لا نقع في الغرور. وفساد هذا الكلام من الوضوح بحيث لا يحتاج الى بسط القول في رده..

إن من البديهي أن الإنسان يجب عليه حتى مع أداء المستحبات... أن ينقي نفسه من الرذائل الأخلاقية ومن حيث المبدأ فإن صلاة الليل نفسها سبب في توفيق الإنسان لتصفية نفسه من الصفات الرذيلة... والله الذي وفق لصلاة الليل يوفق للسلامة من مرض العجب الخطير.

ثم إن هذا الشخص اللاأبالي الى هذا الحد... بحيث أنه يؤخر صلاة الصبح الى آخر الوقت... لا معنى أبداً لابتلائه بالعجب.. ولم العجب.. إنه كالأعمى الذي لا يمكنه أن يرى من ليست محرماً له..

ان التحدي الكبير هو أن يلتزم الانسان بالمستحبات ولا يبتلي بالعجب.. أما التقوى السلبية فلا قيمة لها.. بل المهم هو التقوى الايجابية..

* **يقول السالك الكامل المرحوم الملكي:**

نعم قد ينام من تهيأ للإنتباه (...) لطفاً من الله اللطيف عليه في سياسته

امر عبوديته حفظاً له من العجب أو تعريضاً له لزيادة الأجر من كثرة اسف قوت التهجد ولكن الذي يستفاد من الأخبار أن ذلك لا يكون إلا قليلاً ليلة أو ليلتين(٥) .

* * *

ويرى البعض أن قيام الليل ونافلته تتنافى مع الدرس وتحول دون التحصيل وأنها باختصار مضيعة للوقت. . ويجب قضاء ذلك الوقت في الدرس والمطالعة .

يقول آية الله الملكي التبريزي في جواب هؤلاء:

وكيف كان فإن من له ادنى تتبع في اخبار اهل البيت واحوال السلف من مشايخنا العظام رحمهم الله ، لا يشك في أن صلاة الليل ليست ضد تحصيل العلم بل هي من أسبابه القريبة والقوية وكثيراً ما رأينا من المحصلين من كان من المتهجدين وصار ذلك سبباً لاستقامة فهمه وجودة ذهنه في الوصول الى المطالب الحقة في المسائل العلمية وارتقى الى المراتب العالية في العلم بخلاف الطلاب المجدين في مطالعة الكتب العلمية ـ غير التهجدين ـ فقلما خرج منهم صاحب ملكة مستقيمة ، نعم ربما يوجد فيهم مدقق مشكك ولكن لا يكون محققاً ولا يكون في علمه بركة كاملة بل يقل خيره ونوره ولا يوفق لفوائد هذا العلم(٦) .

وقد تناول آية الله التبريزي أهمية صلاة الليل بالتفصيل في كتابه القيّم «أسرار الصلاة» فليراجع . وعلى اي حال فلا شك في أن من اكبر مصاديق توفيق الطالب هو قيام السحر. . وكل من حرم من هذا الفيض يجب عليه أن يكون بصدد الحصول عليه وليعلم أن احداً لم يتمكن من الوصول الى اي هدف ومرتبة بدون صلاة الليل .

---

(٥) اسرار الصلاة/٢٩١ .

(٦) اسرار الصلاة/٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

زينب عليها السلام ليلة الحادي عشر من محرم:

في ليلة العاشر من محرم كانت زينب وكان الحسين (عليه السلام) كانت زينب وكان الجميع.. كل شخص، وكل شيء.. في ليلة الحادي عشر كانت زينب ولم يكن غير زينب زينب سيدة النساء.. في هذه الليلة كانت زينب هي الراعي، هي قائدة قافلة الأسرى وملجأ الأيتام.. رغم ثقل المصائب ومرارتها.. كانت زينب طوداً شامخاً واجهت المصائب ولم يرمش لها جفن.

تولت حراسة الاسرى، تولت جمع النساء والأطفال.. تولت تجميع الهائمين على وجوههم في الصحراء، تولت تمريض العليل الضعيف.. كانت الروح للاجساد التي فقدت الروح.. والبهجة للقلوب التي فقدت البهجة والرمق للنفوس التي فقدت الرمق.

كانت تمضي مسرعةً من هذه الجهة الى تلك.. تبحث عمن افتقدت.. كان ضرب السياط يؤلمها.. وأشواك الصحراء تدميها.. إلا أن زينب تبحث عن اليتامى.. كانت كبدها تحترق ولكنها تبحث عن اليتامى..

هذا الجسد الذي هده الألم.. كان معجزة.. أثبتت زينب كفاءة منقطعة النظير فلم يسقط طفل تحت حوافر الخيل... ولا احترقت امرأة بالنار.. ولا ضاع طفل في تلك الليلة المشؤومة.

وبعد أن انجزت زينب كل هذه المهام واطمأنت على سلامة الجميع توجهت الى الله وانصرفت الى العبادة وصلت صلاة الليل..

لقد كانت متعبة جداً بحيث أنها لم تستطع أن تصليها وقوفاً.. فصلت صلاة الليل من جلوس وتضرعت الى الله تعالى وابتهلت.

كانت زينب إلّهية.. والإلهيون هكذا يواجهون المصائب ولا يرمش لهم جفن.. صابرين.. شاكرين..

* والد العلامة الشهيد مطهري:

يقول الأستاذ الشهيد:

هناك سلسلة لذائذ معنوية ، تنمي معنوياتنا ، وتسمو بها ، صلاة الليل له عند من هو من أهل التهجد ، وصلاة الليل ، ومن هو من الصادقين ، والصابرين ، والمستغفرين بالأسحار ، لذة وبهجه . . . تلك اللذة التي يشعر بها مصلٍ حقيقي ، وواقعي ، لصلاة الليل ، من صلاة ليلة من قوله «أستغفر الله ربي واتوب إليه» من قوله «العفو العفو» وذكر اربعين مؤمناً على الأقل والدعاء لهم . . اللذة التي يشعر بها من قوله «يا رب يا رب» لا يمكن ابداً أن يشعر بها ، بشخص بطال يتسكع في علب الليل . . . لذة صلاة الليل اعمق بكثير ، أقوى . . اكثر نشاطاً . . ولكن اذا اغرقنا انفسنا في لذة الدنيا المادية . . مثلاً نتحلق اول الليل حول بعضنا . . . ونأخذ بالحديث والضحك . . ولنفترض اننا لم نغتب لأن ذلك حرام . . واقتصرنا فقط على المزاح المباح . . وبعدها توضع المائدة . . ونأكل حتى التخمة ، بحيث يصبح حتى التنفس صعباً علينا . . بعدها نسقط كالموتى في فراشنا . . هل نستطيع آنذاك أن نوفق للإستيقاظ» سحراً قبل طلوع الفجر بساعتين ونناجي من أعماق الروح « يا رب ، يا رب» اصلاً لن نستيقظ . . واذا استيقظنا فكالسكارى نعب الماء عبّاً .

إذن اذا أراد الإنسان أن يدرك اللذائذ المعنوية والإلهية في هذه الدنيا لا سبيل له إلا أن يصدَّ نفسه عن اللذائذ المادية .

أقسم بالله ، أن اللذة التي يشعر بها المؤمن عندما يستيقظ في ذلك الوقت في الليل ، ويقع نظره على السماء المليئة بالنجوم ويقرأ آيات آخر سورة آل عمران التي هي صوت الوجود المنبعث من قلب الوجود . . . ويتحد صوته ـ بقراءتها ـ مع صوت الوجود ـ هذه اللذة ـ تعادل عمراً من اللذة المادية في هذه الدنيا . . إنسان كهذا لا يستطيع أن يعيش مثلنا ، لا يستطيع أن يجلس الى مائدة العشاء مع أنه ظهراً تناول الأطعمة الدسمة ، أنواع اللحوم ، والسمن الحيواني والنباتي ، أنواع الحلويات وأنواع المقبلات . . ولا يستطيع أن يجلس عشاءً

ويتناول أيضاً مقداراً من الحساء لتحريك اشتهائه للطعام .

الشخص الذي يفعل ذلك لا يستطيع أن يستيقظ عند منتصف الليل . . واذا استيقظ فلا يمكنه أن يلتذ بالمناجاة .

لذلك فإن الأشخاص الذين كانوا أهلاً لهذه التوفيقات ـ وقد رأيناهم ـ لم يكونوا يأبهون لهذه اللذائذ المادية التي تعلقنا بها . . .

ولا مانع عن أن اذكر بالخير هنا والدي المعظم . . من أول وعيي كنت أرى هذا الرجل الشريف لا يسمح ابداً ان يتجاوز وقت نومه ثلاث ساعات بعد الغروب ـ كان ينام في هذا الوقت باستمرار . . يتناول طعام العشاء أول الليل وبعد ثلاث ساعات بدءاً من أذان المغرب ـ ينام ، ويستيقظ قبل طلوع الفجر بساعتين على الأقل ، والمقدار الذي كان يقرأه من القرآن هو جزء على الأقل ، وبأي فراغ بال واطمئنان خاطر . . كان يؤدي صلاة الليل ، الآن ، مضي من عمره حوالي مئة سنة وما رأيت ابداً انه رأى مناماً مزعجاً . . هذه الأمور تحيي القلب . . والانسان الذي يريد أن يستفيد من مثل هذه اللذة لا بد وأن يخفف من اللذائذ المادية ليصل الى تلك اللذة الأعمق»[7]نعم إن أباً كهذا يقدم للمجتمع ابناً كهذا . . .

* الشهيد مطهري :

إحدى خصوصيات الشهيد مطهري (رضوان الله عليه) اهتمامه الكبير بالتهجد وقيام الليل وقد كان منذ فترة دراسته الى آخر عمره المبارك ملتزماً بذلك .

يقول الشيخ المنتظري بهذا الصدد:

من خصائص المرحوم التزام وجبه المفرط للذكر ، والدعاء ، وقيام

(٧) احياء تفكر اسلامي/٩٣/٩٥ ومن الجدير بالذكر أن الشهيد مطهري كتب هذا في حياة والده الذي توفي قبل شهادة الاستاذ الشهيد بعدة سنوات .

الليل ، أذكر أنه في أوائل تعارفنا . . كـان ملتزمـاً بصلاة الليـل ، وكان يحثني عليها وكنت أتملص من ذلك بحجة أن ماء حوض المدرسة مالـح وغير نـظيف ومضـر لعيني . . الى أن رأيت ذات ليلة في النوم أني نـائم وشخص يـوقـظني قائلاً : أنا عثمان بن حنيف ممثل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يأمرك الامام أن تنهض وتصلي صلاة الليل وهذه الرسالة أرسلها (عليه السلام) إليك . . كان مكتوباً في تلك الرسالة التي كان حجمها صغيراً بخط أخضر «هذه براءة لك من النار» وفي عالم النوم جلست متحيراً مفكراً بالفـاصل الـزمني بين عصر الامـام (عليه السلام) وعصرنا وأثناء جلوسي في النوم متحيراً أيقظني الشهيد مطهـري وبيده إناء ماء قائلاً : أحضرت هذا الماء من النهر ، قم وصل صـلاة الليل ولا تبحث عن عذر[٨] .

* يقول حجة الاسلام السيد علي خامنه إي رئيس الجمهورية[٩]دام ظله :

«عندما كان الشهيد مطهري يأتي الى مشهد كان احياناً ينزل في بيتنـا . . الغرفة التي كان ينام فيها يفصلها عن الغرفة التي كنت أنام فيها بـاب واحد . . كان ملتزماً دائماً بقـراءة القرآن قبـل النوم . . وقـد سمعت صوتـه اثناء التهجـد وصلاة الليل ـ كان يبكي ـ طبعاً كثيـرون هم الذين يصلون صـلاة الليل ، أمـا مصلو صـلاة الليل بتلك الحـالة من البكـاء فهم قلة . . . فيما بعـد سمعنـا من اصدقائه القدامى مثل الشيخ المنتظري وغيره أنـه كان منـذ أيام دراستـه يصلي صلاة الليل ومن أهل التهجد .

* يقول ابن الاستاذ الشهيد مطهري رحمه الله في معـرض الحديث عن ليلة استشهاده :

«في تلك الليلة التي سمعنـا فيها بنبـأ اغتيـالـه ، بقينـا مستيقـظين حتى الصباح ، والساعة الثانية والنصف رن جرس الساعة التي كانت توقظه كل ليلة

---

(٨) يادنامه استاذ شهيد مطهري / الكتاب الأول/١٧٣ .

(٩) ولي امر المسلمين وقائد الثورة الاسلامية الآن . . دام ظله العالي .

ـ على العادة ـ لصلاة الليل. . إلا أنه لم يعد على قيد الحياة. . كان قد صلى صلاة ليله مضمخاً بدمه الطاهر قبل الموعد المقرر في ظلمة الشارع» .

* يقول احد الفضلاء والمحققين المعاصرين على ما نقل عنه:

وفي علاقته بالّهه كان عارفاً من أهل الذكر والسلوك والعبادة لقد قال مراراً: أحب أن أذهب الى قم وأشتغل بالرياضة ، والعبادة ، والعرفان ـ كانت هذه امنيته. . لم يترك أبداً طيلة عمره قراءة القرآن قبل النوم ، وصلاة الليل ، وهكذا. . واثر تلألؤات هذه العبادة وقربه الخاص من إمام الأمة كان يرى الحقائق بعين القلب» .

* كذلك يقول احد اصدقاء الاستاذ:

قيام الليالي المظلمة ، والبكاء ، والمناجاة في خلوات السحر ، والتوغل في الذكر والفكر ، والممارسة في قراءة القرآن ومجانبة أهل الدنيا وعبّاد الهوى والإلتحاق بأهل الله وأولياء الله كل ذلك كان مشهوداً في سيره وسلوكه»[١٠] .

* ايضاً يقول احد الكتاب المعاصرين:

مطهري المتهجد والمستغفر بالاسحار. . كان يأنس هذا العالم بكل وجوده . . وكان متنعماً به. . في احدى خطبه سمعته يقرأ هذين البيتين وذلك يدلّ على اهتمامه بهذه المراحل:

«أخشى أن أذهب ولم أرَ عالم الروح ، أخشى أن أذهب من العالم ولم أرَ العالم ، فأكون في عالم الروح عندما أذهب إليه من عالم الجسد ، لم أر عالم الروح وأنا في عالم الجسد» .

هذا الرجل كان يعد نفسه ومنذ سنوات طوال لهذا السفر وقد أمضى عمراً ينقل الخطى على هذا الطريق متزوداً زاد التهجد ، ممتطياً صهوة قيام الليل ، مسترشداً بدليل فيض السحر ، ويقيناً أنه وصل الى مقاصد كثيرة ، هذه مؤلفاته

---

(١٠) لب اللباب/١٩/ ٢٠ المقمة .

الوافرة وخدماته الجليلة علامة فوزه وتوفيقه وكذلك حصوله على سعادة الشهادة . .[11] .

*** تهجد الامام:**

يقول أحد المقربين من الإمام:

منذ خمسين سنة لم يترك الامام الخميني صلاة الليل: في حال الصحة ، والمرض ، في السجن وفي الأحوال الإعتيادية ، أثناء النفي وحتى على سرير المرض كان يصلي صلاة الليل. . مرض الامام في قم وبناءً على أمر الأطباء كان ينبغي أن ينتقل الى طهران. . كان الجو بارداً وكان الثلج والمطر يتساقطان ، وكان الجليد يغطي الشوارع ، بقي الامام عدة ساعات في سيارة الاسعاف. . وبعد الانتقال الى مستشفى القلب. . صلى أيضاً صلاة الليل . .

* في الليلة التي كان قادماً فيها من باريس الى طهران كان الجميع في الطائرة نياماً. . فقط الإمام كان في الطبقة العليا من الطائرة يصلي صلاة الليل ، واذا كنت قد رأيت الإمام عن قرب فإن آثار الدموع على خديه المباركين تدل على قيام الليل وبكاء ظلام الليل. . ينقل بعض أفراد الحرس في قم. . أحياناً كان الإمام عندما يستيقظ لصلاة الليل يتفقدهم»[12] .

* جاء في إحدى المطبوعات عن ابن الامام الخميني قوله:

١ ـ في اللّيلة التي كنا متجهين فيها من باريس الى ايران. . في الطائرة قام الإمام لأداء صلاة الليل ، وكان يبكي بحيث أن مضيفي الخطوط الفرنسية ، تعجبوا وسمعت أنهم سألوا: هل هناك ما يؤذي الإمام. . قلت: انها عادة الإمام في كل ليلة .

٢ ـ عندما اعتقل الإمام ، ونُقل من قم الى السجن في زمن الطاغوت

---

(١١) حوزة العدد ٣/ ٣١ ـ ٣٢ مقالة «الآفاق الفكرية لخارج الحوزة» (فارسي) .

(١٢) فرازهائي أز أبعاد إمام. . .»/ ٢٠ .

صلى صلاة الليل بحالة بحيث قال لي فيما بعد أحد من كانوا مع الإمام ـ الظاهر أنه العقيد العصار ـ لقد تأثرنا كثيراً بصلاة الإمام وظل أحدنا الى طهران يبكي .

٣ ـ عندما كنا نسير من النجف باتجاه الكويت. . انطلقنا صباحاً الساعة الرابعة وربما قبل ذلك. . إنطلقنا بعد آذان الصبح ، وبعد كل المصاعب والمشاكل التي واجهناها وحوالي الساعة الثانية عشرة نام الامام في فندق البصرة. . ولم ينم ساعتين حتى رن جرس ساعته واستيقظ وصلى صلاة الليل وبعدها صلاة الصبح .

* آية الله الملكي التبريزي:

يقول احد المقربين منه رحمه الله :

«عندما كان يستيقظ للتهجد وصلاة الليل. . كان في البداية يبقى في فراشه مدة ، ويرتفع صوته فيها بالبكاء ، ثم يخرج من الغرفة الى ساحة الدار ، فينظر الى السماء ، ويقرأ آيات ﴿**إن في خلق السماوات والأرض الخ** .﴾ (آخر سورة آل عمران) . ثم يضع رأسه على الحائط ويبكي لفترة ، وبعد التطهير يجلس مدة بجانب الحوض قبل الوضوء ويبكي ، وباختصار منذ استيقاظه وحتى المجيء الى مصلاه والبدء بصلاة الليل كان يجلس في عدة أماكن ويقوم ويبكي وعندما يصل الى مصلاه فلا يمكن بعد ذلك وصف حاله» .

* المحدث القمي رحمه الله:

جاء في ترجمة هذا المحدث الجليل:

كان في كل أيام السنة في الفصول الأربعة يستيقظ قبل طلوع الفجر بساعة على الأقل ويشتغل بالصلاة والتهجد كان يهتم كثيراً بعبادة آخر الليل وقبل بزوغ الفجر. . وكان يعتقد أن افضل المستحبات العبادة والتهجد ، يقول ابنه الكبير:

«في حدود ما أتذكر ، لم يفته قيام آخر الليل حتى في الأسفار. . . كان ملتزماً بذلك». .

* يقـول المحدث القمي حـول استـاذه الميـرزا الشيـخ حسين النـوري «صاحب المستدرك»:

كان شديد الاجتهاد في الزهد والعبادة.. لم تفته صلاة الليل كان في كل ليلة متضرعاً مناجياً[١٣].

* العلامة المجلسي الأول:

يقول حفيد الوحيد البهبهاني في كتاب «مرآة الأحوال»:

سمعت من بعض الثقـاة أن المولى المجلسي الأول قـال: «في ليلة من الليالي وبعد الصلاة والتهجد والبكـاء والتضرع بين يـدي الله تعالى، وجـدت نفسي بحالة علمت معها أن أي شيء أطلبه من الله عز وجل فهو مقرون بالاجابة طبعـاً وسيمن الله عليّ بتحقيقه... وفيمـا كنت افكر مـاذا إطلب من الله طلباً دنيوياً أم اخروياً فجأة ارتفع صوت محمد باقر بـالبكاء في مهـده فقلت: إلهي بحق محمد وآل محمد (ص) اجعل هذا الطفل مروج الدين وناشر احكام سيد المرسلين ووفقه التوفيقات التي لا تحد.. ثم يقول حفيد الوحيد: ومن المسلم أن خـوارق العادات التي ظهـرت من ذلك العـظيم ليست إلا بسبب دعاء هـذا العظيم[١٤].

* الشيخ محمد الأشرفي:

كان عليه الرحمة من تلامذة سعيـد العلماء.. وكـان يشتغل من منتصف الليل حتى الصباح بالتضرع ومنـاجاة الله جـل وعلا ويلطم على صـدره ورأسه وعندما يطلع الصباح يكون في غاية الضعف بحيث أن من لا يعرفه كان يتصور إذا رآه، أنـه غادر فـراش المـرض الآن[١٥]نعم.. كمـا يقـول أميـر المؤمنين (عليه السلام): قد براهم الخـوف بَرْي القـداح، ينظر إليهم النـاظر فيحسبهم

---

(١٣) حاج شيخ عباس قمي مرد تقوا وفضيلت/٦١/ ٦٩.

(١٤) وحيد بهبهاني/ ١٠٠.

(١٥) قصص العلماء/١٢٣.

مرضى وما بالقوم من مرض»[16] .

* حجة الاسلام الشفتي:

هذا السيد الجليل كان يراقب الله تعالى دائماً ولم يكن يمنعه شيء عن حالة الحضور والمراقبة. . . ومن كثرة البكاء أثناء التهجد جرحت زوايا عينيه .

* يقول أحد المقربين من هذا العظيم: ذهبت معه الى احدى القرى وبتنا الليل ، في الطريق قال لي السيد: ألا تنام؟ وذهبت لأنام عندما ظن السيد أني نمت ، نهض وبدأ بالصلاة ، أقسم بالله أني رأيت مفاصل كتفه وأعصابه ترتجف بحيث أنه كان يكرر ألفاظ الصلاة لشدة حركة الفكين ، حتى يؤديها بشكل صحيح .

يبدو أن مفاصل كتفه كانت ترتجف لشدة حضوره القلبي بين يدي الله. . . وكان بمجرد أن يخلو المجلس تجري دموعه ، كان انهمار دموعه مقارناً لخروج آخر شخص من مجلسه .

* يقول المحدث القمي: نقلت عن سماحته حكايات كثيرة في العبادات والدعاء ومناجاة قاضي الحاجات[17] .

* يقول المرحوم التنكابني:

كان دأبه البكاء والتضرع والدعاء من منتصف الليل حتى الصباح. . . كان يتجول في دار مكتبته كالمجانين وهو يدعو ويناجي ويلطم على رأسه وصدره حتى الصباح. . وكان صوت بكائه عالياً بحيث اذا استيقظ جيرانه سمعوه ، وفي النتيجة ولكثرة بكائه ابتلي ببعض الأمراض في أواخر عمره وكان الأطباء يمنعونه من البكاء. . وعندما كان يذهب الى المسجد لم يكن أحد من القراء يرتقي المنبر في حضوره. . .

---

(١٦) نهج البلاغة/ صبحي الصالح/٣٠٤ خطبة همام/١٩٣ .
(١٧) وحيد بهبهاني/٢٢٢ .

* ويقول المرحوم التنكابني حول ابن المرحوم الشفتي ـ السيد اسد الله الذي كان من معاصريه:

يشتغل في كل ليلة من منتصف الليل وحتى الصباح في مكان خالٍ بالدعاء والمناجاة والبكاء ولم يكن له نظير في البكاء من خوف الله[18].

* آية الله الشيخ جعفر كاشف الغطاء:

جاء في ترجمة هذا المحقق:

كان الشيخ في العبادة وصفاء الباطن وحالة التضرع والبكاء بين يدي الله تعالى والتهجد وقيام الليل والدعاء والمناجاة أحد أوتاد الدهر.. وكان يبذل جهده مهما استطاع حتى لا يفوته عمل مستحب[19].

* يقول شهيد المحراب (الشيخ) محمد تقي البرغاني القزويني:

جاء المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء يوماً الى قزوين ونزل في بيت احد الأعاظم.. كانت في ذلك البيت حديقة.. وحان وقت النوم ونام الجميع ونمت في زاوية من الحديقة.. وعندما مضى هزيع من الليل سمعت الشيخ يناديني قائلاً: قم صلِّ صلاة الليل فقلت.. نعم قوم فمضى الشيخ ونمت مجدداً.. وفجأة سمعت صوتاً.. قمت بحثت عن مصدر الصوت.. عندما اقتربت وجدت الشيخ يتضرع ويناجي ويبكي.. وقد ترك صوته أثراً في نفسي بحيث أني منذ تلك الليلة وحتى الآن وبعد مضي خمس وعشرين سنة أستيقظ كل ليلة وأصلي صلاة الليل[20]..

* جاء في الفوائد الرضوية:

رأيت في بعض المؤلفات أن الشيخ زار «رشت» في إحدى السنين

---

(18) قصص العلماء /123/137.

(19) وحيد بهبهاني/195.

(20) قصص العلماء/193.

(. . .) وحيث أن ائمة الجماعة فيها لم يكونوا يصلون النوافل ـ فقد رفع ذلك الى الشيخ فقال: لا تقتدوا خلف من لا يصلي النوافل. . .وعندما سمع ائمة الجماعة ذلك التزموا بالنوافل»[٢١] .

* يقول الشيخ حسن ابن الشيخ كاشف الغطاء:

كانت عادة والدي الاستيقاظ كل ليلة وقت السحر وكان يأتي الى ابواب الغرف ويوقظ العيال والأطفال جميعاً لصلاة الليل قائلاً: قوموا صلوا صلاة الليل. . . وكان الجميع يستيقظون. . وكنت انا آنذاك صغيراً ، وكان النوم يغلبني. . وعندما كان الشيخ يصل الى باب غرفتي وينادي: قم كنت أقول وأنا ممدد: ولا الضالين أو «الله اكبر» أي اني أصلي»[٢٢] .

* آية الله النجفي القوجاني:

يقول رحمه الله عن أيام دراسته في أصفهان:

في هذه الغرفة الجديدة ، التي كانت متصلة بغيرها من الغرف ، فتحنا في وسط المشكاة ثقباً ومددنا منه حبلاً ، كان أحد طرفيه في غرفة صديقي ، وطرفه الآخر في غرفتي. . كان صديقي وقت النوم يربط ذلك الطرف بيده. . وأربط أنا هذا الطرف بيدي ، حتى إذا ما استيقظ أحدنا سحراً لصلاة الليل ، يستيقظ الآخر بواسطة هذا الحبل بدون اي صوت حذراً من أن يستيقظ طالب آخر على صوتنا ولا يكون راضياً بذلك[٢٣] .

* استاذ آية الله العظمى البروجردي:

يقال أن المرحوم آية الله السيد «محمد باقر الدرچه إي» أستاذ آية الله البروجردي والميرزا النائيني وآية الله النجفي القوچاني كان يقرأ دعاء أبي حمزة

---

(٢١) ص ٧٣ وقصص العلماء/١٨٩/ ١٩٠ .
(٢٢) قصص العلماء/١٨٥ .
(٢٣) سياحة في الشرق/١٩٨/ ١٩٩ .

الثمالي في قنوت صلاة الليل واقفاً .

* تعطيل الدرس:

يقول المرحوم المولى زين العابدين السلماسي الذي كان من خواص السيد بحر العلوم والملازمين له:

كان السيد بحر العلوم يتجول كل ليلة في ازقة النجف ويحمل الطعام للفقراء.. ومرة عطل الدرس عدة أيام فكلفني الطلاب أن استوضحه السبب وعندما سألته عن ذلك قال: لا أدرس.. وبعد عدة أيام سألته مجدداً عن سبب تعطيل الدرس قال: لم اسمع ابداً هؤلاء الطلاب يناجون الله عز وجل في منتصف الليل ويتضرعون ويبكون.. مع أني أتجول في الليالي في الأزقة ومثل هؤلاء الطلاب لا يستحقون أن أدرسهم .

وعندما اطلع الطلاب على ما قاله رحمه الله انصرفوا الى صلاة الليل والتضرع والبكاء (...) واستأنف السيد درسه[٢٤] .

* الشهيد قدوسي رحمه الله :

«كان يهتم كثيراً حتى بالمستحبات والمكروهات.. كان يعتبر صلاة الليل ضرورة للروحاني.. ذات ليلة وبإضطراب خاص قال في مسجد كوهرشاد:

لقد كان صعباً علي جداً . لم اكن اتوقع ذلك أبداً حينما سمعت أن احد اساتذة المدرسة «الحقانية»[٢٥] لا يصلي صلاة الليل.. فاتحته بالأمر فتبين أنه لا يراعي تناول الطعام بكمية قليلة ليلاً .

* مرة اخرى قال: عندما كنا في نهاوند كنا نذهب بشكل عائلي مرة واحدة سنوياً الى بيت أحد المعارف تلبية لدعوته.. وبعد تكرار ذلك عدة مرات

---

(٢٤) قصص العلماء ١٧٣/١٧٤ .

(٢٥) مدرسة في قم كان يديرها الشهيد قدوسي وكانت مركزاً للطلبة المجاهدين في خط الامام ، وقد تقدمت الإشارة إليها .

لاحظت أني في تلك الليلة التي أحضر فيها تلك المائدة لا استيقظ لصلاة الصبح إلا في آخر الوقت [ولا أوفق لصلاة الليل] فأنتبهت الى أنَّ في أموال ذلك الشخص إشكالاً .

كان للتهجد وصلاة الليل والأدعية المختلفة والمأثورة موقع خاص عنده ، كل مجلس كان يحضره الشهيد قدوسي ولا يجري فيه الحديث حول صلاة الليل وأهميتها . . كان يرى أن الطالب الذي لا يستطيع أن يترك النوم والفراش الدافىء من أجل صلاة الليل . . ففي المستقبل لن يتنازل عن أمور كثيرة . . كان يعتبر الرياء آفة الاخلاص وكان في نفس الوقت يقول:

أحياناً وبحربة الرياء هذه يجعل الشيطان نفسك تسيطر عليك . . وبحجة أنك «قد تقع في الرياء» يحول بينك وبين صلاة الليل ويسلبك المناجاة والدعاء .

عصر يوم عرفة ـ ورغم اهتمامه الكبير بالدراسة ـ كان يعطل الدروس ليقرأ الطلاب دعاء عرفة . . كان يهيء للطلاب لوازم الذهاب بشكل جماعي الى «جمكران» لينصرفوا هناك للدعاء والصلاة . . المفضلون في المدرسة كانوا هم الأكثر تهجداً لا الأكثر تحصيلاً (فقط) عندما قال البعض لو أننا نطالع بدلاً من صلاة الليل لكان أفضل . . قال: ولكن آية الله العظمى الخميني كان يقول: صلاة الليل لا تستغرق وقتاً طويلاً وهكذا كان يوضح ضرورة التعبد الى جانب العلم . . كان يقول: الطالب الذي يكون مستيقظاً وقت صلاة الليل ولا يصليها سيصبح من الأشرار(٢٦) .

هذا الرجل الكبير والمربي النموذجي لم يترك صلاة الليل . . وكان كلما استيقظ ليلاً يجدد وضوءه ثم ينام لأنه كان يرى نفسه في محضر الله .

هنيئاً لهذه النجوم الساطعة في الليالي المظلمة ـ الذين هم مصداق قوله

---

(٢٦) يادنامه شهيد آية الله قدوسي /١٢٩ ـ ١٣٠ .

تعالى:

﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾[٢٧] .

* يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) حول مثل هؤلاء: طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون[٢٨] .

يقول أحد الكتاب المعاصرين:

اخي الروحاني اذا كنت تريد خدمة نفسك والمجتمع وحفظ ماء وجه الاسلام والشيعة... يجب أن تكون هكذا وتتصف بهذه الصفات.. واذا كنت لا تريد ـ او لا تستطيع ـ أن تعيش كما عاش هؤلاء العظماء وتختار هذا الاسلوب فإن طريق السوق مفتوح وسوق الكسب قائم على قدم وساق...

* توجيهات عملية...

إلى المبتعدين عن الكسل والترف.. الباحثين عن أسباب السعادة.. تقدم فيما يلي نماذج من تعليمات أعاظم عالم العرفان والسير والسلوك، وهي نافعة جداً في بناء النفس وتهذيبها.. والحصول على السعادة الخالدة...

* السجدة الطويلة:

* يقول آية الله الملكي التبريزي رحمه الله:

«كان لي شيخ جليل عارف كامل قدس الله تربته (المراد آية الله الشيخ حسينقلي الهمداني) ما رأيت له نظيراً (...) سألته عن عمل مجرب يؤثر في إصلاح القلب وجلب المعارف فقال قدس سره العزيز: ما رأيت عملاً مؤثراً في

---

(٢٧) سورة الذاريات، آية (١٧ ـ ١٨).

(٢٨) نهج البلاغة ـ صبحي الصالح/٤٢ الرسالة رقم ٤٥ «رسالته الى ابن حنيف».

ذلك مثل المداومة على سجدة طويلة في كل يوم وليلة مرة واحدة يقال فيها: لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين» يقوله وهو يرى نفسه مسجونة في سجن الطبيعة ومقيد بقيود الأخلاق الرذيلة مقراً بأنك «يا إلهي» لم تفعل ذلك بي ولم تظلمني و(إنما) انا الذي ظلمت نفسي وأوقعتها في هذه الهوة و[بالإضافة الى ذلك] قراءة سورة القدر في ليلة الجمعة وفي عصرها مائة مرة .

* ويضيف المرحوم التبريزي:

وكان اصحابه عاملين بذلك كل منهم على حسب مجاهدته ، وسمع عن بعضهم أنه كان يقوله ثلاثة آلاف مرة ، وبالجملة هذه السجدة وبركاتها معروفة عند العاملين بها ولكن بشرط المداومة»(٢٩) .

* مع السيد بحر العلوم:

* جاء في رسالة السير والسلوك للسيد بحر العلوم:

والأوراد في أوقات الذكر كثيرة ، وما أذكره أنا بطريقي يكفي الطالب . وأفضل اوقاته السحر وبعد فريضتي الصبح ، والعشاء ، وفي كل أوقات الذكر ، ورد كلمة النفي والاثبات المركب والبسيط والاسم المحيط ويا نور يا قدوس كلاً ألف مرة بعد الفريضتين ، وكذلك ورد محمد رسول (الله) ، ويا علي بحرف النداء وبدونه ، وورد ألف مرة التوحيد في الليالي نفيس»(٣٠) .

* آية الله الشيخ حسينقلي الهمداني:

* جاء في احدى رسائل هذا العارف الكبير: والخلاصة أنه بعد السعي في المراقبة فمن الطبيعي أن لا يخسر طالب القرب الاستيقاظ وقيام السحر على

---

(٢٩) اسرار الصلاة/ ٢٧٠/ ٢٧١ والمراقبات/١٢٣ .

(٣٠) رسالة السير والسلوك المنسوبة الى السيد بحر العلوم/ ١٩٠ والمراد بكلمة الف الى قوله المحيط «لا إله إلا الله» هولها ألفاً ويا نور يا قدوس ألفاً ومحمد رسول الله ويا علي لم يحدد عددهما ولكن شارح الكتاب قال الأول يقال ٢٥٤ والثاني ١٢١ أو ١١٠ لا فرق والتوحيد التي تقال ألفاً المراد بها سورة التوحيد (المترجم) .

أن يكـون على الأقل سـاعة او سـاعتين قبل طلوع الفجـر الى مـطلع الشمس ويصلي صلاة الليل بآدابها وحضور القلب .

وإذا اتَّسع وقته فليشتغل بالذكر أو الفكر أو المناجـاة. . إلا أنه يجب أن ينصرف في قدر معين من الليل الى الذكر بحضور (قلب) وأن لا يخلو في جميع حالاته من الحزن واذا لم يتسنَّ له ذلك فليحصله بأسبابه ، وبعد الفراغ يسبـح تسبيح سيدة النساء (عليها السلام) ويقرأ التوحيد اثنتي عشرة مرة ، ويقول عشراً لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك[٣١] الخ ومائة مرة لا إله إلا الله ، ويستغفـر سبعين مرة ، ويتلو مقـداراً من القرآن الشـريف ، ويقـرأ طبعـاً دعـاء الصباح المعروف يعني «يا من دلع لسان» الى آخره ، ويكون دائماً على وضوء واذا صلى بعد كل وضوء ركعتين فهو جيد جداً. . ولينتبه أن لا يصل أذاه لأحد بأي وجه من الوجوه ، وليسْعَ سعياً بليغاً في قضاء حوائج المسلمين ، لا سيما العلمـاء ، ولا سيما اتقيـائهم ، وأن يقرأ ليلة الجمعـة القدر مـائة مـرة وعصـر الجمعة مائة[٣٢] .

*** آية الله الشيخ محمد البهاري:**

في رسالة الى أحد اصدقائه «الشيخ أحمد التبريزي» يقول عليه الرحمة :

«. . اذن خلاصة الكلام أنك في أي مـرتبة كنت. . نصف الـرمق ذلك الـذي ما يـزال فيـك. . ذلـك المقـدار (من العمـل) الـذي يمكنـك أن تعمله بسهولة. . . اذا لم تتساهل فيه وعملت به فإن قوتك ـ على العمل ـ تزيد بمقداره بـل اكثر ، لأنـه تعالى قـال: ادنُ مني شبراً أدنُ منـك ذراعاً وإذا تسـاهلت فيه (المقدار القليل من العمل) فإن ذلـك المقدار ، من قـوتك يصبـح في معرض الـزوال. . . مثـلاً اذا نمت الليـل الى الصبـاح ، كنت تـريـد أن تستيقظ ولم

---

(٣١) «. . وله الحمد يحيي ويميت ، ويميت ويحيي ، وهو حي لا يموت بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير» مفاتيح الجنان/٢٢ .

(٣٢) تذكرة المتقين /٢١١/٢١٣ .

تستيقظ ، الآن الوقت اول الصباح بمجرد أن تلتفت قم. . فإن الاستيقاظ وقت الطلوعين في حد ذاته فيض مستقل وتوفيق من الله جل جلاله. . فلا تفوِّت هذه الفرصة بالتساهل ، لا تصغ الى الشيطان وهو يقول: هناك متسع كبير في الوقت لصلاة الصبح. . إن هدفه معلوم ، وكذلك (إذا) جلست في مجلس ، وثرثرت كثيراً ، ولغوت كثيراً ، فاسود قلبك الا انك تستطيع أن تغادر المكان قبل نصف ساعة ، بأي مبرر يمكنك. . إذن لا تخسر هذه النصف ساعة وقم. . لا تقل وما الفائدة أنا منذ الصباح منشغل بالتخريب. . فإنه يمكنك بهذا الجزئي (النصف ساعة) أن تفعل الكثير إن شاء الله تعالى .

فمن الواجب اذن على الشيخ احمد العمل بهذا الترتيب:

* اولاً : مهما كان عمله يجب أن لا يضيع أوقاته ، فلا يصح أن يذهب بعض وقته سدى يجب أن يعيّن لكل شيء وقتاً ، يقسم أوقاته يجب أن يعيِّن وقتاً للعبادة ، لا يقوم في هذا الوقت بأي عمل غير العبادة ، وأن يعيّن وقتاً لكسبه وتحصيل معاشه ، ووقتاً للقيام بشؤون اهله وعياله ، ووقتاً للأكل والنوم ولا يخلط بين أوقات هذه الأمور فيتلف وقته ويضيعه ، مهما أمكن يخصص أول الليل للنوم فلا يسهر عبثاً ليفوته آخر الليل ، وليغلب عليه النوم متذكراً «الله» ولينم على طهارة وليقرأ الأدعية المأثورة خصوصاً تسبيح الصديقة الطاهرة سلام الله عليها ولا يجنب مع امتلاء البطن ، وأن يستيقظ قبل الصبح (الفجر) وبمجرد أن يستيقظ يسجد سجدة الشكر. . واذا كان لا يستيقظ تلقائياً فليهيء أسباب إيقاظه ، وبعد الاستيقاظ ينظر في اطراف السماوات ويقرأ متأملاً الآيات المباركة التي أولها: ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ . . . الى . . . ﴿انك لا تخلف الميعاد﴾[٣٣] وبعدها يتطهر ثم يتوضأ ويستعمل السواك ويتعطر ويجلس في مصلاه ، ويقرأ دعاء إلهي غارت نجوم سمائك ثم يشرع بصلاة الليل بالترتيب الذي ذكره الفقهاء (رضوان الله تعالى عليهم) مثل الشيخ بهاء الدين

---

(٣٣) سورة آل عمران، الآيات (١٩٠ ـ ١٩٤).

عليه الرحمة (البهائي) في مفتاح الفلاح وغيره في المصابيح وغيرها وليراع في اجمال عمله وتفصيله واختصاره مقدار سعة الوقت .

* الحاصل: أن يجعل الى طلوع الشمس وقت العبادة ، ولا يشتغل بأي شغل غير العبادة ، ولا يؤجل الأعمال الأخرى إلى ذلك الوقت ، ويشتغل في تمام هذه الفترة بالأذكار ، والأوراد المشروعة ، إذا كان لم يصبح بعد من أهل الفكر ، وأما اذا اتفق مروره في ساحة الفكر فليُعمل فكره في هذه الأوقات ، في الشأن الفكري ، الذي هو منشغل به. . . اذا رأى أن فكره يجري بسهولة فليستمر في الفكر عوضاً عن الأوراد والتعقيبات(٣٤) .

وإذا رأى فكره جامداً ، فليترك ذلك ، وليأخذ بالذكر ، وليلاحظ أي الأعمال يؤثر فيه ، فليقدمه على سائر الأوراد ، سواء قراءة القرآن ام المناجاة ، أم الذكر ، ام الصلاة ، والسجدة ، وأن يكون غالباً مهما أمكن على طهارة ويستغفر بعد صلاة الصبح ماءة مرة ويقول كلمة التوحيد (لا إله ءلا الله) ماءة مرة ، ولا يترك سورة التوحيد إحدى عشر مرة ، وماءة مرة اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم وأن يقرأ الإستغفارات الخاصة بعد صلاة العصر مع سورة القدر عشراً وأن لا يترك الصوم قدر الامكان ، خصوصاً ثلاثة أيام من كل شهر ، وهي الخميس الأول والآخر، والأربعاء الوسط من كل شهر ، اذا كان مزاجه مساعداً وإلا فمراعاة المزاج أولى ، لأن البدن «مركوب» الانسان (واسطة نقله) فإذا تضرر تعطل ، ولذا لا يصح أن يحد من أهوائه كثيراً حتى لا يطغى ، ولا يطيع بعدها أبداً «خير الامور اوسطها» جارية في كل الأمور ، الإفراط والتفريط في أية مرتبة كلاهما ليسا صحيحين ومن هنا قالوا: «عليكم بالحسنة

---

(٣٤) الظاهر أن المراد بالفكر التفكير في الله تعالى وقدرته وكل المعارف الإلهية من النبوة والامامة والمعاد وتجد ما يوضح ذلك بعض الروايات التي تحث على الفكر في رسالة السير والسلوك المنسوبة للسيد بحر العلوم ١٩١/١٩٢ ومن هذه الروايات ما ورد عن الامام الصادق (عليه السلام): أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته» (المترجم) .

بين السيئتين» وفي كـل وقت من الليـل يمكنـه ، يُستَحْسن أن يسجـد سجـدة طـويلة ، بحيث لا يتعب البـدن ، ويكـون ذكـره فيهـا «سبحـان ربي الاعلى وبحمده» ومهما أمكن .

كل ما يقـرأه ينبغي أن يكون بحضـور قلب فلا يكـون انتباهـه في مكان آخـر ، وتنبغي المداومـة ، بحيث يصبـح (مـا يقـرأه) ملكتـه وعـادتـه حتى لا يتركه»(٣٥) .

* رسالة الى المرحوم الاصفهاني:

كتب آية الله التبريزي رسالة الى الفيلسوف والأصـولي المشهور الشيـخ محمد حسين الاصفهاني نقل فيها تعليمات عن استاذه المرحوم الهمداني تذكر هنا مقتطفات منها:

كان المرحوم المغفور له يقول: يجب أن يقلل الانسان الطعام والنوم اكثر من المتعارف قليلاً ليضعف البعد الحيواني فيه ويقوى البعد الروحي وميزان ذلك كما بينه سماحته هو:

* أولاً: أن لا يتناول الانسان الـطعام في اليـوم والليلة الا مرتين ويتـرك حتى المتفرقات التي يتناولها بين الطعامين .

* ثانياً: عندما يأكل يجب أن يكون ذلك بعد الجوع بساعة مثلاً ثم يأكل بحيث لا يشبع تمام الشبع . . هذا في كم الطعام . وأما كيفيته ، فبالإضافة الى الآداب المعروفة ، أن لا يأكل اللحم كثيراً ، بمعنى أن لا يأكله في وجبتي اليوم والليلة معاً ، (بل يأكل اللحم في إحداهما) ويتركه في كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً في الليل ، وفي النهار ، (أي أن لا يكون اللحم طعامه في أي من الوجبتين بل يأكل فيها شيئاً آخر) .

ويتـركه مـرة اذا استطاع للتكيف ، ويجب أن لا يكـون ممن اعتاد غلى

---

(٣٥) تذكرة المتقين/١٠٤/١١ .

تناول البزورات (المخلوطة) ولا يترك صيام ثلاثة أيام من كل شهر اذا استطاع .

* وأما تقليل النوم فكان يقول: أن ينام في اليوم والليلة ست ساعات ويهتم طبعاً بحفظ اللسان واجتناب اهل الغفلة كثيراً . .

هذه (الامور) تكفي في اضعاف البعد الحيواني .

* وأما في تقوية البعد الروحاني : أولاً : يجب أن يكون دائماً متصفاً بالهم والحزن القلبي لعدم وصوله الى المطلوب .

ثانياً: أن لا يترك الذكر والفكر ما استطاع لأن هذين هما جناح سير سماء المعرفة .

* في الذكر كان عمدة ما يوصي به ، أذكار الصبح ، والعشاء ، أهمها ما ورد في الأخبار وأهم (ذلك) تعقيبات الصلوات والأكثر اهمية (من هذه العمدة) ذكر وقت النوم المأثور في الأخبار لا سيما أن يغلب عليه النوم حال الذكر متطهراً .

وحول قيام الليل كان يقول:

في الشتاء ثلاث ساعات وفي الصيف ساعة ونصف وكان يقول: لقد لمست اثاراً كثيرة في سجدة الذكر اليونسي (لا اله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) أي في المداومة على ذلك بحيث لا تترك في اليوم والليلة وكلما كانت اكثر كلما ازداد تأثيرها وأقل ذلك أربعماءة مرة» وأنا (العبد) جربت ذلك كما ادعى تجربتها عدة أشخاص .

* وواحدة ايضاً: قراءة القرآن بقصد هديته الى خاتم النبوة صلوات الله عليه وآله[٣٦] .

* آية الله السيد احمد الكربلائي :

---

(٣٦) حوزة ـ العدد ٤/٦٦/٦٨ .

في رسالة الى بعض طلابه أورد رحمه الله تعليمات تذكر هنا خلاصتها:

١ ـ كمال الدقة والتأمل في الوصية أول الصبح .

٢ ـ كمال المراقبة في تمام النهار .

٣ ـ المحاسبة عند النوم .

٤ ـ التدارك والسياسة بالمجازاة بالضد عند المخالفة (يسوس نفسه فيجازيها على المعصية بحملها على ضد ما فعلته) على التفصيل المعهود في كتب الأخلاق .

٥ ـ المواظبة على ساعة الخلوة ، عن الأغيار ـ مع الله جل جلاله بالمناجاة ، والتضرع ، والتبتل ، والخضوع ، والخشوع إليه ، وينبغي أن يجعل ذلك في كل ليلة بين صلاة المغرب والعشاء ، أو بعد العشاء ، فيسجد السجدة المعهودة (سجدة الذكر اليونسي: لا إله إلا أنت سبحانك الخ . .) ويذكر الله بعده بما ساعد عليه التوفيق مع كمال الحضور والاقبال على الله تعالى بكليته (بكل وجوده) والإعراض عما سواه بأسرهم كأنه لا موجود سواه جل جلاله . .

٦ ـ عندما يتعب من الذكر ينصرف الى التفكر ، من أنا؟ واين انا؟ من اين جئت؟ وأين أذهب؟ ويتعمق في التفكير في نفسه ليجدها وكأنه لا أحد في عالم الوجود ويسأل الله جل وعلا قائلاً:

إلهي عرفني نفسي فليست هناك فضيحة وشناعة تفوق عدم معرفة الشخص نفسه .

٧ ـ المواظبة التامة على التهجد وقيام السحر والاشتغال بنافلة الليل مع كمال حضور (القلب) والاقبال ، والاشتغال بالتعقيب ، وقراءة القرآن الى طلوع الشمس .

٨ ـ عدم ترك الاستغفار سبعين ، أو مائة مرة ، صباحاً ، ومساءً ، .

٩ ـ عدم ترك مائة مرة التهليل «لا إله إلا الله» كذلك صباحاً ومساءً .

١٠ ـ الأذكار المعهودة سبحان الله العظيم وبحمده ، استغفر الله عشر مرات صباحاً ومساءً على الأقل .

١١ ـ وكذلك لا إله إلا الله وحده لا شريك له الخ ورب أعوذ بك الخ وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له الخ . والاستغفارات المنقولة عن السيد ابن طاووس (رضوان الله عليه) ، وأللهم أنت ربي لا شريك لك اصبحنا واصبح الملك لله ، أو امسينا وامسى الملك لله ، والصلوات الكبيرة: اللهم صلِّ على المصطفى محمد والمرتضى علي (عليه السلام) الخ .

١٢ ـ المواظبة على سورة القدر مائة مرة كل ليلة جمعة وعصر جمعة .

١٣ ـ واهم من كل الأمور المذكورة الاعتقاد بأن الله حاضر وناظر في تمام الاوقات ليلاً ونهاراً نوماً ويقظةً في جميع الأحوال وفي جميع الحركات والسكنات بحيث اذا امكن لا يغفل آناً وطرفة عين عن حضوره جل سلطانه وان لا تنس هذا المسودَّ الوجه في جميع الأحوال .

١٤ ـ رعاية المواظبة التامة على دوام التوجه ، والتوسل بالإمام الحجة ، عجل الله فرجه ، فهو واسطة فيض ازمان ، وعدم ترك دعاء الغيبة واللهم عرفني نفسك الخ» بعد كل صلاة ، وسورة التوحيد هدية له (عليه السلام) و«دعاء الفرج «إلٓهي عظم البلاء . . .

١٥ ـ المواظبة على الطهارة مهما أمكن والنوم على طهارة وتسبيح الزهراء سلام الله عليها عند النوم وبعد كل صلاة واجبة .

١٦ ـ قراءة آية الكرسي والمواظبة على سجدة الشكر بعد الاستيقاظ من النوم وقراءة الآيات المعهود **﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾**[٣٧] بعد الاستيقاظ لنافلة الليل مع كمال التوجه للمعنى والتفكر فيه والنظر في السماء والكواكب والآفاق وقراءة دعاء الصحيفة السجادية (دعاء ٣٢) بعد صلاة الليل

---

(٣٧) سورة آل عمران، الآيات (١٩٠ ـ ١٩٤).

وعدم ترك ذلك[38] .

* مع آية الله الهمداني مجدداً:

كتب في احدى الرسائل :

«طبعاً لا تتساهل في اجتناب المعصية واذا ـ لا سمح الله ـ عصيت ، فتب بسرعة ، وصلِّ ركعتين ، واستغفر الله سبعين مرة ، بعد الصلاة ، واسجد ، واطلب في سجودك العفو ، من الله ، فالمرجو أن يعفو .

* وقد ذكرت المعاصي الكبيرة في بعض الرسائل العملية فتعلمها واتركها وحذار من أن تحوم حول الغيبة والكذب والأذية (أذية المؤمنين) استيقظ قبل الصبح ـ الفجر ـ بساعة على الأقل ، واسجد ، وما ذكر في منهاج النجاة للمرحوم ملا محسن فيض (الفيض الكاشاني) (رضوان الله جل جلاله عليه) ، كاف وشاف لعمل الليل والنهار ، فاعمل بذلك الترتيب ، واسْعَ أن لا يكون عملك وذكرك بمحض اللسان ، وأن يكون بحضور القلب ، لأن العمل بدون حضور القلب لا يُصلح القلب حتى وإن كان له ثواب قليل .

طبعاً طبعاً . . فرَّ من الطعام الحرام ، لا تأكل إلا الحلال ، كل القليل من الطعام ، ولا تأكل كثيراً يعني لا تأكل اكثر من حاجة بنيتك ، لا كثيراً بحيث يثقلك ويقعدك عن العمل ، ولا قليلاً بحيث يتسبب بضعفك ويقعدك بسبب الضعف عن العبادة ، ومهما استطعت فصم ، بشرط أن لا تملأ في الليل ـ معدتك ـ بدل النهار .

* الحاصل ، الطعام بقدر حاجة البدن ممدوح ، وكثرته وقلته كلاهما مذمومان ، وابدأ بالصلاة بقلب طاهر من الحقد ، والحسد ، والغل ، وغش المسلمين ، ويجب أن تكون سجادتك ومكان صلاتك مباحين ـ ورغم أن تنجُّسَ مكانٍ غير محل الجبهة بنجاسةٍ غير مسرية لا يبطل الصلاة ، إلا أن عدمه

---

(38) تذكرة المتقين /182/ 186 .

افضل ، وينبغي الوقوف في الصلاة كما يقف العبد بين يدي مولاه الجليل بعنق ملتوٍ وقلب خاضع وخاشع . . وبعد صلاة الصبح استغفر الله سبعين مرة وقل كلمة التوحيد الطيبة (لا إله إلا الله) مائة مرة ، واقرأ دعاء الصباح المشهور ، ولا تترك تسبيح سيدة النساء بعد الفريضة . . واقرأ كل يوم ما أمكنك وعلى الأقل جزءاً من القرآن باحترام ، ووضوء ، وخضوع ، وخشوع ، ولا تتكلم أثناء القراءة إلا لضرورة ـ واقرأ عند النوم الشهادة ، وآية الكرسي ، والفاتحة مرة ، والتوحيد أربعاً ، والقدر خمس عشرة ، وآية شهد الله ، والإستغفار مناسبان .

اذا استطعت احياناً فاقرأ سورة التوحيد المباركة مائة مرة فذلك جيد جداً .

ولا تغفل عن ذكر الموت . . وضع يدك على خدك الأيمن ونم وأنت تذكر الله (نومة الميت في القبر) ولا تغفل عن الوصية وكرر ما استطعت الذكر المبارك «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» إفعل ذلك كثيراً في أي وقت .

وفي ليلة الجمعة وعصرها في كل منهما اقرأ سورة القدر المباركة مائة مرة ، ولا تترك دعاء كميل في كل ليلة جمعة ، وكذلك المناجاة الخمسة عشر . . . ما رأيت حالك منسجماً معه منها سيما مناجاة الشاكين ، والتائبين ، والمفتقرين ، والمريدين ، والمتوسلين ، والمعتصمين إقرأها كثيراً وكذلك أدعية الصحيفة الكاملة وكل ما فيها ـ (الصحيفة) في موقعه المناسب جيد جداً وفي وقت العصر استغفر الله سبعين مرة وقل مرة : سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده واقرأ الاستغفارات الخاصة ولا تنس السجدة الطويلة ، وتطويل القنوت جيد جداً . . وكل هذه مع ترك المعاصي جيدة جداً[٣٩] .

---

(٣٩) تذكرة المتقين/ ٢٣٤/ ٢٣٧ .

*** الى المستغفرين بالأسحار:**

يقول المرحوم آية الله الملكي :

ثم إن من الأعمال المؤثرة في اثارة الرقة ، والخشية ، والبكاء ، أن يغل يده الى عنقه ، وأن يلبس المسرح ، وأن يحثو التراب على رأسه ، ويخر على التراب ، ويمرغ وجهه به ، وأن يمشي ، ويقف ، ويضع رأسه على الجدران ، ويصيح ، ويسكت ، ويتمرغ في التراب ، ويفترض نفسه في المحشر ، ثم يعاتب نفسه لما ورد من عتاب اهل الجرائم ، ثم ينظر نظرة عن يمينه ، ويتفكر في احوال اصحاب اليمين ، وصورهم ، ولباسهم ، وزيهم ، ثم ينظر عن شماله ويقدر نفسه مع أصحاب الشمال ، ويتصور احوالهم المنكرة ، من سواد الوجه وزرقة العين وغلّ الأيدي ، والاقتران مع الشياطين ، ولبس القطران ، ومقطعات النيران ، والزبانية كلهم حاضرون ، وإلى أمر ربهم ناظرون ثم ليحذر من صدور الخطاب بقوله: **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه[٤٠]﴾** .

*** توضيح لا بد منه:**

من البديهي أن هذه التعليمات لا يمكن الإتيان بها جميعاً وبشكل دائم ـ والعمل بها يحتاج الى وقت كبير ، بل قد يكون الإلتزام بها جميعاً مضراً ، للبعض ومضراً بدراستهم بناءً عليه يجب العمل طبق توجيه الأستاذ حتى لا يعطي العمل ـ لا سمح الله ـ نتيجة معكوسة .

* يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله ضمن تعداد الأمور التي يجب أن يلتزم بها السالك:

الثاني والعشرون: الورد هو عبارة عن الأذكار والأوراد اللسانية ، وكيفيتها وكميتها منوطتان برأي الأستاذ ، لأن لها حكم الدواء الذي ينفع البعض ، ويضر

---

(٤٠) المراقبات ١٤٩/١٥٠ .

الآخرين ، وأحياناً قد يشتغل السالك بذكرين أحدهما يوجهه الى الكثرة ، والآخر الى الوحدة وفي حالة اجتماعهما تبطل نتيجة كل منهما ، ولا ينتفع بشيء طبعاً ، إذن الأستاذ شرط في الأوراد التي لم يرد فيها إذن عام . . . أما ما ورد فيه إذن عام فلا مانع منه(٤١) .

(٤١) أقول: أكثر الأمور الواردة في هذه التعليمات مما ورد فيه إذن عام فلاحظ (المترجم) .

* القسم الثامن...

* احترام العلماء الصالحين...

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات﴾ .
(المجادلة/ ١١٥) .

* يعتبر احترام العلماء الصالحين من أسباب التوفيق وهو أمر واجب على كل مسلم خصوصاً طلاب العلوم الدينية. . إن عدم احترام العلماء المتقين واهانتهم ، ذنب لا يغتفر وسبب للشقاء ، وقصر العمر والحرمان من تحصيل العلم والتقوى .

والمراد طبعاً العلماء بحق لا علماء السوء ، فإن هؤلاء يجب فضحهم وإطلاع الناس على حقيقة أمرهم واليكم نماذج من الاقوال والقصص في مجال احترام العلماء الذين يخشون الله تعالى :

*** الإمام الخميني:**

للامام القائد في هذا الصدد ايضاحات مربية جداً يذكر هنا بعضها ، يقول سماحته :

١ ـ انا وأنت لسنا اهلاً لذلك ولكن من الجيد أن لا ننكر ويكون لدينا إيمان بكل ما قاله الله تعالى وأولياؤه. . فلعل هذا الايمان الاجمالي ينفعنا. . احياناً تكون للانكار بلا مبرر والرد في غير محله المناسب وبدون علم وفهم ، أضرار كثيرة جداً. . وليست هذه الدنيا عالم الإنتباه لتلك الأضرار. . مثلاً بمجرد أن تسمع أن الحكيم الفلاني ، أو العارف الفلاني ، أو المرتاض الفلاني ، قال شيئاً لا ينسجم مع سليقتك ، ولا يستسيغه ذوقك ، لا تحمله

على البطلان والخيال. . فلعل لذلك المطلب منشأ من الكتاب والسنة والعقل ولم تره أنت .

ما هو الفرق بين ان يفتي فقيه بفتوى في باب الديات مثلاً. . ولم تسمع انت بمثلها. . فترفض هذه الفتوى دون الرجوع الى مصدرها. . .

(ما الفرق بين هذا) وبين أن يقول سالك الى الله أو عارف بالله شيئاً في المعارف الإلهية أو حول الجنة وجهنم وترفضه انت بدون الرجوع الى مصدره .

من السهل أن تهين أو تتجرأ. . قد يكون لدى ذلك الشخص الذي هو من اهل ذلك الوادي (المجال) وصاحب ذلك الفن مستند من كتاب الله أو اخبار ائمة الهدى ولم تطلع عليه أنت. . عندها تكون قد رددت على الله ورسوله بدون عذر وجيه. . .

ومن المعلوم أن «لم ينسجم مع سليقتي» أو «لم يبلغ علمي الى هذا الحد» أو «سمعت من خطباء المنابر خلافه» هذه ليست اعذاراً. . .[1] .

٢ ـ «من الامور المهمة التي ينبغي التنبه لها وينبغي على الإخوان المؤمنين خصوصاً أهل العلم «كثّر الله أمثالهم» الإهتمام بها ، أنهم إذا سمعوا كلاماً من بعض علماء النفس ، وأهل المعرفة. . فلا يرمونه بالفساد بدون حجة شرعية بمجرد أنه ليس مألوفاً أو أنه مبني على اصطلاحات لا حظ لهم منها ، ولا يحقروا أهلها ويهينوهم ، ولا يظنوا أن كل من يستعمل مصطلحات مراتب ومقامات الأولياء والعرفاء وتجليات الحق والمحبة وأمثال ذلك مما هو متداول في مصطلحات اهل المعرفة. . فهو صوفي أو مروج لدعاوى الصوفية أو أنه ينسج من عندياته وليس له على ذلك حجة أو برهان شرعي . قسماً بروح الصِّدِيق أن كلمات نوع هؤلاء شرح بيانات القرآن والحديث .

---

(١) أربعين حديث/ الحديث الأول ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

* فكر في هذا الحديث الوارد عن الصادق (عليه السلام) ، حول القلب السليم ، وانظر هل يمكن حمله على شيء آخر غير الفناء الذاتي ، وترك الذات ، والذاتية ، والإنية ، والأنانية ، كما يرد التعبير على لسان أهل المعرفة .

* هل قرأت مراراً المناجاة الشعبانية الواردة عن أمير المؤمنين وأولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين وفكرت في فقراتها وتدبرت ، إن غاية آمال العارفين ومنتهى امنية السالكين هذه الفقرة الشريفة في الدعاء الشريف:

إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك ، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك ، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور ، فتصل الى معدن العظمة ، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك» .

ما هو المقصود من التعلق بعز القدس يا ترى ، هل حقيقة «لاحظته فصعق لجلالك» غير الصعق المتداول على ألسنة الأولياء؟

* هل المقصود من التجليات الواردة في دعاء السمات العظيم الشأن غير التجليات والمشاهدات المتداولة عندهم؟

هل في كلمات أي عارف يا ترى. . اكثر مما في هذا الحديث الشريف المنقول في الكتب المعتبرة للشيعة والسنة ويمكن القول أنه من الأحاديث المتواترة هل رأيته؟

«ما يتقرب الي عبد من عبادي بشيء أحب الي مما افترضت عليه ، وإنه يتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت اذاً سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذين ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ان دعاني أجبته ، وإن سألني اعطيته» .

* باختصار الشواهد على ذلك اكثر من أن تتسع لها هذه المختصرات. . وهدفنا من هذه الإطالة أن نقرب اخوتنا الايمانيين من المعارف بعض الشيء وأن نخرج من قلوبهم إساءة الظن بعلماء الإسلام الكبار ورميهم بالتصوف. . لا أن

نبريء فقط ساحة العلماء المقدسة من هذه الأدران ، إذ أنه بالإهانة والتحقير لا يصبح العبد ذليلاً عند الله اذا كان طاهراً بل تزداد حسناته. . ومهما كان نصيب الإنسان في الدنيا قليلاً فإن الله تعالى قد يجبر ذلك بفضله العميم. . بل إن اكثر هدفنا هو الفات نظر القراء الى المعارف الإلّهية وتهذيب الباطن فإنهما معاً من المهمات بل غاية بعثة الانبياء وإنزال الكتب»[٢] .

٢ ـ كان شيخنا العارف (روحي فداه) يقول:

لا تلعن احداً ابداً حتى الكافر الذي لا تعلم أنه مات كافراً إلا إذا اخبر الولي المعصوم عن حاله بعد الموت اذ لعله آمن اثناء موته إذن لا تلعن بشكل عام .واحد له مثل هذه النفس القديسة بحيث لا يرضى بلعن شخص هو في الظاهر كافر لاحتمال أن يكون آمن على عتبة الموت .

وواحد مثلنا «والى الله المشتكى» كان واعظ المدينة. . مع انه من اهل العلم والفضل ـ يقول وهو على المنبر وبحضور العلماء والفضلاء: فلان مع أنه كان حكيماً كان يقرأ القرآن!

هذا مثل أن نقول: فلان مع أنه كان نبياً معتقداً بالمبدأ والمعاد .

انا أيضاً لا احترم كثيراً العلم وحده ، والعلم الذي لا يستتبع الايمان هو «الحجاب الأكبر» ولكن لا يمكن خرق الحجاب بدون الدخول فيه . العلوم بذر المشاهدات ، يبدو أن من الممكن أحياناً الوصول الى مقامات بدون حجاب الاصطلاحات والعلوم. . ولكن هذا من غير الطريق العادي وخلاف السنة الطبيعية وهو نادر الحصول[٣] .

٤ ـ قال سماحته في درس الخارج في الفقه:

مسألة اليانصيب من مسائل الفقه الإجتهادية ، وقد تختلف فيها آراء

---

(٢) معراج السالكين وصلاة العارفين/٥٥/٥٦ .

(٣) رسالة لقاء الله/٢٥٩ .

المجتهدين ، لأن مثل هذه المسألة ليست من مسائل الفقه الضرورية والواضحة ليتفق فيها الجميع .

في هـذه المسألـة (اليانصيب) كـان المشهور أن المـرحوم الخـوانساري والمرحوم السيد يونس الاردبيلي (رضوان الله عليهما) يقولان بجوازها . . طبعاً اجتهادهما أدى الى الجواز وهذا لا يبرر أن نطعن عليهما لأنهما أفتيا بذلك ـ كما أنه ليس لهما أن يطعنا علينا لأننا لا نقول بالجواز بل يمكنهما أن يبحثا المسألة معنا بحثاً علمياً .

يجب أن يكون السادة ـ الطلاب ـ متنبهين جيداً الى أعمالهم الصغيرة . . يجب أن يكونوا منتبهين الى الفـاظهم جيداً . . حتى ـ لا سمـح الله ـ لا يسلب التوفيق منهم بواسطة شطر كلمة . . أو يخرجون من زمرة المحصلين أو يخرجون عن الطريق الإلّهي والصراط المستقيم(٤) .

٥ ـ وما أدراك ما ملا صدرا:

جاء في احدى المجلات المعروفة تحدث أحد خواص الامـام الخميني عن الأوضاع العام ١٣٤٢ هـ ، وقبل ذلك ، فقال: كان الـطلاب قد خصصـوا وقتاً في الليل والنهار يقضونه في قسم الاستقبال من منزل الامام (البراني) وكان يـدور في بعض الأحيان نقـد لبعض الروحـانيين وكان الـطلاب متألمين ، لأن الامام لا يخطو خطوة باتجاه المرجعية ، بل يعتزل . . وذات يوم جاء المرحـوم الشهيد السيد مصطفى يبلغنا ان الامام يقول: سمعت أنه احياناً تتم غيبة العلماء واهانتهم . . أنا لا ارضى أن يغتاب احد أحداً في هذا البيت أو يهين احداً ،

كـان الامام يـدرس الاصول عصـراً في مسجـد السلمسـاسي في قم . . أخبـروه انه في مجلس درس بعض المحققين وجهت اهـانة الى المـلا صـدرا ـ صدر المتألهين ـ فغضب الامام وقال:

---

(٤) رسالة نوين ج٢/ ٢٦٦ .

وما أدراك ما ملا صدرا. . المسائل التي عجز عنها ابن سينا حلها الملا صدرا. . لماذا لا نراقب السنتنا؟ .

*** المرحوم السيد حسين القزويني:**

ضمن تعداد أهم الفضائل في كتابه «اخلاق وسير وسلوك» يقول رحمه الله:

الحادي عشر: تعظيم الأوامر الإلٓهية وتعظيم علماء الدين واهل التقوى وأصحاب الورع من المؤمنين وتكريمهم، فذلك منشأ صلاح الدنيا، ونجاة العقبى(٥).

***الوحيد البهبهاني:**

سئل رحمه الله، بم بلغت هذا المقام العلمي، والعزة، والشرف، والاذعان، من الآخرين؟ فكتب في الجواب: أنا لا أعتبر نفسي شيئاً أبداً، ولا أعد نفسي في مستوى العلماء الموجودين. . ولعل الذي أوصلني الى هذا المقام. وهو أنني لم أكفّ أبداً عن تعظيم العلماء وإجلالهم، وذكر أسمائهم بالخير. . وأني لم اترك الدراسة في أي وقت ما استطعت ذلك وكنت أقدمها دائماً على سائر الأعمال(٦).

*** المحدث القمي:**

في مفاتيح الجنان يقول المحدث الجليل القمي رحمه الله حول دعاء الجوشن الكبير:

الثاني: استحباب قراءة هذا الدعاء في أوّل شهر رمضان، وأما قراءته في خصوص ليالي القدر، فليس في الأخبار ذكر لذلك، لكن العلامة المجلسي قدس الله روحه، قال في ذيل أعال ليالي القدر في زاد المعاد: وقد ورد في

---

(٥) ص ٢٦.

(٦) وحيد بهبهاني/١٣٦ وهدية الأحباب/١١٤ ـ ١١٥.

بعض الروايات قراءة دعاء الجوشن الكبير في كل ليلة من هذه الليـالي الثلاث وكلامه في هذا المجال كاف ، أحله الله دار السلام[٧] .

* ويقول هذا المحدث العظيم في ترجمة احد فلاسفة الشيعة الكبار:

وقد نبه بعض العلماء الى أخطائـه ولكن حيث (أني أنا) الحقيـر لا أرى نفسي أهلاً لنقل عثرات العلماء ، فضلاً عن العظماء ، والقادة ، فلا جرم أطوي كشحاً ، وأرجع الى ترجمته»[٨] .

* وقد جاء في ترجمة هذا المحدث الجليل ـ القمي ـ:

كان شديد الاحترام لأهل العلم وخصوصاً السادات وأولاد رسول الله . . وإذا وجد سيد في المجلس لم يكن يتقدم عليه ولا يمد رجله باتجاهه .

* وينقل ابنه عن المرحوم سلطان الواعظين قوله: في أوائل طبع «مفاتيح الجنان» ، كنت ذات يوم في سـرداب سامـراء ، وكان الكتـاب ين يدي وكنت مشغولاً بالزيارة رأيت شيخـاً يلبس عباءة عـادية (من النسيـج اليدوي) وعمـامة صغيرة ، جالساً ، مشغولاً بالذكر ، وسألني الشيـخ: لمن هذا الكتـاب؟ قلت للمحدث القمي . . وبدأت أمدح الكتاب ، قال الشيخ: لا يستحق المدح الى هـذا الحد ، فـلا تمدح بـدون مبرر . . قلت مغضبـاً: قم واذهب من هنا . . . فوضع الجالس بجانبي يـده عليّ وقال: تـأدب . . إنه هـو المحدث القمي . . فقمت وقبلته واعتذرت منه ، وانحنيت لأقبل يـده ، ولكنه لم يسمـح بذلـك ، وانحنى وقبل يدي وقال: أنت سيد .

* يقال: قبل وفـاة المحدث القمي بسـاعات جـاؤوه بمقدار من عصيـر التفاح وكانت طفلة من السادات في منزله رحمه الله فقال المحدث: قدموا ذلك لهذه الطفلة العلوية أولاً لتشرب ثم اعطونيه .

---

(٧) مفاتيح الجنان/ ٨٥ .
(٨) الفوائد الرضوية/ ٣٧٩ .

وهكذا كان. . قدم العصير للطفلة فشربت قليلاً ثم شرب المحدث الباقي بقصد الاستشفاء»[٩] .

*** الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء):**

يقول صاحب كتاب اللمعات في كتابه هذا: قال أستاذنا الشيخ حسن بن الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب «كشف الغطاء» في مجلس الدرس ذات يوم:

كان الشيخ الكبير في الليالي، ينام قليلاً ثم يستيقظ ويبقى مشغولاً بالمطالعة الى وقت صلاة الليل ثم يأخذ بالتضرع والمناجاة إلى طلوع الفجر .

ذات ليلة سمعنا صراخه ونحيبه. . . وكان كأنه يلطم على رأسه، ركضت أنا وإخوتي فرأيناه وقد تغيّرت حالته وقد بللت دموعه ثيابه، وهو يلطم على رأسه ووجهه، امسكا بيديه، وسألناه عن السبب قال: صدر مني خطأ، ذلك اني أول الليل كنت افكر في مسألة فقهية بيَّن العلماء الكبار حكمها وكنت أبحث عن دليل الحكم في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) فراجعت كتب الأحاديث عدة ساعات ولم اجد مستندها وتعبت وقلت بسبب التعب الشديد: جزى الله العلماء خيراً حكموا حكماً بدون دليل ثم نمت، فرأيت في عالم النوم اني ذهبت الى الحرم المطهر لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعندما وصلت الى محل نزع الأحذية رأيت في الصُّفة سجاداً، ومنبراً عالياً في صدر المجلس، وشخصاً موقراً ذا وجه جميل ونوراني جالساً على المنبر وقد أخذ بالتدريس، وكان المكان غاصاً بالعلماء الاعلام، يستمعون الى الدرس، سألت شخصاً: من هم هؤلاء؟. . ومن هو الجالس على المنبر؟ قال: هو المحقق الأول صاحب الشرائع. . وهؤلاء الذين تحت المنبر هم علماء الشيعة. . فسررت وقلت في نفسي حيث اني منهم طبعاً سيحترمونني، وعندما صعدت الى حيث كانوا سلمت ولكنهم أجابوا جواب المكره العابس، وأرشدوني الى مكان للجلوس. . فغضبت لذلك، والتفت الى المحقق وقلت:

---

(٩) حاج وشيخ عباس قمي مرد تقوا وفضيلت/٦٢/ ٦٤ .

ألست من فقهاء الشيعة ، فلم تتعاملون معي هكذا؟ .

فقال المحقق بمنتهى الحدة: يا جعفر بذل علماء الامامية جهوداً وانفقوا الكثير حتى جمعوا أخبار الأئمة الأطهار من اطراف المدن من الرواة وصنفوا كل حديث في محله بأسماء الرواة ، واحوالهم ، وتصحيحها ، وتوثيقها أو تضعيفها حتى يأتي أمثالك ويجدوا مستند الأحكام ودليلها. . أنت جلست عدة ساعات على السجادة ولاحظت عدداً من الكتب الموجودة لديك ولم تلاحظ بعد كل ما لديك وفوراً اعترضت على العلماء ونسبت اليهم أنهم أفتوا بدون مستند ودليل ، في حين أن هذا الرجل الموجود تحت المنبر ، أورد هذا الحديث في عدة أماكن من كتابه ، وذلك الكتاب موجود بين كتبك ومؤلفه هـذا الشخص الذي يسمى الملا محسن الفيض الكاشاني .

أضاف الشيخ جعفر: فارتعدت فرائصي من كلام المحقق واستيقظت من النوم وبسبب ذنبي والندم عليه أصبحت على هذه الحالة التي ترون»[١٠] .

السيد محمد المجاهد[١١]:

عندما جاء المرحوم السيد محمد المجاهد من العراق الى ايـران للجهاد ضـد الروس. . ذهب بعـد أن دخل قـزوين الى مسجد الشـاه فيها وتـوضأ من حوض المسجد. . وفـوراً أخذ اهـل قزوين مـاء ذلك الحـوض للتيمن والتبرك والاستشفاء بحيث لم يبقَ في الحوض منه شيء[١٢] .

*** المحقق الطوسي:**

يقول المحدث القمي (حول السيد المرتضى):

«وكـان نصير الـدين الطوسي رحمـه الله اذا جرى ذكـره في درسه يقـول

---

(١٠) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/١٥٥/١٥٧ .

(١١) تقدم أنه ابن صاحب الرياض رحمهما الله .

(١٢) قصص العلماء ١٢٥ در بحانة الادب ج٣/٤٠١ .

صلوات الله عليه ، ويلتفت الى القضاة والمدرسين الحاضرين درسه ، ويقول: كيف لا يُصلّى على المرتضى»(١٣) .

*** صدر المتألهين:**

أورد أحد أصدقاء الشهيد مطهري في ترجمته: «أثناء الاقامة في قم كنا يوماً في منزل الشيخ محمد فريد النهاوندي» مع الاستاذ مطهري والشهيد بهشتي وشخص أو اثنين آخرين. . وصل البحث الى صدر المتألهين فقال صاحب البيت: بعض آراء صدر المتألهين مأخوذة من الفخر الرازي ، وبعض عبارات الأسفار عين عبارات كتاب «المباحث المشرقية» للفخر الرازي ، وقد دفع هذا الكلام الذي أثار تعجب الحاضرين وانكار بعضهم على المقارنة بين الكتابين ، تناول المرحوم النهاوندي كتاب الفخر الرزي ، وبدأ يقرأ وفتح آخر أسفار صدر المتألهين طابقنا العبارات معاً فلم يكن هناك أي فرق حتى أننا في مكان ما وجدنا في الكتابين هذه العبارة «هذا مما لم يسبقني إليه احد» .

وبألم دافع المرحوم المطهري عن صدر المتألهين وقال: كانت طريقة العلماء في بيان المطلب العلمي انهم إذا رأوا كلام عالم آخر يوضح مرادهم بشكل مناسب ينقلون تلك العبارات اقتباساً دون الاشارة الى المصدر مثلاً كثير من عبارات المرحوم الشيخ آقا رضا الهمداني في كتاب الصلاة هي عين عبارات أستاذه الشيخ الأنصاري (أو ذكر شخصاً آخر ، لا أتذكر قصة أخرى جرى البحث في غرفة الشهيد مطهري في المدرسة الفيضية بينه وبين المرحوم الشيخ غلام حسين البادكوبي أحد علماء مشهد ومدرسيها الأتقياء وكان ضيف الشهيد . . كان البحث حول نظرية «وحدة الوجود» لصدر المتألهين . .

كان المرحوم البادكوبي يتابع البحث بدقة نظر إلا أنه كان كاستاذه المرحوم آية الله الميرزا مهدي الأصفهاني المدرس المشهور في مشهد ليسا ضليعين في المسائل الفلسفية . . وكان يبطل نظرية صدر المتألهين . . واحياناً

---

(١٣) سفينة البحار ج٢ / ٢٢٧ .

يتخذ كلامه شكل المغالطة والإصرار عليها ـ وفي النهاية قال الشهيد مطهري بحزم: هذه الجملة من نهج البلاغة: مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، ليست سوى نظرية صدر المتألهين هذه وقطع البحث[١٤].

*** آية الله الكلباسي:**

عندما جاء آية الله الكلباسي الى قم وذهب الى مزارها.. كان يمشي في المزار حافياً وقال: هذا المزار مليء بالعلماء ورواة الحديث لذا ورعاية للأدب لا أريد أن اسير على قبورهم منتعلاً[١٥].

*** سبب التهجم على العلماء:**

قبل اكثر من اربعين سنة كتب الامام الخميني في كتابه القيم والشريف «كشف الاسرار» تحت العنوان المذكور ما يلي:

وهؤلاء وكل واحد من اصحاب الآراء الباطلة والأقوال النشاز لأنهم يعلمون أن الوحيدين القادرين على التصدي لهم في المجتمع وفضح أكاذيبهم هم العلماء.. وسائر الناس إما ليسوا مختصين في هذا المجال أو اذا كان لهم اطلاع، قلَّ أو كثر، فإنهم لا يعتبرون واجبهم التصدي، لهؤلاء السائبين، الشيء الوحيد الذي يهتمون به لأجل تحقيق أهدافهم المسموعة ويقدمونه على كل شيء هو أن يوجهوا التهم والافتراءات الى العلماء بكل وسيلة ممكنة وكذباً وزوراً ليفصلوا الناس عنهم ويحقروهم في اعين الناس ويضعفوا تأثيرهم الروحاني بكل ما أمكنهم ليفتح امامهم الميدان فينصرفوا بكل اطمئنان للتلاعب بأرواح بعض الناس المساكين وأعراضهم وأموالهم.

يشهد التاريخ أن الجهة الوحيدة التي حفظت دين الناس منذ وفاة نبي الإسلام وحتى اليوم وحالوا دون تأثير أباطيل السائبين هم العلماء

---

(١٤) يادنامه استاذ شهيد مرتضى مطهري/الكتاب الأول/٣٢٧/٣٢٨.

(١٥) منتخب التواريخ/٤٥٣.

والـروحانيـون. . . والآخرون إمـا أنهم لم يكونـوا اهلاً لـذلك. . . أو أنهم لـم يكونوا يعتبرون واجبهم ذلك[١٦] .

* شهيد المحراب آية الله دستغيب:

يقول رحمه الله :

«ورد الوعيد بالعقوبة الشديدة على كفران نعمة وجود العلماء منها ما ورد عن النبي الأكرم (ص):

سيأتي زمان على الناس يفرون من العلماء كما يفر الغنم من الذئب فإذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاثة أشياء: الأول: يرفع البركة من امـوالهم ، والثاني : سلط الله عليهم سلطاناً جائراً ، والثالث: يخرجون من الدنيا بلا ايمان»[١٧] .

* العلامة الشعراني:

يقول المرحوم الشعراني : «والنصيحة الأخيرة أن لا يعتبروا أن العلم بدون التقوى والورع ذا قيمة أبداً وأن لا يستخفوا بكلام علماء الدين وأن يعلمـوا أن تعظيمهم احياءً وأمواتاً يوجب مزيد التوفيق»[١٨] .

«وانا اغتنم الفرصة هنا واحذر طلاب العلوم الـدينية الـذين هم مثلي لم يصلوا الى كمال العلم أن لا يسيئوا الظن ابداً بكبار علماء الـدين ، اذ أن أقل جزاء لهذا العمل هو الحرمان من فيض علومهم . .

ما أتعسه شقاءً أن يكون الشخص سيء الظن بكبار علماء الدين ولا يعتني بكلامهم. . . اذا وجدت عالماً يعترض على كلام آخـر ، ويفنده فـالسبب في ذلك أنهم يحبون الحقيقة اكثر من أي شيء آخـر ، واذا سها شخص أو أخـطأ فمن الواجب التنبيه على ذلك ، لأنه ليس معصوماً. . ولم يبذل الدقة المطلوبة

---

(١٦) كشف الاسرار/٨ ـ٩ .

(١٧) الذنوب الكبيرة ج٢/ ٣٥/ والحديث في سفينة البحار ج٢/ ٢٢٠ .

(١٨) ترجمة ، وشرح فارسي ، تبصرة المتعلمين/٨٠٨ .

ومر به سريعاً فبقي ذلك السهو في كلامه ولو أنه مر به ثانية لأصلحه[١٩] .

* تعظيم الاستاذ:

لتعظيم الاستاذ والعلم ميزة خاصة. . وكل ما ورد حول احترام العلماء وما قيل يشتد تأكده بالنسبة للاستاذ ويكتسب أهمية تفوق ما عداها. . . من هنا كان عظماؤنا يولون هذا الأمر اهتماماً خاصاً وكانوا يحذرون من الاساءة الى المعلم. . معتبرين أن ذلك ـاحترام العلماء ـ احد اسباب التوفيق في الدراسة .

«وفي حديث الحقوق الطويل المروي عن زين العابدين (عليه السلام) :

وحق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب احداً يسأله عن شيء ، حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه أحداً ، ولا تغتب عنده احداً ، وأن تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه ، وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدواً ، ولا تعاد له ولياً ، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله جل وعز بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس[٢٠]اذا وفقت لأداء هذه الحقوق تجاه استاذك سيشهد ملائكة السماء بما فيه خيرك ، ونفعك ، وأنك سلكت طريق استاذك ، وطلبت العلم لله ، وتعلمت منه هدفاً إلّهياً .

* صاحب الكفاية ، قائد ثورة المشروطة في ايران:

يقول المرحوم آية الله ضياء الدين العراقي ، وهو من تلامذة المرحوم الآخوند الخراساني صاحب الكفاية:

«بعد وفاة المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير ، جاء ابنه الميرزا علي وكان طالباً شاباً. . فأخذ استاذنا الآخوند يصطحبه معه حيثما ذهب ويقدمه في كل مكان ومجلس. .

---

(١٩) ترجمة وشرح فارسي تجريد الاعتقاد/٥٩٦ .

(٢٠) منية المريد/١٠٦ ويستحسن الرجوع الى هذا الكتاب للتوسع في موضوع البحث .

فاستاء تلامذة الآخوند الذين كانوا فضلاء ومجتهدين. . لأنهم كانوا يرون أستاذهم يسير خلف طالب شاب فدفعوني ـ كنت أصغرهم سناً ـ أن أفاتح الاستاذ بالأمر وحملني ذلك على الجرأة فقلت له: ما معنى تقديم ابن الميرزا الشاب وتقدمه على نفسك في كل مكان مع انك لست اقل من أبيه الميرزا الشيرازي؟

يقول الشيخ آقا ضياء: فنظر اليّ الآخوند نظرة وقال: اذا كان ذلك يزعجك فلا تتبعنا. . هذا ابن استاذي واحترامه واجب علي[٢١] .

«لم يرتق الآخوند المنبر للتدريس طيلة حياة أستاذه الميرزا الكبير الشيرازي ، مع أن عمر الآخوند كان قد جاوز الخمسين وكان مجتهداً مسلماً ومدرساً. . . رغم ذلك واحتراماً لأستاذه كان لا يرتقي المنبر في النجف ويدرس طلابه جالساً على الأرض .

وفي اول درس بعد وفاة الميرزا في سامراء ارتقى الآخوند المنبر وجلس في صدره وقال: قال الاستاذ رحمه الله وأقول .

قالوا وقد كان لهذه الـ «أقول» دوي في المحافل العلمية في النجف[٢٢] .

* الميرزا حبيب الله الرشتي:

«عندما كان الميرزا حبيب الله رحمه الله يريد الخروج الى الصحن (دار حرم الأمير (عليه السلام)) للتدريس كان يتوضأ ويقرأ سورة يس المباركة في الطريق عن حفظ وعند وصوله الى باب القبلة يكمل قراءة السورةَ بجانب ضريح استاذنا «الشيخ الأنصاري ويهدي ثوابها الى روحه ويستمد (العون) من روح ذلك العظيم ليمكنه تدريس مئات الطلاب وبيان الحقائق العلمية بشكل أفضل وأوضح[٢٣] .

---

(٢١) مرگي درنور/٧٢ .
(٢٢) المصدر السابق/٩٨ .
(٢٣) المصدر السابق/٨٢ .

*** قبول عطاء الأستاذ:**

جاء في ترجمة الشريف الرضي مؤلف نهج البلاغة أنه كان عـزيز النفس جـداً ولم يكن يقبل هـديـة أحـد أو عـطاءه حتى الخلفـاء العبـاسيين. . وحتى والده[٢٤] .

وفي القصة التالية ترى كيف أنه قبل عطاء استاذه لسبب واحد هو اكرامه واحترامه للاستاذ:

كان الشريف في مستهل شبابه يقرأ القرآن على الفقيه المالكي ابراهيم بن احمد الطبري وذات يوم سأل الأستاذ الشريف: أين تسكن؟

ـ في منزل أبي في محلة «بب محول» .

ـ مثلك لا ينبغي أن يسكن في منـزل والده. . وهبتـك منـزلي في محلة الكرخ[٢٥] .

وأبى الشريف فأعاد عليه أستاذه الكلام فقال الشريف:

ـ يا شيخ أنا لم اقبل برَّ أبي قط فكيف أقبل من غيره؟

إن حقي عليـك اعظم من حق أبيـك لأني ابـوك الـروحـاني وهـو ابـوك الجسماني .

ـ قد قبلت الدار[٢٦] .

يقـول مؤلف كتاب السيـد الرضي: يجب الإلتفـات الى أن هذه القصـة وقعت بعد رجوع والد الشريف الرضي من الإبعاد والنفي وزواج السيد الرضي وقبل رفع قرار المصادرة عن أموال والد الشريف وإلا فلا مجال ابداً لهذا السؤال

---

(٢٤) رياض العلماء / ج٥/٨٣ ـ ٨٤ ومفاخر اسلام ٣/٢٩٩ .
(٢٥) السيد الرضي مؤلف نهج البلاغة/٣٦/٣٧ .
(٢٦) منية المريد/١١١ .

والجواب وعطاء البيت وهبته[٢٧] .

* أعلى درجات الأدب:

يقول أحد تلامذة العلامة الطباطبائي :

كان لاستاذنا العلامة الطباطبائي رحمه الله علاقة واعجاب شديد بأستاذه المرحوم القاضي . . كان حقاً يرى نفسه امامه صغيراً . . وكان يبحث في شخصية المرحوم القاضي عن دنيا من العظمة والأبهة وأسرار التوحيد والملكات والمقامات .

ذات يوم قدمت له هدية عطر تناول العطر بيده وفكر قليلاً وقال: مرت سنتان على وفاة استاذنا المرحوم القاضي ومنذ ذلك الوقت والى الآن لم أتعطر . . يضيف تلميذه: والى هذه الفترة الأخيرة كلما كنت اقدم له عطراً كان يقفل القنينة ويضعها في جيبه ولم أرَ أنه تعطر . . مع أنه مضى على وفاة استاذه ست وثلاثون عاماً[٢٨] .

* الميرزا الشيرازي الكبير:

يقول الشيخ آقا بزرك الطهراني في هدية الرازي في فصل «تلامذة الميرزا» :

«٢١٧ ـ مير سيد علي ، إبن مير سيد حسن اصفهاني المدرسي كان يهتم به الميرزا كثيراً بسبب الحق الذي كان لوالده على الميرزا» .

يقول الميرزا: طلب الي الشيخ الأنصاري في أواخر حياته أن اجدد النظر في رسائله «الرسائل» وانقحها مع أنه كان قد كررها عدة مرات ولكن بلحاظ احترام الاستاذ لم أوافق على ذلك[٢٩] .

---

(٢٧) السيد الرضي ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ، بتصرف .
(٢٨) مهرتابان/ ١٥ ـ ١٦ .
(٢٩) ميرزاي شيرازي/ ١٥ ـ ١٦ .

*** آية الله الحائري:**

حدَّث ابن آية الله العظمى الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم أن والده قال:

التوفيقات التي كانت من نصيب واستطعت في ظلها أن أؤسس الحوزة كلها رهن الخدمات التي قدمتها لأستاذي المرحوم السيد محمد فشاركي، في الفترة التي ابتلي بها سماحته بمرض شديد، بلغ به الى حد أنّي كنت طيلة ستة أشهر اقدم له الاناء لقضاء الحاجة... وكنت أفتخر بذلك.

*** غاية الاحترام:**

كثير من علمائنا الكبار عندما يذكر احدهم اسم أستاذه يتبعه بكلمة «روحي فداه» وذلك أسمى درجات التعظيم، والاحترام، والذوبان في الاستاذ وهنا نماذج من ذلك:

* عندما يذكر الامام الخميني ـ وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ـ أستاذه الشاه آبادي يقول شيخنا العارف الكامل روحي فداه.. وفي تأبين ابنه يقول الامام: هذا الشهيد العزيز ابن شيخنا الجليل الذي له علي حقاً، حق الحياة، ولا يمكنني باليد واللسان أن أؤدي واجب شكره.

* وعن العلامة الطباطبائي يقول الشهيد مطهري في كتبه: «حضرة الاستاذ العلامة الطباطبائي روحي فداه».

* ويقول تلميذ آخر للعلامة:

هناك نسخة من المبدأ والمعاد لصدر المتألهين بخط الحكيم المحقق الآخوند ملا عبد الرزاق اللاهيجي في مكتبة الاستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي روحي فداه» الخ(٣٠).

---

(٣٠) رسائل فلسفي ملا صدرا/ ٦٥ المقدمة وغيره.

* ويقول أحد الفضلاء المعاصرين:

«أتذكر نقطة قالها شيخي العالم الأستاذ العلامة الشعراني روحي فداه» الخ[٣١].

أمضيت سنوات في طهران استفدت فيها من محضر الأستاذ الجليل المرحوم العلامة الميرزا مهدي إلهي روحي فداه» الخ[٣٢].

«لم اسمع ابداً في محضر استاذي المرحوم جناب العلامة السيد محمد حسن الإلّهي الطباطبائي التبريزي من شخص أو عتاباً أو أي كلمة زائدة أو ناقصة»[٣٣]

* جزاء سوء الأدب:

يقول المحدث الجليل السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله:

«وكان في أصفهان رجل عالم من مجتهدينا رأيناه، وقرأنا عليه، وقد كان في أول تحصيله يقرأ عند مجتهد آخر، فلما نشأ ذلك التلميذ، أنكر قراءته على ذلك الشيخ، ولم يقر له بالفضل فبلغ الأستاذ قوله، فدعا عليه وقال: اللهم اسلبه كل ما قرى عندي، وأخذه عني، فسلبه الله الحافظة بعد ما كان مشهوراً بالحفظ، فصار لا يحفظ مسألة على خاطره بل لا بد له في كل مسألة من مراجعة كتبه ومؤلفاته وهو الآن موجود في أصفهان، ونحن نحمد الله على توفيقه لنا لبرِّ المشائخ والقيام بوظائف خدمتهم، والإستغفار لهم أحياءً وأمواتاً ورضاهم عنا»[٣٤].

* يقول المرحوم التنكابني:

---

(٣١) معرفت نفس ج ٢/ ٢٣٢.
(٣٢) معرفت نفسي /٢/٢٢٤.
(٣٣) المصدر السابق/٢٤٢.
(٣٤) الأنوار النعمانية/٣/٩١ـ٩٢.

كان احد تلامذة المرحوم العلامة السيد ابراهيم القزويني يشكل في مجلس الدرس كثيراً يناقش استاذه» .

وذات يوم أخذ يناقش الاستاذ ويجادله وأجابه الأستاذ فرفض كلامه دون دليل فقال الأستاذ لا تهذ . . . قال: أسمع هذياناً ، فسكت السيد القزويني . وبعد انتهاء الدرس رجع التلميذ الى منزله وبمجرد أن أراد الصعود على الدرج الى الطابق العلوي أصابه ألم في ظهره ، وطالت معاناته فيه ، ولم تنفع معه كل محاولات العلاج ، وبعد وفاة الأستاذ تنبه الى أن هذا قد يكون بسبب ما جرى بينهما ، فعين شهرية لابنه ونذر الزيارة الى كربلاء وكان يقدم خدمات لعائلة أستاذه المرحوم وحج بيت الله الحرام وعلى رغم ذلك لم يشف وما يزال مبتلى بذلك المرض(٣٥) .

* جاء في هامش الأنوار النعمانية :

كان في النجف رجل فاضل له خبرة بالعبارات الغامضة والمطالب المعقدة في مختلف الكتب وكان يبحث عن مثل هذه المسائل ويستخرجها من الكتب ويطرحها على العالم الجليل الشيخ محمد حسن المامقاني التبريزي (الذي كان من المراجع الكبار وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ) يطرحها عليه في المجالس العامة ومجالس العلماء والطلاب ولم يكن له هدف إلا اهانة ذلك الرجل العظيم وتحقيره واظهار عجزه أمام الآخرين . . .

وعندما تنبه العلماء لنيته نهوه عن هذه العادة القبيحة ونصحه اصدقاؤه ولكنه لم يكن يتقبل النصيحة وسرعان ما مات . . إذ ابتلي بمرض عضال وقضى في شبابه ولم يشك أحد أن السبب في مرضه وقصر عمره اساءته الأدب مع الشيخ المامقاني(٣٦) .

---

(٣٥) قصص العلماء/١٢/ بتصرف .

(٣٦) ج ٩٢/٣ بتصرف .

*** جزاء إهانة الشيخ الأنصاري:**

كـان الشيخ الأنصـاري عائـداً من كـربـلاء الى النجف ومعـه جمـع من العلماء ، منهم العارف الكبير السيد علي الشوشتري ، وصي الشيـخ ، وأستاذ آية الله الهمداني .

عندما ركبوا السفينة : وقـع حذاء الشيـخ سهواً على بسـاط أحد مشـايخ العرب . . وكان يبغض الشيخ ويحسده ، فقال بوقاحة : العجم لا أدب لهم ولا معـرفة خصـوصاً اهـل شوشتـر ، فلم يقـل الشيـخ شيئـاً ، وطلب السيـد علي الشوشتري من الشيخ أن يجيبه على وقاحته إلا أن الشيخ بقي ساكتاً . . وعصر ذلك اليوم ابتلي الشيخ العراقي بالقولنج وبعد قليل أخرجوا جنازته من السفينة للدفن[٣٧] .

(٣٧) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/ ١٠٨ بتصرف

* في احترام أسماء الله تعالى والرسول (ص) ، والقرآن الكريم والعترة الطاهرة (ع)

إذا كان احترام العلماء يحظى بهذا المستوى من الأهمية ، فمن الواضح جداً أي اهتمام يجب أن يبلغه احترام أسماء الله تعالى ، والرسول (صلى الله عليه وآله)، والقرآن الكريم ، والعترة الطاهرة . .

ومن المناسب هنا ـ استطراداً ولأهمية الموضوع ـ ذكر نماذج من أدب العلماء في هذا المجال .

* كان السيد ابن طاووس رحمه الله ، إذا ذكر اسماً من أسماء الله تعالى ذكر بعده دائماً (جل جلاله) أو رجل علام وأمثال ذلك. . . ويلاحظ أن الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يلتزم بذلك .

* وكان المحدث القمي رحمه الله ، لا يمس جلد كتاب في الحديث بدون وضوء. . فضلاً عن أصل عبارات الحديث. . وكان كلما أرد قراءة الروايات أو كتابتها يجلس بأدب ـ جلسة التشهد في الصلاة ـ متوضئاً مستقبل القبلة ثم يبدأ عمله(٣٨) .

---

(٣٨) حاج شيخ عباس قمي ، مرد تقوا وفضيلت/٥٦ .

* كان بعض الأجلاء ، لا يتلفظ بأسماء المعصومين الشريفة ، إذا لم يكن متوضئاً ، وفي الرواية أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان إذا ذكر اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينحني بحيث يصبح وجهه المبارك قريباً من ركبتيه»(٣٩) .

* مع المحدث القمي:

في أحوال الامام الصادق (عليه السلام) كتب المحدث القمي رحمه الله «وكان (عليه السلام) كثير الحديث حسن المجلس وكثير الفوائد وكلما أراد أن يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) تغيّر لونه ، يخضر تارة ، ويصفر اخرى بحيث أنه لا يعرفه من كان يعرفه .

«يقول المؤلف: تأمل جيداً حال الامام الصادق (عليه السلام) في تعظيم رسول الله وتوقيره ، وكيف يتغير لونه عند نقل حديثه وذكر اسمه (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أنه كان ابن النبي وبضعته. . وتعلم منه ذلك واذكر اسم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنهاية التعظيم والاحترام وصلِّ عليه بعد ذكر اسمه واذا كتبت اسمه الشريف ، فاكتب الصلوات بعد اسمه بدون رمز واشارة ولا تكتف /كبعض المحرومين من السعادة/ برمز (ص) أو (صلعم) ونحو ذلك ، بل تتلفظ باسمه المبارك ولا تكتبه بدون وضوء ، ومع ذلك كله اعتذر منه (صلى الله عليه وآله) إذ أنك قصَّرت في واجبك تجاهه وقل بلسان العجز:

« أغسل فمي بالمسك وماء الورد ألف مرة ومع ذلك فإن التلفظ باسمك منتهى إساءة الأدب(٤٠) .

* مع الشهيد الثاني:

يقول الشهيد الثاني في كتابه القيّم « منية المريد »: « . . . ويراعي

---

(٣٩) گناهان كبيرة/١٢٦ .

(٤٠) منتهى الآمال ج ٤/٧/ الباب الثامن والشطر الأخير ترجمة بيت شعر فارسي .

الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها، وشرفها، وشرف مصنفها، فيطبع الأشرف أعلى الكلّ، ثم يراعي التدريج، فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار، أو وتد، في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم العربية (. . .) .

و« إذا نسخ شيئاً من كتب العلم الشرعية، فينبغي أن يكون على طهارة، مستقبلاً، طاهر البدن والثياب، والحبر، والورق، ويبدي الكتابة بكتابة «بسم الله الرحمٰن الرحيم، والحمد لله والصلاة على رسوله وآله، وان لم يكن المصنف قد كتبها، لكن إن لم يكن من كلام المصنف أشعر بذلك بأن يقول بعد ذلك: قال المصنف أو الشيخ ونحو ذلك. وكذلك يختم الكتاب بالحمدلة، والصلاة والسلام بعد ما يكتب آخر الجزء الفلاني ويتلوه كذا وكذا إن لم يكن كمل الكتاب ويكتب إذا أكمل « تم الكتاب الفلاني» أو الجزء الفلاني » وبتمامه تمّ الكتاب ، ونحو ذلك ، ففيه فوائد كثيرة .

وكلّ ما كتب اسم الله تعالى أتْبعه بالتعظيم ، مثل: تعالى ، أو سبحانه ، أو عز وجل ، أو تقدس ، ونحو ذلك ، ويتلفظ بذلك أيضاً ، وكل ما كتب اسم النبي (صلى الله عليه وآله)، كتب بعد ، الصلاة عليه وعلى آله والسلام ويصلي ويسلم هو بلسانه أيضاً .

ولا يختصر الصلاة في الكتاب ، ولا يسأم من تكريرها ، ولو وقعت في السطر مراراً ، كما يفعل بعض المحررين المختلفين ، من كتابة «صلعم» أو «صلم» او «صم» أو «صلسم» أو «صله» فإن ذلك كله خلاف الأول والنصوص ، بل قال بعض العلماء «إن من كتب «صلعم» قطعت يده .

وأقل ما في الإخلال باكمالها ، تفويت الثواب العظيم عليها ، فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) ، أنه قال: من صلى علي في كتاب ، لم تزل الملائكة تستغفر له ، ما دام اسمي في ذلك الكتاب» .

واذا مر بذكر أحد من الصحابة ،سيما الأكابر كتب رضي الله عنه ، أو

(رضوان الله عليه) ، أو بذكر أحد من السلف الأعلام كتب رحمه الله ، أو تغمده الله برحمته ، ونحو ذلك ، وقد جرت العادة باختصاص الصلاة والسلام بالأنبياء .

وينبغي أن يجعل للأئمة (عليهم السلام) ، السلام ، وإن جاز خلاف ذلك ، بل يجوز الصلاة على كل مؤمن ، كما دلّ عليه القرآن والحديث .

وكتابة ما ذكر من الثناء ونحوه ، هو دعاء ينشؤه لا كلامٌ يرويه ، فلا يتقيد فيه بالرواية ، ولا باثبات المصنف ، بل يكتبه وإن سقط من الأصل المنقول أو المسموع منه .

واذا وجد شيئاً في ذلك ، قد جاءت به الرواية أو مذكوراً في التصنيف ، كانت العناية باثباته وضبطه اكثر[٤١] .

*** العلامة بحر العلوم رحمه الله:**

في سياق تعداد لوازم السلوك الى الله تعالى يقول العلامة بحر العلوم رحمه الله ، في رسالة السير والسلوك المنسوبة إليه :

«الحادي عشر: حفظ الأدب بالنسبة الى الله تعالى والرسول وخلفائه . (الإثنيْ عشر (صلى الله عليه وعليهم) وهذه المرحلة مغايرة للإرادة ـ وإن كانتا تجتمعان في بعض الموارد ، وهذا الشرط من الشرائط المعظمة ؛ تكلم شخص بين يديْ الامام (عليه السلام) بكلام فيه شائبة ثبوت قدرة للإمام فسقط الامام على الأرض ومرغ جبينه المقدس بالتراب . .

وآخر حرك لسانه بكلام اعتراض . . فملأ فمه رمادا . وطائفة من أرباب القلوب لم يقرؤا القرآن جلوساً بل كان احدهم يمسك القرآن بيديه مواجهاً القبلة واقفاً بمنتهى العجز والمسكنة ويتلو القرآن .

وفي محضر القرآن اما أنهم لم يجلسوا او راعوا غاية الأدب . . كما في

(٤١) منية المريد/١٧٦ و١٧٧ ـ ١٧٨ .

حضور السلاطين. . والبعض كانوا يقفون تعظيماً لأسماء الله والأسماء الشريفة والأئمة (عليهم السلام) .

وبعض عاشوا حياتهم في الجلوس والذهاب والأكل وسائر الحالات وكأنهم يرون الله حاضراً هناك وراعوا الأدب .

ورعاية الأدب حين عرض الحاجات والاحتراز من ألفاظ الأمر والنهي من جملة اللوازم[٤٢] .

(٤٢) رسالة سير وسلوك منسوب به بخر العلوم/١٤٦ .

* القسم التاسع...

* التواضع...

﴿وعباد الرحمن الـذين يمشون
على الأرض هونا﴾ .
(الفرقان/٦٣) .

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[1] .

* لا شك في أن أحد أهم الصفات وأسماها . . هو التواضع . . . التواضع جميل لكل من تحلى به ولكنه للروحاني أجمل والتكبر بالعكس ، إنه قبيح لكل من اتصف به . . إلا أنه من طالب العلم أشد قبحاً . .

الترابية والتواضع سبب علو الإنسان وسموه . . وإرادة العلو سبب في سقوطه الى حضيض الجهالة والشقاء . . ومبعث الابتلاء بالتعاسة .

وكثيرة هي الامور التي تؤدي الى الاتصاف بهذا الخلق القبيح «التكبر» و«الأنانية» منها : الجاه والمقام ، والمال، والتملك ، والعلم ، والمعرفة .

بعض الأفراد المحدودين . . بمجرد أن يتعلموا بضعة اصطلاحات صرفية ونحوية وشبهها . . يصابون بالغرور الى حد انهم يعتبرون أنفسهم ـ نعوذ بالله ـ في مرتبة النبوة أو على الأقل ، اعلم العلماء . .

ومن الطبيعي أن مثل هؤلاء الاشخاص اذا وفقوا لتربية صحيحة فسينزلون تدريجياً عن برجهم العالي ويدركون أنه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ ، وفريق آخر اتخذوا العلم سلماً ووسيلة . . ويتوقعون أن ينحني الناس احتراماً

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٥).

لهم ، وينتظروا أوامرهم ويقومون عنهم بكل أعمالهم ويؤمنون لهم مستلزمات معيشتهم . .

مثلاً يتوقعون أن تنجز الدوائر معاملاتهم بشكل استثنائي . . ويفسح لهم القصاب المجال قبل غيرهم . . ويقدم الخباز لهم الخبز قبل سائر الناس ويحطمون شخصياتهم بمثل هذه الترهات . وللأسف فإن الذين يحملون هذا النوع من التفكير ليسوا قلة . . ويجب أن يكونوا بصدد اصلاح أنفسهم .

والبعض ايضاً يفتخرون بعلمهم ويقرعون طبل «لمن الملك» ويعتبرون انفسهم لذلك مقدمين على الآخرين وأفضل منهم . .

ولكن كما ورد في الحديث «من قال أنا اعلم فهو جاهل»(٢)هؤلاء اناس جهلة مبتلون بضعف الشخصية وعقدة النقص تجاه الناس ، إنهم يريدون بهذا الادعاء الفارغ ، وبهذه المحاولات الحصول على شخصية كاذبة .

وطائفة من فرط التكبر ، إذا صدر ممن يباحثهم أو يناظرهم كلام صحيح ، فإنهم يكابرون . . واذا سُئِلوا سؤالاً لا يعرفون جوابه . . فهم لا يمتلكون شهامة قول «لا أدري» ويحاولون اسكات السائل باللف والدوران ليغطوا بذلك جهلهم . . خوف السقوط من أعين الناس .

* وفي هذا الفصل ، تذكر بحول الله تعالى قصص هي نقيض النماذج المتقدمة ، ودواء مفيد لتلك الأمراض القاتلة .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (فلو أرخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر ورضي لهم التواضع فألصقوا بالأرض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين(٣)) .

---

(٢) بحار الأنوار ج٢/ ١١٠ .

(٣) نهج البلاغة صبحي الصالح ٢٩٠/ الخطبة القاصعة/١٩٢ .

ومن الواضح أن للتواضع حدوداً وموارد لا ينبغي تجاوزها ليلقي الانسان نفسه في الذل بيده. . وقد تكفلت كتب الأخلاق ببحث ذلك .

* * *

* الامام الخميني دام ظله:

كان الامام الخميني متواضعاً بالمعنى الواقعي للكلمة. . ورغم كل هذا السمو والعظمة والعلم والمعرفة الذي حيّر العالم لم يكن يرى نفسه إلا «طالب علم» .

ورغم كل هذه الخدمات للإسلام ، فإنه لم يكن يرى لنفسه حرماً ولا حمى - ويخاطب الشباب المجاهدين في الجبهات: أقبل أيديكم وسواعدكم لأن يد الله معها. . وأفتخر بذلك .

كتب الامام عام ١٣٨٥ هـ .ق في برقية من النجف أرسلها الى أحد العلماء في ايران:

«تشرُّفُ الحقير بالعتبات المقدسة فوز عظيم. . إن من حيث زيارة العتبات المقدسة للأئمة (عليه السلام) ، وإن من حيث التشرف بمحضر حضرات المراجع العظام ، والعلماء الأعلام ، والأفاضل الكرام ، في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، وكربلاء المباركة ، وسائر العتبات المقدسة .

* ويقول سماحته مخاطباً نواب مجلس الشورى الاسلامي:

«فكروا جميعاً بالناس دائماً. . هؤلاء هم عباد الله. . هؤلاء هم الذين يقتلون الآن على الحدود. . هم الذين يواجهون صعوبات الحرب ، وهم الذين تشردوا ، وهم يعيشون في هذه الأماكن وهذه الخيم دون ابسط المقومات. . هؤلاء هم عباد الله وهم أفضل. . هم أفضل مني ، ويحتمل أن يكونوا أفضل منكم. . فلماذا لا نفكر بهم دائماً .

* يقول أحد المقربين من الإمام:

عندما أراد الامام أن يستقل الطائرة من بغداد الى باريس قال:

«سأبقى أنتقل من حدود بلد إلى حدود بلدٍ آخر فلا تستوحشوا. . وتابعوا أعمالكم بدقة. . أنا خجل واقعاً من الشعب الايـراني لعشقه الشهـادة الى هذا الحد ومواصلة الثورة بهذه العزيمة» .

في حين كانت السبل مسدودة في وجهه كان يقول: انا خجل من الشعب الإيراني ويجب أن أعمل بتكليفي [٤] و«إلى الأمس القريب كان الإمام قدّس الله سرّه يجري يومياً العديد من عقود الزواج . . وكان الإمام قدّس الله سره يعاملهم بكل لطف ومحبة ويزودهم بنصائحه[٥] .

* وإليك ترجمة رسالة ابن أحد الشهداء إلى الإمام قدس الله سره بالنيابة عن جمع من أبناء الشهداء والأسرى والمفقودين .

---

(٤) فرازهائي أز أبعاد امام ٢/ ٧٩ .

(٥) المصدر السابق/ ٤٥ .

بسم الله الرحمن الرحیم

رهبر عزیز و بزرگوار خودمان سلام

انشاءالله حال شما خوب باشد که اگر حال شما خوب باشد
و سرحال باشید ما هم خوشحال خواهیم بود دو سال است که بنیاد
شهید برای ما فرزندان شهدا، اسرا، مفقودین اردوی [illegible]
می‌گذارد [illegible] هر سال آرزوی دیدار با شما را داریم اما
نتوانستیم امسال که برای سومین بار برای اردو می‌رویم از شما
و بیان پدرمان هستید می‌خواهیم که برای ما پیامی بدهید و ما را
چند نصیحت بکنید که ما پس از پدرمان چه کارهایی باید انجام
بدهیم و در جامعه چه بکنیم.

خداحافظ شما. انشاءالله بتوانیم روزی با شما دیدار کنیم

خدایا، خدایا تا انقلاب مهدی خمینی را نگهدار

یک فرزند شهید که از جانب همه شرکت کنندگان
این آرزو را دارد.

بسمه تعالی

فرزندان عزیزم، نامه محبت آمیز شما که از جانب خود و دیگر فرزندان عزیز شهدا، مفقودین و اسرا بود
موجب خرسندی شد. امید است شما عزیزان فرزندانی که [illegible] در راه خدا و [illegible] عزیز
هستید چون پدران بزرگوار خویش خود را برای دفاع از اسلام بزرگ و میهن عزیز مهیا سازید و با فراگرفتن
علم و دانش و کوشش در راه بدست آوردن کمال باشید و همچون پدرانی برای اسلام عزیز و کشور، فرزندان
فرزندان شایسته‌ای باشید. شما با از دست دادن عزیزان خود [illegible] اسلام و دنیا [illegible] نشان دهید
[illegible]
[illegible]

صورة الرسالة من النسخة الفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

قائدنا العزيز والمعظم . .

سلام (عليكم)
ان شاء الله ، تكونوا بخير ،
إذا كنتم بخير ، وكنتم مسرورين فسنكون نحن أيضاً مسرورين .

منذ سنين ومؤسسة الشهيد تقيم لنا ـ أبناء الشهداء والأسرى والمفقودين ـ مخيماً مركزياً .

وفي كل سنة نتمنى زيارتكم ولكنا لم نستطع . هذه السنة جئنا للمرة الثالثة الى هذا المخيم ونريد منكم وأنتم مكان آبائنا أن توجهوا لنا نداءً وتزودونا ببعض النصائح حول ما ينبغي أن نفعل بعد آبائنا ، وماذا نفعل في صفوف المجتمع .
حفظكم الله . . إن شاء الله نستطيع أن نزوركم .
إلهي إلهي حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني .
ابن احد الشهداء يتمنى هذه الأمنية بالنيابة عن جميع المشتركين في المخيم .

* وقد أجابه الإمام على رسالته وإليك ترجمة الجواب:

بسمه تعالى
ولدي العزيز جداً . : سرتني رسالتك المحببة التي هي منك وبالنيابة عن سائر أولاد الشهداء والمفقودين والأسرى الاعزاء . . آمل منكم أيها الأعزاء الصغار الذين أنتم ذكرى المضحين في سبيل الله ، ورفعة الاسلام العزيز ، أن تبنوا أنفسكم كآبائكم للدفاع عن الاسلام العظيم ، والوطن العزيز ، وأن تصبحوا بتعلم العلم ، والأدب ، والسعي للحصول على الكمال الانساني ، والأخلاق الاسلامية ، الأولاد الأكفاء لوطنكم .

أنتم ـ بفقدكم أعزائكم ـ أولاد الاسلام والنبي العظيم الشأن وإن شاء الله تعالى توفقـون في حمى رب العالمين. . وعـاملوا أقاربكم خصـوصاً أمهـاتكم الصابرات معـاملة حسنة ، أسـأل الله المنان السـلامة لكم والـرحمة للشهـداء والسلامة والحرية لأسراكم ومفقوديكم والسلام عليكم .

شوال ١٤٠٥ روح الله الموسوي الخميني

* نعم كما يقول بعضهم:

«القائد الذي أجبر ممثل كارتر وهو في الجو ، أن يرجع من حيث أتى ، والذي تحدى كارتر فكشف عن مضمون رسالته ، والذي يستخف بجميع القوى المادية لطواغيت العالم ، يتواضع في مقابل طفل أو عجوز أو مجروح أو حارس (من حراس الثورة الاسلامية) الى حـد أن يقول: أنـا «طلبه» (طـالب علم) لا اكثر ، أنا خادم للناس ، لا تقولوا لي قائداً ، يا ليتني كنت حارساً (من حراس الثورة الاسلامية) «وقائدنا الطفل ابن الـ ١٢ عاماً الذي (فجر نفسه بدبابة عراقية) وأمثال ذلك .

* الآخوند الخراساني قائد ثورة المشروطة:

جاء في سيرة هذا العالم الكبير والمجاهد المقدام: هذا الوجود المبارك الذي كان في الواقع قائد الدين والدنيا لملايين المسلمين. . . كان متواضعاً جداً خصـوصاً مـع اهل العلم ، كـان يبادر اصغـر الطلاب بـالسلام ويقف لهم في المجالس احتراماً . كان يجلّ أهل العلم كثيراً[٦] .

في ليلة من الليـالي والكل نيـام. . كان طـالب يقرع بعنف بـاب الشيـخ الخراساني ، زوجة هذا الطالب تكاد تضع حملها ولأن هذا الطالب في النجف غريب وفقير ولا يعرف منزل القابلة. . لهذا يمم شطر منزل الشيخ . وسرعان ما جاء شخص وفتح البـاب دون أن يسأل قبـل ذلك من الـطارق. . رأى الطالب

---

(٦) مرگي درنور/٤٠١ .

الشيخ وعلى رأسه شال ابيض وقد وضع قلماً فوق اذنه اليمنى ومن شدة التعجب والخجل نسي الطالب السلام . .

قال الشيخ : سلام عليكم ماذا تأمر . . وماذا يمكنني أن اساعدك .

وعبر الطالب الشاب عن اسفه لازعاج الشيخ وذكر له حاجته . . متمنياً عليه أن يرسل معه الخادم ليرشده الى منزل القابلة .

ـ كلا الخادم لا يستطيع المجيء . . انه الآن نائم . . أنا شخصياً آتي معك .

وأصرّ الطالب على مجيء الخادم ليذهب معه . . فقال الشيخ : وقت عمل الخادم انتهى إنه يعمل حتى ساعة معينة من الليل والآن وقت استراحته ونومه ، إصبر قليلاً وأنا آتي .

وبعد لحظات جاء الشيخ وقد لبس عباءته وحمل بيده فانوساً . . وخرج من المنزل ومشى مع الطالب مسافة طويلة منتقلاً من زقاق الى زقاق حتى وصل الى منزل القابلة .

جاءت القابلة ثم مشى الشيخ معهما الى منزل ذلك الطالب والفانوس بيده .

بعد ذلك عاد الى بيته . وأوصل الى ذلك الطالب كمية من الأرز والسكر والقماش .

يقول هذا الطالب: بعد تلك إلليلة كلما رأيت الشيخ كنت اطأطىء رأسي خجلاً إلا أنه كان يغمرني بلطفه باستمرار وكأنه لم يُسد لي اية خدمة(٧) .

وعندما قطع ماء النجف ولم يمكن ترميم القناة الموجودة كظ الناس العطشى فتدافعوا نحو بيت الشيخ ، حجة الاسلام وملجأ الأنام وفي يومين

---

(٧) مرگي درنور / ٣٧٩/ ٣٨٠ .

وليلتين اعطى الشيخ حوالي ثلاثين ليرة الى الناس. . وكل من لم يكن يحصل على نصيبه من الماء كان يأخذ بدل كوز الماء ، ليرة هي ثمن حمل ماء حتى لا يتعرض للخطر من شدة الزحام. . . وغالباً كان يعطي للنساء والعجزة والمرضى ثمن الماء قراناً واثنين وثلاثة ليشتروا ماء الكوفة من السقائين. .

وفي اليوم الثالث اشترى مائتي حمل ماء من السقائين ووزعه في المنزل على الفقراء والعجز. .

وكان مثال الفتوة فقد شمر عن ساعده وبدأ بنفسه النفيسة يعطي الماء أو المال بعطف وحنان. . .

وكان يتعرض لأذى جسدي كثير في ذلك الزحام. . حيث أن الإقبال على الماء كبير جداً. . . ومع كل ذلك الأذى كان يوزع على الناس ببشاشة .

ومن يشاهد هذه الحالات من شخص. . فمن المفروض بحسب القاعدة أن يحبه. . لكن غالب هؤلاء الناس خصوصاً العجائز الذين كان هو شخصياً يهتم بأمرهم كانوا من الطاعنين فيه بتلقين من بعض المتنفذين بل كانوا يعتقدون ـ وبتعليمات الخاصة ـ أن ادارة السبحة لعدة مرات بلعن حضرة آية الله موجبة للفوز والصلاح وكانت فاكهة مجلسهم سب مؤسسة المشروطة ، والمجالس النيابية[8] .

---

(٨) الإستبداد والمشروطة ، مصطلحان سادا في زمن الشيخ الخراساني رحمه الله ، يراد بالأول أن يكون الحكم للملك بدون شروط ولا رقابة. . ويراد بالثاني «المشروطة» أن هناك شروطاً لا بد أن يلتزم بها الملك ، في طليعتها وجود مجلس يمثل الناس ، وقد بدأت بوادر نهضة المشروطة ، سنة ١٣٢٣ في زمن مظفر الدين شاه الذي اضطر امام اصرار الجماهير على توقيع «فرمان» المشروطة ، ورغم ذلك ثارت ثائرة الناس لأنه ذكر من لهم الحق في تعيين الممثلين فعدد الأمراء والعلماء والمالكين الخ ولم يذكر «أفراد الشعب» مما اضطر الملك الى تذييل فرمانه واضافة «افراد الشعب» وإثر ذلك مات ، فخلفه محمد عليشاه مع تشكيل أول مجلس شورى ـ برلمان ـ فعمل على إلغائه ، فأفتى الشيخ الخراساني عليه الرحمة بخلعه وفي سياق جهوده هذه. . حدث ما يذكره المؤلف

جاء بدوي الى النجف ورأى الشيخ يصلي.. بقي فترة متحيراً مبهوتاً ثم قال متعجباً: شلون؟ هذا الشيخ يصلي؟.

قيل له: كيف لا يصلي؟ والحال أنه هو الذي أقام الصلاة في هذا العصر.. وبعد أن تأمل قليلاً في ذلك الغريق في بحر الاخلاص قال باكياً:

والله، كثيرون قالوا لنا: هذا الشيخ لا يصوم ولا يصلي قيل له: ليست هذه أول قارورة كسرت في الاسلام إن رئيس المسلمين ويعسوب الدين أمير المؤمنين (عليه السلام) قالوا فيه مثل ذلك.

وتتضح لنا أهمية قصص الآخوند ـ الشيخ الخراساني ـ رحمه الله عندما نعلم أنه مؤلف أفضل واشمل كتاب في الأصول طيلة تاريخ الاسلام «كفاية الأصول» وأنه الشخصية التي كان يحضر درسه..» طالباً أكثرهم كانوا من المجتهدين[9] صرح بهذا الشيخ آقا بزرگ الطهراني وأضاف: طيلة تاريخ الاسلام لم يظهر مدرس مثله.

* الشيخ الأنصاري رحمه الله:

كان الشيخ الأنصاري عالي الهمة جميل الأخلاق.. وكان يتابع أمور الطلاب شخصياً ويشرف على تربيتهم كالأب العطوف.. لاحظ طلابه أنه منذ أيام لا يحضر الى الدرس في الموعد المحدد.. فسألوه عن السبب. قال: أحد السادة (الهاشميين) يحب دراسة العلوم الدينية وفاتح بذلك عدة اشخاص ليدرسوه المقدمات إلا أن احداً منهم لم يوافق.. واعتبروا أن شأنهم أجلّ من أن يتصدوا لهذا الدرس وقد توليت تدريسه[10].

نتيجة انقسام شامل آنذاك حول الاستبداد والمشروطة ـ عن دائرة المعارف شرق ـ مجموعة اطلاعات عمومي ـ فارسي/٣٩٨و٤٦٨ ـ ٦٩ (المترجم).

(٩) مرگي در نور/٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(١٠) زندگاني وشخصيت شيخ انصاري/٧٨.

*** محيي علم الأصول ، الوحيد البهبهـاني رحمه الله:**

جاء في سيرة هذا العالم الكبير الذي قضى على المنهج الأخباري وإلى الابد:

«لم يترك الوحيد البهبهاني التدريس ، حتى في أواخر عمره ولكي لا يحرم من نعمته فقد اكتفى بتدريس شرح اللمعة للتبرك ولترغيب العلماء والفضلاء وتشجيع طلاب العلم»[١١] .

*** الشيخ مرتضى الطالقاني:**

يقول أحد الفضلاء والمحققين المعاصرين في مقابلة معه:

كانت فترة دراستنا في النجف شيّقة جداً باعتبار أن الطلاب كانوا جيدين ومحصلين واقعاً . . والاساتذة كانوا اتقياء جداً وقد بلغوا حد النصاب (الكمال) في العلم والعمل . . درس الاخلاق ضروري واقعاً للروحانيين . . يجب أولاً أن يصفى الانسان من الناحية الاخلاقية وبعدها يطوي المراحل العلمية . . تذكرت نقطة مهمة حول استاذنا المحبوب الشيخ مرتضى الطالقاني . . وهي أنه كان يدرس الخارج وكان يدرس الاسفار ويدرس المنظومة ، والكفاية ، كما كان يدرس الطلبة الصغار المبتدئين[١٢] . . » .

* ويقول عنه في مكان آخر:

في الوقت الذي كان هذا العظيم يدرسني الأسفار لم يكن عنده مانع من أن يدرِّس «الامثلة» إذا طلب منه ذلك[١٣] .

---

(١١) وحيد بهبهاني/٢٥٣ .

(١٢) كيهان فرهنگي / العدد ٧ / ص٥ .

(١٣) تاريخ حكماء وعرفا/٩٢ و«الأمثلة» كتاب يعادل النحو الواضح مثلاً .

* الشيخ ابراهيم النجم آبادي:

جاء حول هذا العالم الكبير: «انتقل من نجم آباد الى طهران متنكراً. . وفي إحدى مدارسها سأل طالباً هل تريد زميلاً لك في غرفتك. .

ورأى هذا الطالب امامه ظاهراً عادياً ، ولم يخطر بباله أنه امام أحد العلماء فقال:

إذا كان شخصاً يساعد في القيام بخدمات الغرفة ويريحني فيمكنني ان انسجم معه. .

وبدأ الشيخ يعمل في الغرفة كخادم متواضعاً ساكتاً. . وكانا معاً في الغرفة بحيث اذا قدم احد يتحدَّ مع ذلك الطالب ويهتم به. . أما الشيخ فكأنه غير موجود وكأنه ليس شيئاً» .

وذات ليلة كان صاحب الغرفة يطالع كتاباً في الفلسفة كان يدرسه. . وطال سهره والشيخ يتقلب في فراشه فالضياء يمنعه النوم. . وأخيراً أخرج رأسه وقال له: ما هو هذا الذي تطالعه الليلة ولا تنتهي منه ولا تنام قال الطالب المغرور دون اكتراث: وما دخلك؟

وبعد أخذ ورد قال الشيخ: أرى أن امامك الكتاب الفلاني وقد استعصى عليك فهم العبارة الفلانية لأنك تخطىء في قراءتها. . ثم نهض وقرأ له العبارة بشكل صحيح وشرح له المراد ببيان واضح وشاف. . وقال له: الآن وقد حل الاشكال قم ونم. . ولكن بشرط ، وعهد ، أن تمر بما رأيت الليلة وكأن لم يكن ولا تذكره لأحدٍ ابداً. . وأبقى أنا ذلك الخادم وانت ذلك المخدوم. .

وغرق المسكين صاحب الغرفة في بحر من الحيرة. .
بقي الى الصبح يفكر فيما جرى ولم ينم. .

وفي اليوم التالي . عندما رجع من درس ذلك الكتاب وضع الكتاب بين يدي صاحبه المجهول وطلب منه أن يقرر له الدرس فسمع شرحاً أكمل وأفضل

من شرح استاذه .

عندها استسلم وقرر الاستفادة من الشيخ . . وفي النهاية لم يتمكن من حفظ العهد فأخبر زملاءه . . الأمر الذي ادى الى أن يبدأ الشيخ بالتدريس وانتشر خبر مفاده : اخيراً بدأ شخص اسمه ابراهيم بتدريس الفلسفة في طهران وقد فاق جميع المدرسين(١٤) .

* * *

* احد الفضلاء المعاصرين في حوزة قم كتب حوالي خمس وعشرين مجلداً في الفقه الاستدلالي وهو من المجتهدين الكبار وهو في التواضع بحيث أنه يدرس من كفاية الاصول الى الرسالة العملية ورغم انه درس الكفاية والمكاسب والرسائل ربما أكثر من عشرات المرات لا يأبى ابداً أن يدرس الكتب العادية مثل «الباب الحادي عشر» و«اصول الفقه» و«منية المريد» بل قد شوهد يدرس لبعض الطلاب المبتدئين الرسالة العملية الفارسية في المدرسة الفيضية وعلى الملأ العام .

*** المقدس الأردبيلي رحمه الله:**

رأى أحد زوار أمير المؤمنين (عليه السلام) ، المقدس الأردبيلي في الطريق ، ولم يعرفه ، وكان ذلك الزائر يبحث عمن يغسل له ثيابه ، فقال للمقدس الاردبيلي : خذ ثيابي واغسلها وائتني بها .

وأخذها فغسلها وجاء بها ، ليدفعها إليه ، وعرف بعض من كان بما جرى . . فبدؤوا يلومون ذلك الزائر وينكرون عليه . .

قال المقدس الاردبيلي ولم . . . وماذا حدث أن تلوموه؟ إن حقوق المؤمن على المؤمن اكثر من هذا بكثير(١٥) .

---

(١٤) تاريخ حكماء وعرفاء متيخر بر صدر المتألهين / ٣٩ ـ ٤٠ .
(١٥) روضات الجنات ـ ج ١/ ٩٥ .

* قال المحدث القمي معقباً على ما تقدم:

لقد اقتدى مولانا في هذا العمل بالامام الثامن (عليه السلام) فقد روي أن الإمام الثامن دخل الحمام يوماً فقال له شخص لا يعرفه: دلك ظهري وبدأ الامام يدلك ظهره (ويفركه) فرآه بعض من يعرفه فجاؤوا واعتذروا من الامام مما قاله ذلك الرجل.. فبدأ الامام يحدثهم مبيناً أن لا غضاضة في ذلك وهو ماضٍ في عمله الى أن انهاه.. (١٦).

* الشهيد المظلوم بهشتي رحمه الله:

في أوائل الفترة التي بدأت فيها حملة الاغتيالات ضد المسؤولين في الجمهورية الاسلامية على ايدي الفئات المسلحة المعادية للثورة.. كان لا بدّ للشخصيات من القبول بالمرافقين والحرس..

قال الشهيد: حيث أن الضرورة توجب ذلك أنا أسعى حتى الامكان أن احتفظ بطريقتي السابقة مثلاً «لا أسمح ابداً أن يفتح لي الحرس باب السيارة.. وسأظل ملتزماً أن اباشر هذا وأمثاله بنفسي»(١٧).

* العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي رحمه الله:

قيل الكثير عن تواضع البلاغي.. قالوا إنه كان يذهب بنفسه الى السوق ويشتري ما يحتاجه ويحمله في الشارع والزقاق كسائر الناس ولم يكن يرضى أبداً أن يساعده أحد في شئوونه وعندما كانوا يطلبون منه أن يساعدوه في القيام بعمل، أو عمل شيء كان يقول:

صاحب الحاجة أولى بها (أو أولى بحملها).

ورد في الروايات لعْن من ألقى كله على الناس وشقّ على الآخرين

---

(١٦) بيدارگران ـ أقاليم قبله/٢١٧/ فوائد الرضوية/٢٤.

(١٧) في خطاب للشهيد اذيع من اذاعة الجمهورية الاسلامية في السابع من تير /١٣٦٤ هـ.ش.

باحتياجه . . هذا العالم الرباني كان ملتزماً بهذا الأمر الإلٓهي بهذا الشكل والى هذا الحد[١٨] .

* العلامة الطباطبائي رحمه الله:

يقول تلامذته:

«كان هذا الرجل دنْياً من العظمة . . كان يجلس في دار المدرسة على الأرض كأي طالب صغير مبتدىء يأتي الى المدرسة الفيضية قبيل الغروب وعندما تقام الصلاة يلتحق ـ كسائر الطلاب ـ بصلاة المرحوم آية الله السيد محمد تقي الخونساري .

كان على جانب كبير من التواضع والأدب وكان يبذل جهداً كبيراً لحفظ الآداب . . وقد قلت له مراراً: إن هذه الدرجة من الآداب منك تجعلنا بلا أدب فبالله عليك . . ارحمنا .

منذ حوالي اربعين سنة وإلى الآن لم يُرَ في مجلس متكئاً بل يجلس دائماً في مقابل الضيوف مؤدباً مبتعداً قليلاً عن الحائط بحيث يكون مجلسه دون مجلس الضيف كنت تلميذه وكنت اذهب الى منزله كثيراً وكنت أريد أن يكون مجلسي دونه مراعاةً للأدب ولكن هيهات كان يقوم ويقول: بناءً على هذا فيجب أن نجلس نحن في الباب أو خارج الغرفة .

قبل سنين عديدة كنت في مشهد وذهبت لزيارته وجدته جالساً في الغرفة على فراش وكان الطبيب منعه من الجلوس على الأرض بسبب مرض القلب» فقام عن الفراش ودعاني للجلوس عليه فامتنعت . . وبقينا فترة واقفين الى ان قال أخيراً .

إجلس لأقول لك جملة . .

تأدبت وجلست وجلس هو على الأرض فقال: الجملة التي كنت اريد أن

---

(١٨) بيدار گران أقاليم قبله/٢١٢ .

أقولها هي: «هناك اكثر نعومة»[١٩] .

«طوال ثلاثين سنة كان لي فيها شرف الاتصال به لم اسمع منه أبداً كلمة «آنا» وفي المقابل سمعت منه مراراً عبارة «لا اعلم» في الاجابة على الاسئلة تلك العبارة التي يرى الجهلة قولها عاراً. . كان بحر العلم والحكمة المتلاطم الموج يقولها من فرط التواضع بسهولة والملفت أنه بعد ذلك كان يجيب على السؤال على صورة احتمال أو بعبارة «يبدو لي» .

أتذكر أن شخصاً مضيء القلب كان يقول في محضره همساً وعيناه مغرورقتان: أتعجب كيف أن الأرض تستطيع أن تتحمل ثقل رجال من هذا النوع[٢٠] .

«منذ حوالي ثلاثين سنة وأنا على صلة بالاستاذ اشترك في درسه واستفيد من جلساته الخاصة لليالي الخميس والجمعة بمقدار امكاني. . لا اتذكر أنه ولو مرة واحدة طوال هذه المدة غضب او صرخ في وجه طلابه أو أنه أجرى على لسانه كلمة حادة تتضمن اهانة لأحد ، كان يدرس بكل هدوء ومتانة ولم يكن ينفعل أبداً وكان سريع الالفة والانسجام مع الأشخاص. . كان ذلك أدبه مع الجميع حتى اصغر الطلاب. . كأن يألفهم وكأنهم من اصدقائه الخلص. . كان يصغي لكلام الجميع ويعطف عليهم. . كان متواضعاً جداً لم أره ابداً يفتخر بنفسه أو يمدحها ، لم يكن يبخل العلم ، كان يقدم أدق المطالب العلمية وبكل بساطة الى الآخرين مع أنها احياناً قد تكون من ابتكاراته ودون أن يثني على نفسه ويقول: لم يسبقني اليه أحد!

كان حريصاً على بذل العلم لم يكن يترك سؤالاً دون جواب وكان يجيب السائل بمستوى ادراكه كان يقدم المطالب العلمية في عبارات قصيرة ولم يكن يستسيغ العبارات المنمقة .

---

(١٩) مهرتابان / ٥٠ ـ ٥١ .

(٢٠) يادنامهٔ علامه/٣٧ .

لم يكن يهتم بكثرة الطلاب وقلتهم كان أحياناً يدرس اثنين او ثلاثة. . ولم يكن يحرم غير الطلاب من الاستفادة منه فكل شخص وفي أي زي وسن كان يذهب إليه يمكنه أن يستفيد منه. . وقد استفاد من علمه كثيرون ، وكانت تأتيه رسائل من داخل ايران وخارجها تتضمن أسئلة علمية ودينية وكان يكتب جواب الرسائل بخط يده .

كان يخاطب أحياناً بلفظة الاستاذ فيقول: أنا لا أحب هذا التعبير نحن اجتمعنا هنا لنتعاون ونفكر معاً للحصول على حقائق الاسلام ومعارفه .

كان يحب المشي. . وغالباً ما كان يذهب الى المجالس المتنقلة ماشياً وفي الطريق كان أيضاً يجيب على الاسئلة العلمية .

ولم تكن اعمال الاستاذ العلمية في مستوى واحد فمن جهة كان يكتب في التفسير (للميزان) أرقى المطالب ويشرح للأفاضل الطلاب واساتذة الجامعات والعلماء الاجانب مثل البروفسور «هنري كوربون» أدق المسائل الفلسفية. . ومن جهة اخرى كان يكتب في أمور الدين وحقائقه بمستوى عادي بل كان يكتب حتى لطلاب المدارس .

نعم كان هذا الرجل الكبير واقعاً قدوة. . أتذكر أني في أوائل دراستي كنت اكتب له رسائل سخيفة واسأله اسئلة عادية. . ولكنه رغم كل مشاغله العلمية كان يكتب جواب الرسالة بخطه ويرسله في اسرع الأوقات .

ذكر احد الطلاب ايضاً أنه سأل العلامة سؤالاً فأجابه فسأله نفس السؤال ثانية فأجابه ايضاً وسأله نفس السؤال ثالثاً واعترض عليه فأجابه ذلك العظيم للمرة الثالثة بمنتهى التواضع وكتب الجواب بخط يده» .

وفيما يلي ترجمة نموذج مما كتبه سماحته بخط يده مع صورته:

بسمه تعالى:

تسلمت رسالتك العزيزة واطلعت على رغبتك الكبيرة في دراسة الفلسفة. . اللازم أن تدرس هذا الفن بالطريقة التي يدرسه بها الآخرون وقد

جربوا حتى الآن أن يدرسوا المقدمات ثم يبدؤون بدراسة الفلسفة ولا يستعجلون .

ما هو متعارف الآن سليم والحاصل أنهم يدرسون المقدمات العربية والمنطقية ثم ينصرفون بعدها الى الكتب المختلفة مثل المنظومة والاشارات والأسفار والشفاء وإن شاء الله يحصلون على نتيجة كاملة .

والسلام عليكم محمد حسين طباطبائي .

صورة الرسالة بخط العلامة عليه الرحمة والرضوان .

* يقول احد الفضلاء والمحققين المعاصرين: في احدى السنوات الأخيرة تشرفت بزيارة قم وذهبت الى منزل العلامة الطباطبائي لزيارته طرقت الباب ففتحه رجل عجوز .

قلت: السيد موجود .

نعم .

ـ قل له إذا كان بأمكانه أن أتشرف بخدمته .

ذهب وعاد وفتح باب غرفة ودخلت . . لم يكن في الغرفة سجادة أو بساط فجلست . . جاء السيد سلم علي واعتذر بأنهم على أهبة السفر الى مشهد للتشرف بزيارة الامام الرضا (عليه السلام) قال: اذهب لآتي بشيء نجلس عليه . . . وأراد أن يذهب فأمسكت يده بلطف وقلت: لا داعي أبداً ونزعت عباءتي وفرشتها وقلت تفضل يمكننا الجلوس على العباءة .

قال: في هذه المرحلة من عمري علمتني درساً مربياً .

قلت: هذه الجملة ، الانذار ، منكم مربية اكثر . ثم جلسنا وتحدثنا للحظات . . ولن أنسى ابداً عظمة تلك اللحظات وبعدها لم أوفق للقائه رحمه الله[٢١] .

* * *

---

(٢١) يادنامۀ علامۀ طباطبائي / ٦٠ ـ ٦١ .

نقل احد الاصدقاء: رأيت شخصاً سأل العلامة الطباطبائي مسألة عادية جداً وغير مناسبة حول الغسل:

اجابه المرحوم العلامة واضاف: «اسأل هذه المسألة لشخص آخر» (أي تأكد من صحة ما قلت لك بسؤال آخر)!.

قال السائل: كانت المسألة عادية جداً بحيث كدت أقول له: مولاي.. كما قلت ولا داعي للسؤال إلا أنه تواضعاً منه قال ذلك وعندما مضى قلت للسائل: ما الداعي أن تسأله هذه المسألة. قال: كنت اعرف الجواب إلا أني اردت أن اتكلم عدة كلمات مع من هو تجسيد للتقوى.

* يقول العلامة الطباطبائي: «في مسألة «القوة والفعل» التي بحثت في كتاب «أصول الفلسفة» أخذني المرحوم المطهري الى منزله في طهران وابقاني اسبوعاً كي يصل الى عمق المسألة ويمكنه أن يكتب حواشيها وشروحها، وباحثني حتى اقتنع[٢٢].

* صدر المتألهين رحمه الله:

صدر المتألهين اكبر فيلسوف إسلامي يقول فيه أستاذه الميرداماد شعراً يوضح فيه «أن سمو فضله فاق السماء وأن افلاطون يخشع في محرابه، وأنه لم يجلس على مسند التحقيق مثله من الأولين والآخرين.. يعبر عن نفسه بـ «بعض الفقراء من الامة المرحومة».

جاء في سيرة هذا الحكيم الجليل:

«لم يكن في جميع مراحل حياته يعرف الغرور والعجب وكان دائماً متواضعاً.. وكي لا يجد الكبر الى نفسه سبيلاً كان يقوم بأعمال لم يكن نظراؤه يقومون بها بأنفسهم.

كان صدر المتألهين منزهاً عن تكلفات العلماء والروحانيين والصوفيين

---

(٢٢) يادنامهٔ شهيد مطهري/ الكتاب الأول/٣٥١.

والعارفين في ذلك العصر ولم يكن له نظير في التواضع في عصره .

في شيراز التي هي مسقط رأسه والجميع يعرفونه . . وبالاضافة الى مقامه العلمي كانوا يعرفون أن أباه من تجار شيراكز المشهورين كان يتولى شراء المواد التموينية من لحم وخبز وما شابه ويحملها بنفسه الى المنزل دون أن تزعجه أنظار الناس المنصبة عليه وهم يتعجبون كيف أن هذا العالم الكبير لا يرسل خدمه لشراء الخبز واللحم .

ويحتمل بقوة أن صدر المتألهين كان يقوم بذلك أحياناً ترويضاً لنفسه وتحقيراً لها . . .

كان صدر المتألهين متمكناً مالياً . . فقد ورث ثروة أبيه وكان في بيته عدة خدم وكانوا عادة يشترون لوازم البيت . . ولكن صدر المتألهين كان يحمل اللحم والخبز بيده الى البيت امام انظار التجار والآخرين في المدينة التي يعرفه أهلها من أن يكسر غرور نفسه(٢٣) .

* الشيخ آقا رضا الهمداني رحمه الله:

يقول المرحوم السيد محسن الامين العاملي في ترجمة الفقيه الكبير والمحقق المدقق المرحوم الهمداني صاحب الكتاب القيم «مصباح الفقيه» :

« . . . من تواضعه الشديد أنه كان يقوم لكل داخل ويقوم للطلاب جميعهم حتى في اثناء الدرس والعادة المتبعة في النجف أن الشيخ لا يقوم لأحد من تلاميذه في يوم الدرس سواء في اثنائه وخارجه فإذا قام لهم علموا أن ذلك اليوم يوم تعطيل ، أما الطلاب فيقومون للداخل منهم قبل شروع الشيخ في الدرس وفي اثناء الدرس لا يقومون لأحد ، أما شيخنا المترجم فكلما دخل واحد منهم قام له ولو في اثناء الدرس فيقوم والكراس الذي يقرأ فيه في يده فإذا كان ذلك في اثناء الدرس كان وحده القائم وباقي الطلاب جالسون وكان يشتري

---

(٢٣) ملا صدرا ـ فيلسوف ومتفكر بزرگ اسلامي / ٣٣٧/٣٣٢/٣٣٣ .

لوازم بيته بنفسه ولا يوكل ذلك الى أحد رأيته مرة واقفاً على القصاب ينتظر فراغه ليعطيه اللحم وذلك في ايام الزيارة والقصاب مشغول بالبيع على الزائرين ، لا يلتفت الى اصحابه المواطنين ، لأن انتفاعه من الغرباء اكثر ، وكان واقفاً قبل مجيئي مدة الله اعلم مقدارها ، فصحت بالقصاب أن اعطِ الشيخ ما يريد . فقال الشيخ : ما يخالف . فقلت أي شيء ما يخالف يدعك الى آخر الناس . . فاعتذر القصاب ، ووزن له ، ووزن لي بعده ، ولولا مجيئي لكان حاله حال ابنتي شعيب ، ورأيته مرة يساوم على الحطب يوم الجمعة والخميس لأنهما يوما تعطيل الدروس في الأسبوع يأتي الحطابون بالحطب (. . .) من البرية على حميرهم ويقفون بها في الأزقة فتشتري الناس منهم فقلت له: يا شيخنا كلف غيرك يشتري لك الخطب فقال: أنا لا أغير طريقتي وكان يومئذٍ قد رأس وقلده الناس. . . الخ» .

«كان يكره الشهرة ويحب العزلة الا فيما لا بد منه لدين أو دنيا فكان لا يجلس في يوم عيد ولا يحب أن يشيعه أحد اذا سافر (. . .) وكان يمشي في الطريق وحده وليس معه بالليل من يحمل امامه الضياء كعادة كبار العلماء وإذا رآه من لا يعرفه ظنه بعض فقراء الطلبة كنت امشي معه يوماً ليلاً فاستقبله زائر من العجم فسأله هل تصلي ركعات الوحشة (صلاة ليلة الدفن ركعتان يهدى ثوابهما للميت) فقال لا ولم يكن يعمل لنفسه دعاية ولا يلتمس من يعمل له ذلك ولا يتحدث بشيء مما جرى له مما فيه تميز بشيء[٢٤] .

* المرحوم البيد آبادي:

هو العالم العابد المرحوم الشيخ محمد الگيلاني المعروف بالبيد آبادي. . يقول فيه صاحب روضات الجنات: وحكي أنه رحمه الله كان من شدة زهده في الدنيا وردعه داعية الهوى لا يعبأ كثيراً بسلاطين وقته فكيف بمن كان دونهم بل كان يظهر راهيته اللقاء بهم وهم يعظمونه حق التعظيم من كثرة ما

---

(٢٤) أعيان الشيعة ج٧/٢١ .

يرونه فيه من الكرامات والمقامات وكان لا يستنكف من ركوب حمير الحمولة العارية والخروج الى المسافات البعيدة النائية[٢٥] .

ولا بأس هنا بالتذكير بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) يعتبر هذه الصفة احدى صفات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقول: «ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه»[٢٦] .

* آية الله العظمى الحائري رحمه الله:

قال احد الأجلاء: مرض احد الطلاب فهيأ له المرحوم الحائري الدواء وحمله الى منزله قال لزوجته أن تحضِّره ثم حمله هو بيده ـ ولم يرض أن يحمله خادمه ـ وأخذه الى غرفة ذلك الطالب .

* الشهيد الثاني رحمه الله:

رغم مقامه العلمي والروحي الشامخ كان الشهيد يباشر بعض شئوونه الضرورية بنفسه جاء في سيرته: كان يحرس الكرم ليلاً وفي الصباح يلقي الدروس على الطلبة ، وكرْمه الذي كان له في جباع معروف محله الآن. وكان يحتطب لعياله ليلاً ويشتغل بالتجارة أحياناً ، فيتاجر بالشريط ويحمله الى البلاد النائية وكان يباشر ببناء داره ومسجده الذي هو الى جنبها في قرية جباع .

وذكر تلميذه ابن العودي في رسالته انه كان يقسم أعماله على اوقاته ولا يدع لحظة من عمره في غير اكتساب فضيلة وإفادة مستفيد وخلف مائتي كتاب بخطه من تأليفه وتأليف غيره[٢٧] .

---

(٢٥) روضات الجنات ٧١/١٢٣ بتصرف يسير .

(٢٦) نهج البلاغة/ صبحي الصالح/٢٢٨ خ ١٦ .

(٢٧) اورد المؤلف نصاً حول احتطاب الشهيد ليلاً وقد أوردت هذا النص لشموله ودلالته على أن التواضع ومباشرة الشؤون الضرورية لا تعيق عن العلم ، والنص منقول عن مقدمة منية المريد/ .

* المبادرة الى السلام:

نقل عن شهيد المحراب آية الله اشرفي اصفهاني قوله: كان آية الله العظمى السيد محمد تقي الخونساري جم التواضع وكان في تواضعه التزامه بالمبادرة بالسلام. وكان حريصاً عليه في الشارع وعند دخول المدرسة.

* يقول آية الله العظمى البروجردي رحمه الله: رأيت في عالم النوم أنه اعلن من مكبرات حرم المعصومة عليها السلام أن جنازة السيد المرتضى وصلت الى قم.. ففكرت في النوم ان السيد المرتضى توفي منذ سنين طويلة وهو ايضاً كان في العراق فما هي المناسبة ليعلنوا ذلك في قم.. وعندما استيقظت سمعت مكبرات الحرم تعلن وفاة آية الله الخونساري وأن جنازته ستصل.

* مؤلف مفاتيح الجنان:

المحدث الكبير عباس القمي رحمه الله في كتابه القيم الفوائد الرضوية ـ الذي هو في ترجمة علماء الشيعة ـ عندما يصل الى اسمه يقول:

حيث أن هذا الكتاب الشريف في بيان احوال العلماء لم اجد المناسب أن أترجم لنفسي اذ أني أحقر وأقل من أن أضع نفسي في عدادهم ولذا صرف النظر عن ترجمتي مكتفياً بذكر مؤلفاتي(٢٨).

هذا هو تواضع انسان ما تزال مؤلفاته القيمة والطريفة منذ اكثر من نصف قرن يستفيد منها ويرجع اليها الخواص والعوام.

نعم.. من تواضع لله رفعه الله.. هؤلاء هم المروضون لأنفسهم، الاتقياء المؤمنون حقاً بالله والمعاد.

* مفخرة الاسلام:

يقول الاستاذ الشهيد مطهري رحمه الله:

---

(٢٨) الفوائد الرضوية/ ٢٢٠.

قبل عدة سنوات دعيت إلى الجمعية الـدينية لجـامعة شيـراز. . . فوقف لتعريفي أحد الاساتذة هناك وكان قبـلاً طالب علم ولعله كـان تلميذي. . وفي آخر حديثه قال هذه الجملة: اذا كان هذا الزي مفخرة للآخرين فإن فلاناً مفخرة زي الروحانية .

شعرت أنني احترق. . وعندما قمت لأتكلم قلت: يا فلان ما هذا الكلام الذي خرج من فمك. . أصلاً هل تفهم ماذا تقول؟ أنا ليس لي الا افتخار واحد هو هذه العمامة والعباءة. . من أنا حتى اكون مفخرة العمامة والعباءة؟ ما هـذه التعارفات الفارغة التي تتعارفون بهـا مع بعضكم يجب أن يقـال·ابو ذر مفخـرة الاسلام. . الاسلام يفتخر بتربية ابناء له تحسب لهم حساباً لأن لهم دوراً مهماً في الثقافة البشرية الدنيا لا تستطيع أن لا تكتب اسم الشيخ نصير الدين الطوسي على جزء من القمر لأن له دخلاً في بعض اكتشافات القمر. . من نحن وما هي قيمتنا. .

*** كاشف الغطاء رحمه الله:**

الشيخ جعفر كاشف الغطاء ذلك الذي يعبر عنه الشيخ الانصاري «ببعض الاساطين» ويقول صاحب الجواهر فيه: لا استطيع شرح الفروع الفقهية لكشف غطائه عندما كان في أوج العظمة والشهرة كثيـراً ما شـوهد يحمـل طرف ثـوبه ويمشي بكل تواضع بين صفوف المصلين يجمع المال للفقراء .

* * *

* لا أدري...

قول «لا أدري» في المسائل التي لا إحاطة للإنسان بها علامة الشهامة والتقوى وحسن البحث عن رضا الله والتصديق به. . .

والجهلة يأبون التلفظ بها لأنهم يعتقدون خطأً أنها تحط من شخصيتهم وموقعهم الإجتماعي. . ولكن ذلك ليس إلا وسوسة شيطانية .

قال تعالى: **﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق﴾**[1] .

* يقول أحد الفضلاء: ينبغي أن يورث العالم «لا أدري» إلى اصحابه بمعنى أن يكرر هذه الكلمة دائماً في المسائل التي لا يعرفها ليألفوها هم ويعتادون عليها. . فتكون ميراثهم منه بعد وفاته ويستعملونها حيث ينبغي .

* ويقول عالم آخر: تعلم «لا أدري» فانك إن قلت «لا أدري» علموك حتى تدري وإن قلت ادري سألوك حتى لا تدري. . .

واعلم أن قول العالم «لا أدري» لا يضع منزلته بل يزيدها رفعةً ويزيده في قلوب الناس عظمة تفضلاً من الله تعالى عليه وتعويضاً له بالتزامه الحق وهو دليل

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٦٩).

واضح على عظمة محله وتقواه وكمال معرفته ولا يقدح في المعرفة الجهل بمسائل محدودة[2] .

* الشيخ الأنصاري رحمه الله:

«المرحوم الشيخ الانصاري (رضوان الله عليه) الرجل الذي كان في العلم والتقوى نابغة الدهر وما يزال العلماء والفقهاء يفتخرون بفهم دقائق كلامه. . . عندما كان يسأل عن شيء. . إذا كان لا يعرفه كان يتعمد أن يقول بصوت عال لا اعلم ، لا اعلم ، لا أعلم ، كان يقول ذلك وبهذا الشكل ليتعلم تلامذته أن لا يستحوا من قول «لا اعلم» إذا سئلوا عن أمر لا يعرفونه وكان رحمه الله اذا سئل عن شيء يعلمه يتعمد الجواب بصوت منخفض[3] .

* يقول العلامة المطهري رحمه الله:

أيام الدراسة. . ذهبت في احدى السنين الى نجف آباد قرب اصفهان. . كان الوقت شهر رمضان. . عطلت الدروس وكان اصدقاؤنا هناك. . ذات يوم كنت اريد اجتياز الشارع الى الطرف الآخر وعندما وصلت الى وسط الطريق جاءني قروي وقال: مولانا. . عندي مسألة. . فأجبني على مسألتي قلت: قل. . قال هل يتعلق غسل الجنابة بالبدن ام بالروح قلت أنا لا افهم معنى هذا الكلام غسل الجنابة كأي غسل وتنبهت الى أنه قد يكون فكر في معنى صحيح قلت: هو من جهة مرتبط بروح الانسان لأنه يحتاج الى نية ومن جهة اخرى يرتبط بالبدن لأن الانسان يغسل بدنه وسألته: هذا هو مرادك .

قال: لا اجبني جواباً صحيحاً غسل الجنابة يتعلق بالبدن ام بالروح قلت: لا ادري. .

قال: فلماذا كورت هذه العمامة على رأسك[4]

---

(٢) منية المريد للشهيد الثاني رحمه الله/٩٧ .

(٣) سيرة نبوي/١١٦ .

(٤) سيرة نبوي/١١٦ .

* صعدت بمقدار معلوماتي:

ابن الجوزي ، أحد الخطباء المعروفين في عصره. . ارتقى منبراً ذا درجاتٍ ثلاث وبدأ يتحدث للناس فقامت امرأة من الجالسين وسألته سؤالاً قال: لا أدري. . قالت: اذا كنت لا تدري فلم جلست فوق الناس بثلاث درجات قال: هذه الدرجات الثلاث التي صعدتها هي بمقدار ما أعلم أنا ولا تعلمونه انتم ، لقد صعدت بمقدار معلوماتي ولو اني اريد أن أصعد بمقدار مجهولاتي لكان ينبغي أن يصنع لي منبراً يلامس فلك الافلاك(٥) .

* القاسم بن محمد بن أبي بكر:

«أحد فقهاء المدينة المتفق على علمه وفقهه بين المسلمين» كما وصفه الشهيد الثاني وأضاف:

«سئل عن شيء فقال: لا أحسنه فقال السائل: اني جئت اليك لا أعرف غيرك فقال القاسم: لا تنظر الى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ما احسنه فقال شيخ من قريش جالس الى جنبه: يا ابن اخي الزمها فوالله ما رأيتك في مجلس انبه منك مثل اليوم فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحب الي أن اتكلم بما لا علم لي به(٦) .

* الاسترآبادي:

قال الشهيد الثاني (رحمه الله):

وعن الحسن بن محمد بن شرفشاه الاسترآبادي أنه دخلت عليه يوماً امرأة فسألته عن اشياء مشكلة في الحيض فعجز عن الجواب فقالت له المرأة: انت عذبتك واصلة الى وسطك فتعجز عن جواب امرأة فقال: يا خالة لو علمت كل

---

(٥) سيرة/١١٥ ـ ١١٦ .

(٦) منية المريد/١٤٠ .

مسألة يسأل عنها لوصلت عذبتي الى قرن الثور[٧] .

* الله أعلم:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

اذا سئلتم عما لا تعلمون فاهربوا . قالوا: كيف الهرب قال: تقولون «الله أعلم» .

* الأستاذ الذي صار أمياً ، بسبب التكبر:

يقول الشهيد دستغيب (رحمه الله):

قبل حوالي اربعين سنة . . وفي هذه الغرف في مسجد مشير الملك الشيرازي . . حيث كان الطلاب يقيمون كان يوجد مدرس ماهر وعمداً لا أذكر اسمه . . كان يدرس القوانين والمطول وكان مشهوراً بقوة الذاكرة وسعة اطلاعه . . ونام ذات ليلة . . وعندما استيقظ صباحاً رأى أنه فقد ذاكرته . . . حتى أنه كان يريد أن يصلي الصبح فنسي سورة الحمد . . لقد صلى سبعين سنة . . والآن لا يتذكر الصلاة . . فتح القرآن رأى نفسه انه لا يستطيع القراءة . . لقد فقد ذاكرته الى حد أنه لم يعد يميز الألف من الباء وبقي على هذه الحال الى أن مات[٨] .

---

(٧) نفس المصدر والصفحة ، والمراد بالعذبة: طرف العمامة .

(٨) استعاذه/ ٢٤٠ .

* اقرار بالحق...

المتواضعون. . يقرون بالحق. . فإذا لاحظوا اثناء المناظرات والمباحثات أن الطرف المقابل يقول الحق يسلمون ، بدون أدنى محاولة التفاف. . ويخضعون للحق بكل معنى الكلمة .

* الميرزا الشيرازي رحمه الله:

يقول الشيخ آقا بزرگ في سياق تعداد تلامذة الميرزا:

«كان المولى محمد الهرندي تلميذ العلامة الأنصاري وكان مرجعاً في مدينته وبعد سنة ١٣٠٠ هـ .ق رجع (الى العراق) لزيارة العتبات المقدسة وكان له لقاء بالميرزا وجرى بحث هذين العظيمين في احدى المسائل ، وبعد ذلك عاد الى الكاظمية. . وتنبه الميرزا الشيرازي فيما بعد أن الحق مع المولى الهرندي فأمر أن يكتبوا له بذلك ويرسلوا الرسالة (سامراء) اليه مع رسول يتوجه إليه لهذا السبب قبل مغادرته ليخبره بأن الحق معه .

قال الميرزا: كم للمرحوم الشيخ ـ الأنصاري ـ من التلامذة الفحول ملأوا فجاج الأرض وهم مجهولون[1]

---

(١) ميرزاي شيرازي/١٤٥ .

* الرجوع عن الفتوى:

جاء حول العالم الكبير المرحوم الميرزا ابراهيم الخوئي رحمه الله: ولد سنة ١٢٤٨ في خوى وفي الخامسة والعشرين ذهب الى النجف الأشرف ودرس فيها على الشيخ وبعده على السيد الكوهكمري في الفقه والأصول واستجاز في الرواية من الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ مهدي كاشف الغطاء.

كانت مرتبته العلمية بحيث أنه تباحث مع الميرزا الشيرازي في مسألة فقهية واختلفا في الفتوى فيها.. وعندما جدد الميرزا الشيرازي النظر في مدرك المسألة وجد أن الحق مع الخوئي فعدل عن فتواه وأخبر الميرزا الخوئي بذلك[٢].

حدث ذلك عندما كان الميرزا الشيرازي الكبير في أوج النفوذ والشهرة.

إلى حد أنه قضى ـ في زمان الشاه القاجاري ـ بسطر واحد على نفوذ الاستعمار الانكليزي في ايران.

* في مجلس الدرس:

اشترك الآخوند الخراساني ذات يوم في درس استاذه في سامراء ليتبرك بحديثه.. كان الاستاذ جالساً على منبر يستدل على وجهة نظره في احدى مسائل الدرس فأشكل الآخوند على ما اختاره الاستاذ وأوضح رأياً آخر يتبناه.

وأجابه الاستاذ مفنداً أدلة تلميذه وأضاف أدلة أخرى على ما ذهب إليه وتكرر هذا الأمر بينهما مرتين أو ثلاثاً وكان سائر الطلاب ساكتين يتابعون ما يجري بدقة وعندما احتدم النقاش قبل الآخوند رأي استاذه احتراماً له وسكت.

انتهى الدرس.. وفي اليوم التالي عندما ارتقى الميرزا المنبر وقبل أن يبدأ الدرس توجه الى الطلاب والفضلاء الحاضرين قائلاً: المسألة التي دار البحث

---

(٢) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/١٧١.

فيها امس الحق مع جناب الآخوند ورأيه هو الصحيح[٣] .

* الأستاذ المتواضع :

يقول المحدث الخبير السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله . .

« . . . وما أحسن الإنصاف من العالم . . وقد كان لي شيخ جليل قرأت عليه كثيراً من العربية والأصول فما وجدت أحداً أنصف منه ، وذلك أنه ربما أشكلت المسألة علينا وقت الدرس ، فإذا طالعتها أنا وكنت أصغر الشركاء سناً قال لي ذلك الشيخ : هذا الحق وغلطت أنا وجميع هؤلاء ، فيغلط نفسه والطلبة لأجل معرفته بصحة كلامي ، ثم يقول لي : إمْل علي ما خطر بخاطرك حتى أعلقه حاشية على كتابي ، فأملي أنا عليه وهو يكتبه حاشية ، وهو وقت تأليف هذا الكتاب في بلاد حيدر آباد من بلاد الهند واسمه الشيخ جعفر البحريني مد الله أيام سعادته .

* المحقق الأردبيلي :

كانت تدور مباحثات بين الشيخ عبد الله الشوشتري والمقدس الأردبيلي (رضوان الله عليهما) . . وكثيراً ما كان المقدس يسكت أثناء البحث أو يطلب تأجيل البحث ليراجع المسألة . . ثم يأخذ بيد العلامة الشوشتري ويخرجان من البلد ـ فيقول له هات مسألتك . . فيتكلم فيها بالتفصيل والتحقيق ويبين رأيه في وجوهها . . ويسأله الشوشتري : لم لم تبين ذلك هناك مع إحاطتك التامة بالمسألة؟ فيقول : كنا نتباحث امام الآخرين وكان من الممكن أن ندخل في المجادلة ومحاولة تغلب أحدنا على الآخر . . ولكن هنا لا أحد الا الله تعالى ونحن بمنأى عن المباهاة والمفاخرة[٤] .

---

(٣) مركي در نور/٧١ .
(٤) الأنوار النعمانية ج٣/٤ .

* الشيخ الأنصاري:

كان الشيخ الأنصاري رغم مستواه العلمي ، يصغي تمام الاصغاء لكل من يتحدث في مجلس الدرس ، حتى اذا كان من أصغر الطلاب ، وذات يوم قال الشيخ من فوق منبر التدريس:

أيام دراستي بخدمة شريف العلماء والمولى النراقي والشيخ علي بن الشيخ (المعروف بكاشف الغطاء) كنت مغروراً بذهني وادراكي وذاكرتي بحيث أني كنت كلما تعمقت في مطلب ووصلت فيه الى رأي لم اكن اعد أهتم بما يقوله أساتذتي حوله بل لم اكن استمع الى كل ما يقولونه حول ذلك المطلب ولكني الآن وصلت الى قناعة ضرورة الاصغاء حتى الى أقل الطلاب حتى آخر كلامه لأني جربت فوجدت أني قد أرجع عن رأي تبنيته ، بسبب كلام طالب مبتدىء[٥] .

* كان الميرزا الشيرازي قليل الكلام في درس الشيخ وعندما كان يتكلم احياناً كان صوته هادئاً الى حد أن الشيخ كان يضطر أن يميل باتجاهه ليسمع كلامه. . وكلما كان الميرزا يريد الكلام كان الشيخ يسكت الحاضرين قائلاً: جناب الميرزا يريد أن يتكلم. . . وبعد أن يستمع الى كلامه. . يقرره الشيخ للطلاب. . (يعيد عرضه عليهم) .

ومن يعرف الشيخ يعلم مدى أهمية هذا الأمر وعظمته[٦] .

* تكريم التلميذ:

كان الشيخ حسن صاحب المعالم والسيد محمد صاحب المدارك معاً تلميذي المحقق الأردبيلي وكان المقدس الاردبيلي رحمه الله عند تدريسه لهما مشغولاً بكتابة كتابه القيم شرح ارشاد العلامة رحمه الله وكان يقدم لهما اقساماً

---

(٥) زندگاني وشخصيت شيخ انصاري/٧٧ ـ ٧٨ .

(٦) ميرزاي شيرازي/ ترجمة هدية الرازي/٣٧ .

من كتابه ويقول: أصلحا عباراته غير الفصيحة.. وكان يفعل ذلك دون أن يهتم بما قد يقال من أنه يستعين بطلابه إن في ذلك لعبرة[7] .

* الاستفادة من التلميذ:

بلغ المستوى العلمي، وقدرة الإستنباط عند آية الله العظمى البروجردي (رضوان الله عليه) إلى حد أنه كان في شبابه يعترض على أستاذه الآخوند الخراساني ويشكل عليه .

كان الآخوند الخراساني من المدرسين الذين يقل نظيرهم في العالم الاسلامي... فقد كان في الأصول عالماً استثنائياً ومن أساتذة هذا العلم كما كان في فن التدريس أستاذاً لا نظير له وكان يتمتع بقدرة عجيبة في البيان والتحقيق والتقرير..

كان يشترك في درسه حوالي ألف ومائتي شخصاً ولعل خمسماءة منهم كانوا مجتهدين.. يقال أن صوته كان قوياً بحيث أن صوته بدون مكبر كان يملأ فضاء المسجد.. وإذا أراد تلميذ أن يشكل كان عليه أن يقف ويقول ما يريد .

في مقابل استاذ قدير من هذا النوع وقف آية الله البروجردي ـ وفي شبابه ـ وطرح اشكاله وقرر ما يريد بيانه، قال المرحوم الآخوند: اعد على كلامك وكرر البروجردي كلامه.. فرأى الآخوند أن كلامه سليم إشكاله وارد ولذلك قال:

الحمد لله لم امت حتى استفدت من تلميذي «التواضع دليل الوصول الى الكمال لأن الراكب عندما يصل يترجل»[8] .

* مع الامام الخميني قدس سره:

يقول الامام في أحد مؤلفاته القيمة: وإذا كنت ـ لا سمح الله ـ من اهل الجدال والمراء في المباحثة العلمية ـ كما يتصف بعضنا نحن الطلبة بهذه

---

(٧) ريحانة الادب/٣/٣٩٣ .

(٨) حكايتها وهدايتها در آثار شهيد مطهري/١٠٦ والسطر الأخير ترجمة بيت شعر فارسي .

السريرة القبيحة ـ فتصرف لمدة بخلاف ما تهوى نفسك. . فإذا دار نقاش علمي في المجالس الرسمية الحافلة بالعلماء والعوام ورأيت أن الطرف الآخر يقول شيئاً صحيحاً فاعترف بخطئك وايّد كلامه والمأمول أن تتخلص من هذه الرذيلة في فترة قصيرة .

إن شاء الله لا يكون كلام بعض اهل العلم ومدعي المكاشفة صحيحاً. . يقول: كشف لي في احدى المكاشفات أن «تخاصم اهل النار[٩] الذي اخبر به الله تعالى هو مجادلة اهل العلم والحديث . واذا احتمل الانسان النصيحة فيجب أن يجتهد كثيراً ليكون بصدد التخلص من هذه الخصلة .

. . . والأحاديث في هذا الباب كثيرة. . . وما أقبح أن يحرم الانسان بواسطة مغالبة جزئية لا طائل تحتها ولا ثمر لها ولا أثر ، من شفاعة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ويُحوِّل مذاكرة العلم التي هي من أفضل الطاعات إذا وقعت بالقصد الصحيح ، الى أعظم المعاصي ، فتجعله تالي عبدة الأوثان»[١٠] .

* * *

---

(٩) إشارة الى قوله تعالى: إن ذلك نلحق تخاصم اهل النار/ ص/٦٤ .

(١٠) «أربعين حديث ، الحديث الأول /١٥١/١٥٢ والعبارة الأخيرة اشارة الى الحديث المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء» منية المريد/١٥٨ .

* القسم العاشر...

* التسامح والنبل...

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وإذا مروا باللغو مروا كراما...﴾ .

(الفرقان - ٧٢) .

* احدى الصفات الفاضلة والأخلاق الحميدة التي اكدت عليها الآيات والروايات.. مسألة التسامح والعفو عن الحمقى والجهلة والتحمل والنبل في مقابل البلهاء.

يجب أن يكون صدر الانسان كالبحر.. فلا يبادر الى الانتقام بمجرد أن يؤذيه أحد.. بل ينبغي أن ينظر الى مثل هذه الأمور بعين التسامح فلا يضيق صدره ولا ينكسر قلبه ولا يثنيه ذلك عن مواصلة السير باتجاه هدفه... وبالاضافة الى العفو عن المسيء ينبغي أن يحسن اليه...

الذين يتحفزون للانتقام لدى أقل إهانة أو احتقار يواجههم، هم ضيقو الأفق، لم تنفعهم انسانيتهم.. ما أكثر ما رأينا أشخاصاً يستشهدون بكلام آذاهم قبل عشرات السنين... وما زالوا يفكرون بالعقاب الذي يشفي غليلهم بأية وسيلة وأية حيلة، يمكنهم تحقيق ذلك، كأنه لم يقرع أسماعهم قوله تعالى: **﴿وإن تعفوا أقرب للتقوى﴾**[1].

ولم يلامس شغاف قلوبهم هذا النداء المحبب **﴿ادفع بالتي هي احسن﴾**[2].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣٧).
(٢) سورة فصلت الآية (٣٤).

ولقد مدح القرآن الكريم المتصفين بهذه الصفة الحميدة «التسامح» وأمر المسلمين بالتحلي بها.. قال تعالى:

١ - ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾[٣].

كما نجد في أحاديث التأكيد على ذلك:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء إليك واعطاء من حرمك[٤].

٢ - وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتصافوا يعزكم الله[٥].

٣ - عن امير المؤمنين (عليه السلام) (في وصف المتقين) «يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه»[٦]ومن الواضح طبعاً أن العفو ومقابلة الاساءة بالاحسان عندما يتعلق بالحقوق الفردية يكون ممدوحاً أما إذا تعلق بالآخرين والأمة الاسلامية.. ومصالح المجتمع فليس باستطاعة أحد أن يعفو ولا بد أن ينال المجرم عقابه الشرعي والقانوني فالعفو مذموم عندما يكون سبباً لتمادي الظالم والجاهل، «لا ترضى بإظهار العجز امام الظالم فإن دموع الشعراء سبب طغيان النار».

«الرحمة للنمر الحاد الاسنان ظلم للأغنام»[٧].

خذ مثلاً الامام الخميني (قدس سره) كيف أن هذا العظيم لا يعرف المساومة ولا التنازل فهو يزأر على الظالم كالأسد الهصور ولكن لم يسمع حتى

---

(٣) سورة القصص، الآية (٥٥).

(٤) و(٥) اصول الكافي ـ الترجمة ـ ج ٣/١٦٦/١٦٨.

(٦) نهج البلاغة/ صبحي الصالح /٣٠٥، خطبة همام/١٩٣.

(٧) مضمون بيتين لصائب وسعدي.

الآن يتحدث عن ظلم لحق به ويشكو من ذلك. . . ولم يقل ولو مرة واحدة الاعداء يظلمونني شخصياً أو أنهم يهينونني ومع أنه لا يكاد يخلو يوم إلا وتوجه إليه اسوأ الشتائم في وسائل الاعلام الداخلية والخارجية. . إنه في الحقيقة لا يرى نفسه ليدافع عن نفسه. . وما يملأ افقه هو الله تعالى ودينه. .

وهذه نماذج من سيرة العلماء حول هذا الموضوع:

*** المحقق الطوسي رحمه الله:**

جاء في سيرة المحقق الشيخ نصير الدين الطوسي رحمه الله: «سلم شخص رسالة الى المحقق من شخص آخر تتضمن اسوأ السباب والشتائم وفيها قوله عن المحقق «الكلب بن الكلب» .

فقال المحقق ملاطفاً:

وصفه لي بالكلب غير صحيح ـ لأن الكلب من الحيوانات التي تسير على أربع وهو يعوي وجلده مكسو بالوبر وله أظافر طويلة. . وهذه الخصوصيات ليست موجودة فيّ فإن قامتي مستقيمة وجسدي لا يكسوه الوبر وإظفري عريض وأنا ناطق وضاحك ، وفصولي وخواصي غير فصول الكلب وخواصه وما هو موجود في مناقض لما قاله صاحب الرسالة عني .

وهكذا ، أجابه بهذه اللطافة دون أن يجري على لسانه كلمة سيئة أو يؤذي رسوله[8] .

*** الأستاذ الاكبر:**

جاء حول الآخوند الخراساني رحمه الله:

«كان يتحمل كل الاساءات التي كانت توجّه إليه من علماء السوء. . بل إنه لشدة حيائه كان يهتم بالقيام بالآداب الاجتماعية تجاه مصادر السوء أولئك ، بل كان ذلك يزداد. . واذا واجه احدهم مشكلة ما كان يبذل جهده لمساعدته

---

(٨) بيدارگران أقاليم قبله/٢١٨ والفوائد الرضوية/٦٠٩ .

وكان اذا جرى ذكرهم في مجلسه يذكر اسماءهم مقرونة بالتعظيم . . ولم يكن يجرؤ أحد أن يذكرهم بسوء في مجلسه(٩) .

«في احداث «المشروطة» عندما وقع الخلاف بين الروحانيين كثيراً ما كان يتفق أن يضطر بعض افراد الطرف الآخر الى اللجوء للآخوند لحل مشاكل كانت تواجههم فكان يلبي طلباتهم بكل رحابة صدر .

ذات مرة جاءه شخص وكان من اشدهم وقيقه فيه وذماً له . . كان هذا الشخص من خطباء كربلاء المعروفين وأراد أن يبيع بيته ليسدد ديونه قال له المشتري اذا وقع الآخوند على سند بيتك اشتريه إلا فلا . .

ولم يكن ذلك الخطيب مستعداً أبداً للذهاب الى الآخوند لأنه قد هاجم الآخوند مراراً وعلى رؤوس الاشهاد لدفاعه عن المشروطة . . ومن جهة اخرى كان يخشى أن يتعرض له احد من مؤيديه عند الذهاب إليه فيكون قد عرض نفسه للخطر . . ولكن ضغط الدَّين الجأه الى ذلك فجاء من كربلاء الى النجف والتقى الشيخ الآخوند . . احترمه الشيخ كثيراً . . واجلسه في صدر المجلس وجلس دونه وعبر عن سروره بلقائه وبين ذلك الشخص سبب مجيئه قائلاً : أرجو أن توقع هذا السند لأستطيع أن ابيع بيتي .

تناول الشيخ السند من يده وقرأه ثم وضعه تحت الفراش .

واعتمل الحقد في قلب الخطيب . . كان يقول في نفسه : أرأيت . . لقد كشف هذا الرجل عن حقيقته لم يوقع السند . . بل أخذه مني ولن أستطيع بيع البيت أبداً وفي هذه الأثناء قام الشيخ وأخرج من خزانته عدة اكياس من الليرات ودفعها الى ذلك الخطيب قائلاً : أنت من أهل العلم وأنا لا أرضى ابداً بضغط الحاجة على اهل العلم . . خذ هذا المبلغ وأد ديونك ولا تبع بيتك فتشرد عائلتك . . واذا احتجت ايضاً ـ لا سمح الله فتفضل الى هنا . . . إذا كان عندي

---

(٩) مرگي درنور .

ما تحتاجه فسأكون ممتناً .

يضيف ناقل القصة : عندما رأى الخطيب ذلك وسمع ، غمره الحياء وسيطر عليه الخجل . . الى حد أنه اصبح بعد ذلك من انصار الشيخ ومحبيه[١٠] .

* يقول آية الله السيد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله :

كنت ذات يوم في منزل الشيخ الآخوند في النجف وكنت جالساً في خدمته . . وكان ذلك عندما بدأت ثورة المشروطة في ايران ووقع الاختلاف بين العلماء في ذلك اليوم جاء سيد الى منزل الآخوند وقال له : أنا اقلد آية الله السيد كاظم اليزدي وأريد أن اجري معاملة مع فلان فأخذت له ختم وامضاء وإجازة السيد كاظم اليزدي وحيث انه يقلدكم فلم يوافق وقال : ائتني بإجازة الآخوند . .

فقطع استاذنا الآخوند كلامه وقال :

اذهب وقل له عن لساني يقول الآخوند : إذا كنت واقعاً تقلدني فيجب أن تضع ختم السيد كاظم اليزدي وامضاءه على رأسك وتطيعه فوراً[١١] .

* الميرزا الشيرازي رحمه الله :

«لم يكن له رحمه الله نظير في حسن اللقاء وحسن السليقة وحلاوة الحديث . . عند اللقاء مع اي شخص كان يوفيه حقه بحيث أن ذلك الشخص يفارقه راضياً مسروراً . .

لم يكن احد يتمتع بمثل رحابة صدره . . كان الداخلون عليه كثيرين جداً . . وكان فيهم المؤمن والمنافق والخائن والأمين ، الصالح والطالح . . وكان يتحدث مع كل منهم بما يناسب شأنه ومنزلته . .

قسماً بالله . . إنه لم يقل كلمة نابية حتى لمستحقها ولم يقطب في وجه

---

(١٠) مرگي درنور/٣٨١ ـ ٣٨٢ .

(١١) المقامات العلية/٤٩ .

أحد ولم يجاز الاساءة الا بالاحسان بل كان يخاطب المسيء بأعذب منطق مقروناً بالتبسم والاعتذار. . إنه الخلق العظيم الذي ورثه من نبي الاسلام العظيم[11].

«اذا كان سليمان قد أودع المارد السجن فأودع مارد طبعك السجن وكن سليمان»[13].

*** العلامة الطباطبائي رحمه الله:**

يقول احد تلامذة العلامة:

كانت للاستاذ الجليل في مواجهة سيئي السريرة والشياطين طريقة مستوحاة من الكتاب والسنة. . اتذكر عندما قام احمق مغرض بعمل جاهل لاضعاف شخصيته العلمية واستجازه جمع من محبيه في التصدي له، قال بكل هدوء واطمئنان: **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾**[14]وسرعان ما اصبح ذلك الجاهل مصداق هذه الآية الشريفة.

وقد تكررت هذه التجربة مع عدة اشخاص ابتلوا بمصائب وفضائح عجيبة. . وقد ثبتت هذه الحقيقة عملياً وهي أن كفران نعمة وجود الرجال الإلٓهيين وإساءة الأدب الى العلماء سبب في سلب التوفيق، والخذلان والافتضاح في الدنيا والآخرة[15].

تعلم الحلم من الصّدف، فمن يقطع رأسك قدم له الجواهر لا يعكر الحجر صفو بحر متلاطم، العارف الذي يتألم ما زال ماؤه ضحلاً[16].

---

(١٢) ميرزاي شيرازي/٤٨ ـ ٤٩.

(١٣) مضمون بيت شعر فارسي.

(١٤) سورة فاطر، الآية (٤٣).

(١٥) يادنامه علامة/٤٠ ـ ٤١.

(١٦) مضمون بيتين/ الثاني السعدي.

* **العفو عن القاتل:**

في عصر زعامة المرحوم آية الله العظمى السيد ابو الحسن الاصفهاني . . وفي احدى الليالي بينما كان في النجف الاشرف يصلي صلاة المغرب والعشاء جماعة اقدم شخص على قتل ابنه الذي كان أهلاً لخلافة والده حقاً . .

وعندما اطلع هذا الرجل ابن السبعين عاماً على خبر شهادة ابنه . . أظهر من الصبر والتحمل ما لا يوصف قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قام وصلى العشاء . . وعفا عن قاتل ابنه(١٧) .

لا تُشح بوجهك عن المذنب ايها العابد ، وانظر إليه نظرة عفو اذا كنت انا قد فعلت فعل اللئام ، فمر بي أنت مرور الكرام سمعت احد اساتذة الأخلاق الكبار يقول: كان آية الله الاصفهاني يأخذ شهرياً صرة من رسائل الاهانة والشتائم التي كانت تصله ويلقيها في النهر ، وكان من العظمة بحيث أنه لم يكن يتكلم بشيء عما فيها ابداً . . وكان يسامح أصحابها .

وينقل شبيه ذلك عن آية الله العظمى البروجردي نقلاً عن خادمه .

* **الدعاء للتلميذ:**

يقول السيد الجزائري :

«وأما تلاميذنا فمنهم من آذانا غاية الإيذاء ، وعقّنا نهاية العقوق ، فنحن نقول: اللهم قابل إساءته إلينا بالإحسان ، وقابل عقوقه لنا ببرك به ، ووفقه لكل خير بحق محمد وآله الطاهرين(١٨) .

«من السهل أن تجازي الاساءة بالاساءة ، إن كنت رجلاً فأحسن الى من أساء اليك» .

---

(١٧) گنجينئه دانشمندان ج١/٢٢١ ، للتوسع راجع «الكلام يجر الكلام» ج١/٢٠٧/٢٠٨ .
(١٨) الانوار النعمانية ٣/٩٢ .

«انا أسيء وانت تجازيني بالاساءة فأخبرني ما الفرق بيننا اذن؟»[19] .

*** التكفير:**

كان الشيخ محمود حفيد الوحيد البهبهاني من العلماء الكبار والأجلاء ولكن الميرزا المسيح الذي كان احد العلماء المعاصرين له ونتيجة سوء تفاهم بينهما أفتى بكفره. . . ومرت مدة . . ثم جاء الميرزا المسيح الى قم للتشرف بزيارة المعصومة (عليها السلام). . وصلى جماعة في مسجد الامام الحسن العسكري (عليه السلام) وهو أحد اكبر مساجد قم .

ولحسن الحظ كان الشيخ محمد قد جاء الى قم قبل ذلك وعلم أن الميرزا المسيح يقيم الجماعة فحضر الى المسجد واقتدى بالميرزا في الصلاة وبعد الصلاة سأله من حوله باستغراب: الميرزا المسيح يكفرك وانت تحضر جماعته فقال في الجواب: وما المانع. . لا منافاة في أن يشتبه الأمر على الميرزا ويحكم بكفري ولكن اعتبره انا عادلاً ، وطبق المباني الفقهية فعندما يعمل كل منا برأيه يكون مثاباً ومأجوراً .

وعندما بلغ ذلك الميرزا المسيح بادر الى زيارة الشيخ وتحولت الخصوة الى صداقة. . وكان الميرزا دائماً معجباً بأخلاق الشيخ[20] .

وقد نقل شبيه هذه القصة عن الميرزا القمي (صاحب القوانين) والحكيم الكبير الشيخ (ملا) علي النوري .

*** سائل غير مؤدب:**

وزع الشيخ جعفر كاشف الغطاء يوماً مبلغاً على فقراء أصفهان وبعد نفاذ المال أمّ المصلين. . وبين الصلاتين وفيما كان الناس منشغلين بالتعقيب جاء سيد فقير وقليل الأدب ووقف مقابل الامام قائلاً: ايها الشيخ اعطني مال جدي ،

---

(١٩) ترجمة بيت منسوب للخيام وما قبله ترجمه بين السعدي .

(٢٠) قصص العلماء/ ١٤٦ ـ ١٤٧ .

الخمس . قال الشيخ : تأخرت قليلاً وللاسف لم يبق شيء .

فما كان من هذا السيد غير المؤدب إلا أن تفل على لحية الشيخ بكل وقاحة . . أما الامام فإنه ليس فقط لم يصدر عنه اي رد فعل قاس . . بل نهض وامسك طرف ثوبه ومشى بين المصلين وهو يقول: كل شخص يحب لحية الشيخ فليساعد السيد وكان الناس قد شاهدوا ما جرى فامتثلوا وملأوا طرف ثوب الشيخ مالاً . . ثم جاء الشيخ وقدم ذلك كله الى السيد ووقف يصلي العصر(٢١) .

* الميرزا الشيرازي رحمه الله:

«كان في سامراء رجل يحقد على الميرزا الشيرازي لسبب عاطفي . . فقام هذا بالاعتداء بالضرب على ابن الميرزا ، الميرزا محمد الشيرازي فتوفي بسبب ذلك . . ولم ينبس الميرزا بنت شفة ولم يصدر عنه ادنى رد فعل وحاول اعداء الاسلام آنذاك استغلال هذه الحادثة لايجاد اختلاف بين المسلمين . . فجاء عدد منهم الى سامراء وقابلوا الميرزا في محاولة لتحقيق هذا الهدف وطلبوا منه أن يرد على ما حصل ويصدر تعليماته . . فأنكر عليهم الميرزا بشدة قائلاً: أريد أن تفهموا جيداً انه لا يحق لكم التدخل في أي من أمورنا نحن المسلمين وهذه حادثة عادية وقعت بين اخوين . .

وخرجوا من بين يدي الميرزا يجرون اذيال الخيبة . . . وعندما بلغ ذلك «الباب العالي» في استامبول ، فرح الخليفة العثماني بهذا الموقف الذكي من مرجع الشيعة وأمر والي بغداد أن يقوم شخصياً بزيارة الميرزا ويقدم له الشكر ويعتذر عن وقوع الحادثة مبدياً أسفه(٢٢) .

* * *

---

(٢١) الفوائد الرضوية/٧٤ .

(٢٢) شيخ آقا بزرگ /٢٨ ـ ٢٩ وتصرح مصادر أخرى بأن الذين أرادوا استغلال الأمر هم الانكليز وأن السفير البريطاني قام بزيارة الميرزا فواجهه رحمه الله بما ذكر ويبدو أن=

* رغم الاساءة الشديدة من اخوة النبي يوسف على نبينا وآله وعليه افضل الصلاة والسلام ورغم كل الشدائد والمصائب التي واجهها بسببهم فإنه في النتيجة عفا عنهم وقال لهم:

﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين﴾(٢) .

والعالم الديني يجب أن يتشبه بيوسف وليكن لسان حاله مترنماً بقول الشاعر:

ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني

* * *

= الاتراك كانوا وراء الحادثة باعتبار أن الميرزا شيعي وايراني وكان الخلاف آنذاك بين تركيا وايران كبيراً فدخل الانكليز على الخط وادرك الميرزا ذلك فقطع الطريق على مكرهم الأمر الذي حمل الخليفة العثماني على تقدير ذلك الموقف بل ذكر أنه طلب تفويض السفير الايراني بحسم الأمر وقد حكم المعنيون على البعض بالإبعاد إلا أن عفو الميرزا شملهم (المترجم) .

(٢٣) سورة يوسف ، الآية (٩٢) .

* القسم الحادي عشر...

* الجماهيرية.. وخدمة الناس...

﴿لقد جاءكم رسول:
١ ـ من أنفسكم
٢ ـ عزيز عليه ما عنتم
٣ ـ حريص عليكم
٤ ـ بالمؤمنين رؤوف
رحيم﴾ .
(التوبة ـ ١٢٨) .

* انبياء الله والائمة المعصومون سلام الله عليهم هم اكثر الناس خدمة للناس ، واشدهم حملاً لهمومهم ، واحساساً بآلامهم ، لقد واجهوا لأجل الناس مشاكل لا تحتمل ، وعندما كانوا يواجهون بعدم استجابة الناس لدعواتهم ، كانت تبلغ بهم الحسرة على ضلالهم حداً لا يوصف . يقول القرآن الكريم خطاباً للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾[1] .

وفي مكان آخر خطاباً للناس:

﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[2] .

ومن الناحية المادية كان الانبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) يقدمون اكبر العون للفقراء . . . وأحياناً اذا لم يكن عندهم ما يقل مونة لهم كانوا يبكون رثاءً لحالهم .

ويشكل إيثار المولى أمير المؤمنين واهل بيته (سلام الله عليهم) لليتيم

---

(١) سورة الشعراء والآية (٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .

والمسكين والأسير نموذجا لهذا النهج في حمل هم الناس والتفاني في خدمتهم. . دوى في الملأ الأعلى وأنزل الرحمن فيه سورة ﴿**هل أتى**. .﴾ وقد ورد في الروايات تأكيد شديد على ذلك الى حد أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم[٣]وقد سئل (صلى الله عليه وآله وسلم) من احب الناس الى الله فقال «انفع الناس للناس»[٤] .

ويشهد التاريخ أن انفع الناس للناس واشدهم خدمة لهم وحملاً لهمومهم بعد الأنبياء والأئمة هم علماء الدين. . وقد بذلوا جهوداً جبارة في المجالين المادي والمعنوي على هذا الصعيد. . وقد تحملوا المشاق. . وواجهوا التحديات وأنواع الظلم والجنايات في سبيل تحرير الناس من نير الفقر الثقافي والإقتصادي وإحياء القيم السامية الإلهي والانسانية ووضع إصر الأغلال عن الناس وذلك في الحقيقة هو فلسفة وجود العالم الروحاني .

يقول سعدي :

ـ جاء ذو بصيرة من المعبد الى المدرسة ناقضاً عهد أصحاب الطريقة فسألته عن الفرق بين العالم والعابد حتى فضل هذا على ذاك .

ـ قال العابد يريد أن ينجو بنفسه مع طغيان الموج ، والعالم يريد أن يأخذ بيد الغريق لينقذه[٥] .

باختصار يجب أن ينصب سعي العالم على نجاة الغريق:

«أسلك طريق الرجال الأحرار وخذ بيد المنقطع في الطريق[٦]وهذه نماذج من سيرة العلماء الأبرار:

---

(٣) اصول الكافي المترجم /ج٣/٢٣٨ .

(٤) المصدر السابق/ ٢٣٩ .

(٥) ترجمة ثلاثة ابيات .

*** الامام الخميني (قدس سره):**

يقول احد المقربين من الامام:

من أجمل أبعاد حياة الامام كيفية علاقته بالناس.. لا مجال لاستعراض حياة القادة العالميين وتعاملهم مع الناس وكيف كانت تحكم لقاءاتهم بالناس مراسم وبروتوكولات.. وطبعاً مقايسة أولئك بالامام لا يناسب شأن مقامه.. ونكتفي هنا بذكر بعض النماذج القليلة جداً.

ليست علاقة الامام بالناس علاقة عادية بل هي حب عارم (عشق) إنه يقتدي بذلك بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) **﴿حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** إنه يحمل هم الناس ويعاملهم كالأب العطوف الذي يتمنى لأبنائه الصالحين السعادة دائماً.

ولقد بكى الامام مراراً وهو يشاهد عبر التلفزيون مناظر الفقر والحرمان التي كانت تعرض.. وانتم تذكرون الأيام الأولى لانتصار الثورة عندما كان الإمام في قم.. كان يستقبل الناس يومياً اكثر من ست ساعات ولم يكن يصدر منه ابداً ما يدل على تبرمه أو تعبه من ذلك.

كان الناس يتوافدون من الثامنة صباحاً وحتى الواحدة ظهراً.. ومنذ الرابعة عصراً حتى الثامنة ليلاً وفي بعض الليالي كانت وفود الناس تظل حتى العاشرة متجمهرة أمام منزل الإمام يقولون نحن ننتظر الخميني وكان الإمام يخرج للقائهم.

في كثير من الأيام كان يجتمع اكثر من ماءة وخمسين شخصاً في غرفة واحدة ـ الحر شديد، ونور المصابيح الكاشفة لمصوري التلفزيون تزيد الحرارة.. وأنفاس الحاضرين تزيد الجو اختناقاً حتى تتخيل نفسك في جحيم.. كانت صدورنا أحياناً تضيق فنخرج من الغرفة.. والامام جالس لعدة ساعات يستمع الى الناس ويتحدث إليهم بعد كل كلمة تلقى..

لا أنسى أن الشهيد مطهري جاء قبل استشهاده باسبوع.. وقد كان ضغط

الزائرين على الامام كبيراً الى حد أن الشهيد انتظر من الساعة الثالثة صباحاً الى الثامنة ليلاً بجوار غرفة الإمام ولم يوفق للقائه. . وبعد أن انتهت زيارات الناس التقى الإمـام. . كان الامـام دائماً يؤكـد على المسؤولين أن يهتموا بـالناس. . يجب أن تكونوا خداماً للناس. . كان دائماً يحذر اعضاء مكتبه:

اياكم أن تسيئوا معاملة الناس وليس لكم الحق أن تمنعوا الناس .

ذات يوم خرج الامام لاستقبال الناس قبل الموعد المعتاد. . وكان المكان يغصّ بالناس الذين تجمهروا خلف الحواجز التي وضعت هناك. . وكان يشتد تدافعهم عند مجيء الامام بالخصوص. . فنظر الامام الى من حوله وقال إن لم تزيلوا كل هذه الحواجز فسأحرقها ، كان الإمام يستقبل كل ولد يأتي. . حتى اذا استلزم الأمر أن يبقى ساعات في البرد والحر. . وقد صعـد مراراً الى السـطح (للسلام على الناس) والثلج يتساقط. . كانت يده ترفرف كعلم يحمله بطل. . اردنا ذات مرة أن نضع فوق رأسه مظلة فغضب وقال: والناس ماذا يفعلون؟ لا حاجة لي بالمظلة. .

لقد بلغت جماهيريته الى هذا الحد رغم كل مشاغله ومسؤولياته. . كان البعض يأتون احياناً لطرح مشاكلهم العائلية أو مسائل مشابهة. .

كان كثير من الناس يتوقعون أن يلتقوا بالامام بدون تحديد موعد مسبق في أية ساعة وأي وقت. . ولذلك كان الأخـوة الحرس واعضـاء المكتب يتحملون أقسى المسؤوليات وأشدهـا لأنه كـان يتحتم عليهم جميعاً أن يـواجهوا النـاس بمنتهى النبل وحسن الخلق وحب الناس وحتى اذا تعرضوا للضرب فإن عليهم أن لا يقولوا شيئاً. . . ذلك لأن الامام شديد العلاقة بشعبه، إنه يحبه حباً جماً. .

كانت هناك مشكلة كبرى في الأيام الأولى لوصول الإمام إلى قم. . كان الامام يرفض أن يرافقه حارس مسلح . . كان يقول دائماً؛ أنا لا اريد مسلحاً. . مـع أنه كـان يذهب ليـلاً الى بيوت الفضـلاء والشهداء وكـان احتمـال الخـطر كبيراً. .

وكـان الناس في قم بمجـرد أن يعرفـوا أن الامام يمـر الآن في الشـارع الفلاني أو الزقاق الفلاني يخرجون جميعاً من بيوتهم ويحيطون بسيارته. . حتى ان بعضهم يجلس على سقف السيارة. . لا السائق يعود يعرف أين يذهب ولا الإمام .

رغم ذلك كان يقول: لا يتبعني أحد. . الناس يحرسـونني. . طبعاً كنـا ـ وبغاية الاحتيـاط ـ نرسـل عدة حـراس مخفيين في سيارة اخـرى ليقومـوا بما يمكنهم. . وقد توليت قيادة السيارة عدة أيام. . كان الامام يقـول: انتبه لمـاذا تسرع .

عنـدما استشهـد آية الله مفتـح جاء الامـام الى وسط آلاف الذين كـانوا يشيعـون جسده المخضب بـالدمـاء ولشدة حب النـاس للامـام احـاطـا بـه. . وازدحموا بحيث أن سقف السيارة كاد يخرب ، انتشرت رائحة الدخان واحتراق الفرامل ولم أعد أعرف ماذا اصنع. . . إذا بقي الامام في السيارة وبقي الازدحام هكذا فالسيارة حتماً ستتعـطل وقد تحتـرق. . واذا خرج الامـام منها فـإن شدة عـواطف الناس قـد تتسبب بما لا تحمـد عقباه. . . وحـاولت أن اسـرع قليـلاً مستعملاً صفارة الانذار فارتفـع صوت الامـام. . ما الخبـر. . تريـد أن تدوس الناس بعجلات السيارة. . قلت: مولانا السيارة تحترق قال: اصبر أريد أن انزل وامشي بين الناس كما يمشون. .

وكنت اعلم أنه إذا نزل فإن الحرس المحيطين سيزدحمون عليه لتقبيل يده ناهيك عن مئات الآلاف من الناس المتجمهرين ، احياناً تكون الطريق سالكـة إلا أنه يأمر بالتوقف ليسّلم على الناس. . وأحيـاناً كـان بعض الأطفال يتبعـون السيارة الى المنزل فيأخذهم الامام الى البيت ويقدم لهم هدايا كتباً أو غيرها .

بأي مقياس يمكنك أن تقارن هذه الروح مع قادة الدنيا. . قائد ثـورة لم

---

(٦) ترجمة بيت .

يخضع للعالم كله كيف تتجلى فيه هذه الروح العاطفية[٧] .

* يقول احد مرافقي الامام في النجف:

كنا احياناً نذهب الى الإمام ونقول: إن فلاناً جاء وهو بحاجة الى مساعدة فيعطيه الامام مبلغاً كبيراً. . وفيما بعد نكتشف أن هذا الشخص كان محتاجاً جداً. . في هذا المجال يقول أحدهم: كل من كنت اقصده لمساعدتي كان يعطيني مبلغاً قليلاً. . ولكني عندما جئت الى الإمام ورغم عدم معرفته بي فقد انقذ حياتي بهذه المساعدة وانقذ أولادي من الموت .

عندما كان الامام يخرج الى الحرم أو الى عمل آخر. .أو عند رجوعه الى البيت كان احياناً يقول: يا فلان اشترِ عباءة لفلان[٨] .

* يقول سماحته مخاطباً نواب مجلس الشورى الاسلامي بتاريخ ٢٨/١٢/٥٩ هـ .ش:

﴿لعلك باخع نفسك﴾ ما هو سبب الغصة التي كان يتجرعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يتجرع الغصة من أجل الناس غصته كانت من أجل الكفار. . كان يتحسر عليهم لأنهم لا يفهمون وهم يوقدون لأنفسهم جهنم بأيديهم ـ لماذا لا تكون في قلوبنا بارقة صغيرة من هذه الانفس المطمئنة والشريفة. . فنعمل لأجل الشعب. . لا لأنفسنا. . ولو أننا جميعاً عملنا للأمة. . لصلح كل شيء[٩] .

* ويقول أيضاً في لقائه مع جمع من المحرومين وسكان الأكواخ بتاريخ/١٦/١/٦٠ هـ .ش:

هذه الثورة الاسلامية المهمة مدينة لجهود هذه الطبقة المحرومة طبقة

---

(٧) فرازهائي أز ابعاد. . /٣٧ ـ ٤١ بتلخيص وتصرف .

(٨) المصدر السابق/ ٧٠ .

(٩) رهبر/ ٢٥ .

سكان الاكواخ. . الطبقة التي أوصلت هذه النهضة الى النصر وهي ايضاً لا تتوقع شيئاً. أنا اعتبركم يا سكان الاكواخ فوق سكان القصور. اذا كان أولئك اهلاً للمقايسة بكم»[١٠] .

* استاذ العرفان والأخلاق:

يقول احد تلامذة العلامة الطباطبائي رحمه الله :

كان المرحوم السيد علي القاضي ـ استاذ العلامة الطباطبائي في العرفان والذي تقدمت ترجمته ـ من الناحية العملية آية عجيبة. . ويعرف اهل النجف وخصوصاً اهل العلم الكثير من قصصه. . كان في منتهى الفقر وكانت عائلته كبيرة. . وكان في منتهى التسليم والتفويض والتوحيد بحيث لم تخرجه هذه العائلة ذُرة عن مساره. .

حدثني أحد أصدقائي في النجف وهو فعلاً من اعلامها فقال: ذهبت ذات يوم الى دكان بائع الخضار رأيت المرحوم القاضي منحنياً ينتقي الخس إلا أنه على عكس المتعارف كان يختار الخس الذابل ذا الأوراق الخشنة .

وقفت أتأمله بدقة الى أن انتهى من الانتقاء وقدم الخس لصاحب الدكان ليزنه. . ووضعه السيد تحت عباءته ومضى وكنت عندها طالباً شاباً وكان المرحوم القاضي رجلاً مسناً. . فتبعته وقلت له: مولاي لدي سؤال. . . لماذا اخترت بعكس الجميع الخس غير المرغوب فيه؟

قال: عزيزي. . هذا الرجل بائع وفقير وأنا اساعده احياناً ولا أريد أن اعطيه شيئاً بلا عوض لأحفظ له عزته وماء وجهه أولاً. . ولا يعتاد على «الأخذ» مجاناً فيتكاسل في الكسب ثانياً .

وبالنسبة لنا لا فرق بين الخس الطري والناعم أو هذا الخس. . وأنا اعلم أن هذا الخس لن يشتريه منه أحد وعندما يقف دكانه ظهراً سوف يلقي بها بعيداً

---

(١٠) المصدر السابق/٢٦ .

ومنعاً لتضرره وخسارته فقد اشتريت هذا منه. . .[11] .

وقد شاهدت شبيه ذلك من احد اساتذة الحوزة العلمية في قم وهو من تلامذة المرحوم القاضي بالواسطة وعجبت من إيثار ذلك الرجل وعظمته .

«لم يمت من دأبه جميل الفعال بل استراح وأودع الله روحه» .

* كم الجبة:

«في احدى السنوات قامت زوجة الوحيد البهبهاني مجدد علم الأصول بتهيئة جبة له في فصل الشتاء. . وفيما كان عند الغروب متوجهاً الى المسجد للصلاة اسرع أحد الأوباش حافياً وقد خلع قبعته وقال للوحيد: ليس عندي قبعة. . البرد شديد جداً. . ساعدني بأية طريقة. .

قال له الوحيد هل معك سكين قال نعم ، فأخذ منه السكين فوراً وقطع كم جبته وقال له: ضع هذه على رأسك ريثما يمكن تهيئة شيء لك غداً . ثم ذهب الى المسجد وادى الصلاة . . وعندما رجع الى المنزل رأت زوجته أن جبته بلا كم فتألمت كثيراً وقالت بغضب: لقد تعبت كثيراً حتى هيأت لك هذا الثوب وقد فعلت به ما فعلت قطعت كمه؟ .

كثيراً ما كان الوحيد يتقبل الصلاة والصوم الاستئجاريين ويؤديهما ويعطي اجرتهما لتلامذته الفقراء كالمحقق القمي[12] .

* الشهيد الميرزا مهدي الخراساني رحمه الله:

كان الشهيد الخراساني ماهراً في أكثر العلوم. . كان البحر الزاخر والسحاب الهتان. . منصرفاً دائماً الى إفاضة أنواع العلوم والآداب وتشجيع الطلاب .

---

(١١) مهرتابان/ ٢٠ .

(١٢) وحيد بهبهاني/ ١٤١ .

وتنسب للسيد الشهيد كرامات عدة منها أنه عندما كان يذهب في الاسحار والليالي في الساعات التي تكون ابواب الحرم فيها مغلقة الى زيارة الامام الرضا (عليه السلام) كانت ابواب الروضة المطهرة تفتح به .

وايضاً: كان في سواد الليل المظلم يحمل الزاد والطعام للفقراء والأيتام مع مبالغ من المال ويوزعها عليهم(١٣) .

*** عتاب الاستاذ:**

كان السيد جواد العاملي الفقيه المعروف ـ صاحب كتاب «مفتاح الكرامة» يتناول طعام العشاء. . فسمع الباب يطرق وعندما عرف أن الطارق هو خادم استاذه السيد مهدي بحر العلوم اسرع نحو الباب . قال الخادم: السيد الاستاذ يطلب مجيئك الآن. . . وضع الطعام أمامه ولكنه لن يبدأ قبل أن تذهب إليه .

ودون أن يكمل السيد جواد تناول عشائه. . اسرع الى بيت السيد بحر العلوم. . وبمجرد أن وقعت عين الاستاذ عليه قال له بغضب وحدة لا عهد له بهما من قبل:

سيد جواد اما تخاف الله؟ أما تستحي من الله؟

واستبدت الحيرة بالسيد جواد. . ماذا جرى وما الأمر لم يعاتبه السيد طيلة حياته بمثل ذلك العتاب وحاول جاهداً أن يهتدي الى السبب فلم يفلح ، ولم ير بداً من السؤال .

ـ هل يمكن أن يتفضل السيد الاستاذ بذكر التقصير الذي حصل مني؟

ـ منذ سبعة أيام بلياليها وجارك (الشيخ محمد نجم العاملي) لا سبيل له الى القمح والأرز. . وهو في هذه المرة يستدين التمر الزهري من البقال المجاور ويقتات به مع عياله. . واليوم ذهب ليستدين التمر وقبل أن يطلب ذلك قال له البقال اصبح دينك كبيراً فخجل بعد ذلك أن يطلب شيئاً ورجع الى البيت

---

(١٣) وحيد بهبهاني/٢١٠ وشهداء الفضيلة/٤٢٢ والفوائد الرضوية ٦٧١ ـ ٦٧٣ .

صفر اليدين وبقي هو وعائلته بدون طعام .

ـ اقسم بالله أني لم اعلم بذلك ابداً . . ولو أني علمت لقمت بما يجب .

ـ كل انكاري عليك لأنك لا علم لك بأحوال جارك لماذا يمضون سبعة أيام بلياليها هكذا وأنتِ لا تعلم ولو أنك كنت تعلم ولم تفعل شيئاً لقلت لك يا يهودي أو يا نصراني .

ـ وماذا تأمر الآن .

ـ يأخذ خادمي هذه الصينية من الطعام الى باب ذلك الرجل وعند الباب تأخذ الصينية أنت وتطرق الباب وتطلب منه أن تتناولا طعام العشاء معاً وخذ هذا المال وضعه تحت سجادته أو حصيره . وتعتذر منه على تقصيرك في حقه مع أنه جارك . . واترك الصينية هناك وتعالَ ، ولن أتعشى حتى تأتي وتخبرني بما جرى .

وحمل الخادم الصينية الكبيرة وعليها انواع الطعام اللذيذ ومضى مع السيد جواد وعند الباب تناول السيد جواد الصينية ورجع الخادم .

ودخل السيد جواد . . وبعد أن سمع صاحب البيت اعتذاره ورجاءه تناول الطعام . . . أكل لقمات فعرف أنه (لم يحضر في منزل السيد جواد العاملي) فما كان منه إلا أن قال: هذا الطعام ليس طبخاً عربياً وعليه فليس من بيتك . . وإذا لم تقل من اين فلن آكل ابداً .

وعبثاً حاول السيد جواد أن يثنيه . . ولم يرَ في النهاية بداً من اخباره بكل ما كان . . ووافق الشيخ على تناول الطعام قائلاً:

عجيب امر هذا السيد فوالله لم يطلع على سري احد . . فمن اين عرف . .

ينقل المرحوم النوري ـ صاحب المستدرك ـ في كتابه «الكلمة الطيبة» هذه القصة عن المولى زين العابدين السلماسي الذي كان من خواص السيد

بحر العلوم ويذكر اسم الشيخ محمد نجم العاملي وأن المبلغ الذي قدم إليه كان ستين شوشاً وهو الوحدة النقدية المتداولة آنذاك(١٤) .

*** لم يحرم فقيراً:**

نقل عن المرحوم الشيخ محمد صالح البرغاني قوله: قال ابي : رأيت في النوم أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس والعلماء جالسون بين يديه والمقدم عليهم جميعاً هو ابن فهد الحلي ، تعجبت كيف أن هؤلاء العلماء جميعاً مع ما لهم من المقام والشهرة يجلسون دون ابن فهد مع أنه ليس مشهوراً كثيراً بين العلماء. . ولذا سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (صلوات الله عليه): سبب ذلك أن العلماء الآخرين كانوا اذا جاءهم فقير وعندهم مال للفقراء يعطونه إما اذا لم يكن عندهم من ذلك لا يعطونه. . أما ابن فهد فإنه ـ لم يرد فقيراً ابداً صفر اليدين. . وإذا لم يكن عنده مال مخصص للفقراء كان يعطيهم من ماله ولذا احرز هذه المرتبة دونهم(١٥) .

*** الحكيم القمشه إي رحمه الله:**

يقول الاستاذ الشهيد المطهري رحمه الله حول الخصوصيات الأخلاقية للحكيم القمشه إي :

كان رجلاً حراً وعارف المشرب والمذاق بكل معنى الكلمة ـ كان يأنس بالوحدة ويبتعد عن الجمع الى حد ما. . كان في شبابه ثرياً وفي: مجاعة عام ١٢٨٨ وزع جميع أمواله المنقولة وغير المنقولة على المحتاجين وعاش درويشاً الى آخر عمره ويضيف الاستاذ: لم يترك الحكيم القمشه إي زي القرويين ابداً. . ولم يتزي بزي العلماء ، المرحوم جهانگيز خان قشقائي (استاذ آية الله

---

(١٤) داستان راستان /ج٢/ ٥٠/ والكلمة الطيبة/٢٨٧ والفوائد الرضوية/٨٩ والكنى والألقاب/ج٢/٦٩ ـ ٧٠ .

(١٥) بيدار گران أقاليم قبله/٢١٦/٢١٧ وقد وردت القصة في كتاب «حسد» ص ٨٠٠ مختلفة عما ذكر هنا .

البروجردي في الفلسفة) الذي تتلمذ عليه لسنوات يقول:

ذهبت الى طهران على أمل الاستفادة من محضر الحكيم القمشه إي . . وقصدته في الليلة الأولى لوصولي . . لم يكن زيه علمائياً وكان زيه يشبه زي باعة قماش النسج اليدوي في «سدة» (خميني شهر فعلاً) فاتحته بحاجتي ، فقال ميعادي معك غداً في الخرابات (محلة خارج خندق طهران يومها) وكان هناك مقهى يديره درويش . .

ذهبت في اليوم التالي ومعي اسفار صدر المتألهين فرأيته في خلوة جالساً على حصير . . فتحت الاسفار فبدأ يقرأه عن ظهر قلب . . ثم يأخذ بتحقيق المطلب . . وقد أثار وجدي بحيث اني سكرت . . كدت أجن . . وأدرك ما بي . . فقال: نعم قوة الشراب تسكر الابريق[١٦] .

* أستحي من الفقراء:

جاء في كتاب «حياة الاسلام»:

«كان المال لدى الآخوند الخراساني والحصى على حد سواء ومع أنه كان بالنسبة لمقامه الشامخ معدماً وصفر اليدين فقد كانت الرواتب التي كان ملتزماً بتسديدها تبلغ شهرياً ستماءة توماناً ينبغي أن تدفع كلها نقداً . . وكان كثير من العوائل المحترمة لا مورد لهم الا ما يؤمنه سماحته لها .

وكان كلما سافر الى كربلاء للزيارة ينبغي أن يدفع على الأقل ماءة وخمسين الى ماءتي ليرة للفقراء والطلاب هناك وعندما لم يكن يتمكن من تهيئة هذا المبلغ ولو عن طريق الاقتراض كان ينصرف عن الزيارة . . ولهذا لم يتشرف بالزيارة في السنين الأخيرة إلا مرة أو مرتين في السنة .

وكان يتكفل بخبز سبعماءة شخصاً من الفقراء والعاجزين والطلاب . . كان هناك مخبز خاص للفقراء ، فكان يدفع شهرياً حوالي ثلاثماءة توماناً ثمن

---

(١٦) خدمات متقابل اسلام وايران /٦٠٦/٦٠٧ .

خبز. . وأحياناً كان يتأخر الدفع ثلاثة اشهر أو أربعة فيرتفع دين الخباز على الآخوند الى أربعمائة أوخمسمائة ليرة. . في حين أنه لم يكن لديه شيء. . وحيث أن الخباز لا يملك شيئا كان يضطر لقطع الخبز وعندما كان يطالبه احد لا يعرف حقيقة الحال بتوصية الخباز أن لا يقطع الخبز عنه كان يبتسم ويقول لو كانت التوصية تؤثر لأوصيت ولكنها لا تؤثر .

وقد قال مراراً: كلما رأيت هؤلاء الفقراء الذين قطع عنهم الخبز أستحي منهم .

وكان السيد يستدين بأي شكل أمكن ثم يواصل الخباز التوزيع على الفقراء. . وبالاضافة الى جميع ما تقدم كانت هناك مصاريف يومية لحوائج الفقراء من اهل البلد والزوار والطلاب وغير الطلاب لم تكن تخضع لضابطة معينة .

كان المنزل دائماً غاصاً بأرباب الحوائج وكذلك خارج المنزل ـ وكانت المسافة بين منزله وبين مكان نزع الاحذية في الحرم المطهر حوالي ماءة قدم وكان يومياً ينفق في هذا الطريق حوالي أربعة أو خمسة توامين(١٧) على الفقراء والسائلين. . وإذا أظهر طالب حاجته الماسة كان(الآخوند) يضع يده في جيبه ويقبض دون أن يحصيها ويعطيها له. . وكثيراً ما كانت تشتمل القبضة على التومانين أو الثلاثة من التوامين البيض مع ليرة أو ليرتين. . كان يتحلى برحابة صدر قل نظيرها .

ويمكنني أن اقسم بجرأة أنه اذا لم يكن يرجح في حمل هم الفقراء على اهل بيته. . فإنه كان على الأقل ينظر إليهم والى أهل بيته على حد سواء. . وكان يوزع ما زاد على حاجته من الهدايا بين الطلاب. . قال له احد الأصحاب: بعد هذه الأمور التي تزيد على حاجتك وادخر ثمنها لوقت الضيق. .

---

(١٧) كان هذا المبلغ آنذاك كبيراً .

قال: لم أتعلم هذه الأمور[١٨] .

ويتحدث مؤلف كتاب حياة الاسلام عن ابتلاءات الآخوند في فترة المشروطة فيقول:

وقف أحد فضلاء طلابه في مجلس الدرس وقرأ رسالة جاءت من اهل تبريز. . كانت خلاصتها كما يلي: تنصب حمم النار على رؤوسنا ، رجالنا وشبابنا يقتلون ونساؤنا وأولادنا اصبحوا أيامى ، ويتامى وانتم هناك مشغولون بالنوم واللذة ولا تفكرون بنا. . وعندما اطلع الآخوند على مضمون الرسالة تأثر تأثراً شديداً وقال:

لا أولئك أدركوا ولا انتم أية مرارة تجرعت وأتجرع. . أما انكم تروونني اروح واجيء فليس ذلك إلا مجرد صورة ، توجهون القذائف من بعيد. . نحن في نوم؟ والله لم يبق لنا قلب. . واذا كانوا لا يرون الجهود التي بذلتها من اجلهم فلا يرون على الأقل كيف أصبح سبّي ولعني وسائر اهل العلم شائعاً بين الأراذل والجهال ومن جهة يأتي ستة اشخاص وثمانية من طهران لقتلي. . ومن جهة أخرى يظهر الخليفة العثماني عداءه. . ومن جهة ثالثة هؤلاء يؤنبون ويوبخون أننا نائمون. .

وعندما بلغ الآخوند ذلك بكى الطلاب جميعاً وبعدها قال:

تحمل ذلك كله تأسياً بالأئمة عليهم السلام. . وكنت بصدد علاج مشاكل اهل تبريز وسأبقى لن اتراجع ولن استكين بل سأبذل ما يفوق طاقتي[١٩] .

* الشيخ زين العابدين المازندراني رحمه الله:

كان رحمه الله من تلامذة صاحب الجواهر والشيخ الانصاري ومرجع تقليد لجماعة من الشيعة. . . وقد جاء «كان يقترض ما استطاع ويعطي الناس

---

(١٨) مركي درنور/ ٤٠٠ ـ ٤٠١ .

(١٩) زندگاني آخوند خراساني/ ١٧٠ / ١٧١ .

وكان كل مدة يأتي أحد اثرياء الهند فيسدد قرضه ، يقول ابنه الثاني الشيخ علي المعروف بشيخ العارقين:

في احدى زيارات الشيخ (زين العابدين) الى سامراء مرض هناك مرضاً شديداً فجاء الميرزا الشيرازي لعيادته قال الشيخ أنا لست مضطرباً لشيء إلا لأن روحي تعرض عند الموت ـ بناء لعقيدتنا نحن الامامية ـ على صاحب العصر (عليه السلام) وإذا سألني الإمام: لقد اعطيناك من الاعتبار والوجاهة لتستطيع الاقتراض والتوزيع على الفقراء فلم لم تفعل؟ فبماذا اجيبه ؟.

يقال إن الميرزا الشيرازي عندما سمع ذلك منه رجع الى البيت وقسم كل ما كان عنده من الحقوق وسائر الأموال على المستحقين .

*ويقول أيضاً:

كان والدي ذات ليلة يصلي في الحرم في كربلاء وبعد انتهاء صلاته جاءته امرأة وحادثته طويلاً. . وعندما أردنا الرجوع الى المنزل قال للخادم الذي كان يحمل الفانوس أن يسلك طريقاً آخر. . ومشينا مدة حتى وصلنا الى بيت. . . طرق الشيخ الباب ففتح الباب رجل صاحب مقهى وعندما رأى الشيخ اضطرب وانحنى وقبل يد الشيخ:

ـ ماذا تأمر .

ـ أريد أن ترجع الى زوجتك .

ـامتثل وارجع .

عرفنا بعدها أن هذا الرجل كان قد طلق زوجته مع أن له منها عدة أولاد واخرجها من المنزل فاستنجدت بالشيخ ليتوسط لها مع زوجها .

* ومن المعروف أنه عندما طغى الماء في كربلاء خرج الشيخ من المدينة وبدأ ينقل التراب بعباءته ليضعه في طريق الماء وعندما رأى الناس أن هذا العالم الكبير يعمل بنفسه تأسوا به وبدأ الجميع ينقلون التراب فأقاموا سداً بقي لعدة سنوات .

كذلك نقل عنه أن فقيراً وقف يوماً على بابه ولم يكن لدى الشيخ ما يعطيه له فتناول طاسة النحاس التي كانت في البيت وأعطاها له قائلاً: خذها وبعها .

وبعد أيام عندما تنبه أهل البيت لعدم وجود الطاسة قالوا: سرقها اللص. . وسمعهم وهو في غرفة كتبه فناداهم «لا تتهموا اللص أنا أخذتها»[٢٠] .

* رهن المنزل:

جاء في سيرة الشيخ جعفر كاشف الغطاء:

«بلغ من شدة اهتمامه بالفقراء ومساعدته لهم أنه في اكثر السنوات كان ينفق كل ما لديه وعندما لا يبقى شيء ، ولا يمكنه تحصيل شيء كان يرهن منزله وينفق ثمنه على الفقراء. . . ويبقى لا يستطيع استعمال البيت والسكن فيه حتى يحصل على المبلغ المطلوب في احدى سفراته فيسترجع البيت[٢١] .

* المحقق الأردبيلي رحمه الله:

من كرامات المحقق الأردبيلي عليه الرحمة أنه في سنيّ الغلاء كان يتقاسم كل طعامه مع الفقراء فيدع لنفسه سهماً كسهم الفقير. . وذات مرة اعترضت عليه زوجته وأنكرت ذلك قائلة:

في مثل هذه السنة تترك اطفالك بلا طعام وفي النتيجة يحتاجون الى سؤال الناس .

ولم يقل المقدسي شيئاً وذهب الى مسجد الكوفة للاعتكاف وفي اليوم الثاني جاء الى بيته شخص ومعه كمية كبيرة من الطحين والحنطة وقال صاحب المنزل بعثه اليكم وهو معتكف في مسجد الكوفة وعندما رجع المحقق ـ الذي لم يكن له علم بما جرى أصلاً ـ الى البيت وأخبرته زوجته علم أن ذلك من الله

---

(٢٠) مرگي در نور/ ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢١) قصص العلماء/ ١٨٨ .

تعالى وقام بما ينبغي من لوازم الشكر[٢٢] .

* الشيخ الأنصاري رحمه الله:

كان يعتبر أن مساعدة الفقراء والمعوزين من وظائفه الحتمية. . وكان ذلك دأبه منذ صباه. . وقد تواتر عن ثقاة أنه كان يوجد في مزار «پير محمد» في محلة حيدر خانه بدزفول فقير عاجز وكان الشيخ يقدم طعام عشائه كل ليلة الى ذلك الفقير وينام جائعاً أو يكتفي بأقل شيء .

* يقول في «لؤلؤ الصدف» :

كانت هبات الشيخ سراً. . وقد عين لكثير من الفقراء مخصصات شهرية وسنوية كانت تصلهم باستمرار دون أن يعرفوا مصدرها. . . في الليالي المظلمة وفي الاسحار كان يقصد بيوت الفقراء متنكراً متلثماً ويعطي كل عائلة بمقدار حاجتها. . وعندما توفي عرف أن ذلك الشخص الذي كان يطرق الأبواب في الأوقات غير المتعارفة هو الشيخ الأنصاري[٢٣] وكان دائماً اذا قدمت إليه أشياء ثمينة ـ كهدية ـ يقول لخادمه الملا رحمه الله: بع هذا ووزع ثمنه على الفقراء والطلاب .

* قال أحد كبار العلماء: ذهبت الى الشيخ وقلت له السيد الفلاني الذي هو من فضلاء العصر مضطر جداً وامرأته مريضة فتفضل بمساعدته .

قال الشيخ ليس لدي شيء إلا مبلغ للصلاة والصوم ـ الاستئجاريين ـ فلأعطه سنتي عبادة. . قلت: إنه ابن عائلة من العوائل الشريفة والكبيرة ولم يعتد ذلك. . وهو بالاضافة الى ذلك يدرس وهذه الأمور تتنافى مع الدراسة. .

ففكر الشيخ قليلاً وقال: أنا أؤدي سنتي العبادة وخذ المال وادفعه له. .

(٢٢) ريحانة الأدب ج٥/٣٦٨ وقد وردت القصة في مصادر اخرى اكثر تفصيلاً راجع مثلاً المظالم للشهيد دستغيب رحمه الله .

(٢٣) زندگاني وشخصيت شيخ انصاري/ ٨٠ ـ ٨١ . ،

وهكذا كان . .

رغم كل مشاغله كالتدريس وأجوبة الاستفتاءات ، صلاة الجماعة ، عيادة المرضى ، زيارة الناس له ورد الزيارات تشييع الجنائز ، الذهاب الى بيوت الفقراء ، العبادات الشخصية ، ادارة الامور المالية واصلاح المفاسد العامة . .

رغم ذلك كله كان يؤدي العبادة الاستئجارية ويدفع أجرتها الى الطلاب .

كذلك ينقل السيد علي الدزفولي / الذي عرف بالمحتاط لشدة احتياطه / عن أحد أقربائه قوله :

ذهبت في النجف الأشرف تحت ضغط الفقر الى الشيخ وأطلعته على أحوالي . .

قال الشيخ : ليس لدي الآن شيء أبداً . . إذهب الى فلان وقل له يعطيك مبلغ سنتي صلاة . . وخذ المال لك وأنا أؤدي السنتين .

وهكذا رضي الشيخ أن يصلي هو ويدفع المبلغ للسيد حتى لا يرده يائساً .

وكان من جملة عادات الشيخ إقامة مجلس عزاء في منزله كل ليلة جمعة مع تقديم الطعام لعدد من الفقراء[٢٤] .

*** الصلاة الاستئجارية :**

قد يتصور البعض أن أداء الصلاة الاستئجارية عمل سهل وليس الأمر كذلك . . خصوصاً لطالب العلم المولع بالكتاب والمطالعة . . إنه لمثل هذا عمل في غاية الصعوبة .

ومن المناسب هنا ايراد كلام للعالم الكبير المجرب آية الله العظمى السيد حسن النجفي القوجاني المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ .ق الذي يتحدث عن وضعه

(٢٤) شخصيت وزندگاني شيخ انصاري / ٨٢ .

الاقتصادي الحرج أواخر اقامته في النجف الاشرف عند بدء الحرب العالمية الأولى وكان يومها عالماً كبيراً يدرس الكفاية والمكاسب ومنظومة السبزواري . . يقول رحمه الله :

نعم . . أخذت عدة سنوات صلاة استئجارية من سماحته ـ يقصد أحد العلماء الكبار في عصره ـ ولكن في المرة الأولى أعطاني السنة بثلاث توامين ونصف . . اعطاني خادمه أولاً تومانين وقال تعال غداً عصراً تأخذ توماناً ونصفاً ، اخذت التومانين الى البيت . . قالوا احد اطفالك مريض خذه الى الطبيب حملت الطفل ومضيت الى الطبيب . . واعطاني نسخة الدواء . . اشتريت الدواء بقرانين (التومان عشر قرانات) ورجعت الى البيت فوضعت الثمانية عشر قراناً في زاوية وقلت لا يأخذ أحد منها شيئاً فيبقى المريض بدون دواء . . (لأنه سيحتاج أن يشتري له الدواء كل يوم) وفي اليوم التالي قريب الغروب ذهبت وأخذت الخمسة عشر قراناً (التومان والنصف) ووضعتها في الكيس ومشيت باتجاه الصحن (دار حرم امير المؤمنين (عليه السلام) وأذن المؤذن لصلاة المغرب وعندما اجتت السوق ووصلت الى الصحن رأيت أحد اصدقائي وكان له علي ثلاث قرانات قلت تعال خذ ثلاث قراناتك قال :

لست مستعجلاً ، فعلاً عندي مال . . قلت يا شيخ . . انا فعلاً لدي مال ويجب أن أؤدي دينك حتى إذا مت الليلة أسلم منك ، ومددت يدي الى جيبي فلم أجد الكيس . . فتشت كيساً آخر . . بل كل جيوبي وغيرها رأيت أن كيس النقود والذي فيه ختم ولوازم اخرى . . لا أثر له . . ولم يظهر له أثر . . وبالرغم من حملة تفتيش واسعة لم احصل على هذا المال . . التومانان اللذان اخذتهما الى البيت صرفا على علاج الطفل . . فقد استمر مرضه عشرة أيام وكل يوم كنت أحمله الى الطبيب وفي طريق العودة اشتري دواءً وطعاماً له بقرانين الى أن نفذ التومانان وشفي الطفل قلت يا ليت أن هذين التومانين ضاعا أيضاً . . فعلى الأقل كنت لم أبتل بمشاكل آخرى . . وأنا الآن مشتغل بالصلاة بجد علها تنتهي بسرعة وآخذ ستة أخرى . . وهذه الصلاة اسوأ من كل عمل «سخرة» يفرضه

أرباب الديوان على الرعايا. . إن الصلاة الاستئجارية عمل شاق تدع الانسان من الناحية العملية والروحية والجسدية في عذاب وخوفٍ للعاقبة. .

وبالجملة بعد ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً اكملت صلاة السنة وذهبت وحدثت خادم سماحته بما جرى وبألف منة وسنة اعطاني خمس قرانات حيراناً لما فات. . اعطاني سنة بأربعة توامين وكنت لمدة طويلة لا اعرف النوم ليلاً ولا نهاراً إلا مضمضة يعني كنت أحصل على تمدد الاعصاب نهاراً دون أن اغفو. . ولكني ليلاً كنت اغفو لأني كنت أزيد اوقات الصلاة ما استطعت. . بل احياناً كنت أصلي جميع اوقات الليل والنهار. . كنت أصلي وجبة أو وجبتين ليلاً. . وكذلك نهاراً وكل وجبة ساعتان متتاليتان. . بحيث يدوخ رأسي وتكاد عيناي تخرجان من الحدقة وكنت اشتغل ساعتين أو ثلاثة عند منتصف الليل على الماكينة (ماكينة الخياطة) وكنت اشتغل ساعتين أو ثلاثة بالتدريس (كفاية ، مكاسب ، منظومة) وانشغل ساعة بالقراءة حيث كنت اقرأ الجرائد بدقة. . وأقرأ عمود الأخبار الخارجية» .

* ويقول في مكان آخر:

«وما كنا نرجوه من سماحته هو سنة صلاة بثلاثة توامين أوأربعة. . ثم إن ذلك لم يكن يحصل عادة إلا بعد تكرار الذهاب عدة مرات ، كنا نذهب إليه عدة مرات ويكون جوابه بالنفي. . فإذا اجاب بالايجاب أحياناً كان يقول: يا شيخ عبد الرحيم اعطه سنة صلاة. . فيتلو آنذاك صيغة الاجارة بأربع مجيديات مع تعيين الأوقات وقراءة الإقامة ، بعدها كان يقول: إذهب وتعال غداً لتأخذ المبلغ. . وكنا نذهب عدة مرات لاستلام المبلغ وبعد كل هذا الجهد كان يعطينا اربعة توامين. . وطيلة ثلاثماءة وستين يوماً إذا لم يؤد حرف من المخرج المختص به أو تشوش بال احدنا اثناء الصلاة أو انحرف يميناً أو يساراً أو إذا لم يكن قصد القربة خالصاً فالصلاة باطلة والذمة تبقى مشغولة. . ان أي سجن مع الأعمال الشاقة ليس فيه هذا العذاب الروحي والبدني[٢٥] .

---

(٢٥) سياحة في الشرق /٥٣٢ ـ ٥٣٩ .

* ويؤثرون على أنفسهم:

قال حجة الاسلام الشيخ محسن قراءتي:

قبل انتصار الثورة الاسلامية ذهب أحد الروحانيين المخلصين للتبليغ إلى إحدى القرى.. ولم يكن في تلك القرية ماء للشرب.. وكان الأهالي يبذلون جهداً كبيراً ويتحملون مشقات كثيرة للحصول على الماء.. ولم يكن باستطاعتهم تأمين مبلغ لمد شبكة الماء الى قريتهم..

وعندما رجع هذا المبلغ المخلص الى قم.. باع منزله الذي كان يسكن فيه وأمن وصول الماء الى تلك القرية وسكن هو في بيت استأجره.. وقد ظل مستأجراً الى أن توفي رحمه الله.. وأولاده الأيتام الآن كذلك..

وأضاف الشيخ قراءتي:

عندما ذكرت هذه القصة في درس في التلفزيون اتصل بي تلفونياً شخص من أهل الخير قائلاً: أنا مستعد ثمن بيت لأبناء هذا المبلِّغ.. وفعلاً سلمني المبلغ ودفعته الى أولاده...

﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[٢٦].

* طريقة الميرزا رحمه الله:

كان للميرزا الأول وكلاء في كل مدينة من التجار يرسل الى كل منهم اسماء الفقراء في تلك المدينة ويحدد لهم المبالغ التي يقدمونها لهم.. هؤلاء الفقراء غير الأشخاص الذين كانت لهم مبالغ مخصصة شهرياً وسنوياً... وكانت طريقة الميرزا هذه تغطي بالإضافة الى كل مدن العراق نقاط ايران المختلفة وكان يقدم لفقراء تلك المدن ما أمكنه وإذا كان يوجد في إحدى المدن عالم كبير يُعتمد عليه يُطمأنّ إليه كان يرسل إليه سنوياً مبلغاً من المال ليوزع

---

(٢٦) سورة الصافات، الآية (٦١).

بعضه على الفقراء المستحقين حقيقة . . ويأخذ بعضه له . .

* يضيف العلامة السيد حسن الصدر رحمه الله :

قال لي : ليس من الانصاف أن نأخذ الحقوق الشرعية من مدينة فيها فقراء ونتساهم . . إن الناس يرسلون لنا كل شيء ولا يعطون شيئاً لأحد .

وكان الميرزا يهتم بشكل خاص بطلاب العلوم الدينية والمحتاجين في المشاهد المشرفة . . فقد كان يقرر لكل منهم شهرية بلا استثناء حتى الذين كانوا يوافقون على العبادة الاستئجارية ، كان يرسل إليهم مقداراً للعبادة ومقداراً كمساعدة[٢٧] .

* الشيخ عبد الوهاب الطهراني رحمه الله:

هو ابن عم والد الشيخ آقا بزرگ الطهراني ومن تلامذة الشيخ الأنصاري وقد جاء في سيرته :

كان شديد التقوى والعبادة . . والقناعة . . وكان يقسم المال الكثير الذي كان يرسله إليه والده لتشجيعه على مواصلة الدراسة . . بين الطلاب المحتاجين ويحتفظ لنفسه بسهم كسهم احدهم[٢٨] .

* السيد المرتضى عليه الرحمة والرضوان:

يقول اليافعي :

كان شديد الاهتمام بالمحتاجين والعوائل الفقيرة وكان قد عين مبالغ شهرية لكثير من المعوزين ولم يكونوا يعرفون مصدرها . . وبعد وفاة السيد انقطع ذلك عنهم فعرفوا أنه منه[٢٩] .

---

(٢٧) ميرزاي شيرازي /٥٨ .

(٢٨) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري /٣٣٨ .

(٢٩) السيد االرضي مؤلف نهج البلاغة/ ٦٥ .

*** المرحوم السبزواري رحمه الله:**

جاء في سيرة هذا الفيلسوف ـ صاحب المنظومة: «وأما معاشه فقد كان له يوم من قناة عميد آباد وكان له سنوياً أربعون توماناً من بستانه، وثلاثون «خروار»[٣٠] من الغلة عشرة أحمال من القطن كان ينفق قسماً من هذا الدخل ـ بمنتهى القناعة ـ على معاشه ويقسم الباقي بين الفقراء.. وفي كل سنة في العشر الأخيرة من صفر كان يقيم مجلس العزاء ثلاث ليال ويقدم الخبز واللحم للفقراء المشلولين والعمي والعاجزين ويعطي لكل منهم قراناً.. وكان كذلك يدفع خمس أمواله وزكاتها سنوياً بيده الى السادات والمستحقين[٣١].

*** الشهيد قدوسي رحمه الله:**

أحد زملائه في الدراسة وأصدقائه القدامى يقول فيه: من خصائصه كذلك الاهتمام الشديد والسعي الحثيث في قضاء حوائج المؤمنين وحلّ مشاكلهم... لم يراجعه أحد في مشكلة ما إلا وحاول قدر جهده حلها.. كان يبذل جهوداً كبيرة في مجال مساعدة الطلاب المحتاجين ولكن دون أن يعرف أحد بذلك... أحياناً كان يؤمن مهر تزويج بعضهم وكنت أنا واسطة في ايصال ذلك إليهم.. كان يؤمن لبعضهم ثمن بيت دون أن يعرف أحد أيضاً.. وجميع مساعداته كانت سراً.

*** المرحوم الشيخ ابراهيم النجف آبادي:**

يقول الشهيد المظلوم السيد بهشتي في إحدى خطبه بمناسبة استشهاد الشهيد مطهري حول جماهيرية الشيخ ابراهيم:

رحمة الله على الشيخ ابراهيم.. إنه من الفضلاء الذين تخرجوا من قم، عالم جليل وخدوم وجماهيري (شعبي) وهو الذي بنى مدرسة نجف آباد

---

(٣٠) الخروار حمل الدابة أو ما يعادل ٣٠٠ كلغ.

(٣١) تاريخ حكماء وعرفا.. /١١٢ ـ ١١٣.

الموجودة فعلاً ولكي يقتصد في بنائها. . . كانوا يـأتون بـالآجر والحجـارة الى الشـارع العام ويقـوم هو والنـاس قبل الصـلاة وبعدهـا بنقـل ذلـك الى مكـان المدرسة. . حدثني أصدقائي النجف آباديـون أن الشيخ كـان دائماً في خـدمة الناس أحياناً كان يصادف أن يتنازع رجل وزوجته عند منتصف الليل ولا يمكن لأحدهما إمتاع الآخر وارضائه. . . وفي النتيجة يأتي شخص الثانية بعد منتصف الليل الى باب الشيخ يطرق الباب. . . يا الله. . يا شيخنا. . ويكون هو نائماً. . يستيقظ. . في بيت الحاج فلان مشكلة عائلية فلنذهب لإصلاح ذات بينهم. .

لم يكن يقول: صباحـاً. . كان يقـول: فلنذهب ويـرتدي ثيـابه ويمضي فيدخل البيت مرحاً بشاشاً ويقول: فعلاً نـريد الشـاي. . ويجلس بالقـرب من السماور يشرب هو. . ويقدم لهم ويصلح بين الرجل وزوجتـه وتنتهي المشكلة ثم ينهض وينصرف الى منزلـه. . اذا كان ثمـة روحانيـون في صلب المجتمع ويقيمون علاقات مع وجدان المجتمع والناس. . فليس ذلك إلا لأنهم يعيشون مع الناس حقاً .

* * *

* القسم الثاني عشر ...

* التوكل. ..

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

(آل عمران ـ ١٦٠)

التـوكل والاطمئنـان وتفويض الأمـور الى الله القادر المتعـال ـ من جملة الصفات الحميدة لعباد الله تعالى . .

الأمر الذي ينقذ من الاضطراب والتشويش والتردد وحمـل هم المستقبل ويمنـح الانسان قـوة القلب والإرادة والانصراف الى القيـام بأعمـاله والمثـابرة عليها . . هو التوكل عليه عز وجل والاطمئنان إليه سبحانه . . .

وهو أمر ورد التأكيد عليه كثيراً في القرآن الكريم . . وقد اعتبر في بعض الآيات من خصال المؤمنين السامية كما اعتبر المتوكلون في عدد آخر من الآيات ممن يحبهم الله تعالى .

وفي جميع الأمور/ المادية وغيرها يجب أن يكون اعتماد الانسـان على الله تعـالى ، ويجب أن يعتقد بـأن تأثيـر الاسباب والعلل هـو منه عـز وجل . . بمعنى أن يكون ملتزماً بمفاد: «لا مؤثر في الوجود إلا الله» «أوحى الى داوود: يا داوود إن أنا وضعتك فمن يرفعك وإن أنا رفعتك فمن يضعك وإن أنا أعـززتك فمن يذلك وان اذللتك فمن يعزك وإن أنا نصرتك فمن يخذلك وإن انا خذلتك فمن ينصرك . . فقال داوود: الأمر والحكم لك وبيدك[1] .

ويجب أن يبذل الطلاب ـ بشكل خاص ـ جهـدهم للتحلي بهذه الصفـة

---

(١) تفسير ادبي وعرفاني قرآن مجيد/ج١/١٦٨ والنص منقول بالمعنى (المترجم) .

لأن التوكل هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها مواجهة الفقر الذي هو طابع حياة اكثر الطلاب لينصرفوا الى مواصلة دروسهم دون اضطراب وقلق . .

في رسالة الى أحد من اهل المعرفة يعدد فيها الأمور التي ينبغي للسالك الحصول عليها ، أي قول العالم الجليل والعارف الكبير الشيخ محمد البهاري رحمه الله : السابع : أن لا يكون في أي أمر متكلاً على حوله وقوته بل يكون في جميع الأحوال متكلاً على صانعه وخالقه جل شأنه[٢] .

* ويقول الشهيد الثاني عليه الرحمة والرضوان :

«فما يلزم كل واحد منهما ـ المعلم والتلميذ ـ بعد تطهير نفسه من الرذائل المذكورة وغيرها توجيه نفسه الى الله تعالى والإعتماد عليه في أموره وتلقي الفيض الإلّهي من عنده فإن العلم كما تقدم من كلام الصادق (عليه السلام) ليس بكثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء ، ينزله على من يريد أن يهديه .

وأن يتوكل عليه ويفوض أمره إليه ولا يعتمد على الأسباب فيتكل عليها وتكون وبالاً عليه ولا على أحد من خلق الله تعالى بل يلقي مقاليد أمره الى الله تعالى في أمره ورزقه وغيرهما يطهر عليه حينئذٍ من نفحات قدسه ولحظات أنسه ما يقوم به أوده ويحصل مطلبه ويصلح به أمره وقد ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه عما ضمنه لغيره بمعنى أن غيره يحتاج الى السعي على الرزق حتى يحصل غالباً وطالب العلم لا يكلف بذلك بل بالطلب وكفاه مؤونة الرزق أن احسن النية وأخلص العزيمة .

وعندي في ذلك من الوقائع والدقائق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بي وجميل معونته منذ اشتغلت بالعلم وهو مباديء عشر الثلاثين وتسعماءة الى يومي هذا وهو منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين

---

(٢) تذكرة المتقين/١١٤ .

وتسعماءة. . ويضيف عليه الرحمة: وبالجملة ليس الخبر كالعيان وروى شيخنا المتقدم محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه باسناده الى الحسين بن علوان قال: كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الاسفار، فقال لي بعض اصحابنا: من تؤمل لما نزل بك فقلت: فلاناً. فقال: اذا والله لا يسعف حاجتك ولا يبلغك املك ولا ينجح طلبتك قلت: وما علمك رحمك الله. قال: إن ابا عبد الله (عليه السلام) حدثني أنه قرأ في بعض كتبه أن الله تبارك وتعالى قال: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعنّ امل كل مؤمل غيري باليأس. . .»[٣].

* وقد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام):

أوحى الله عز وجل الى داوود (عليه السلام): ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي وادٍ هلك[٤].

ومن الواضح أن مفهوم التوكل على الله تعالى لا يعني أن يترك الانسان الأمور كلها لله. . ولا يكون بصدد القيام بالأسباب الاعتيادية بل كما يقول مولوي: /اذا كنت متوكلاً فازرع وتوكل على الجبار/ ولا تغفل في التوكل عن الاسباب واسمع سر «الكاسب حبيب الله».

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأعلى الصوت: إعقل جملك وتوكل/[٥].

وعليه فمن الواجب دائماً القيام بالواجب وعدم التنصل من المسؤولية

---

(٣) منية المريد/٦١/٦٢.
(٤) اصول الكافي المترجم ج٣/١٠٣ ـ ١٠٤.
(٥) ترجمة ثلاث أبيات لمولوي.

«يقال إنه قبل حوالي اربعين سنة أمطرت الدنيا في سامراء عقارباً بمعنى أن الأرض كانت تنبعث فيها العقارب من كل مكان وهرب طلاب المدرسة في سامراء الا واحداً منهم فقد قرر الاستخارة واستخار فكانت الاستخارة على البقاء جيدة. . فبقي ونام فلدغته العقرب ومات وأخرجوا جسده من المدرسة. . إنه هراء حقاً .

يتوكل على الله ويلقي بنفسه في قبضة العدو. . يجب أن يتوكل على الله ويهرب من العدو[٦] .

«منك الجهد ومنه العناية» يقول الفيلسوف الجليل الملا هادي السبزواري رحمه الله :

توكل أن تدع الأمر الى مقدر الأمور جل وعلا
وليس هذا أن تكف عن عمل إذ رب أمر بوسائط حصل

* توكل الامام الخميني:

يقول احد المقربين من الامام :

من أبرز الصفات الروحية للإمام اطمئنان النفس ومن يعرف الإمام حق المعرفة يعلم أنه في جميع المنعطفات والمتغيرات والمصاعب في حياته لم يضطرب أو يتزلزل حتى للحظة واحدة. . ولم يفقد صوابه أمام أية مشكلة على الاطلاق. . إنه باستمرار يعرف ما يريد وبكل وضوح رؤية وإصرار. سواء قبل انتصار الثورة أو بعدها. .

ولقد عرف الناس ذلك منه بعد الانتصار اكثر من قبل. . وعندما كانت تعصف بالبلاد بغض الحوادث المؤلمة وتعلو الكآبة وجوه الجميع من المسؤولين الى الناس. . كان الامام كالطود الشامخ. . ليس فقط أنه لا تعتريه ذرة من

---

(٦) استعاذه/ ٢١٠ ـ ٢١١ .

اضطراب. . بل إن طمأنينته كانت تبعث الدفء والطمأنينة في جميع القلوب. .

قد يقول البعض: إن الكثيرين إذا لاحظوا مراحل الثورة وحضور الناس الدائم في الشدائد خاصة ومدى تفانيهم واحتمالهم. . وشدة التزامهم الديني يستطيعون أن يدركوا أن المستقبل لصالح حركة الثورة فيشعرون بالاطمئنان ولكن اذا امعنا النظر قليلاً سنجد أن هذا الاطمئنان أيضاً والفهم المسبب له ينبع من معين طمأنينة الإمام هذا المعين العذب الذي لا ينضب. . مع أن أفق طمأنينة الإمام كان باسماً ومشرقاً حتى عندما لم يكن يلوح في الافق شبح للنصر ، عندما كان حتى الذين هم من أهل السياسة والفهم والحس الثوري لا يجرؤون على التفكير بالثورة بعدما رأوا فشل بعض الحركات التي كانت تتداعى في منتصف الطريق أو لا تكاد تبلغه. . أو تفشل في مهدها. . من قبيل المشروطة وحركة النفط وغيرهما. .

كانت الحوادث واضحة امام عين الإمام البصيرة وضوح الشمس وكان كلامه وكل مظاهر حياته تطفح بالاطمئنان والتوكل .

* عندما ألقي القبض عليه وأرادوا نقله الى طهران كان بعض أنصاره حول السيارة يبكون والامام يصبِّرهم. . وفي الطريق ـ يقول الامام ـ انحرفت السيارة عن الطريق الأصلي الى جادة ترابيةٍ فأيقنت أنهم يريدون قتلي. . ولكن رجعت السيارة مجدداً الى الشارع العام فتأملت في نفسي فوجدت أني لم اضطرب أبداً .

* وعندما هاجم العراق إيران في خطة مدروسة تماماً وفي لحظة واحدة وصل خبر قصف المطارات ودخول آلاف الدبابات مع مئات الألوف من الجنود الحدود الايرانية ومن مختلف المناطق. . سيطر الخوف على الجميع. . كانت واقعاً لحظات شديدة الوطأة على المسؤولين وأسرع جميع مسؤولي الجيش الى جماران. . وأصبحت عيون الملايين ترنو الى بيت الإمام وخفقت القلوب وتطلع مراسلو الصحف والمصورون الجميع ينتظرون إعلان الإمام رأيه. . وهم يتساءلون ماذا سيقول هل يصرخ هو أيضاً: واسلاماه هل يستسلم لمطالب

الآخرين. . هل يطلب مساعدة الدنيا في مواجهة هذا الهجوم ويعتذر من أمريكا أم يهادن روسيا ماذا يفعل؟ . . إلا أن الإمـام إمام ، ويجب قبـل كل شيء أن يـطمئن القلوب المضطربـة ثم ينصرف الى افهـامهم ما ينبغي القيـام به. . إن المقام ليس مقام عجلة. . إنه مقام سيطرة على الأعصاب ، كان الامام يـدرك جيداً أن عواطف الناس بلغت أوج الغليان. . ولسان حالهم: نحن رهن اشارتك ولكن من الواضح أن العدو المحتل. . الثمـل بنشوة النصـر ، لا يشكو ضعف المعنويات ولا قلة العدة والعتاد واذا واجهه الناس فلن يكون في قلبه ذرة رحمة بل سيعمل على إبادة كل شيء. . من المؤكد أن النفير العام آنذاك كان سيجعلنا نخسر أفضل طاقاتنا البشرية وغيرهـا دفعة واحـدة. . وفجأة يصب الامـام على نيـران العواطف والحيـرة ماء الاطمئنـان والصبـر ويقـول بهـدوء (حـول قصف المطارات) لص جاء ورمى حجراً وهرب .

وفي هذا السياق أيضاً والجميع قلقون على مصير الحرب (وما يؤول اليه امره) واذا بالامام يقول: الحرب نعمة إلّهية. . ومنذ الأيـام الأولى يهزأ بصـدام وقادسيته .

ولا تنتهي قصة توكل الامام وطمأنينته عند هذا الحد. . فقد بشر بالصلاة في القدس وبشر كذلك بنجاة جميع المستضعفين. . حقاً الى أين يصل اطمئنان الامام وكم هو بعيد ساحله .

ومن المناسب جداً الاشارة هنا الى ما قاله كاتب مسيحي كان قد جاء الى ايران بمناسبة ذكرى انتصار الثورة الاسلامية. . قال بعد رجوعه:

لقد شدتني امور كثيرة في الثورة الايرانية ولكن الأهم فيها جميعاً انطباعي عن قائد الثورة. . لقد رأيت الكثيـرين من الشخصيات والسيـاسيين في العالم ولكني لم أرَ أحداً في طمأنينته وهدوئه. . رأيته في حسينية جماران وفي حين أنه رجل ثوري لا يستكين. . تشعر بأن دنياً من الهدوء والاطمئنان تصحبه(٧) .

---

(٧) ويزگيهايي أزوندگي إمام خميني/١٢١/١٢٧ .

* يقول أحد المقربين من الإمام :

أنتم تعلمون أن عبء حوادث الثورة كان دائماً على كاهل الإمام. . ولولا ذلك الاطمئنان والتوكل لكان من المستحيل أن يستطيع تحمل كل هذه المشاكل . كان المسؤولون في اكثر الحوادث يخرجون عن طورهم ولم يكن وعيهم السياسي يكشف لهم عن أي مخرج ولكنه كان بجملة واحدة ينهي كل اضطرابهم .

في مجريات احتلال وكر التجسس (الامريكي) كان اكثر المسؤولين غير راضين. . وفي كل يوم كانوا يطرحون أمراً جديداً ، واحد يقول: ليس بالامكان محاربة امريكا والثاني يقول: لقد انزلت امريكا قواتها في المنطقة وآخر يقول جاء الاسطول الفلاني الأمريكي .

وحده الامام كان يقول: امريكا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة. . ذات يوم شكى أحد الشخصيات الثورية أمام الامام من المؤمرات. . ووضع الامام بهدوء يده على صدره قائلاً: انت لماذا تخاف ؟ لا يحدث أي شيء .

والعجيب أنه مهما كان يقال عن مؤامرات الشرق والغرب. . ليس أنه فقط لم يكن يضطرب ابداً بل كان يصبح اكثر اطمئناناً بالنصر ، وليس عجيباً من القائد الذي يفقد ولداً كآية الله الشهيد السيد مصطفى. . الذي كان باستطاعته أن يكتب في شبابه آلاف الصفحات في التفسير وأن يتفوق في المسائل الفقهية على الكثير من أساتذته. . ولم يكن يترك التهجد وقيام الليل ، وفي شهادة شخصية كهذه لم يهتز الامام بمقدار ذرة وفي اليوم التالي يواصل تدريسه. . وقد اشترك في تشييعه لاستحباب ذلك وكونه فقط عملاً يرضاه الله تعالى وفيما بعد كان وكأنه لم يفقد إبناً .

او عند استشهاد اصحابه كمطهري وبهشتي اللذين يدرك الامام اكثر من سواه مدى الخسارة الناجمة للفكر الاسلامي من جراء فقدهم ويشعر بمدى حاجة الحوزات العلمية والجامعات اليهم. . ولكنه رغم ذلك يبقى عند

استشهادهم متماسكاً .

في الليلة التي وصل فيها الى المكتب خبر استشهاد الاثنين وسبعين شخصاً . . اصبنا جميعاً بدوار ولم نكن ندري كيف نوصل هذا الخبر الى الإمام . . الامام الذي كان يحب بهشتي بقلبه وروحه (حباً جماً) أوعز الى الاذاعة أن لا تذيع الخبر لأن الامام يستمع الى نشرة آخر الليل . . تم الاتفاق أن يذهب السيد أحمد والشيخ رفسنجاني في اليوم التالي الى الامام لاخباره بما جرى بطريقة مناسبة خشية أن يصاب الامام بسوء . . وأوصيَ من في البيت أن يبعدوا المذياع عن الامام : اذ كان من المحتمل أن يذاع الخبر الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً . . . والطريف هنا أن عائلة الامام عندما حاولت قبل الساعة السابعة أخذ المذياع يقول لها الامام : دعي المذياع مكانه فقد سمعت الخبر من احدى الاذاعات الخارجية والأطرف من ذلك أنه عندما ذهب الشيخ رفسنجاني والسيد احمد الى الامام لإخباره . . عزاهم الامام وهدأ روعهم ونقل لهما قصة هي أن احد علماء الاسلام كان على المنبر فأخبر بوقوع حادثة توفي فيها عدد كبير . فقال ذلك العالم هذا تقارب آجال . . أي أن الآجال اقتربت من بعضها . . فقد كان مقرراً أن يموت هؤلاء في وقت واحد . . ولكن الله سبحانه قارب بين الآجال (فماتوا في وقت واحد)(٨) .

ولم تمر عدة أيام وكنا في المكتب فاخبرونا بانفجار رئاسة الوزراء وكان خبراً مفجعاً أمر الإمام : اذهبوا وتأكدوا أريد أن أعرف مصير السيدين رجائي وباهنر . . وبمقدار ما كان يكره بني صدر والليبراليين ولم يكن يحب أن يضايقوه بذهابهم إليه كان يحب رجائي وزيارته إلا أن هذه الفاجعة لم تزلزل صبر

(٨) هذا العالم الكبير هو الآخوند الخراساني صاحب الكفاية رحمه الله حيث يقال «أنه عندما ضرب الوباء النجف فقضى في يوم أو يومين على عدد كبير منهم عائلة الآخوند وابنته وسيطر الخوف على الناس . . صعد رحمه الله المنبر ووعظ الناس وعزاهم وصبرهم وقال : ايها الناس لا تخافوا الموت حق وكل من يأتي اجله يموت والآن لم يحدث إلا تقارب الآجال» فقال له طالب اصفهاني . سماحة الاستاذ نحن نخاف من تقارب الآجال هذا» زندگاني رخوند خراساني .

الامام. . وبقي متماسكاً مطمئناً بالنصر. .[٩] .

* جاء في احدى المطبوعات قبل انتصار الثورة بقليل حول الامام:

«هذا الرجل ابن السبعين ونيف الذي هز بعزمه الراسخ التاج والعرش الشاهنشاهيين بتاريخهما الممتد ٢٥٠٠ سنة. . جالس في إحدى غرف بيت متواضع على الأرض المفروشة وقد بدأ يحدثنا بدون أية مراسم وتشريفات وكثيراً ما يقول في الجواب عن حمايته وحراسته: الله حافظي. . جلسنا أمام قائد الثورة دون أية قيود نظراته الساحرة وشخصيته الجليلة تبهر كل الحاضرين. . ولا يوجد سؤال يمكنه أن يخرجه من هدوئه. . لقد قال مراراً: الشاه يجب أن يذهب[١٠] .

* ركن الاسلام الأول:

يقول الشيخ أحمد الدشتي وكان مقرباً من الآخوند الخراساني:

كان الوضع المالي للشيخ ـ ووضعنا جميعاً ـ سيئاً. . وذات ليلة كان للشيخ درس خاص يشترك فيه تلامذته المبرزون مثل الميرزا النائيني والمرحوم السيد ابو الحسن الأصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ عبد الله الگلبايگاني وعدد آخر. . عندما انتهى الدرس رأينا سيداً من آل الرفيعي جاء مع شخص آخر زائر ودفع ذلك الرجل الزائر مقداراً من الحقوق الشرعية الى الشيخ فوضع هو المبلغ تحت الفراش (الذي يجلس عليه) .

نحن الذين كنا نشاهد ما يجري وكلنا في غاية الافلاس فرحنا فسيعطينا الشيخ شيئاً. . ولكن سرعان ما تبدل أملنا يأساً. . إذ رأينا أن ذلك السيد قام وأسرّ في اذن الشيخ شيئاً. .

فناوله الشيخ قلماً وورقة كانا بالقرب منه وأشار إليه أن اكتب فكتب ذلك

---

(٩) فرازهائي أز ابعاد. . .» ٢٤/٢٧ .

(١٠) تفسير آفتاب/٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

السيد شيئاً مختصراً وأعطاه للشيخ وعندما نظر الشيخ في ذلك قطب حاجبيه ومزق الورقة ثم مد يده تحت الفراش وأخرج ذلك المبلغ وأعطاه للسيد فأخذه وخرج مع الزائر شاكرين. .

يقول الشيخ أحمد الدشتي: ولم نفهم شيئاً من كل ما جرى. . وحملنا الفضول بشدة على معرفة التفاصيل. . إلا أن الاصدقاء لم يكونوا يجرؤون على الاستفسار. . وحيث أني كنت أجرأهم في ذلك اشاروا اليّ أن اسأل انت فسألته: مولانا يمكن أن تتفضلوا ببيان القصة . . قال أية قصة قلت: هذا الذي حدث مجيء هذين الشخصين ودفع أحدهما مبلغاً من المال ووضعك المال تحت الفراش. . ثم إسرار السيد لكم بشيء ثم كتب شيئاً. . فأخرجتم المبلغ ودفعتموه له. . فقاما وانصرفا. . نحن لم نفهم من ذلك شيئاً. . قال: هناك أمور كثيرة في الدنيا لا نفهم معناها وهذه واحدة منها. .

قال الشيخ أحمد. . ولكني أصريت على الأمر وأيدني واحد أو اثنان من الحاضرين. . فقال سماحته:

ما دمتم مصرين. . فاعلموا أن ذلك الرجل الزائر جاء ودفع أربعمائة ليرة فأخذتها. . فقال لي ذلك السيد؛ إن له ولدين ويريد أن يزوجهما ولكنه مملق .

ولكي لا يسمع احد قلت له أن يكتب المبلغ الذي يحتاجه فكتب مائة ليرة فرأيت أن هذا المبلغ لا يكفي لتزويج ولدين فدفعت إليه المبلغ كله .

وعندما قال الشيخ ذلك بدأ جميع الحاضرين بالقال والقيل. . أن كيف يا مولانا. . انتم تعرفون أفضل منا أن وضعنا المالي سيء. . ودعنا نحن إلى جهنم لماذا لا تفكرون بوضعكم أنتم. . الآن أنتم وعيالكم في ضائقة الى هذا الحد كيف تعطي الأربعمائة ليرة دفعة واحدة الى هذا السيد. . على الأقل كنت تدع شيئاً لك. . أو على الأقل كنت تترك شيئاً لطلابك. .

قال الشيخ أحمد: وفيما كنا نوجه هذه الاعتراضات. . فجأة رأينا الشيخ يبكي. . فسكتنا جميعاً متحيرين. . وبدأنا نعتذر منه مؤكدين أننا لم نكن ننوي

الجرأة على ساحة أستاذنا المقدسة . .

وبعد دقائق هدأ وقال :

تألمي وانزعاجي ليس سببه أنني اعتبر ما قلتموه جرأة علي ، وسبب انزعاجي انني أرى أن جميع الاتعاب التي تحملتها بسببكم طيلة سنوات ذهبت هدراً . . لأنني أرى انكم لم تدركوا بعد ركن الاسلام الأول وهو التوحيد وأنتم غافلون عنه ولا تعلمون أن الرزق من الله وليس من عبد الله . . اذا كان قصدكم من هذا الكلام أن ادخر لنفسي هذه الأموال وأمثالها فلا حاجة لي بالإدخار لاني عندما خرجت من مشهد الى النجف لم يكن معي إلا مجلدان من الكتب ومنّ الله عليّ بكل هذه النعمة والعزة . . واذا كان قصدكم أطفالي فإن وضعهم جيد والله رازقهم . . واذا كان قصدكم أنفسكم فأنتم يجب أن تتكلوا على الله وأن يكون هو أملكم وليس غيره . . أنا حزين لأني اجد انكم نسيتم الله واملتم عبده . . وعندما تفضل الشيخ بهذه النصائح تأثر طلابه جميعاً تأثراً شديداً وأطرقوا خجلاً . .[11] .

* في الصحراء المجدبة :

قرر آية الله النجفي القوجاني . . وبعد مدة من الدراسة في مشهد ـ ولأسباب يوضحها ـ السفر الى اصفهان ليتابع دراسته هناك . ويتجه إليها سيراً على الأقدام مع طالب يزدي كان صديقه وخوفاً من أن يضلا الطريق التحقا في الصحراء بقافلة لأهل يزد ، وهذه قصة حذفت معهما في الصحراء نتيجة التوكل على الله تعالى .

«كان في تلك القرية «خان» للمسافرين لم ينزل فيه اليزديون . . بل حطوا الرحال في ساحة أمامه . . . ونزلت وصاحبي في ايوان مشرف على القافلة . .

قلت له : أنا اهيء الشاي وأحضر علف الدابة . . وأنت اذهب واشتر خبزاً

---

(١١) مرگي در نور/ ٣٨٤/ ٣٨٦ .

وعندما رجع بعد نصف ساعة قال: لا يوجد خبز في هذه القرية. . كما رجع عدة اشخاص من القافلة لم يجدوا خبزاً ايضاً رجعوا مثلي يائسين وقد قرروا أن يعدوا طعاماً مما ادخروه في امتعتهم لوقت الضرورة. . . نحن نحتاج طعاماً لهذه الليلة والليلة القادمة حيث أنه لا قرية اخرى في الطريق .

الماء غير موجود. . والخبز بطريق أولى. . وحتى النبات الصحراوي ـ العلف ـ لا وجود له ، ليسد الانسان حاجته به. . فالمشكلة ليست واحدة او اثنتين ـ قلت: يا شيخ هؤلاء رجعوا ولم يبحثوا اكثر اتكالاً على ما في الخرج فلماذا رجعت معهم ولم تبذل جهدك. .

تعال اجلس واشرب الشاي فعما قريب يكون جاهزاً واشرب الغليون واطمئن ولا تغتم فإن رزق كل انسان مقرون بنفسه وحياته. . ولن يسبق احدهما الآخر ابداً وهما موزونان بالميزان الإلّهي. .

أنا الآن أذهب وأقلب هذه القرية رأساً على عقب وفي الأثناء رأينا عدة من اليزديين رجعوا وقالوا لرفاقهم لا تنتظروا ولا تتحيروا عبثاً فلا يمكن الحصول في هذه القرية على شيء .

وذهبت متكلاً على الله. . وما إن دخلت «زقاق القرية حتى رأيت باب البيت الأول مفتوحاً فدخلت لأرى أحداً واطلب منه خبزاً .

رأيت في وسط الدار امرأة بجانب التنور ترقق قطع لعجين وتلقي بها في التنور فأدرت ظهري ـ على عادة طلاب العلوم الدينية حتى لا يقع النظر على أجنبية ولو بلا ريبة ـ ورفعت صوتي :

ـ يا أم عندك خبز .

ـ نعم تفضل ادخل. .

ودخلت الدار .

ـ كم تريد .

ـ منّاً واحداً (٣ كيلوات) .

- هل تريد شيئاً آخر .
- اذا كان لديكم شيء من المرق .
- لبن ومخيض وحليب وجبن كل شيء موجود ولدي زبدة طازجة .
اريد (٥ سير) ٣٧٥٠ غرام» من تلك الزبدة .
فأمرت تلك المرأة ابنتها فأعطتني ذلك .
- كم ثمن هذا .
- الخبز بنصف قران والزبد بقران .
- وأخرجت خمسة أقراص خبز من التنور واعطتني اياها .

كان طحين الخبز من أفضل أنواع القمح البلدي وكل رغيف نصف ذراع ابيض ونظيف . . لم نر من مشهد الى ذلك المكان مثله . . بل كان الخبز في تلك القرى اسود مخلوطاً بغير الطحين .

جئت بالخبز والزبد الى صاحبي وقلت له : انت قد شربت عدة اكواب من الشاي .

أخرج الطاسة . . الخبز ما يزال حاراً اثرده لقمة لقمة وضعه في الطاسة مع الزبد واخلطهما معاً لتذوب الزبدة وتنفذ في الخبز (وعندها نأكله) وأكون انا قد تناولت كوب شاي ودخنت .

قال : هذا الخبز بهذه الروعة الذي لم أر مثله إلا في قوچان . . من أين جئت به .

قلت : من ما وراء الطبيعة .

قال : تمزح . قلت : أنت فكر وقسِّم هل رأيت في هذه القرى - ما عدا حوالي طبس - لبناً أو مخيضاً طازجاً وهل رأيت زبدة على الاطلاق ولو قذرة ومليئة - بالشعر . . فضلاً عن هذه النظافة . . وهل رأيت في مثل هذه القرى ثوراً أو بقرة . .

وهذه القرية لنفترض أنك لم تسأل كل أهلها . . فهؤلاء اليزديون سألوهم

وهم أعرف مني ومنك بهذه القرية. . ومع ذلـك رجعوا يـائسين وصفر اليـدين والآن انظر في أي وضع هم من اجل تأمين طعامهم وأي محشر كبير امامك. . .

لست مقتنعاً. . احدد لك مكان البيت فهل تجده. . أو إذا وجـدته فهـل تجد تلك الأم وذلك التنور الحامي .

الخبـز والزبـد والعجين والمخيض واللبن كله من الجنـة. . اين سمعت بمنين من الخبز بقران واين سمعت بمنٍّ زبدة بثمانية قرانـات وفي واد غير ذي زرع. . الا تحتمل أن الله أخر هؤلاء اليزديين الليلة هنا لنستريح قليلاً ونرحـل معهم صباحاً حتى لا تهلكنا حصباء الطريق والآن كل هذا الطعام اللذيذ واشكر الله «فإن الله لمع المحسنين» .

قال: إنه واقعاً لذيذ جداً. .

قلت: الا إن جزءاً من لذته بسبب أنه مختص ومنحصر بنا. . حتى اذا لم ننتبه لذلك لأن الوجود الارتكازي للأشياء مؤثر أيضاً. . إن جميع موجبات اللذة والسعادة في هذا العالم هي فقط اضافات واختصاصات. . والوجـود الخارجي للأموال من درهم ودينار وحديقة وما شابه لا توجب لذة لك وسعادة ما لم تضف إليك وتختص بك. . وبمجرد أن تصبح لك وتختص بك ترقص طربـاً. . وإذا كان الانسان مؤمناً شكر الحق . . واذا تلف شيء من مختصاته فلا تذهب نفسه حسرات .

حتى أنه لو فرض أن كل بني البشر رزقهم الله نعمة على حد سواء ودونما ذرة من تفاوت في أي من النعم لما كان احد يشعر بلذة سعادة. . وفضـلاً عن ذلك لما كان احد يشكر الله. . سئلت الاسماك عن الماء فقالت لم نر ماءً ابداً ذلك لأن الماء يغمرها جميعاً وعندما تقع سمكة على اليابسـة عندهـا تدرك أن الماء نعمة عظيمة لها كما قيل:

تعرف الأشياء بأضدادها .

ولعل احدى اسرار وحكم التفاوت بين الأفـراد في نعم الحق تعالى هي

المعرفة والشكر .

تناولنا طعامنا . . وتمددنا نستريح ـ كنا ندخن وعيوننا مشدودة الى السماور واليزديين وهم يحضرون طعامهم والعلف .

الـــرزق مقســوم فــلا تــرحــل لـــه   والمــوت محتوم فـلا تحفـل بـه[١٢]

* الشيخ محمد تقي البافقي:

بعد اطلاق سراحه من سجن رضـا بهلوي أبعد العـالم المجاهـد الشيخ محمد تقي البافقي الى الري (جنوب طهران) .

كان البافقي رحمه الله ذات يوم جالساً في منزله فإذا برئيس شرطة المنطقة قد دخل وبعد السلام والإذن بالجلوس جلس قرب الباب وقال:

ـ مولانا أنا مأمور من قبل رؤسائي أن أوفر لك ما تحتاجه وانفذ طلباتك .

فغضب البافقي وهو الموحد المتوكل على الله وقال:

ـ ومن أنت حتى تدعي تنفيذ جميع طلباتي وقضاء حوائجي .

ـ أنا رئيس الشرطة .

ـ إن حاجتي الآن أن تظهر غيمة في هذه السماء الصافية المشمسة وتمطر لتبل الأرض فهل تستطيع أن تحقق ذلك .

ـ كلا لا استطيع .

رؤساؤك هل يستطيعون .

كلا

ـ ورؤساؤهم كيف . . الشاه نفسه هل يستطيع

ـ كلا لا يستطيع احد منهم ذلك .

---

(١٢) سياحة في الشرق/١٣٣/١٣٨ .

ـ إذن ما دمت تعترف بعجزك وعجز كل مسؤولي المملكة وتعترف باستجدائهم . . كيف تريد أن تؤمن حوائجي . . وماذا يمكنني أن أطلب من مسؤولي المملكة العاجزين وغير القادرين .

قم ولا تتكلم بعد بألفاظ الشرك هذه فقام رئيس الشرطة خجلاً وايقن أنه لا يمكنه التأثير بشيء على مثال التوكل والتوحيد هذا(١٣) . .

* توكل آية الله البروجردي واخلاصه :

يقول الشهيد الاستاذ مطهري رحمه الله :

«في السنوات الأولى لمجيء المرحوم آية الله البروجردي اعلى الله مقامه وبنتيجة المرض من بروجرد الى طهران ومنها الى قم واستقر فيها على أثر طلب الحوزة العلمية . . بعد عدة اشهر من اقامته في قم جاء الصيف وعطلت الحوزة . . فقرر عليه الرحمة السفر الى مشهد للزيارة لأنه أيام اشتداد مرضه كان قد نذر أن يزور الامام الرضا (عليه السلام) اذا منّ الله عليه بالشفاء وقد عبر عن رغبته هذه في مجلس خاص وسأل اصحابه من منكم يذهب معي . . قال الحاضرون نرى ونخبركم وتقرر أن تعقد جلسة في غيابه للتشاور وأخيراً قرروا أن المصلحة في عدم السفر من قم الى مشهد وكان السبب الأساسي هو أن آية الله البروجردي حديث عهد بقم وما يزال الناس في سائر المدن الواقعة في الطريق لا يعرفون هذا الرجل العظيم حق المعرفة ولذا فلن يهتموا باستقباله واحترامه كما ينبغي .

قرروا بناءً على ذلك أن يحولوا بين السيد والسفر . . إلا أنهم كانوا يعلمون أنه لا يمكنهم طرح السبب الحقيقي على السيد ـ فاتفقوا على ذكر اعذار أخرى من قبيل أنه أجريت له عملية جراحية قريباً والسفر بالسيارة هذه المسافة الطويلة قد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه (ولم يكن آنذاك بين مشهد وطهران طائرة أو قطار) .

---

(١٣) مجاهد شهيد حاج شيخ محمد تقي البافقي/ ١٢٥ .

وفي جلسة اخرى ذكر المرحوم أمر السفر مجدداً فحاول الأصحاب أن يثنوه.. وفي النهاية كشف أحد الحاضرين عن السبب الحقيقي من وجهة نظر الطلاب والأصحاب.

وعندما أدرك السيد هدفهم الاساس فما كان منه وهو مثال التوكل والاخلاص رحمه الله إلا أن بدا عليه الغضب وقال بلهجة حادة وروحانية:

لقد اخذت من الله سبعين سنة من العمر وقد منّ الله علي بتفضلات ليس فيها شيء بسبب تدبيري.. كنت اسعى دائماً أن اعرف واجبي لأؤديه الآن وبعد سبعين سنة ليس من المناسب أن اهتم انا بأمري وافكر بشؤوني الشخصية.. كلا سأذهب(١٤).

(١٤) إمداد هاي غيبي درزندگي بشر ٨٩ ـ ٩١ بتصرف.

* القسم الثالث عشر...

* الإباء وعزة النفس...

* من الامور المهمة لكل مسلم . . وتشتد أهميتهـا بالنسبـة للروحاني ، مسألة الإباء وعزة النفس وصرف النظر عن مال هذا وذاك وثروته . . وبرعايـة هذا الأصل الاساسي يستطيع المرء أن يصون كرامته ويحفظ عزته الأمر الذي يمكنه أن يبقى متحرراً من قيود الرق والعبودية لزيد وعمرو .

من يطمع بمال الآخرين وعطائهم . . ويتقبل هداياهم ـ طبعاً في كثير من الموارد لا دائماً ـ فهو في الحقيقة يذل نفسه ويحطم عزته الاسلامية والايمانيـة ويقضي على شخصيته .

وژانما اعتبرت مراعاة هـذا الأصل اكثـر أهمية بـالنسبة للروحـاني فلأن الروحاني لا يمكنـه أن يأمـر بالمعـروف وينهى عن المنكر ويـذب عن حياض الاسلام ويقف في وجه الخـائن بشجاعـة إلا إذا كان لم يتحمـل منه أحـد . . ليمكنه التصدي دون أن يدخل في حسابه أن مصالحه الشخصية تتعرض للخطر ويقوم بواجبه الإلهي . . وإلا فإنه يبقى عاجزاً عن القيام بواجبه الأصلي الذي هو صيانة حدود الاسلام وهداية المجتمع الى التكامل والسمو . .

ومن هنا فإن كثيراً من العلماء الكبار والواعين ـ لمختلف أبعاد المسائـل ـ كما سنرى ـ كانوا يرفضون هدايا أصحاب المناصب والأثرياء التي تشكل في الحقيقة وثيقة عبودية ذلك العالم لصاحب تلك الهدية وكانوا يرفضونها بكل جرأة ودون اي تردد .

وفي الروايات نجد ذماً كبيراً لهذه الصفة السيئة. . قبول هذا النوع من الهدايا كما نجد وصفاً لها «بالعبودية الدائمة» كما وصف الطامع بأنه رهن الذلة والصغار[1] .

جاء في الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام):

لنقل الصخر من قلل الجبال ... احب الي من منن الرجال
وذقت مرارة الاشياء طراً ... فما طعم امرّ من السؤال
ولم أر في الخطوب اشد هولاً ... واصعب من مقالات الرجال[2]

وهكذا يتضح أن من الواجبات الحتمية على الروحاني أن لا يعمد في تدبير معاشه الى مديد الطمع لهذا او ذاك ولا يحني رقبته لأي شخص سواء كان أهلاً لذلك أم لم يكن. . بل إذا أراد شخص أن يدفع إليه مالاف ابتداءً ودون طلب منه. . فإن عليه أن يرفض ذلك إلا في موارد خاصة مستثناة وتأتي الاشارة اليها في آخر هذا القسم .

*** يقول الشهيد الثاني:**

«فمما يلزم لكل واحد منها (العالم والمتعلم) بعد تطهير نفسه من الرذائل المذكورة وغيرها توجيه نفسه الى الله تعالى والإعتماد عليه في أموره وتلقي الفيض الإلّهي من عنده (. . .) ولا يعتمد على الاسباب فيتكل اليها وتكون وبالاً عليه ، ولا على أحد من خلق الله تعالى بل يلقي مقاليد أمره الى الله تعالى في أمره ورزقه وغيرهما يظهر عليه حينئذٍ من نفحات قدسه ولحظات أنسه ما يقوم به أوده ويحصل مطلبه ويصلح به أمره وقد ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): ان الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه خاصة عما ضمنه لغيره بمعنى ان غيره يحتاج الى السعي (. . .) وطالب العلم لا يكلف

---

(١) الطمع رق مؤبد ، نهج البلاغة الحكمة رقم ١٨٠ ، والطامع في وثاق الذل الحكمة رقم ٢٢٦ .

(٢) ديوان أمير المؤمنين (عليه السلام) ولعل العجز الأخير «أصعب من ملاحاة الرجال» .

بذلك (. . .) إن أحسن النية وأخلص العزيمة. .

«وعندي في ذلك من الوقائع والدقائق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بي وجميل معونته منذ اشتغلت بالعلم وهو مبادي عشر الثلاثين وتسعماءة الى يومي هذا وهو منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وتسعماءة. . وبالجملة ليس الخبر كالعيان. .»[٣]

نستنتج مما تقدم أن «العالم الديني والروحاني عموماً يجب أن يتحلى بالإباء وعزة النفس. . أن يترفع عن السفاسف فيبقى غنياً ـ بقناعته ـ مرفوع الهام محلقاً في الأعالي . . لا يصح أن يرخص طالب العلم الديني والعالم مقامه الروحي ومتاعه المعنوي في مقابل ما في أيدي الناس. . وفي نفس الوقت الذي يحرص فيه على أن يكون متواضعاً. . يجب أن يكون عزيز النفس أبياً وعفيفاً»[٤] .

يجب أن لا تخدعه ثروة هذا او ذاك أو جاهه أو منزله وسيارته الخ . .

وكلما وسوس له الشيطان قائلاً: أنظر إلى الآخرين. . أية حياة مرفهة يعيشون وأنت منذ سنين متمادية حليف الجوع أليف الفقر والفاقة. . فليترنم بتأمل وتعمق شديدين بهذه الآيات:

* **﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء وما كانوا منظرين﴾[٥]﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾[٦]** .

* كان أحد الطلبة يقول:

كلما نظرت إلى رفاهية أهل الدنيا. . وتألمت نتيجة ذلك لوضعي وكاد

(٣) منية المريد / ٦١ وقد تقدم إيراد النص ولعل إعادته هنا لفائدته الهامة في البابين .
(٤) عن كتاب «بيداء گران أقليم قبله» / ٥٢٠/٢٢١ .
(٥) سورة الدخان، الآيات (٢٥ ـ ٢٩).
(٦) سورة الزخرف الآية (٨٣).

الشيطان آن يجرني إلى الركون إليهم ألجأ إلى قراءة هذه الآيات والتفكير فيها. . فتغلب علي حالة من الإنصراف عن الدنيا والشوق إلى عالم الآخرة لا يحدها وصف ولا بيان. .

* الشيخ الأنصاري رحمه الله:

يروى أن تجار بغداد جمعوا مبلغاً كبيراً. . من أجل أموالهم» وخصصوه للشيخ الأنصاري. . سلموا المبلغ لأحدهم وأرسلوه الى النجف وطلبوا منه أن يقول للشيخ:

هذا المبلغ ليس من الحقوق الشرعية ، الخمس ، الزكاة ، أو مظالم العبادة حتى تستشكل بالاحتفاظ به لنفسك إنه من «أصل» أموالنا ونحن نبهه لك لتوسع على نفسك لأنك في سن الشيخوخة ووضعك الإقتصادي كما تعلم. .

ؤرغم إصرارهم. . لم يقبل الشيخ هذا المبلغ وقال:

«أليس هي خسارة كبرى لي أني بعد أن أمضيت عمري فقيراً أجعل نفسي الآن غنياً. . وأمحو إسمي من طومار الفقراء وسجلهم. . . فأحرم في يوم الجزاء من ثوابهم»[7] .

* وقد دفع أحد أثرياء إيران على أبواب سفره إلى الحج مبلغاً من المال إلى الشيخ الأنصاري ليبني به أو يشتري بيتاً لسكنه. . إلا أن الشيخ بسبب عزة نفسه وإبائه لم يصرف ذلك المبلغ في شؤونه الخاصة وإنما صرفه جميعه في شراء أرض وبناء مسجد عليها وهو أحد المساجد المعروفة في النجف الأشرف باسم مسجد الشيخ الأنصاري وله اسم آخر شائع بين الناس هو مسجد الترك .

وعندما رجع ذلك الثري من الحج أراه الشيخ الأنصاري ذلك المسجد وقال له هذا هو منزلي الذي كنت أنت السبب فيه[8]» .

---

(٧) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/٨٦ .

(٨) نفس المصدر ٤٣٥ ـ الصدر .

* وفي زمن مرجعية الشيخ الأنصاري ، أراد أخوه الشيخ منصور الأنصاري السفر الى مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) للزيارة. . وعندما عزم على السفر قال له الشيخ :

في هذا السفر ستلتقي شئت أم أبيت بالشاه وأمراء دولة إيران. . ولكن إحذر أن تفقد عزة نفسك فتقبل منهم مالاً وتصبح بذلك عبداً لهم. . وإلا . . إذا قبلت منهم شيئاً ـ فلا تدعني أراك. . أو بعد رجوعك من مشهد إبق في دزفول»[٩] .

* مؤلف نهج البلاغة:

«كان الشريف الرضي رحمه الله شديد الإلتزام بمباديء الدين الحنيف. . وأحكام الشريعة. . فكان شديد الاجتناب للتملق والمداهنة. . لا يتجاوز أبداً الحقيقة في قصائده التي مدح بها الخلفاء العباسيين أو السلاطين الديلميين أو وزراءهم والعلماء المعاصرين وأصدقاءه. . . ورغم كل الروابط التي كانت تربطه بهم فإنه لم يقبل صلة أحد منهم. . وقد رد صلات بهاء الدولة الديلمي عدة مرات. . بل انه لم يقبل حتى صلة أبيه ، وكان كريماً جواداً. . خصوصاً بالنسبة الى العلماء والسادة»[١٠] .

يقول ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة في أول الجزء الأول من شرح النهج : «وكان عفيفاً شريف النفس ، عالي الهمة ، ملتزماً بالدين وقوانينه ، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ، حتى أنه ردَّ صلات أبيه ، وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف»(أي شدة منع لنفسه) فأما بنو أبويه فإنهم اجتهدوا على قبول صلاتهم فلم يقبل»[١١] .

---

(٩) المصدر.
(١٠) السيد الرضي ، مؤلف نهج البلاغة/٢٣ ـ ٢٤ بتصرف .
(١١) شرح النهج ١/٣٣ .

* يقول أحد الوزراء المعاصرين للسيد الرضي رحمه الله :

ولد للسيد الرضي مولود ، فأرسلت إليه ألف دينارٍ في طبق ، على ما هو المتعارف في مثل ذلك ، فردَّه الرضي قائلا: الوزير يعلم أني لا أقبل من أحدٍ شيئاً . .

أرسلت ذلك الطبق ثانية وقلت: إن هـذا المبلغ للمولـود ولا علاقـة لك به ، فردَّه ثانية وقال: أطفالنا أيضاً لا يقبلون من أحد شيئاً . . أرسلته إليه ثـانية وقلت: إعط هـذا المبلغ للقابلة ، فـرده وقال: «إننـا أهـل بيت لا نـطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنـا يتولين هـذا الأمر من نسـائنا ، ولسن ممن يـأخذ أجـرة ، ولا يقبلن صلة» أرسلته اليـه رابعة وقلت: هـذا للطلاب الـذين يدرسون عندك فقال السيد الرضي: ها هم الطلاب جميعاً حاضرون . . ليأخذ كل منهم ما يريد . .

عندها قام أحد الطلاب وتناول ديناراً واقتطع منه مقداراً احتفظ به ثم رد الباقي إلى الطبق . .

وسأله السيد الرضي عن سبب ذلك ، فقال:

احتجت البارحة شيئاً من الزيت للمصباح ولـم يكن المتولي لنفقة المدرسة موجوداً فاستدنت من البقال حاجتي من الزيت . . وقد أخذت هذا المقـدار من الدينار لأداء ديني هذا . . ثم رد الطبق . .

هكذا كان العلماء الربانيون والطلاب الروحانيون بهـذه الدرجـة من عزة النفس والإباء وعلو الهمة[١٢] .

* يقول مؤلف ريحانة الأدب . . وكذلك في «قصص العلماء» بعد نقل ما تقدم :

---

(١٢) بيدار گران أقاليم قبله/٢٢١/٢٢٢ وجواب الشريف في المرة الثالثة منقـول عن شرح النهج ١/٤٠ .

بعد ذلك أمر السيد بأن يكون مع كل طالب من طلاب المدرسة مفتاح لصندوق مالية المدرسة ليأخذ حاجته عند الضرورة ، ولا يضطر لمراجعة المسؤول عن ذلك»[١٣] .

* لم يقبل هدية الملك:

جاء في ترجمة الفيلسوف الكبير الملا هادي السبزواري رحمه الله أنه لشدة عزة نفسه لم يكن يطلب من أحد شيئاً ، ولم يكن يقبل الهدايا أصلاً . . وأمضى عمره بمنتهى الزهد والتقوى والصدق والصفاء وعدم التكلف ومنتهى عزة النفس . . لم يكن يهتم بأحد من الأعيان والأغنياء . .

زاره الشاه ناصر الدين في بيته بسبزوار وجلس على الحصير التي كانت فراش غرفة تدريسه وطلب منه تأليف كتاب في أصول الدين . .

ثم أرسل إليه في ما بعد مبلغ خمسمائة توماناً ـ وكانت آنذاك مبلغاً كبيراً ـ إلا أن هذا الرجل الأبي لم يقبلها وأمر أن يصرف نصفها على الطلاب والنصف الآخر على الفقراء موصياً أن يعطى السيد الهاشمي ضعف ما يعطى لغيره . .[١٤] .

* **الملك والحكيم:**

وينقل الشهيد مطهري (رضوان الله عليه) تفاصيل وافية عن لقاء الشاه ناصر الدين بهذا الحكيم الإلّهي فيقول:

في سفره الى خراسان ، كان الشاه ناصر الدين يستقبل من مختلف قطاعات الناس في كل مدينة يصلها . . ثم يشيعونه عندما يخرج . . إلى أن وصل إلى سبزوار ، فاستقبلته مختلف قطاعات أهلها . . وكان الشخص الوحيد الذي لم يستقبله ولم يزره بحجة ، أنه معتزل . . هو الحكيم والفيلسوف والعارف

---

(١٣) ريحانة الأدب/٣/١٢٢ .

(١٤) ريحانة الأدب/٢/٤٢٣/٤٢٤ .

المعروف الملا هادي السبزواري . .

ومن عجيب القضاء أن الشخص الوحيد الذي كان الشاه يفكر برؤيته عن قرب في هذا السفر هو هذا الرجل الذي كان صيته قد انتشر تدريجياً في جميع أنحاء ايران . . وكان الطلاب ينثالون عليه من مختلف الجهات . . حتى شكل حوزة علمية عظيمة في سبزوار . .

الشاه . . الذي تعب مما سمع ورأى من التزلف والتملق . . قرر أن يذهب بنفسه لزيارة الحكيم . . قيل للشاه : الحكيم لا يعرف شاهاً ولا وزيراً . .

قال الشاه : ولكن الشاه يعرف الحكيم . .

أخبروا الحكيم بالأمر وتم تحديد موعد . . وذات يوم قريب الظهر توجه الشاه مع أحد خدمه إلى منزل الحكيم . .

كان البيت عادياً جداً . . والمحتويات مثله . . وأثناء الحديث قال الشاه :

لكل نعمة شكر . . شكر نعمة العلم التدريس والإرشاد ، شكر نعمة المال الإعانة والإغاثة . . شكر نعمة السلطنة طبعاً قضاء الحوائج لهذا فإني أرغب أن تطلب مني شيئاً لأوفق للقيام به .

ـ ليست لي أية حاجة ولا أريد شيئاً .

ـ سمعت أن لك أرضاً زراعية ، اسمح لي أن آمر بإعفائها من الضريبة .

ـ في سجلات مالية الدولة ، يحدد المبلغ الذي تدفعه كل مدينة . . والتغيير الجزئي لا يغير شيئاً من ذلك ـ إن لم يأخذوا هذا المبلغ مني أخذوه من غيري حتى لا ينقص المبلغ المحدد عن سبزوار . . والشاه لا يرضى أن يكون التخفيف عني أو إعفائي سبباً في فرض مبلغ على الأيتام والعجائز . .

بالإضافة إلى أن الدولة التي من واجبها حفظ أرواح الناس وأموالهم وتترتب عليها نفقات يجب تأمينها ونحن ندفع ما يترتب علينا من رضى ورغبة . . .

قال الشاه : أرغب في تناول طعام الغداء في خدمتكم ومن طعامك الذي تأكله عادة . . فلو تأمر أن يأتوا بطعامك .

ودون أن يتحرك الحكيم من مكانه صاح: أحضروا طعامي..

وبسرعة جاؤوا به.. طبقاً من الفخار عليه عدة أقراص من الخبز وعدة ملاعق مع إناء مخيض وكمية من الملح.. وضعوه أمام الحكيم والشاه..

قال الحكيم: كل فإنه خبز حلال زراعته وحراثته بتعبي أكل الشاه لقمة.. إلا أنه رأى أنه لم يعتد أكل مثل هذا الطعام بل هو عنده لا يؤكل فطلب من الحكيم أن يأذن له ليحمل معه قليلاً من ذلك الخبز تيمناً وتبركاً.. وبعد لحظات غادر الشاه منزل الحكيم تتملكه الحيرة والدهشة..[١٥].

*** صاحب الحدائق رحمه الله:**

في معرض ترجمته لنفسه يقول العالم الكبير الشيخ يوسف البحراني مؤلف الكتاب العظيم «الحدائق الناضرة»:

«حتى عصفت في تلك البلاد ـ شيراز ـ عواصف الأيام التي لا تنيم ولا تنام فغرقت شملها وبددت أهلها (...) فخرت منها إلى بعض القرى (..) فبقيت فيها مشتغلاً بالمطالعة، وصنفت هناك كتاب «الحدائق الناضرة» إلى باب «الأغسال» وأنا مع ذلك مشتغل بالزراعة لأجل المعاش والكف عن الحاجة إلى الناس»[١٦].

*** أكل الخبز من العمل الخسيس، أفضل من منّة الرئيس:**

أمضى الشيخ الرئيس ابن سينا مدة طويلة من عمره في المجال السياسي والوزارة.. وهذا من جملة ما عابه عليه العلماء من بعده.. قالوا: لقد صرف أكثر وقته في هذه الأمور، مع أنه كان باستطاعته بحكم الطاقات والمواهب التي يمتلكها أن يكون أكثر نفعاً وفائدة..

ذات يوم كان الرئيس ابن سينا ماراً في موكبه بأبهته وضجيجه وخدمه

---

(١٥) داستان راستان/٢/٦٨ ـ ٧١.

(١٦) لؤلؤة البحرين/٤٤٥.

وعلمائه ، فصادف في الطريق شخصاً كناساً يكنس الأرض. . وابن سينا معروف بقوة السمع حتى حكيت عنه في ذلك الأساطير. . كان ذلك الكناس يردد لنفسه بيتاً من الشعر مضمونه: لقد أعززتك أيتها النفس كي تمر عليك هذه الدنيا بيسر وسهولة». .

ضحك ابن سينا لأن هذا الرجل يكنس ويمن على نفسه بأنه احترمها وأكرمها حتى لا تعاني صعوبات الدنيا وشدائدها. .

لوى ابن سينا عنان فرسه وتقدم منه قائلاً:

للإنصاف. . لقد احترمت نفسك كثيراً. . فلم تجد أفضل من أن تختار هذا العمل الشريف!

وأدرك الكناس من قرائن الحال أن هذا الشخص وزير ، فقال له جملة. . تصبب منها ابن سينا عرقاً من الخجل ثم مضى ولم يعقب. .

قال الكناس:

«أكل الخبز من العمل الخسيس أفضل من مِنَّة الرئيس»![17] .

* طالب علم ديني في أيامه الأولى:

يتحدث آية الله نجفي قوچاني رحمه الله عن عزة نفسه. . في معرض حديثه عما جرى بينه وبين أبيه عندما قرر إرساله لطلب العلم الديني فيقول:

«إذا ذهبت الى المدرسة فسأبقى جالساً. . الطعام لا يهضم. . ويجب أن تبقى عيناي مسمرتين إلى الكتاب حتى منتصف الليل. . من جهة سأتجرع غصة عدم فهم الدرس ومن جهة أخرى غصة المورد المالي. . ثم بعد مدة لن أبقى قريباً منكم وسأكابد مرارة البعد عن الوطن لا أنيس ولا معين. . فإذا لم أمت فمن المقطوع به أنني سأصبح أكثر ضعفاً مما أنا عليه الآن ، لن أستطيع ممارسة

---

(١٧) تعليم وتربيت در إسلام/٢٧١ ـ ٢٧٢ .

الزراعة وما شابه . .

ولنفترض أني رجعت سالماً وأصبحت مجتهداً وملأت جرابي من العلوم إلا أني لا أقوى على العمل . . ويقيناً لن أطمع بما في أيدي الآخرين لأني أعتبر المشايخ الذين يطمعون بما في أيدي غيرهم أو يكون لهم أدنى توقع من الغير في متن الكفر أو هامشه . . وحتى إذا متُّ فلن أفعل شيئاً من ذلك . .

وقد قرأت في مدرسة «المائة كلمة» أن علياً (عليه السلام) قال: «ذل من طمع» ولن أرضى أبداً لنفسي الذل . .

يضيف مخاطباً والده: آنذاك جنابك إما أن تكون موجوداً ولكنك عاجز أو لا سمح الله لا تكون موجودا . . فماذا سيفعل آنذاك هذا الإبن النشيط الذي يجيد العمل . . بعد أن تكون حولته بنتاً عمياء عرجاء . . قال: وهل الله تعالى غير موجوداً آنذاك . .

ـ: الله موجود دائماً . . لكن جاء في كتب التاريخ أن الله قتل سبعين نبياً من أنبيائه بين الصفا والمروة أو الركن والمقام من شدة الجوع ولم يتداخله الحزن عليهم . .

ـ: إذا كان الله تعالى قدَّر أن تموت أنت من الجوع فسيقتلك به حتى إذا كانت صولتك ودولتك ملء السمع والبصر . . قم إذهب وافعل ما قلت لك في النهار تذهب إلى غرفة أستاذك للدرس وترجع ليلاً للمبيت في منزل صديقنا . .

ـ على عيني . . في أمان الله .

ذهبت . . مصطحباً معي ذلك الكتاب الذي اشتريته بأربعة ريالات قلت بسم الله وتوجهت إلى المدرسة . . كان عمري آنذاك ثلاث عشرة سنة بالتحديد سنة ١٣٠٨ هـ .ق قبل وفاة الميرزا الشيرازي الكبير بأربع سنوات[١٨] .

وفي مكان آخر يتحدث السيد القوچاني النجفي رحمه الله عن مجريات

---

(١٨) سياحت شرق/٤٤ ـ ٤٥ .

دخوله إلى النجف الأشرف فيقول: «باختصار.. في الثلاثة ـ الأربعة أشهر الأولى صرت «لا ،لا» من جميع الجهات ، لا مأوى لا ثياب . لا طبخ ، لا طعام ، لا أنيس..

وكان دأبي الطبيعي.. كتمان أمري وعدم إظهار حاجتي حتى عن الله المتعال ، وعلي (عليه السلام).. وما يزال.. (المقصود المبالغة في الكتمان وللسيد القوچاني أسلوبه الخاص) لأني كنت أعتبر اظهار حاجتي للمخلوف ولو للتسلية إحدى درجات الكفر.. والحديث عنها مع الخالق والأولياء منافياً للتسليم..

كنت أعتبر من واجبي سُنَّة السكوت الحسنة ، أحترق وتكيف..

وكنت شديد الحساسية من الشكوى إلى حد أنها ان صدرت من غيري.. استبدَّ بي الغم.. وقد صبرت حتى تبدلت مرارة هذا الصبر والجوع بالحلاوة والمنِّ والسلوى..

كانت دواعي سعادتي فقط فهم درس الآخوند الخراساني وكتابته وزيارة حضرة الأمير (عليه السلام) والتمرغ على أعتابه.. حتى أني كتبت رسالة ألقيتها في الضريح وخلاصة ما فيها أني اريد أن أراك أو أرى ابنك حجة العصر (عليه السلام) ونظمت بيتين من الشعر في مدحه»[١٩] .

*** ماء وجه القناعة والفقر:**

كتب الشهيد مطهري رحمه الله حول العالم الحر الميرزا عسكري الشهيدي ما يلي:

كان المرحوم العسكري مشهوراً بالتحرر وصراحة اللهجة .. ورغم أنه كان في غاية الفقر.. فلم يكن يقبل من أحد شيئاً وقد اطَّلع على فقره أحد من علماء طهران فأخبر بذلك بعض المسؤولين من ذوي المناصب العليا.. وهكذا

(١٩) نفس المصدر/٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

تم تحديد راتب شهري معتدٍّ به. . أخذ ذلك العالم أمر الصرف وأرسل معه رسالة إلى المرحوم العسكري. .

وبعد أن اطلع على الرسالة تألم كثيراً من صديقه الطهراني فكتب على مغلف الرسالة: «نحن لا نريق ماء وجه القناعة والفقر» ثم أرسل إليه الرسالة وما فيها[٢٠]. .

* المحدث القمي:

في إحدى السنوات طلب أحد المحسنين من المحدث القمي أن يقبل التزامه بدفع مبلغ خمسين ديناراً عراقياً بأزاء مجلس وعظ المحدث وخطابته وكان مصرف المحدث آنذاك شهرياً ثلاثة دنانير. . الا أنه رغم ذلك قال لهذا المحسن:

أنا ارتقي المنبر لأجل الإمام الحسين (عليه السلام) ورفض قبول ذلك المبلغ[٢١].

* المرجعية الشيعية:

«في السنوات الأولى من مرجعية المرحوم آية الله البروجردي أعلى الله مقامه. . أرسل أحد تجار طهران المعروفين والمتدينين حوالة بمبلغ مالي كبير في ورقة عادية سلمها لشخص قادم الى قم ليوصلها الى السيد البروجردي. .

وعندما أمسك السيد بالورقة رمى بها جانباً وقال:

من الآن وصاعداً «لا ترسلوا لنا هذا النوع من الحقوق الشرعية. . أنتم تتصورون أنكم تمنون علينا. . الحوزة أشرف وأعز وأكثر احتراماً من أن توجه لها مثل هذه الإهانة.

---

(٢٠) خدمات متقابل إسلام وإيران/ ٦١٥.

(٢١) حاج شيخ عباس قمي مروتقوا وفضيلت/ ٤٦ ـ ٤٧.

بعدها جاء ذلك التاجر الى قم وقدم اعتذاره الشديد. . إنه لفخر للمرجعية الإسلامية الشيعية أن لا تخضع لمراكز القدرة. . ولا للناس بل إن الناس بدافع عقيدتهم يؤدون واجباتهم ويدفعون الحقوق الشرعية المترتبة عليهم(٢٢) .

*** الوحيد البهبهاني رحمه الله:**

يحكى أن العالم العامل الشيخ رضا الأسترابادي قال:

أيام إقامتي في كربلاء والتشرف بملازمة الوحيد البهبهاني. . جاء أحد التجار للزيارة وأحضر قطعة قماش ثمينة هدية لسماحته. . وحيث أنه كان قد سمع أنه لا يقبل شيئاً من أحد. . فقد حاول أن يجد الطريقة المناسبة ليقبلها منه. .

قال له الطلاب: إذا توسط لك في قبول الهدية الشيخ رضا الاسترابادي فقد يقبلها الشيخ الوحيد لأنه يحبه ويكرمه. .

ولأني كنت يائساً من عدم قبول الأستاذ لهديته فقد رفضت طلبه. . إلا أنه بالغ في الإصرار. . ووعدني إذا نجحت في اقناع الأستاذ أن يعطيني قطعة قماش لي. .

قلت: في نفسي: فلأحاول. . إذا قبل الأستاذ الهدية. . أكون قد قضيت حاجة مؤمن. . وحصلت على هدية. . والا فلن يصلني ضرر. .

أخذت الهدية وقصدت منزل الأستاذ. . كان الوقت ظهراً والحر شديدا. . طرقت الباب. . جاء الأستاذ بثياب الاستراحة وفتح الباب وعندما رآني سألني عن سبب مجيئي فقلت بخجل: أحضر رجل مؤمن قطعة قماش هدية لك بنية أن تلبسها وهو يتمنى قبولها. .

وقبل أن أكمل كلامي بدت عليه علامات الغضب الشديد وقال: تصورت أنك في هذا الحر تركت عملك وشغلتني عن بحثي العلمي من أجل حل مشكلة

---

(٢٢) حكايتها وهدايتها وآثار شهيد مطهري /٩١ .

علمية . . قال هذا وأقفل الباب بسرعة ورجع . .

بقيت مبهوتاً . . وقلت فوراً : مولاي لي طلب آخر . .

فتح الباب وقال : ماذا؟

ـ ذلك الرجل وعدني أن يقدم لي هدية إذا قبلت هديته فلا تجعلني أخسر ذلك . .

عندما سمع ذلك ضحك وقال : بني ادرس ، ولا تصرف وقتك في هذه الأمور العبثية . . ثم قبل الهدية وقال بشرط أن لا تتوسط بعد في مثل هذه الأمور ، ومضى . . وبقيت يتملكني العجب من عظمة نفسه وسجاياه وأخلاقه الحميدة[٢٣] . .

* المصلح الكبير :

جاء في ترجمة السيد جمال الدين اوسد آبادي ، هذا العالم المضحي والمصلح الثائر أنه لم يكف عن نشر دعوته رغم أن كل قوة بريطانيا ومصر استنفرت لمواجهته . . وقد وصل الأمر الى حد أن الخديوي توفيق قرر إبعاده من القاهرة وذات ليلة فيما كان السيد عائداً إلى بيته هاجمته قوات الشرطة وألقت القبض عليه لنقله الى السكة الحديدية لإرساله إلى السويس . .

ولم يكن السيد يحمل أي مبلغ من المال . . وعندما علم القنصل الإيراني بذلك حاول أن يعطيه شيئاً فقال السيد : احتفظ به لنفسك ، أنت أكثر حاجة إليه . . الأسد أينما ذهب يتدبر أمر صيده . .

* الشهيد آية الله قدوسي رحمه الله :

كما كان الشهيد السعيد آية الله قدوسي عزيز النفس أبياً . . كذلك كانت المدرسة الحقانية التي تولى إدارتها . . فقد كان الطلاب يتحلون بعلو الهمة

---

(٢٣) وحيد بهبهاني/١٤٢ .

وشدة عفة النفس . .

وكان رحمه الله يمتنع عن قبول الهدايا العينية التي كان الناس يرسلونها إلى الطلاب أحياناً حتى لا يؤثر ذلك على روحية الطلاب . . كان يربي الطلاب على عزة النفس . . وذات ليلة كنت في بيته فطرق الباب وعندما رجع الشهيد قال : أحد الأشخاص أحضر طعاماً جاهزاً من طهران لطلاب المدرسة فلم يقبله الطلاب وجاء يرجو أن أقنعهم بذلك . . وقد أخبرته بأني لا أتدخل لإقناعهم . .

كان يلتزم بعدم التفريق بين الطالب المجهول والمعروف ابن العالم الفلاني وما شابه . . يعطي الجميع على حد سواء . . ولذلك كان يرفض قبول الهدايا التي تستلزم بعض التبعات والمداراة . . صحيح أن رد الهدايا عادة أمر صعب . . حيث يفسر بعدم احترام المهدي ويتسبب ببعض السلبيات الحادة أحياناً . . ومن الناحية الشرعية يعتبر ذلك مرفوضاً يتنافى مع الخلق الإسلامي . . إلا أن الهدية التي يتوقع صاحبها خدمة ما من الذي أهدى إليه تجعل رقبة الانسان في نير العبودية . ليست هدية في الحقيقة بل هي نوع رشوة تعطى في صورة هدية ليلين المهدى إليه ويقوم بما لا تقره الضوابط . . تحت تأثير العلاقات والروابط . . وأحياناً لا يكون في نية المهدي شيء من ذلك . . إلا أن المهدى إليه يشعر بأنه ـ ولو بصورة لا شعورية ـ سيتعامل مع صاحب الهدية بايجابية أكثر من تعامله مع غيره . . سيوسوس له الشيطان ليميزه عن غيره في مقل هذه الحالة لا يكون قبول الهدية راجحاً . .

ولعل من هذا النوع تلك الهدية المعتد بها ـ حوالي نصف كيلو زعفران ـ التي أرسلها إليه والد أحد الطلاب . . فلم يقبلها رغم الإصرار الكبير . لأنه رأى أنه إذا قبلها وجاء هذا الطالب يطلب إجازة بعد مدة . . أو نقص معدل علاماته في الامتحان . . وما شابه فإن من الصعب أن يتعامل معه كما يتعامل مع الآخرين . . (٢٤) .

---

(٢٤) يادنامهٔ شهيد آية الله قدوسي / ٤١ ـ ٤٢ و٥٠ و١٨٥ ـ ١٨٥٦ .

*** نصيحة عارف جليل:**

المرحوم الشيخ محمد البهاري ، من تلامذة آية الله الشيخ حسينقلي الهمداني الكبار ، ومن الواصلين إلى حريم القرب الإلّهي . . يتحدث عن صفات العالم فيقول:

«الثالث: لا بد أن يكون متوكلاً على مولاه آيساً مما في أيدي الناس فلا يتملق لأحد من الأغنياء ويسمي ذلك تواضعاً ، فإن تواضع الفقير هو التكبر عليهم من حيث أنهم أغنياء .

الرابع: أن لا يداهنهم بالخوض في الباطل طمعاً بما في أيديهم من حطام الدنيا(. . .) .

السابع: ما يعطيه إياه غيره من المال ، إن علم أنه حرام وجب عليه الإمتناع وان علم أنه مشتبه أو حلال فيه منّة فرده له راجح ، وإن علم أنه هدية محلله بغير منّة استحب له القبول تأسياً بالنبي والأئمة عليهم السلام وإن كان من الصدقات وهو مستحق فإن علم أنه يعطي رياءً وسمعة يمكن أن يقال بعدم جواز الأخذ إذا صدق أنه إعانة على الإثم.

وينبغي له التعفف عن السؤال ما استطاع فإنه فقر معجَّل وحساب طويل لعدم خلوِّه من الآفات غالباً إذ هو متضمن للشكوى وذهاب ماء الوجه والذل عند غير الله وإيذاء المسؤول ، وإعطائه استحياءً أو رياءً أو إلجاءً ، أمر يورث شتم السائل وإيذاءه ، إلى غير ذلك من الآفات ، ولذا روي «أن مسألة الناس من الفواحش» .

نعم لو كان في مقام الإضطرار فله ذلك بل قد يجب إلا أن تشخيص درجات هذه المقامات في غاية الإشكال والصعوبة[٢٥] .

---

(٢٥) تذكرة المتقين /١٣٧ ـ ١٣٩ .

* القسم الرابع عشر ..

* التقوى في صرف الأموال العامة...

* للحرص على الأموال العامة و«بيت المال» والدقة والإحتياط في صرفها أهمية خاصة في الإسلام. . وقد حظيت هذه المسألة بأقصى درجات العناية. . وتعتبر دقة قادة الإسلام في شأن بيت المال واحتياطهم وبعد نظرهم من أكثر الأمور عبرة في سيرة هؤلاء العظماء .

ويكشف التأمل في هذا البعد من سيرتهم عن آفاق جديدة . . في عظمتهم وسمو روحهم. .

وقد احتفظ التاريخ بنماذج كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام. . أكتفي هنا بذكر عدة منها من أقوال الإمام علي (عليه السلام) «وأفعاله . . والمأمول أن تكون هذه المواقف وهذه الدرر الثمينة المستقاة من الوحي الإلهي في وضعنا الحاضر درساً للجميع خصوصاً للمسؤولين والروحانيين الذين يراقب الجميع في هذه المرحلة تصرفاتهم ويحسبون لها ألف حساب .

١ ـ يقول الإمام علي (عليه السلام) في إحدى خطبه:

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماني من بُرِّكم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم ، كأنما سُوِّدت وجوههم بالعظم ، وعاودني مؤكداً وكرر علي القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيعه ديني ، وأتبِّع قياده مفارقاً طريقتي ، فأحميت له حديدة ، ثم أدنيتها من جسمه

ليعتبر بها ، فضج ضجيج ذي دنفٍ من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها ، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه؟ وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟!»[1] .

٢ ـ «وقدم عليه عقيل (. .) فقال: أعطني ما أقضي به ديني ، وعجِّل سراحي حتى أرحل عنك قال: فكم دينك يا أبا يزيد؟ قال: مائة ألف درهم قال: لا والله ما هي عندي ولا أملكها ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فأواسيكه ولولا أنه لا بد للعيال من شيء لأعطيتك كله فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوِّفني إلى عطائك. . وكم عطاؤك وما عساه أن يكون ولو أعطيتنيه كله؟

(. . .) فقال له علي: إن أبيت يا أبا يزيد (. . .) أخذت سيفك وأخذتُ سيفي وخرجنا جميعاً الى الحيرة ، فإن بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله فقال: أو سارقاً جئت؟

قال: تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً. .»[2] .

٣ ـ كتب (عليه السلام) كتاباً إلى زياد بن أبيه نائب ابن عباس على البصرة عندما كان ابن عباس حاكم البصرة ومدن الأهواز وفارس وكرمان. . جاء فيه: وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنَّك خُنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر والسلام[3] .

٤ ـ كتب (عليه السلام) إلى عماله:

أدقُّوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم ، واحذفوا عني فضولكم واقصدوا

---

(١) نهج البلاغة ، صبحي الصالح ٣٤٦ ـ ٣٤٧ خ/٢٢٤ .
(٢) بحار الأنوار ٤١/١١٣ ـ ١١٤ .
(٣) نهج البلاغة ، صبحي الصالح ، كتاب/٢٠ .

قصد المعاني وإياكم والإكثار فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار[٤] .

* وقد بذل العلماء الصالحون وما يزالون دقة كبيرة في صرف **«بيت مال المسلمين»** فاجتنب كثير منهم «سهم الامام» و«الشهرية» كالحكيم **المعروف** المرحوم القشقائي ، الذي كان يتفق من إجارة أرض كانت له ، **والمرحوم** المحدث القمي الذي كان يقول: لست أهلاً لآخذ من سهم الإمام وكان **تاجر** متدين يدفع له مبلغاً قليلاً يسد به نفقاته. . والعلامة الطباطبائي ، **والشهيد** المظلوم الدكتور بهشتي والشهيد المجهول القدر القدوسي. . الذي كان يبلغ احتياطه أنه إذا احتاج أن يقترض مبلغاً فإنه لم يكن يقترض من طالب يأخذ «الشهرية» المقررة في الحوزة حتى لا تكون أمواله مختلطة بسهم الإمام (عليه السلام) .

كذلك المرحوم آية الله العظمى الحائري الذي كان زعيم الحوزة في قم وكان مرجعاً مطلقاً وكانت تصله مبالغ طائلة من الحقوق الشرعية. . ورغم ذلك ـ وبناء على ما أورده بعضهم ـ «كان جميع أثاث بيته عند وفاته لا يعادل ١٥٠٠ توماناً وكان مديناً إلا أنه لم يرضَ بتسديد دينه من بيت المال. . وعندما اطلع الدائنون على ذلك سامحوه بكل ما لهم في ذمته» .

بل ذكر الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في إحدى خطبه قبل سنين . . طويلة في بداية مواجهة للطاغوت أن عائلة آية الله الحائري لم تكن تملك ليلة وفاته ثمن طعام العشاء»[٥] .

نعم ، هكذا كانوا. . وهكذا هم الرجال الإلَهيون المؤمنون بالمعاد ومصاديق **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**[٦] .

ورغم ذلك. . لا يكاد ينقضي العجب من بعض الأشخاص الذين

---

(٤) بحار الأنوار ١٠٥/٤١ .

(٥) صحيفة نور ـ ٥٥/١ .

(٦) سورة فاطر، الآية (٢٨).

يغدقون من بيت المال بلا حساب ولا كتاب. . ويؤثرون أقاربهم والمنتسبين إليهم. . ويعيشون من بيت المال والحقوق الشرعية حياة هي مضرب المثل في الترف. . وهكذا يقدمون للناس صورة مشوهة عن العلماء ويسيؤون الى الإسلام والحوزة ويزرعون الإختلاف والتفرقة. . فتباً لهم. .

ومن الجدير بالذكر هنا ما يرتبط بواجب الناس والروحانيين الذين يوصلون الحقوق الشرعية إلى العلماء. . إن عليهم أن يبذلوا دقة كبيرة في من يوصلون إليهم فلا يعطوا هذه الأموال إلى هذا وذاك. . يقول أحد الكتاب المعاصرين:

«إن على الناس أيضاً في هذا المجال مسؤوليات منها:

أن لا يدفعوا الحقوق الشرعية لكل شخص وكل فرد، بل يوصلونها إلى حيث تصرف في حفظ الدين وشؤون الدين. . وباللغة الفقهية يجب أن ينتبهوا إلى رضا الإمام (عليه السلام) بصرفها الذي هو حفظ الدين بكل معنى الكلمة وبقاء انتقاله إلى الأجيال القادمة حتى تبرأ ذمتهم. . ويجب أن ينصب اهتمامهم على المركز الفقهي الاجتاعي الأصيل الذي يخدم الإلتزام الأصيل على مستوى العالم الإسلامي»[٧].

«يجب أن يعرف الطلاب الشباب. . العالم الذي يستحق الترويج بين الناس. . والعالم الذي لا يستحق. . فكما أن ترويج العالم بحق، واجب شرعي وخدمة للدين والمجتمع وتعزيز لحرية المجتمع واستمرار الشريعة. . فإن الترويج للعالم غير الجدير خيانة للإسلام والتاريخ وحصير الإسلام وموقعه. . ولذلك فهو من اكبر الكبائر وأعظم الخيانات للدين الحق ويوم القيامة هؤلاء الذين روجوا لهم ويعاقبون من كل مفسدة ونتيجة سوء ترتبت على رئاسة علماء السوء هؤلاء. . وعن كل وهن لحق بالدين من جراء عدم حسهم الجهادي»[٨].

---

(٧) شيخ آقا بزرگ/٢٤٦.

(٨) بيدارگران أقاليم قبله/١٢٥ ـ ١٢٦. .

وباختصار يجب دفع الحقوق الشرعية إلى العالم الذي يعلم رضا الإمام صاحب العصر سلام الله عليه بدفع الحقوق إليه. . لا إلى الذين قال الشهيد مطهري في أمثالهم قبل عشرين عاماً:

مما يحمل على الأسف الشديد أن الناس يرون بأم العين أن الأولاد والأحفاد والحواشي لبعض الـ . . (كذا) يستغلون الهرج والمرج وعدم النظم في موازنة الحوزات فيختلسون المبالغ الطائلة بحيث أنهم يعيشون سنين متمادية يصرفون بمنتهى الإسراف ولا ينفد ما اختلسوه. .

هل فكرتم. . بمدى إساءة هذه الأمور إلى عالم الروحانية»[9] ولأطو كشحاً . .

*** دقة الإمام (رضوان الله عليه):**

يقول أحد ملازمي الامام في النجف الأشرف:

كان المرحوم السيد مصطفى ابن الإمام ـ الذي أعتقد أنه كان شخصاً لا نظير له ـ يأخذ مصرفه أسبوعياً من الإمام. . ولم يكن الإمام يعطيه أبداً أكثر من مصاريفه الضرورية. . وعندما أراد المرحوم السيد مصطفى التشرف بحج بيت الله الحرام فقد أمن المبلغ الذي إحتاجه من ثمن بيته في النجف ومن مبلغ كان لزوجته كان الإمام يقول دائماً: لا يحق آحد أن يستعمل التلفون إلى خارج النجف. . كان الإمام يأذن باستعمال التلفون داخل النجف أما إلى كربلاء مثلاً وغيرها فلم نكن نستطيع الإتصال لأن الإمام حرم ذلك حتى على ولده قال له: لا يحق لك أن تتصل بطهران ولا غيرها. .

ولكن اذا كان الأمر مرتبطاً بشؤون الثورة لإيصال بيان بواسطة التلفون أو غير ذلك من الإتصالات فقد كان ذلك مسموحاً. .

وفي مجال آخر حول الإقتصاد في استعمال الورق. . ذات مرة كتب أحد

(٩) بحثي دربارهٔ مرجعيت وروحانيت/١٧٦ .

الإخوة ـ وكان المسؤول المالي عند الإمام ـ شيئاً على ظهر مغلف وأرسله إلى الإمام فكتب الإمام الجواب على قصاصة ورق وكتب تحته كان يمكنك الكتابة على مثل هذه الورقة . .

بعدها كان هذا الأخ يجمع قصاصات الورق ويحتفظ بها ليكتب إلى الإمام عليها عند الحاجة . وكان الإمام يكتب الجواب على نفس الورقة .

كثيراً ما اتفق أن يخرج الإمام من داخل البيت الى «البراني» فيرى مصباحاً كهربائياً مضاء دون حاجة إليه فيطفؤه وفي اليوم التالي يؤنب فيقول: لم تركتم المصباح مضاءً . .

كان الإمام متشدداً في مسائل التلفون . . الى حد أن ابن الإمام أجرى مرة عدة اتصالات فاضطر لتهيئة مبلغ ودفعه الى المسؤول المالي قائلاً لقد أجريت عدة اتصالات شخصية[١٠] .

* ويقول أحد أعضاء مكتب الامام ـ في طهران ـ في هذا المجال:

بساطة عيش الإمام . . التي تتلخص في أنها لا تتجاوز ما عليه الفرد العادي من الناس ، شاهدٌ حيٌّ ومعبِّر عن روحه الجماهيرية . . دائماً توجد لدى الامام مبالغ طائلة من الحقوق الشرعية ولكنه يراقب المصاريف بدقة عجيبة . . مراراً حذر أعضاء المكتب بشدة من استعمال التلفون للأمور الشخصية لذلك فإننا في حوائجنا نستعمل التلفون العمومي . .

لا تجد في منزل الإمام مصباحاً واحداً مضاءً دونما حاجة إليه . .

أثناء الوضوء يحرص الإمام على الدقة المتناهية في صرف الماء . . إلى حد أنه كان يقفل الصنبور «الحنفية» في الفترة الوجيزة التي تفصل بين المسح والغسل . . دائماً كان الإمام ينبه الى الدقة في المصاريف . . وأحياناً كان يسأل:

---

(١٠) فرازهائي أز أبعاد روحي إمام/ ٧٤ ـ ٧٥ بتصرف .

لماذا زادت؟ انتبهوا . .[١١] .

*** سطور من نور:**

يقول الإمام الخميني (رضوان الله عليه):

« . . . لأن الفقيه إذا كان همه أن يجمع الحطام لم يكن عادلاً ، ولم يعد مؤتمناً للرسول ومنفذاً لأحكام شريعته[١٢] .

«الذي يعمل ويسعى للحصول على الدنيا ـ ولو في أمر مباح ـ ليس أمين الله ولا يمكن الإطمئنان إليه ـ تكاليف فقهاء الإسلام تختلف عن تكاليف الآخرين . . يجب على فقهاء الإسلام بلحاظ مقام الفقاهة ترك كثير من المباحات والإعراض عنها» «إذا لم تدرسوا لا سمح الله فحرام أن تبقوا في المدرسة . . ولا يمكنكم أن تأخذوا شيئاً من الحقوق الشرعية الخاصة بطلاب العلوم الإسلامية»[١٣] .

*** يطلب من السائل أداء القسم:**

الشيخ ابراهيم الكلباسي رحمه الله المتوفي سنة ١٢٦٢ هـ والذي أوردنا حتىٰ الآن عدة قصص عنه ، كان شديد الإحتياط في الأموال العامة . . فإذا طلب منه فقير شيئاً كان يطلب منه شاهداً على فقره ويطلب منه أداء القسم أنه لا يكذب وأنه لن يسرف في المال الذي سيأخذه منه . . وأنه سيصرف باعتدال ثم يعطيه مصرف شهر[١٤] .

* ويضيف المحدث القمي بعد نقل ما تقدم:

---

(١١) نفس المصدر/٤٦ ـ ٤٧ .

(١٢) الحكومة الإسلامية/٦٩ ـ ٧٠ .

(١٣) نفس المصدر .

(١٤) الفوائد الرضوية/١١ ولا تخلو هذه الطريقة من غرابة كما لا يخفى ولعل له رحمه الله من أحوال الناس حوله ما يبرر ذلك (المترجم) .

جاء شخص الى المرحوم الكلباسي ليدلي بشهادته على أمر مهم فسأله المرحوم:

ما هي مهنتك؟

ـ أغسل الموتى

سأله المرحوم عن أحكام الغسل فأجابه:

قال الكلباسي رحمه الله: عندما نُنزل الميت في قبره نقول له كلاماً معيناً فما هو؟

أجاب الغسال:

نقول: هنيئاً لك أنك انتقلت من الدنيا. ولم تضطر لأداء الشهادة عند الشيخ الكلباسي!.

*** ريالات فقط:**

قال أحد العلماء الكبار والأتقياء في الحوزة العلمية بقم ـ وهو تلميذ آية الله القاضي أستاذ العلامة الطباطبائي ـ إن أحد علماء تبريز ذهب الى النجف في عصر زعامة ومرجعية الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.. وعندما رآه قال: لا عجب أن يصل إلى ما وصل إليه لأني أعرف منه ما يؤهله لذلك..

ذات يوم أردت أن أوزع على الطلاب مبلغاً من المال.. ولدى الحساب رأيت أن بإمكاني أن أعطي لكل طالب توماناً..

ـ وكان آنذاك مبلغاً معتداً به.. بدأت بالتوزيع حتى وصلت إلى الشيخ صاحب الجواهر..

قلت: هذا سهمك تفضل..

ـ لا آخذه..

ـ لماذا؟ ما هو السبب؟

ـ أنا لا أحتاج اليوم أكثر من ريالين ـ التومان عشر ريالات ـ ولا آخذ شيئاً من الحقوق الشرعية لمصرف الأيام القادمة.. ومن قال إني سأبقى حياً..

ـ إذن خذ ريالين وأعطني الباقي . .

ـ ليس عندي ثمانية ريالات . .

ثم ذهبنا إلى من صرف التومان فأعطيته الريالين . . مصرف يومه ذاك . .

نعم . . هكذا كان الرجال الطاهرون . . أمثال صاحب الجواهر . . الذي ما تزال (جواهره) لأكثر من قرن منهلاً لجميع الفقهاء ومحوراً علمياً في جميع الحوزات . .

* صاحب الضوابط:

صاحب «الضوابط» هو السيد إبراهيم الموسوي القزويني ، الفقيه المعروف كان معاصراً لصاحب الجواهر . . وكان يصله سنوياً أكثر من عشرين ألف توماناً من الهند ومبالغ كبيرة من إيران وسائر البلاد . . ومع ذلك كان يعيش فقيراً ولم يكن له إلا القليل الذي يسد الرمق ويقيم الأود وبمنتهى الإقتصاد[15] . .

* اعتراض والدة الشيخ الأنصاري:

كان للشيخ الأنصاري أخ اسمه الشيخ منصور . . وكان من العلماء الكبار جليل القدر إلا أنه كان في غاية الفقر وضيق ذات اليد . .

وذات يوم رقت والدته لحاله . . فتوجهت باللوم إلى أخيه الأكبر الشيخ الأنصاري الذي كان آنذاك المرجع الوحيد للشيعة . . قالت:

أنت تعلم أن أخاك منصور كثير العيال وهو يتجرع غصص الفقر ، والشهرية التي تعطيه إياها لا تكفيه . . في حين أن كل هذه الأموال تحت تصرفك وتستطيع أن تعطيه أكثر مما تعطي الآخرين . .

أصغى الشيخ بدقة إلى كلام والدته . . وعندما أتمت كلامها قدم إليها

---

(١٥) قصص العلماء/ ١٠ .

مفتاح الغرفة التي كانت الأموال الشرعية فيها وقال لها بلهجة مؤدبة:

يا أمي.. خذي هذا المفتاح، وخذي لمنصور ما أردت بشرط أن لا أكون أنا مسؤولاً شرعاً عن ذلك وتكون مسؤوليته وتبعته عليك أنت، هذه الأموال التي هي عندي حقوق الفقراء والمعوزين.. وهي تقسم بينهم بالتساوي وكل الفقراء في هذا المجال على حد سواء كأسنان المشط لا فضل لأحدٍ منهم على غيره..

والدتي: إذا كان لديك جواب تقدمينه يوم القيامة حين تسألين عن المبلغ الإضافي الذي تأذنيه لمنصور فخذي ما أردت.. ولكن اعلمي أن أمامنا حساباً دقيقاً جداً وصعباً ومرعباً وليس فيه أدنى تسامح..

وعندما سمعت والدة الشيخ هذا الكلام ـ وكانت معدن تقوى وفضيلة وخوف من الله تعالى ـ ارتعدت فرائصها وتابت إلى الله تعالى وأرجعت المفتاح إلى ابنها معتذرة، ناسية احتياج منصور(١٦).

* الشيخ الأنصاري ووالدته:

كانت عادة الشيخ الأنصاري أنه بعد رجوعه من مجلس درسه يذهب مباشرة الى والدته ليسلي هذه العجوز بالحديث معها.. فيسألها عن أوضاع الناس المتقدمين ويمازحها حتى يضحكها، ثم يذهب الى غرفة المطالعة والعبادة..

ذات يوم قال الشيخ لأمه:

أتذكرين أيام طفولتي عندما كنت منشغلاً بدراسة المقدمات وكنت ترسلينني لقضاء حوائج البيت.. فكنت أؤجلها إلى ما بعد الإنتهاء من الدرس والمباحثة فكنت تغضبين وتقولين: أنا بلا خَلَف.. فهل ما تزالين الآن بلا خَلَف؟ وأجابت أم الشيخ مازحة: نعم.. ما زلت كذلك.. لأنك آنذاك لم تكن

---

(١٦) المكاسب ج١/ ٢٥ ـ ٢٦ بتصرف.

تقوم باحتياجات البيت.. واليوم لشدة احتياطك في صرف الأموال الشرعية ضيقت علينا الخناق... [17].

* رأي الشيخ الأنصاري في الأموال الشرعية:

في فترة زعامة الشيخ الأنصاري وقيادته، وعندما كان سيل الحقوق الشرعية نصيب عنده من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.. كانت عائلة الشيخ تعيش في ظروف اقتصادية قاسية.. لأن الشيخ كان قد خصص للمنزل مبلغاً لا يكاد يذكر.

وذات يوم حدثت عائلة الشيخ أحد العلماء ـ الذي كان يحظى باحترام خاص لدى الشيخ الأنصاري ـ شاكية له.. وطلبت منه أن يفاتح الشيخ بذلك ليزيد المبلغ المقرر للمنزل.

استمع الشيخ لكلام محدثه إلى آخره.. ولم يعلق بشيء لا نفياً ولا إثباتاً..

وفي اليوم التالي عندما جاء الشيخ للمنزل قال لزوجته:

إغسلي ثيابي واحتفظي بماء الغسالة القذر وفعلاً قامت الزوجة بذلك وأخبرت الشيخ.. فطلب منها إحضار ذلك الماء القذر فأحضرته.. فما كان منه إلا أن قال لها: اشربي هذا الماء.

ـ أشربه؟ لا. ما هذا الذي تأمرني به.. وهل يشرب عاقل هذه القذارة..

ـ إذن اسمعي جيداً وتأملي بدقة.. هذه الأموال التي بين يدي هي عندي مثل هذا الماء القذر. فكما أنك لا تستطيعين ولا تريدين أن تشربي من هذا الماء. كذلك أنا لا أستطيع أن أصرف من هذا المال لأنه لا حقي لي ولا يجوز

---

(١٧) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/٥٩.

أن اعطيكم أكثر مما أعطي الآن. . إن هذه الأموال أموال الفقراء وأنتم وسائر الفقراء عندي بمنزلة واحدة[18] .

* ونقل أيضاً أن زوجة الشيخ الأنصاري طلبت منه ذات يوم شراء قطعة قماش لتغطي بها الفُرش واللُّحف التي توضع في جانب الغرفة نهاراً. . ! إلا أن الشيخ لم يستجب لذلك لشدة احتياطه. .

وعندما آذاها منظر الفرش واللحف أمام الناس قررت أن تقتصد في مصرف البيت لتشتري قطعة القماش هذه. . وفعلاً بدأت تشتري بدل ٢٢٥ غراماً من اللحم (٣ سير) ١٨٧,٥ غراماً (ـ٢ سير) واستطاعت بسبب ذلك طيلة فترة معينة أن توفر ثمن الغطاء الذي احتاجته ، فاشترته. .

وعندما علم الشيخ بذلك. . قال: باستياء شديد:

يا ويلي. . لقد صرفت حتى الآن مقداراً من الأموال الشرعية بدون مبرر كنت أتصور أن (٣ سير) ٢٢٥ غراماً من اللحم هي الحد الأدنى الذي نحتاجه والآن اتضح لي خطأ ذلك. .

ثم أمر الشيخ بارجاع قطعة القماش وأن لا يشتروا من اللحم إلا مقدار ٢ سير ونصف (١٨٧ غراماً ونصف) .

* حبائل الشيطان:

يقول أحد تلامذة الشيخ الأنصاري رحمه الله:

عندما كنت في النجف الأشرف أدرس عند الشيخ الأنصاري . . رأيت الشيطان ذات ليلة في ما يرى النائم يحمل حبالاً عديدة. .

سألته: ماذا تفعل بهذه الحبال؟

قال: ألقيها في أعناق الناس وأجرهم إلي فأصطادهم وأمس ألقيت أحد

---

(١٨) المكاسب ج١/١٢٨ ـ ١٢٩ المقدمة تصحيح وتعليق كلانتر ، بتصرف .

هذه الحبال في عنق الشيخ مرتضى الأنصاري وسحبته من غرفته إلى أواسط الزقاق الذي يقع منزله فيه.. ولكن للأسف أفلت مني رغم الجهد الكبير الذي بذلته..

وعندما استيقظت من النوم بدأت أفكر في تعبير رؤياي.. فقلت الأفضل أن اسأل الشيخ نفسه.. لذلك تشرفت بزيارته وحدثته بما رأيت، فقال:

صدق الشيطان.. إن الملعون أراد أمس أن يخدعني ففررت من شراكه بلطف الله تعالى.

أمس لم يكن لدي شيء من المال.. واحتجنا في البيت الى بعض اللوازم فقلت في نفسي: لديَّ ريال من سهم الإمام (عليه السلام) ولم يأت وقت صرفه بعد.. فيمكنني أن أقترضه ثم اسدد القرض فيما بعد..

أخذت الريال وخرجت من المنزل.. وبمجرد أن أردت شراء ما احتجناه قلت في نفسي:

من يضمن أني أستطيع أداء هذا الدَّين فيما بعد؟ وبقيت أفكر في ذلك حتى قررت نهائياً أن أرجع إلى المنزل.. فلم أشتر شيئاً وأرجعت المال إلى مكانه..[19].

* يبيع سجادة المنزل:

أورد صاحب كتاب «لؤلؤ الصدف» أنه عندما جيء الى الشيخ الأنصاري بمبلغ عشرين ألف توماناً من الحقوق الشرعية.. وكان الشيخ يوزعها، ـ عند ذلك ـ جاءه شخص كان الشيخ اشترى منه قمحاً ولم يكن قد دفع إليه الثمن فقال للشيخ: مضت مدة على تسليم القمح ولم أتسلم ثمنه بعد.. فإذا كان بالإمكان أن تتكرم بثمنه الآن..

---

(١٩) زندگاني وشخصيت شيخ/٨٨ ـ ٨٩.

قال له الشيخ: أمهلني عدة أيام أخرى.. فوافق الرجل وانصرف..

وكان أحد العلماء حاضراً يسمع ما جرى.. فقال للشيخ:

كل هذه الأموال بين يديك فلم استمهلت الرجل ولم تعطه حقه.. فقال الشيخ: هذه أموال الفقراء والمحتاجين ولا علاقة لي بها، وليس لدي الآن من مالي الشخصي شيء... وسأبيع هذه السجادة لتسديد دينه لذلك طلبت منه مهلة لأيام.[٢٠].

* يقول صاحب كتاب المآثر والآثار:

كان الشيعة الإثنا عشرية من أهالي ايران والهند وروسية وبعض الولايات العثمانية، وبعض المدن الأفغانية، والتركية، وغيرها يرسلون سنوياً حوالي مائتي ألف توماناً من الأوقاف والخمس وأمثال ذلك إلى الشيخ الأنصاري.. إلا أنه لم يكن يصرف من ذلك كله حتى بمقدار حاجة المستحق المقتصد.. بل كان يوصلها جميعها إلى المستحقين.. طيلة سنوات زعامته العامة ونيابته عن الإمام (عليه السلام) لم يكن عنده إلا خادم واحد.. وكان هذا الخادم رجلاً متقياً من المعممين اسمه الحاج ملا رحمه الله.. وكان معروفاً بذلك.

حقاً.. لقد كان هذا العظيم من أعاجيب الدهور ونوادر العصور- كان في العلم والعمل والزهد والتقوى والورع والعبادة والرياضة من الطراز الأول بين الأولين والآخرين»[٢١].

* اجتناب الحقوق الشرعية:

جاء في سيرة الميرزا حبيب الله الرشتي صاحب كتاب «بدائع الأفكار» والذي كان من تلامذة الشيخ الأنصاري:

كان معروفاً بالزهد والتقوى.. منصرفاً عن الزخارف والإعتباريات..

---

(٢٠) نفس المصدر السابق.

(٢١) المآثر والآثار/١٣٧.

سليم الذات طاهر النية..

كان حريصاً على البعد عن المرجعية.. ولم يكن يرضى أن يفتي.. وأن يقلَّد.. ولم يكن يقبل شيئاً من الحقوق الشرعية.. إلى حد أنه عندما قبل مبلغاً من الشيخ جعفر الشوشتري.. عاد فقسم هذا المبلغ بين الفقراء والمحتاجين.

*** الميرزا الشيرازي:**

ذكر العالم المتتبع والمحقق الشيخ آقا بزرگ الطهراني حول الميرزا الشيرازي.. أنه رحمه الله كان يرسل مصرف كل شخص من أفراد عائلته في وقت معين.. ولم يكن يسمح لأي منهم أن يأخذ أكثر من حقه.. وكان يجمع الهدايا التي ترسل إليه ويودعها في بيته مؤتمن ولم يكن لأحد من أفراد أسرته الحق في استلامها أو الإحتفاظ بها[٢٢].

*** الشيخ محمد حسن المامقاني:**

جاء في سيرة الشيخ محمد حسن المامقاني صاحب الحاشية المعروفة على المكاسب والمتوفى عام ١٣٢٣ هـ أنه بالإضافة إلى مقامه العلمي كان رجلاً حراً بكل معنى الكلمة.. لم يتعلق قلبه بزخارف الدنيا ولم يكن له اهتمام يذكر بالطعام والشراب واللباس وأمور المنزل ولم يصرف شيئاً من الحقوق الشرعية ولم يكن يقبل الهدايا من الظلمة ورجال الدولة[٢٣].

*** صاحب الكفاية:**

جاء في سيرة الشيخ الآخوند الخراساني (رحمه الله) أنه عندما كان التجار في النجف يستوردون الأقمشة الصوفية الثمينة.. وكان أولاد الشيخ يشتاقون إلى شرائها.. ويطلبون منه المال لذلك كان يقول لهم: مال أي شخص أعطيكم

---

(٢٢) ميرزاي شيرازي/ ٥٩.
(٢٣) زندگاني وشخصيت شيخ أنصاري/ ٢٣٩.

لتشتروا به ، الأقمشة الصوفية ، وتلبسونها[٢٤] . .

* الشيخ محمد علي رستم آبادي:

كتب الشيخ آقا بزرگ الطهراني حول الشيخ محمد علي رستم آبادي ـ وهو أحد تلامذة الشيخ الأنصاري ـ يقول:

قبل هجرتي الى النجف بقيت لعدة سنوات أقتدي في الصلاة بهذا الشيخ الجليل كان (رحمه الله) من عباد الله الصالحين وفي منتهى الورع والتقوى ولم يصرف في شؤون معاشه شيئاً من الحقوق الشرعية . . وكان يعيش كأحد عامة الناس . . وكان يثق به العام والخاص[٢٥] .

* الشيخ اسماعيل السناني رحمه الله:

كان رحمه الله أحد تلامذة الميرزا الشيرازي . . كتب الشيخ آقا بزرگ عنه قائلاً :

كان يحضر درس الشيخ الأنصاري إلا أن استفادته العلمية الرئيسة كانت في محضر الميرزا . . وبعد أن حاز على درجة عالية في العلوم الشرعية أرسله الميرزا إلى مدينة سمنان . .

ونظراً لإحاطته بالعلوم العقلية والنقلية وفنون أخرى كثيرة فقد اشتهر هناك بـ «أرسطو» وكان غاية في التقوى والإحتياط ولم يصرف شيئاً من الحقوق الشرعية في أمور معاشه . . بل كان يكتفي بأجرة العبادة الاستئجارية وبقناعة شديدة[٢٦] . .

---

(٢٤) مرگي درنور/٣٧٧ .

(٢٥) زندگاني وشخصيت شيخ/٣٤٦ .

(٢٦) هدية الرازي فارسي/١١٢/١١٣ .

* كذلك كتب حول الشيخ محمد حسين القمي قائلاً:

كان من كبار تلامذة الميرزا (الشيرازي) في سامراء ، لم يكن يصرف في شؤونه شيئاً من الحقوق الشرعية. . وكان يدير أمور حياته عن طريق العبادة الاستئجارية. .

وفي مجال وصفه يجب القول باختصار: مهما قيل في وصفه فقد كان فوق ذلك . .

وبعد وفاة الميرزا بستة أشهر عاد الى قم. وكان مباحث أستاذنا آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي (المعروف بالميرزا الثاني والصغير) أي شريكه في البحث. . . وكان يرتقي المنبر في شهري محرم وصفر في بيته وفي شهر رمضان في مسجده[٢٧] .

* العلامة الطباطبائي رحمه الله:

قال أحد تلامذة العلامة حول أوضاعه المعيشية:

«كان مورده المالي هو وأخوه من صغرهما منحصراً بقطعة أرض زراعية في قرية «شادآباد» بتبريز. . انتقلت اليهما إرثاً من أجدادهما. .

كان العلامة يقول: «هذه الأرض منذ ٢٧٠ سنة هي ملك مطلق لآبائنا وأجدادنا». . وكانت وسيلتهم الوحيدة لشؤون معاشهم عن طريق الزراعة. . ولو أنها اغتصبت منهم لانقطع موردهم المالي نهائياً . .

لم يكن (رحمه الله) يقبل سهم الامام على الاطلاق. . ومن الواضح أن مستوى معيشته ـ فيما إذا انقطع هذا المورد من الأرض الزراعية ـ سيكون أقل من المستوى ـ لأن مثل هذا الطالب إذا لم يصله من وطنه شيء فهو على الأقل يأخذ شيئاً من سهم الإمام. . ثم ما هي قيمة ذلك المبلغ الذي كان يصلهما من

(٢٧) نفس المصدر/١٣٧ ـ ١٣٨ .

أرضهما الزراعية؟ إنه ـ إذا وصل ـ بمقدار تأمين الاحتياجات الضرورية للحياة.. وبمنتهى التوفير والقناعة»[٢٨].

*** دقة قليلة النظير:**

ذكر أصدقاء ومعارف الشهيد الجليل قدوسي، حول تقواه العجيبة في صرف الأموال العامة أموراً هي في حد ذاتها عبرة.. وهذا بعضها:

«من جملة خصائصه ورعه وتقواه واحتياطه في جميع الأمور... في الأمور المالية لم يكن يستفيد أبداً من التسهيلات المالية في الحوزة.. ولم يكن يأخذ الشهرية، وكان يدير شؤون مصرفه من املاكه التي ورثها... رغم أنه كان أحياناً يحتاج الى الاقتراض.. فلم يكن يقترض ممن اختلطت أمواله بشهرية ومراتب الحوزة.

كان يتألم كثيراً من إتلاف الوقت وإتلاف الطاقة وإتلاف الممتلكات.. حتى (دبوس) أو ورقة.. بعد تجديد بناء المدرسة الحقانية وتجهيزها بالتدفئة المركزية.. كانت غرف الصفوف غالباً دافئة مريحة.. أما مكتبه ـ وكان مدير المدرسة ومسؤولها ـ فكان بارداً وعندما سألته عن السبب قال: عندما أكون وحيداً فلا ضرورة لتدفئة غرفة بهذا الحجم من أجلي وحدي. كان اذا استعمل تلفون المدرسة لشأن شخصي دفع مقابل ذلك من جيبه.. وماذا أقول في هذا الإنسان.. كيف عاش.. وكيف أسرع الى لقاء الله».

«كان الشهيد قدوسي بهذه الخصوصية على لسان العام والخاص.. وكان معروفاً أنه يتشدد غاية التشدد في صرف «بيت المال» للحيلولة دون المصاريف غير الضرورية.. رعاية للإحتياط.. رغم أن البعض كانوا يعترضون عليه، بأن هذا المنحى يحول دون القيام ببعض الخطوات الترفيهية والإصلاحية ويتسبب بظهور مشاكل وعقبات حركة الأمور بشكل اعتيادي..

---

(٢٨) مهرتابان ـ ٥٧ بتصرف.

إلا أن المهم في الأمر هو طريقة تعامل مسؤول حكومي (المدعي العام للثورة) مع بيت المال. . فقد كان له دور بارز في حفظ بيت مال المسلمين واستثماره في المكان المناسب وفي حدود الضرورة. . وهذه الخاصية وبكياسة خاصة هي التي مكنت من جمع كثير من اللوازم والآلات العائدة الى بيت المال والتي كانت مبعثرة. . معرضة للتلف. . إن الدرس الذي تعلمته من هذه الروح الكبيرة. . في هذا المجال بشكل خاص هو إصرار على الإبتعاد عن الرفاهية والحذر من الإحساس بالراحة الشخصية على حساب بيت المال. . كان مصراً على أن من يستعمل شيئاً من بيت المال يجب أن يعيش بكل وجوده أن ما هو بتصرفه ملك للضعفاء والمظلومين الذين لا تصل أيديهم إليه. . يجب أن يعيش ذلك حتى يصبح ملكٌ له ويراعيه عند صرف كل جزء من أجزاء القرش. . حتى لا يبتلى لا سمح الله بالغرق في المعاصي. . ويزول من ذهنه قبح الإسراف(٢٩) .

*** آية الله السيد محمد باقر الدّرچه اي:**

قال أحد تلامذته:

كان هذا العالم الجليل آية عظمى في العلم والورع والتقوى. . كان بحق وارث النبي الأكرم والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين. .

في البساطة وصفاء الروح وعدم الإكتراث بالأمور الدنيوية كأنه ملاك هبط من العرش إلى الفرش. . وخالط الخلائق لتربيتهم. .

رأيته مراراً وقد جاؤوه بمبالغ طائلة ومن سهم الإمام فلم يقبل ديناراً(٣٠). . مع أني كنت أعلم أنه لم يكن يملك أكثر من أربعة أو خمسة شاهيات سود(٣١). .

---

(٢٩) يادنامهٔ شهيد آيت الله قدوس ٥٥ و٩٠ ـ ٩١ و١٠٨ .

(٣٠) الدينار ــ من الريال وكان قديماً ــ من الريال .

(٣١) الشاهي واحد النقد الإيراني قديماً وهو يعادل ــ من الريال (فرهنگ عميد) .

عندما سألته عن السبب قال: أنا الآن بحمد الله لست مديناً.. ولدي مصرف غدي.. ولا أدري ماذا بعد غد وما تدري نفس ماذا تكسب غداً».. لذلك فإذا قبلت سهم الإمام فقد تضيع حقوق الفقراء.. رأيت ذات مرة أنهم جاؤوه بأربعماءة أو خمسماءة توماناً.. كانت تعادل أربعماءة ألف أو خمساءة ألف توماناً في زماننا هذا.. فلم يأخذ منها الا عدة ريالات واستوائها..

كان إذا أكل لقمة مشتبهة.. وضع إصبعه فوراً في حنجرته حتى يقيئها.. رأيت هذا بالخصوص منه ذات مرة.. كما يلي:

دعاه أحد التجار الأثرياء مع عدد من العلماء والطلاب ومدّ سفرة وسيعة أنيقة مكلفة عليها أنواع الأطعمة وكعادته رحمه الله اكتفى بتناول مقدار قليل من الطعام.. وبعد الإنتهاء من تناول الطعام ،وغسل الأيدي.. قدم صاحب الدعوى للسيد سنداً يتضمن أمراً حراماً بحسب فتواه وطلب منه أن يوقع عليه..

أدرك (رضوان الله عليه) أن هذه الوليمة كانت مقدمة لإمضاء هذا السند.
إن فيها إذن شبهة الرشوة.. فتغير لونه وارتعدت فرائصه وقال: أية اساءة أسأتها اليك حتى وضعت في حلقي هذا الزقوم؟

لماذا لم تأتِ بهذا السند قبل الغداء حتى لا ألوث يدي بهذا الطعام..

ثم نهض مضطرباً ومضى مسرعاً إلى المدرسة وجلس بجوار الحديقة المقابلة لحجرته ووضع إصبعه في فمه حتى استفرغ.. ثم تنفس الصعداء.. [٣٢].

* ويقول نفس صاحب النص المتقدم عن استاذه الآخر الشيخ عبد الكريم الگزي:

كان رحمه الله بحق كالشيخ البهائي في عصره.. كانت له المرجعية التامة في الفتوى والقضاء.. ورغم أنه تولى القضاء في أصفهان وتوابعها لمدة ثلاثين

---

(٣٢) همائي نامه /١٧ ـ ١٨ .

إلى أربعين سنة. . فإن عائلته لم تكن تملك ليلة وفاته النفط للسراج ولا لقمة الطعام ، وقد كتب المرحوم الغشاركي حوالة لتأمين طعام العشاء ولوازم المعيشة لأسرته. . وكنت شخصياً شاهداً في ذلك ومباشراً لتلك الخدمة»[٣٣] .

(٣٣) نفس المصدر/ ١٩ .

* القسم الخامس عشر ...

* بساطة العيش...

* من أوضح خصائص القادة الإلّهيين في الأديان السماوية المختلفة . . وخصوصاً الاسلام . . البساطة والزهد واجتناب مظاهر الترف والكماليات . .

ولعل بالإمكان القول إن أحد أهم عوام انشداد الناس إلى الإسلام هو بساطة عيش النبي الأكرم والأئمة المعصومين (صلى الله عليه وعليهم) . . ومن بعدهم علماء الدين الذين ساروا على نهجهم واقتدوا بهم . . إنها نظرة سريعة في مسيرة المعصومين . . وأقوالهم في هذا المجال . . تجعلنا ندرك هذه الحقيقة بعمق . . وبعد انتصار الثورة الإسلامية . . كانت إحدى المسائل التي أكد عليها كثيراً قائد الثورة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) وأوصى بها باستمرار هي هذه المسألة . . اجتناب البذخ والترف والتفات الروحانيين ، أئمة الجمعة ، المسؤولين . . إلى بساطة العيش . . . وقل أن اهتم (رضوان الله عليه) بمسألة ما . . بهذا المستوى من اهتمامه بهذا الأمر الحيوي والأساسي . .

إن من العوامل التي تهدد الثورة الإسلامية المقدسة ويخشى ـ لا سمح الله ـ أن ينهار النظام بسببه من الداخل هو إقبال أشخاص معدودين يتزيون بالزي الروحاني المقدس على مظاهر الرفاهية والترف . .

ولا يبعد أن تكون إحدى دسائس القوى المتجبرة لإلحاق الهزيمة بالثورة . . أن تعمل على تعزيز هذه الظاهرة بين الروحانيين فتنمو وتتعمق . . ليتفرق الناس المضحون الذين يحملون روح الاستشهاد تلقائياً عن الثورة

الإسلامية وينفضوا أيديهم منها. . لا يستطيع الروحاني أن يدعو الناس الى بساطة العيش والزهد في الدنيا ، إلا إذا كان هو ملتزماً بذلك. .

* يقول أبو الأسود الدؤلي :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام ذوي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... أبداً وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفي ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم[1]

*** سيرة المعصومين:**

كما تقدمت الاشارة. . كان المعصومون (عليهم السلام) يعيشون بمنتهى البساطة في المجال المادي. . والتاريخ حافل بالشواهد على ذلك. . وإليك بعض النماذج :

١ ـ جاء في حديث طويل حول الزهراء عليها السلام :

« . . . فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة (بالية) قد خيطت في اثني عشر مكاناً يسعف النخل ، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال: واحزناه إن بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير ، وابنة محمد (صلى الله عليه وآله) عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً. .

«فلما دخلت فاطمة على النبي (صلى الله عليه وآله) قالت: يا رسول الله ان سلمان تعجب من لباسي : فوالذي بعثك بالحق مالي ولعلي منذ خمس سنين الا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا ، فإذا كان الليل افترشناه ، وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا سلمان إن ابنتي

---

(١) شرح شذر الذهب/٢٣٨ .

لفي الخيل السوابق. . . »[٢] .

* ويروي ابن سعد في طبقاته بسنده عن علي (عليه السلام) أنه قال:

لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي ولها خادم غيرها. .[٣] .

ورغم هذه القناعة. . وهذا الزهد . . فقد دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها البيت « . . . وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) اشتراها لها من فيء له فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لا يغرنك الناس أن يقولوا بنت محمد وعليك لباس الجبابرة فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها فسُرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك[٤] .

٢ ـ وروى الصدوق في أماليه: كان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة (عليها السلام) فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرة في سفر فصنعت فاطمة (عليها السلام) مسكتين من ورق (سوارين أو خلخالين من فضة) وقلادة وقرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام. .

فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودخل عليها فوقف أصحابه على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها فخرج عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر فظنت فاطمة عليها السلام أنه إنما فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيتها ومسكتيها، ونزعت الستر، فبعثت بهم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

(٢) البحار ٨٨/٤٣ .
(٣) طبقات ابن سعد ./١٣ .
(٤) البحار ٢/٤٣ .

وقالت للرسول: قل له تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله . .

فلما أتاه قال: فعلت. . فداها أبوها ـ ثلاث مرات ـ ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد وكانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء ثم قام فدخل عليها[٥] .

٣ ـ كان علي (عليه السلام). . يشير أحياناً في خطبه ورسائله إلى بساطة عيشه. . ويقول:

أ ـ والله لقد رقعت مدرعتي هذه ، حتى استحييت من راقعها ، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت اعزب عني ، فعند الصباح يحمد القوم السرى[٦] .

ب ـ ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا ، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصةٍ مقرة ، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي ألى تخيُّر الأطعمة[٧] .

* توجيهات الإمام الخميني:

وهذه نماذج من توجيهات الامام الخميني (رضوان الله عليه) حيث يقول:

---

(٥) البحار ٤٣/ ٢٠ وهذه الرواية والتي قبلها لا يمكن القبول بهما على ظاهرهما. . بل لا بد من حملها ـ على فرض صحتها ـ مع عظمة الزهراء عليها السلام التي يرضى الله لرضاها. . أن كثيراً من غير المعصومين . في زمن رسول والأزمنة الأخرى لا يقبلون على حطام الدنيا. . فكيف بصاحبة القصة الواجبة صلوات الله عليها (المترجم) .

(٦) نهج البلاغة ج ١٦٠ .

(٧) نفس المصدر/ ١/ ٤٥ ولاحظ خ ١١٣ وح١٠٣ .

أ ـ أيها الروحانيون: أنتم الدعاة إلى اتِّباع حضرة أمير المؤمنين (عليه السلام) فلا أقل من أن تتأملوا قليلاً في سيرة ذلك العظيم، لتروا هل أنكم واقعاً تقتدون به في مجال ما؟ هل تعرفون شيئاً عن زهده؟ بساطة عيشه الخالية من أي مظهر من مظاهر الكماليات.. وهل تطبقون شيئاً من ذلك؟

ب ـ الشعب يتوقع أن تكونوا أنتم أيها الروحانيون مؤدبين بالآداب الإسلامية، أن تكونوا حزب الله، أن تجتنبوا بهارج الدنيا وزخارفها ومظاهرها الزائفة..

ج ـ إن مسؤوليتكم ثقيلة جداً، واجباتكم تختلف عن واجبات عامة الناس.. ما أكثر الأمور المباحة لعامة الناس إلا أنها ليست مباحة لكم.. وقد تكون حراماً..

كثير من الأمور المباحة لا يتوقع الناس صدورها منكم.. فضلاً عن الأعمال الوضيعة اللامشروعة.. التي اذا صدرت منكم ـ لا سمح الله ـ فإنها تسيء الى نظرة الناس إلى الإسلام والروحانية».

د ـ يجب أن نكون عُباداً أكثر فأكثر، وأن نعرض عن حطام الدنيا، انتم أيها السادة يجب أن تعدوا أنفسكم لحفظ الأمانة الإلّهية.. كونوا أمناء.. قللوا من قيمة الدنيا في نظركم.. لا تستطيعون طبعاً أن تكونوا مثل حضرة الأمير (عليه السلام) الذي كان يقول:

«لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» لكن اعرضوا عن حطام الدنيا[٨].

هـ ـ من أهم المسائل التي يجب أن أذكر بها، مسألة تخص جميع الروحانيين وكل المعنيين بشؤون البلد.. وأنا قلق منها دائماً.. وهي أن لا ينزعج هؤلاء الناس الذين ضحوا بكل ما يملكون من أجل الإسلام وكانت لهم

(٨) هذه النصوص من «الجهاد الأكبر» للإمام (رضوان الله عليه).

المنة بذلك علينا ـ أن لا ينزعجوا منا ـ بسبب أعمالنا. . ذلك لأن ما كان يتوقعه الناس منا. . وهم يتوقعونه الآن. . ومن أجله اتبعوني واتبعوك ـ هو كيفية معيشة أهل العلم. . إذا رأى الناس لا سمح الله أن السادة (الروحانيين) غيَّروا ما هم عليه، بنوا عمارة ، وترددهم ـ ذهابهم ومجيؤهم ـ ليس متناسباً مع شأن الروحانية. . ففقد الناس ما يحملونه في قلوبهم تجاه الروحانية ـ من احترام وإكبار ـ فإن فقد هذا وزوال الإسلام والجمهورية الاسلامية على حد سواء. .

طبعاً لا بد من التذكير بأن الأفراد القلائل الذين هم في معرض الخطر يجب أن يحفظوا أنفسهم إلا أن هؤلاء أنفسهم يجب أن ينتبهوا فلا يزيد الأمر على الحد الطبيعي. . لا تظنوا أنكم إذا خرجتم بعدة سيارات. . يتعاظم اعتباركم عند الناس نحن يجب أن نحفظ أولئك الذين حفظوا الإسلام والجمهورية الاسلامية ، والذي سيحفظونهما فيما بعد بأن تكون أوضاعنا المعيشية عادية. .

أولئك الذين يريدون حفظ أنفسهم (أمنياً) يجب أن يعلموا أنهم أحياناً يمكنهم ذلك بواسطة أخرى. . وأئمة الجمعة والجماعة الذين قد يقضى عليهم اذا كان ترددهم عادياً. . يجب أن لا تزيد احتياطاتهم الأمنية عن الحد الضروري كأن يقام بإخلاء الشارع من المارة وينطلق الضجيج والعجيج لأن إمام جمعة يريد أن يمر مثل هذه الأمور تسقط شأنهم في المجتمع. .

ليست عظمتكم أيها السادة بالدنيا . . عظمتكم بالآخرة وبأن يكون لكم ماء وجه وكرامة عند الله. . وهذه مسألة مهمة تسهم في حفظ الجمهورية الإسلامية ويجب التنبه لها كثيراً. . . وعلى أهل العلم ومجلس الوزراء والمسؤولين ، المزيد من الإنتباه. . لأن الجميع يبحثون عن نقطة ضعف في أهل العلم ليطرحوها في كل مكان[٩] .

و ـ «المسألة الأخرى مسألة التشريفات (مظاهر البذخ) في أوساط

---

(٩) جريدة كيهان الفارسية / العدد ٤٩٨ ، ٢٨/١٢/٠ شوال ١٤٠٥ هـ .

الروحانيين التي أخذت تزداد . .

عندما تزداد التشريفات . . يغيب المحتوى . . عندما تكثر البنايات والسيارات والآلات والتجهيزات . . . فإن ذلك يلحق ضرراً بالبنية الفقهية للاسلام . . بمعنى أنه بهذه الزخارف لا يمكن أن يقدم للمجتمع مثل الشيخ مرتضى (الأنصاري) وصاحب الجواهر هذا يحمل على القلق . . وواقعاً لا أدري ، كيف أواجه هذا الوضع . .

هذه التشريفات تؤدي الى هزيمة الروحانية . . عندما نقارن الأوضاع المعيشية الجواهر بالأوضاع المعيشية للروحانيين اليوم ندرك أية ضربة نوجهها الى أنفسنا ، بأيدينا . . .(١٠) .

ز ـ لقد سمع الكثيرون عن حياة الشيخ الأنصاري وكيف كانت . . لولا ذلك لما استطاع أن يربي أولئك الطلاب الأجلاء ولما استطاع أن يقدم للمجتمع تلك الكتب القيمة . .

صاحب الجواهر . . ألف كتاباً لو اجتمع مائة شخص فقد يعجزون عن تأليفه . . لم يكن من سكان القصور كان منزله متواضعاً يفتح باب احدى غرفه على دهليز طويل . . كان يهب منه نسيم حار . . وكان منشغلاً بتحرير الجواهر في مثل هذا الجو . .

هذه الأمور لا يستطيعها شخص متعلق بالبطن بالشهوات ، بمال الدنيا ونوالها وجاهها وأمثال ذلك . . إن من الطبيعي أن لا يستطيع . . .

وهو كالكيفية في التحصيل . . (فإنكم كلما زاد اهتمامكم بالتجملات والكماليات) وإن شاء الله لا تهتمون ـ فإن علومكم تنقص» . .

«أولئك الذين كتبوا تلك الكتب الضخمة والقيمة كانت حياتهم حياة الطلاب ، مثل الشيخ الأنصاري» .

---

(١٠) كيهان/٦١٢/١٣٦٣ هـ . ش .

«يجب أن تكون حياة الروحانيين بسيطة. . الذي حفظ الروحانية وجعلها تتطور هو هنا. . بساطة العيش. . أولئك الذين كانوا منشأ آثار كبيرة في الحياة التزموا ببساطة العيش أولئك الذين كانوا موجهين لدى النـاس. . وكان النـاس يلتزمون بتعاليمهم. . التزموا ببساطة العيش. .

كلمـا مشيت خطوة واحـدة باتجـاه أن يكـون بيتـك أحسن. . نقص من معنويتك من قيمتـك بنفس ذلك المقـدار. . قيمة الإنسـان ليس بالبيت. . ولا بالحديقة . . لو كانت قيمة الانسان بمثل هذا لاهتم به الأنبياء. . قيمة الإنسان ليست بأن يكون له ضجيج وعجيج ، وسيارة فخمة ، أن يكون كثيـر الذهـاب والإياب ، قيمة الروحانية ليست بأن يكون للروحاني جهاز. . مكتب ومفكرة .

لقـد أرسل العلمـاء من الطراز الأول المـرحوم المـدرس إلى طهـران ، فاشترىٰ عربة تجرها دابة وكان هو يسوقها حتى وصل الى طهران ـ من أصفهان ـ وفي طهران كان بيته متواضعاً وقد رأيته شخصياً وكنت أذهب إلى بيته رحمه الله وتشرفت بخدمته مراراً[١١] .

* بساطة عيش الإمام:

يقول بعض خواصه (رضوان الله عليه):

أ ـ كان الحر في النجف شديداً جداً. . وكانت تصل درجة الحرارة أحياناً إلى ٥٠ درجة. . وذات يوم ذهبت مع عدد من الإخوة للإمام وقلنا: سيـدنا. . الحر شديد وأنت مُسِن . . وبما أن جو الكوفة معتدل فلماذا لا تذهب إليها كما يذهب الآخرون. .

قال في الجواب: وكيف أذهب إلى الكوفة من أجل برودة هوائها وإخواني في إيران في السجن»[١٢] .

---

(١١) هذه النصوص من مجلة (حوزة) الأعداد ٦ ، ٧ ، ١٠ .

(١٢) فرازهائي أز أبعاد روحي. . »/٦٩ .

ب ـ «عندما كان الإمام في ضاحية باريس. . وظهرت أزمة نفط في إيران فلم يعد باستطاعة الناس تدفئة بيوتهم إلا بمشقة وعسر. . قال الإمام: أتركُوا غرفتي بدون تدفئة مواساة للناس»[١٣] .

ج ـ أتذكر أن شخصاً جاء إلى الإمام وأراه عباءته الممزقة قائلاً: إن عباءتي ممزقة. . فساعدني. . فتناول الإمام عباءته وقال له: أنظر إن عباءتي أيضاً ممزقة»[١٤] .

د ـ ذات مرة ذهب الإمام إلى كربلاء للزيارة. . ودخلت أنا الى القسم الداخلي من البيت لعمل ما. . ولم تكن الخادمة موجودة. . فدفعني حب الاستطلاع الى معرفة ما في براد الإمام. . . دخلت إلى المطبخ وفتحت البراد فإذا فيه «كاسة» فيها جبن وشريحة بطيخ»[١٥] .

ذ ـ «في البداية عندما جاء الإمام الى النجف لم يكن يرضى بشراء المبردة للبيت. . وبعد إصرار أحد الإخوة وقوله: سيدنا. . الحياة في هذا الجو الحار غير ممكنة بدون مكيف. . إن من في البيت لا يتحمل. . عندها وافق الإمام على شراء جهاز تبريد. . كذلك بعد ألف محاولة وافق الإمام على شراء عدة بطانيات . أتذكر أن القسم الخارجي من بيت الإمام (البراني) قد أصبح خربة ، فقال المرحوم اشراقي للإمام: 'عطوا لهذا البيت رونقاً ، أصلحوه. .

قال الإمام: أنا لا أستطيع أن اصرف في ذلك من بيت المال. .

قال المرحوم اشراقي ـ صهر الإمام ـ: أنا أدفع من مالي .

وعندما ذهب الإمام إلى كربلاء اغتنمنا الفرصة فأصلحنا غرفة البراني ووضعنا في أطرافها عدة فرش. .

---

(١٣) تفسير آفتاب/٤٠٦ الهامش .

(١٤) فرازهائي/ ٧٠ .

(١٥) نفس المصدر ٧٣ ـ ٧٤ .

عندما رجع الإمام ورأى ذلك قطب حاجبيه وقال: وافقت معكم على إعطاء البيت رونقاً ما. . ولكن ليس الى هذا الحد. .

هذا مع أننا لم نكن قد فعلنا شيئاً يذكر. . البساط بقي نفسه. . كل ما في الأمر أنا أضفنا الفرش التي اخترنا قماشها من النوع الرخيص جداً. .[16] .

* وقال الأجانب:

«. . . نحن الآن بين يدي آية الله في غرفة بمساحة ٢×٢. . ونحن في بيت يقع في أبعد أحياء النجف. . المدينة التي هي من حيث الوضع الجغرافي إحدى أسوأ المناطق العراقية في منعطف إحدى أزقة النجف الضيقة. . حيث يشتد تلاصق البيوت ببعضها لتشكل درعاً في مقابل حرارة الشمس المحرقة. . يقع المنزل المتواضع لآية الله الخميني. . هذا المنزل يشبه مسكن أشد الناس في النجف فقراً الثلاث لهذا البيت يقيم حوالي اثني عشر شخصاً من أقرباء آية الله»[17] .

* وقبل انتصار الثورة بقليل. . قال أحد العلماء:

واليوم. . ثوبا آية الله الخميني، ونعلاه، وطعامه البسيط الذي لا يتجاوز في اليوم والليلة كفاً من خبز وقليلاً من لبن، وبطاطا، وعدة تمرات. . . تحطم أساس ديكتاتورية عمرها ٢٥ سنة (كذا). . . عندما كان التلفزيون الفرنسي يعرض حياته للناس كانت المسيحية تهتز وخصوصاً الكاثوليكية التي تعرف التشريفات المفخمة لبلاط البابا. . وكانت الدعوة الى الإسلام تشق طريقها[18] .

*وأما بعد انتصار الثورة فيقول أحد خواص الإمام:

عندما كان الإمام في مستشفى القلب بطهران. . قال: ذات يوم . . يجب

---

(١٦) نفس المصدر/ ٧٥ .

(١٧) تفسير آفتاب/ ٤٠٩/ ٤١٠ ملخصاً عن «لوموند» .

(١٨) نفس المصدر ٤٠٦ .

أن أخرج من جو المستشفى هذا الجو يزيد في مرضي وإذا لم تهيئوا المكان البديل فسأتدبر الأمر بنفسي . . .

كانت هناك عدة أمور لا بد من رعايتها في خروج الامام من المستشفى . . فذهابه الى قم غير وارد . . أما في طهران فإن الأطباء وافقوا على مغادرة الإمام بشرط أن لا يكون مقر إقامته بعيداً عن المستشفى . .

وبعد جهد كبير تم استئجار منزل في شارع «دربند» مكونٍ من ثلاث طبقات ـ الطبقة الأرضية للحرس ، والثانية لعائلة امام ، والثالثة للقاءات الإمام وبعد مدة من إقامة الإمام في هذا البيت قال: يجب أن أترك هذا المكان . . هذا المنزل ليس مناسباً . . في حين أن ذلك البيت كان يصلح لشخص طهراني متوسط . الإشكال الوحيد في ذلك البيت أن واجهته ملبسة بالحجر . .

قال الإمام للسيد الرسولي : إبحث لي عن بيت مثل بيت أبيك . .

وبهذا بدأت المشكلة . . فالعثور على بيت قرب المستشفى . . ومثل منزل والد السيد الرسولي . . أي من الطين . . لم يكن أمراً سهلاً . .

إلى أن تم العثور على المنزل الذي استقر فيه الإمام ـ في جماران ـ مساحته ١٦٠ متراً والمنزل الخاص بالإمام مكون من غرفتين . . إحداهما للقاءات والثانية للإستراحة والنوم وأحياناً يكون عدد زوار الإمام كبيراً فنضطر الى استعمال الغرفة الثانية . .

وكان هناك بيت لمكتب الإمام مثل بيت الإمام ووضعت فيه عدة كراسٍ . . وبجانب منزل الإمام تقع حسينية جماران التي تبرع بعض المؤمنين ببنائها . . ذات يوم جاء الإمام إلى الحسينية فوجد العمال يزينونها بأشكال هندسية من الجص . . فخرج منها مغضباً وقال: أنتظروا لأموت وافعلوا ما شئتم . .

ورغم أن إيجار المنزل كان يدفع . . فقد أمر الإمام أن يأتي كل من لهم علاقة بهذه البيوت ويسمع منهم لأنه ليس مطمئناً لرضاهم . . وفعلاً جاء الجميع

رجالاً ونساءً وصرحوا برضاهم[19] .

«نعم إن الإمام في جميع مراحل عمره لم يشأ أبداً استبدال زاوية السجن في طهران ـ أيام الطاغوت ـ أو غرفته من الطين في النجف ، والحرارة المهلكة لتلك الديار وخبزه ولبنه وسفرته الخالية. . . بجاه قصر نياوران وجلاله وحشمه وخدمه»[20]وعندما أصبح أكبر وأقوى قائد عالمي. . . يستطيع أن يتنعم بجميع الإمكانات المادية. . بقيت روحيته وأخلاقه. . وبساطة عيشه بنفس النسق الذي كانت عليه يوم كان طالباً ، غريباً في زاوية الحجرة الخربة» بمدرسة دار الشفاء في قم .

*** مواساة الفقراء:**

* كان صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني رحمهما الله لا يدخر أبداً ما يزيد على قوته لمدة أسبوع. . مواساة للفقراء والمحتاجين وحرصاً على عدم التشبه بالأثرياء[21] .

* وكان صدر المتألهين يقول: حيث أن قسماً من الذنوب ينشأ من كثرة الأكل والإهتمام بالبطن فيجب التقليل من الطعام . . وكان دائماً يردد بيتاً لسعدي مضمونه:

«إبق داخلك خالياً من الطعام لترى فيه نور المعرفة» .

وكان رحمه الله قدوة في قلة الطعام. . حيث كان يتناول في اليوم والليلة وجبة واحدة ولم يكن طعامه يختلف عن طعام الطلاب. . وفي فصل الصيف كان يكتفي بمقدار من الفواكه أو الفالوذج (بالوده) التى كانت تكثر في شيراز في فصل الصيف آنذاك. .

وفي المجال الأخلاقي كان صدر المتألهين رجلاً حسن الخلق. . لم يـر

---

(١٩) فرازهائي. . . /٤٧/٤ .

(٢٠) تفسير آفتاب/١٦٩ .

(٢١) ريحانة الأدب ج٣/٣٩١ .

أبداً مغضباً ولم يكن يستفزه أي كلام باطل مهما كان. . ولم يخنه تجلده على الإطلاق. . حتى عندما كفَّره البعض وأرادوا قتله. . وأجبروه على مغادرة أصفهان للسكن في قرية (كهك) من توابع قم: [٢٢] .

ورغم أن صدر المتألهين كان أحد أكبر علماء عصره. . فقد كان يعيش ببساطة. . . فقد كان كل شخص يحتاج الى مراجعته يستطيع أن يتحدث إليه مباشرة وبدون واسطة في أية ساعة من ساعات الليل والنهار. . كان رحمه الله من العرفاء الكبار. . وكان كسائر العرفاء في عصره والعصور المتقدمة لا يقيم أي حاجز بينه وبين الناس. . ومع أنه كان من العلماء الكبار إلا أنه لم يكن يرى لنفسه شأناً. . كما يفعل الكثيرون .

كان لبعض العلماء البارزين في بيوتهم حاجب وكاتب ولم يكن باستطاعة الناس الوصول إلى أحدهم إلا بعد مراجعة الحاجب والكاتب واستئذانها. . أما صدر المتألهين فلم يكن له لا كاتب ولا حاجب. . وكان باستطاعة أي شخص أن يذهب إليه مباشرة ويسأله عن كل ما يريد ويسمع منه الجواب. . [٢٣] .

* جاء في كتاب «فردوس التواريخ»:

بلغ زهد الوحيد البهبهاني حداً بحيث أن ثيابه كانت من «الكرباس الرديء» (نوع من القماش الذي ينسج باليد) وغالباً ما كانت زوجته المكرمة هي التي تهيؤها وتنسجها ولم يكن يرغب أبداً بألبسة الدنيا وأقمشتها. .

وجاء في «مرآة الأحوال» .

لم يبال أبداً بجمع زخارف الدنيا التي كانت في متناول أصغر طلابه وبأدنى التفاتة منه. . اعتزل الذين يكنزون الذهب. . اجتنب معاشرتهم ومحادثتهم. . وكان يأنس بالفقراء .

---

(٢٢) ملا صدرا فيلسوف ومتفكر بزرگ إسلامي/١٨٧ .

(٢٣) نفس المصدر/ ٣٣١ بتصرف يسير .

* يقول الشهيد مطهري رحمه الله:

كان للوحيد البهبهاني ولدان.. محمد علي، ومحمد اسماعيل.. رأى هذا العظيم زوجة ولده محمد اسماعيل ترتدي ثياباً فاخرة.. فاعترض على ابنه.. لماذا تشتري لزوجتك مثل هذه الثياب؟

أجابه: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** ؟ فهل هذه الثياب حرام؟ ومن حرمها؟

قال رحمه الله: ولدي لا أقول إنها حرام.. بل هي حلال.. ولكني أطالبك بذلك بدافع آخر فأنا مرجع تقليد وزعيم هؤلاء الناس.. وبين الناس يوجد الفقير والغني المتمكن وغير المتمكن.. هناك من يلبس مثل هذه الثياب الفاخرة وأحسن منها الا أن الكثير من شرائح المجتمع لا يستطيعون شراء مثل هذه الثياب وهم يلبسون «الكرباس» (القماش الرديء)..

نحن لا نستطيع أن نجعل الناس جميعاً قادرين على ارتداء مثل هذه الثياب الفاخرة إلا أن هناك أمراً نقدر عليه.. وهو مساواتهم..

إن أعينهم مشدودة إلينا.. ينظرون إلينا كقدوة.. عندما تطالب امرأة زوجها الفقير بالثياب الفاخرة.. وهو لا يستطيع تأمين ذلك لها فلا أقل من يجد في سيرتنا ما يسليه ويخفف عنه فيقول لها: صحيح أننا لسنا مثل الأغنياء إلا أن وضعنا مثل وضع الوحيد البهبهاني.. انظري.. إن زوجة الوحيد أو زوجة ابنه تلبس مثلك..

أعوذ بالله من يوم يصبح وضعنا المادي على ما هو عليه وضع الطبقة المرفهة والثرية فيفقد الفقراء المسكِّن الوحيد لخواطرهم..

لهذا السبب أقول يجب أن نعيش زهاداً.. ليكون زهدنا مواساة للفقراء[٢٤].

---

(٢٤) إحياى تفكر إسلامي/٧٨ و«سيري ونهج البلاغة/٢٢٨ وقد أورد هذه القصة في قصص العلماء للتنكابني وذكر بدلاً من محمد اسماعيل عبد الحسين.. وهو الصحيح.

* شمس الدين البهبهاني:

كان رحمه الله من كبار تلامذة الوحيد البهبهاني وقد جاء في ترجمته:

كان زهده بحيث أنه اذا «بيعت جميع ثيابه التي كان يرتديها.. لا تصل قيمتها إلى خمسة قرانات (نصف تومان) ومع ذلك كان منكباً ليلاً ونهاراً على مطالعة الكتب الفقهية والأصولية والفلسفية وكتب الحديث والتفسير وغير ذلك.. كان يقضي أكثر أوقاته منشغلاً بالمطالعة.

أحياناً عندما كان يكظه الجوع ويضغط عليه.. كان يرفع رأسه عن الكتاب ويلقي نظرة إلى قبة الإمام الرضا (عليه السلام) ويقرأ هذه الآية الشريفة: ﴿أمَّن يجيب المضطر..﴾ وكثيراً ما كان يأتيه مال في تلك اللحظة..

يقول تلميذه: عندما كان المال يصل، كان رحمه الله يقول: إشتر لي منه طعاماً مختصراً يسد الجوع وأعط الباقي للفقراء.

* المحقق الأعرجي رحمه الله:

السيد محسن الأعرجي المعروف بالمقدس الكاظمي.. من تلامذة السيد صدر الدين القمي والوحيد البهبهاني.. كان رحمه الله على جانب كبير من الزهد والتقوى وبساطة العيش.. ومن زهده أنه لم يكن يملك شيئاً يضع عليه سراجه فكان يضعه على آجر أو حجر[٢٥].

«وفي خاتمة المستدرك (...) عن العالم الجليل صاحب الكرامات المولى السلماسي أنه قال: رأيت في الطيف بيتاً عالياً رفيعاً منيعاً له باب كبير واسع وعليه وعلى جدران الدار مسامير من الذهب تسر الناظرين، فسألت: لمن هذا الدار؟ فقيل إنه للسيد محسن الكاظمي، فتعجبت من ذلك وقلت: كانت داره في مشهد الكاظمين (عليهما السلام) متواضعة وكان بابها ضيقاً..

---

(٢٥) فوائد رضوية /٣٧٣.

وكذلك فناؤها. . فمن أين له بهذا البناء فقالوا: عندما دخل من ذلك الباب الحقير أعطاه الله تعالى هذا الباب العالي الكبير. . وكان بيته رحمه الله كما ذكره المولى في المنام في غاية الحقارة»[٢٦] .

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً	تالله ما لخراب الدهر عمران
ودع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها	فصفوها كدِرٌ والوصل هجران
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته	فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

* الشيخ الأنصاري (رضوان الله عليه):

يقول الشهيد مطهري:

الشيخ الأنصاري الذي ثنيت له وسادة مرجعية الشيعة على الاطلاق. . لا يختلف وضعه عند موته عما كان عليه حين دخل الى النجف طالباً دزفولياً (مغموراً) .

عندما يتأملون بيته يرون أنه يعيش كأشد الناس فقراً. . قال له أحدهم: إنك تقوم بعمل يثير الإعجاب والتقدير حيث تصلك كل هذه الأموال الشرعية ولا تصرف منها شيئاً في شؤونك الخاصة قال: وأية روعة هذه. .

- وهل فوق ما ذكرت من روعة ومهارة؟ .

قال رحمه الله: إن ما أقوم به على أكثر تقدير هو ما يقوم به مكارو كاشان (جمع مكاري الذين يكري الدواب) الذين يذهبون إلى أصفهان ويرجعون. . فهل رأيت مكاري كاشان الذين يعطيهم الناس أموالهم ليشتروا لهم بها بضائع قد سرقوا شيئاً من تلك الأموال، إنهم أمناء. . إن ما أقوم به ليس مهماً. . لقد تصورت أنه أمر مهم .

وهكذا نرى أن المرجعية لم تستطع أن تؤثر سلباً بمقدار ذرة في روح هذا

---

(٢٦) نفس المصدر ـ الهامش، بتصرف .

الرجل العظيم»[٢٧] .

* الخبز والكراث:

نقل عن بنت الشيخ الأنصاري أنها قالت:

في أيام الطفولة. . عندما كنت أذهب إلى المدرسة كان الأهالي يرسلون الطعام أحياناً الى المدرسة ليتناول الطالبات الطعام مع المعلمة. .

ذات يوم قلت لوالدتي إنهم يحضرون معهم ألوان الأطعمة. . وأنت ترسلين لي الخبز والكراث فقط. . إني أخجل من ذلك .

سمع الشيخ كلامي فقال منزعجاً: من الآن فصاعداً أرسلي لها خبزاً فقط حتى تصبح تتذوق الخبز والكراث[٢٨] .

* وقال «العراقي» في «دار السلام»:

رغم أنه كان يتدفق عليه سنوياً أكثر من مائة ألف توماناً[٢٩] من الحقوق الشرعية فقد انتقل إلى جوار الله تعالى ولم يخلف درهماً ولا ديناراً واكتفى في حياته بأقل ما يُقنع به»[٣٠] .

* وجاء في لمعات البيان:

رغم أنه كان في غاية الإعسار. . فقد كان قانعاً يواجه الدهر بطلاقة الوجه والبشر. . وعندما أصبح وحيد زمانه بقي على قناعته تلك لم يوجد في جميع أرجاء بيته ضمن تركته ما يبلغ وزنه عدة كيلوغرامات. .

---

(٢٧) سيرة نبوي/ ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢٨) زندگاني آخوند خراساني .
(٢٩) يعادل هذا المبلغ اليوم عدة ملايين .
(٣٠) دار إسلام ٥٥٣ .

*** وجاء في «نور الآفاق»:**

لم يكن الشيخ الأنصاري يملك أية ثروة.. وكان يكتفي دائماً بـأقل مـا يُقنع به.. كما كان أليف الضائقة المادية والإعسار. كان يقـول: أنا شخص فقير. يجب أن أعيش كواحد من الفقراء»[٣١].

*** جهاز ابنة الشيخ الأنصاري:**

عندما أراد الشيخ تزويج ابنته لابن أخيه الشيخ محمد حسن الأنصاري.. طلب منه الحاج محمد صالح كبة وكيله في بغداد أن يأذن له ليغطي من أمواله الخاصة كل نفقات هذا الزواج، إلا أن الشيخ لم يأذن له.. واكتفى بجهاز لا يكاد يذكر..

كانت مالية الشيخ عند وفاته سبعة عشر توماناً.. وكان مديناً بهذا المبلغ

ولم تكن أسرته قادرة على تأمين النفقات العادية لإقامة العزاء فتولى ذلك أحد الأثرياء.. حيث أنفق على مجلس العزاء لستة أيام بلياليها[٣٢].

*** الشيخ والأميرة:**

قالت ابنة الشيخ الأنصاري:

ذات يوم جاءت ابنة الشاه ناصر الدين لزيارة الشيخ في منزله في النجف الأشرف.. وعندما استقر بها المجلس لاحظت آثـار الزهـد العيسوي والـورع اليحيوي في سماحته.. تأملت غرفته فوجدت قليلاً من السرجين[٣٣]- بدلاً من الفحم - مشتعـلاً في المنقـل، ورأت سفـرة من الخـوص[٣٤]معلقـة على

---

(٣١) زندگاني شخصيت شيخ أنصاري/٨٦.

(٣٢) نفس المصدر/٨٧.

(٣٣) فضلات الحيوانات تجعل قطعاً وتجفف للتدفئة.

(٣٤) ورق النخل وشبهه.

الحائط. . والى جانب المنقل الذي كان من الطين رأت مسرجة[٣٥] من فخار ، أضاءت الغرفة نصف إضاءة. . .

هذه كانت محتويات غرفة قطب دائرة الفقاهة ولم تستطع الأميرة أمام ما رأت أن تخفي ما يدور في خلدها. . فقالت: إذا كان العالم والمجتهد هكذا. . فماذا يقول الشيخ علي كني؟[٣٦].

وقبل أن تتم كلامها نهض الشيخ وقال مغضباً:

ماذا قلت. . ما هذا الكلام الكفر. . إعلمي أنك صرت جهنمية بهذا الكلام قومي واخرجي من هنا. . ولا تبقي حتى لحظة واحدة لأني أخشى أن تشملني العقوبة التي تحل بك و. . .

بكت الأميرة من تهديد الشيخ وقالت: سيدي. . تبت مما قلت ، أخطأت اعف عني. . لن أرتكب هذه الحماقات فيما بعد. .

فعفا عنها الشيخ وقال: أين أنت من إبداء الرأي حول سماحة الشيخ علي كني؟[٣٧].

* الحكيم الكبير:

جاء في بعض المصادر وصف دقيق لبيت الفيلسوف الجليل الشيخ هادي السبزواري ـ صاحب المنظومة ـ بقسميه البراني والجواني. . . ووصف لبساطة عيش هذا الحكيم الكبير. . . على النحو التالي:

---

(٣٥) إناء من فخار يصب فيه الدهن أو النفط وتوضع فيه فتيلة للإنارة. . . والمراد هنا ما كان فيه الدهن لا النفط.

(٣٦) آية الله الشيخ علي الكني ، من الفقهاء الكبار ومن تلامذة صاحب الجواهر وصاحب الضوابط. . أقام في طهران وكان مرجع الناس هناك. . وتوفي عام ١٣٠٦ هـ .ق ودفن بجوار حضرة عبد العظيم الحسني في طريق المتوجه لزيارة حضرة حمزة ابن الإمام الكاظم (عليه السلام).

(٣٧) المصدر السابق/٤٢٧ ـ الهامش.

كان للبراني فناء بساحة ستة أذرع في ستة أذرع . . وكانت تقع في الجهة الشرقية منه غرفة بنيت بالطين والتبن . . وسقفها من جسور الحديد (الشيلمان) والحطب غير المصنع . . وكانت جدرانها عادية حتى من الطين (ليست مطينة بالطين والتبن) . .

وعندما سافر الشاه ناصر الدين إلى خراسان أوائل صفر ١٢٨٤ هـ.ق قام بزيارة الشيخ في هذه الغرفة ـ وقد تقدم الحديث عن ذلك ـ وكانت في حديقة الدار عدة أشجار معمرة من التوت . . وجميع غرف الدار كانت من الطين والتبن . . إلا أن جدرانها مُطيَّنة .

وكان طعام غدائه غالباً ما يعادل وحدة نقدية من الخبز . . لم يكن يأكل منه أكثر من خمسة وسبعين غراماً مع «كاسة» نيلية من المخيض . . وفي أواخر عمره وبسبب تقدمه في السن وسقوط أسنانه كان طعام عشائه صحناً من الأرز مع المرق بدون لحم وسمن . . وكان يكتفي بطعام ماء اللحم (آبگوشت) مع الإسباناخ (السبانغ) .

لم يكن يمتلك رحمه الله مكتبة تذكر . . كانت مكتبته عبارة عن عدة مجلدات معدودة . . [٣٨] .

* قائد ثورة المشروطة:

«كان في الزهد والورع ، أول الشجرة البرية[٣٩] . . في الصيف كانت ثيابه من الكرباس أو ما يشبهه ، وفي الشتاء من وبر الجمال أو ما يشبهه . . وكان يستعمل الثوب الواحد ثلاث سنوات أو أربع . . وإذا أهدي إليه خلال ذلك ما يزيد على الكفاف أهداه إلى غيره . . ولأنه كان شديد النظافة . . كان الناظر إليه

---

(٣٨) أسرار الحكم/١٦ ، ١٧ ، ٢٠ وانظر تاريخ حكماء وعرفاء متأخر صدر المتألهين/١١١ .

(٣٩) إشارة إلى كلام مولى المتقين «ألا وأن الشجرة البرية أصلب عوداً» ك/٤٥ نهج البلاغة .

يتصور أنه يلبس ثياباً فاخرة. . وإذا كان طعام البيت من اللحم. . كان يتم شراء كيلو ونصف من اللحم يطبخ في كمية كبيرة من الماء ليكفي عشرين شخصاً. .

لم يكن يحب الأطعمة اللذيذة. . كان يكثر من شراب المخيض. . ورغم رئاسته فإن وضعه المعيشي لم يختلف عما كان عليه وضع الطلاب. . بل كان أكثر قناعة من الطلبة في هذا الزمان. .

كان يقول: كان مصروفنا سابقاً أنا وعيالي وأولادي في الإثني عشر شهراً. . اثني عشر توماناً. .

لم يكن يدخن أبداً. . ولم يكن يشرب من الشاي أكثر من «استكان خفيف» ولذلك فإن أسنانه بقيت حتى الرابعة والسبعين من عمره كأنها الدر وكان يكتفي بالقليل جداً من الطعام. . ويشارك في الطعام أقل الطلبة فلم يكن يرى لنفسه أية مزية. .

وفي الوقت الذي كان يعيش فيه مع أولاده الثلاثة وعيالهم في بيت واحد صغير جداً. . لكل منهم غرفة. . جاء ذات يوم ابنه الأكبر مهدي وشكا ضيق المكان. . فأصغى الشيخ إليه . . ثم قال: بابا. . إذا قُسِّمت بيوت هذه المدينة على المستحقين فلن تكون حصتنا أكثر من هذا(٤٠) .

* السيد محمد باقر الدرچه إي:

هذا السيد الجليل الذي تقدم ذكر نماذج من سيرته. . هو أستاذ آية الله العظمى السيد البروجردي (رضوان الله عليهما). . يتحدث تلميذه آية الله السيد حسن القوچاني النجفي عنه وقد اطلع على خصوصياته وبساطة عيشه عن قرب فيقول:

كان يتعب كثيراً. . كان يمضي الليل والنهار منشغلاً بالمطالعة والتفكير في المسائل العلمية كان يسكن في مدرسة «نيم آورو» إحدى المدارس المعروفة

---

(٤٠) زندگاني آخوند خراساني/٣٩٦/٣٩٧/٣٧٧ .

في أصفهان ولم يكن له منزل في لمدينة.. فقد ترك زوجته وأولاده في قريته «رچه بياز» مسقط رأسه.. وكان يقضي يومي الخميس والجمعة في قريته ويرجع عصر الجمعة وقد تزود من الخبز واللبن ما يكفيه إلى آخر الاسبوع.. وكان يعيش كسائر الطلاب.. كان السيد محمد باقر من أهل إحياء الليل، وكان مرحاً.. وعاش فقيراً»(٤١).

* آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي:

جاء في ترجمته رحمه الله:

كانت له غرفة صغيرة ومحقرة، لم يكن فيها غير حصير من الباري (بورية) وقطعة قماش يجلس عليها (شرشف) ولم يكن لديه وسيلة تدفئة أو تبريد رغم أنه كان مريضاً.. ولم يكن يخرج من هذه الغرفة إلا للحاجات الضرورية(٤٢).

* كأس من طين:

يقول شهيد المحراب الأشرفي الأصفاني رحمه الله:

كان الكأس (الإستكان) الذي كان آية الله العظمى السيد محمد تقي الخونساري يشرب به الشاي، من طين.. فقلنا له: مولانا، إن قيمة الكأس والصحن ليست مرتفعة بحيث تشرب بهذا..

ويضيف: لذ كان هؤلاء (العظماء) واقعاً أسوة..

---

(٤١) سياحت شرق/١٦٣/١٦٤.

(٤٢) بيدارگران أقاليم قبله/٢١٢/٢١٣ والإمام البلاغي فقيه جليل.. تميز بالتصدي للهجمة الفكرية التي استهدفت أسس الاسلام في عصره.. فدرس العلوم المختلفة على نفسه كما درس اللغات الفارسية والإنجليزية والعبرية تعلم الأخيرة للرد على التوراة المحرفة.. وترك مؤلفات فريدة في هذا المجال راجع مقدمة الهدى إلى دين المصطفى ـالمترجم.

* عالمٌ يقيم في زاوية:

يتحدث أحد تلامذة العلامة الطباطبائي رحمه الله حول ظروف تعرفه على العلامة ، وأوضاعه المعيشية فيقول:

«(عندما سمعت أوصاف العلامة) أحسست بالشوق إلى لقائه والتعرف عليه وكنت أغتنم فرصة تمكنني من الذهاب الى منزله.. وذات يوم جاء أحد أصدقائي وكان يسكن معي في المدرسة وكان كذلك يتردد إليه.. وهو الآن من علماء رشت.. وقال:

لقد رجع السيد القاضي[٤٣]من زيارة الإمام الرضا (عليه السلام).. تعال لنذهب إلى زيارته وعندما دخلنا إلى المنزل.. وجدنا أن هذا الرجل المعروف والمشهور هو ذلك السيد الذي نصادفه كل يوم في الأزقة.. ولم نكن نحتمل أبداً أنه من أهل العلم فضلاً عن التبحر في العلوم..

يرتدي عمامة صغيرة جداً من الكرباس (القماش الرديء) الأزرق.. وأزرار قبائه مفتوحة.. وبدون جوارب.. ثيابه أقل من عادية.. وبيته غاية في البساطة والفقر.. عانقناه وجلسنا.. وكانت جولةٌ في جوانب بعض المسائل العلمية فرأينا أن هذا الرجل واقعاً عالمٌ من العلم والدراية والإدراك والفهم.. بحيث عرفنا حقيقة معنى قول الشاعر:

«عندما يفوز كوز العلم بنصيب ، فإن عالماً قد جلس في زاوية» .

وفي ذلك المجلس بلغ إعجابنا به وحبنا له الذروة.. وطلبنا منه درساً خاصاً في الفلسفة.. يمكننا أن نطرح فيه ما يخطر بالبال بحرية أثناء الدرس.. حتى لا يبقى إشكال بدون جواب.. وقد وافق وبمنتهى النبل»[٤٤] .

---

(٤٣) كان العلامة الطباطبائي معروفاً بالسيد القاضي لأنه من هذه السلسلة المشهورة في آذربايجان ولكن باعتبار أنه من السادات الطباطبائيين فقد رجح أن يعرف بهذا الإسم (الطباطبائي) .

(٤٤) مهرتابان للسيد الطهراني ٨ ، ٩ . القسم الأول .

* ويقول تلميذ آخر للعلامة ، حول أثر العلامة في المعارف الإسلامية:
«كان هو يقول: بدأت هذه الدروس الثلاثة الفلسفة ، الأخلاق ، والتفسير . .

جسموا في اذهانكم صورة روحاني قادم لتوه من القرية الى المدينة ، يرتدي عمامة من الكرباس كحلية يدعي إحداث ثورة في حوزة . . وأية امكانات مادية متوفرة له يا ترى؟ عنوانه . . منزل من غرفتين استأجره شهرياً بثمانين توماناً .

ابنه المحترم موجود الآن هنا . وهو يتذكر في أي بيت صغير ومتواضع ترعرع؟ البيت الذي لم يكن العلامة يستطيع أن يستقبل فيه حتى أصدقاءه . .

أوائل تعرفي على الأستاذ . . كنت أتعجب لتصرفه . . أحياناً كنت اضطر للحصول على جواب سؤال علمي فأذهب اليه إلى البيت . . يفتح الباب ويضع يديه على طرفي الباب ويمد رأسه ويصغي إلى سؤالي ثم يجيب عليه . .

أحياناً كنت أتساءل لماذا لا يريدني أن أدخل إلى البيت؟

وفيما بعد . . عندما تعمقت علاقتي به . . وكنت أستطيع أحياناً الدخول الى المنزل عرفت السبب . . كان يقول: إذا اشتغلت وأخذت أجرة اليوم ثلاثة توامين . . فهو أفضل عندي وأهنأ لدي من أن أذهب إلى أحد وأخبره بحاجتي وأصبح أحسب على بيت أو شخصية .

لمدة طويلة كانت أموره المعيشية تدار من حقوق التأليف . . لسنوات كان مديناً بمبالغ طائلة ولم يكن يعرف بذلك المقربون منه حتى صهره المرحوم القدوسي (رضوان الله عليه) بهذه الإمكانات المادية . . وبهذه القربة والمجهولية أراد أن يحدث تحولاً عظيماً في ثقافة البلد والعالم . .

كان العلامة الطباطبائي يدرك العقبات تماماً . . إلا أنه بالاتكال على الله تعالى تجاوز هذه العقبات . . وقد أثبت الله تعالى مرة أخرى للناس أن من يعمل

متكلاً عليه ولتحصيل مرضاته فقط. . فإن النجاح حليفه. . [٤٥] .

* السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني):

«كان السيد جمال الدين يعي رسالته. . ويدرك الجهود المضنية التي تستلزمها. . والعقبات التي تعترض طريقه. . لذلك لم يتزوج ولم يتعلق قلبه بملك ومال. . كانت حياته وقفاً على أفكاره وأهدافه. . كان يكتفي في اليوم كله بوجبة طعام واحدة. . ورغم أنه كان يكثر من شرب الشاي والتدخين. . .

كان في كل لحظة مستعداً للنفي والمشاكل المشابهة. . وفي الواقع فإن أصحاب مراكز النفوذ الذين كانوا ينفونه من هذا المكان الى ذاك. . كانوا يخلقون متاعب لأنفسهم وليس له. .

ثياب السيد كانت تلك التي كان يلبسها. . وكتبه في صدره. . وأفكاره في ذهنه. . وآلامه في قلبه. . [٤٦] .

يقال: في البداية كان السيد يحمل في السفر حقيبة لثيابه. . إلا أنه فيما بعد لم يكن يحمل معه شيئاً. . [٤٧]

* الشيخ محمد تقي البافقي:

لم يرتد هذا الرجل الجليل طيلة عمره ـ ٧٢ سنة ـ غير الثياب من «الكرباس» ، وقماش محلي من أصفهان ويزد. . حتى أن عمامته كانت من «الكرباس». . لم يستعمل أبداً الأواني البلورية والصينية المستوردة من الخارج. . لم يكن في بيته إناء من غير النحاس والفخار. . ولم يستهلك شيئاً من المواد الغذائية المستوردة من الخارج[٤٨] .

---

(٤٥) يادنامة علامة طباطبائي ١٩٨/١٩٩ .

(٤٦) بيدارگران أقاليم قبله /٢٧ ـ ٢٨ .

(٤٧) نفس المصدر/٤٧ .

(٤٨) مجاهد شهيد حاج شيخ محمد تقي بافقي/١٥٤ .

* المحدث القمي رحمه الله:

كانت حياة المحدث القمي في غاية البساطة.. بحيث أنها كانت أقل من مستوى حياة طالب علم عادي..

كانت ثيابه عبارة عن قباء من «الكرباس» نظيف جداً ومعطر.. يلبسه لعدة سنوات صيفاً وشتاءً.. لم يكن يفكر أبداً بالثياب والتجمل.. فرش البيت كان من البُسط... لم يكن يصرف شيئاً من سهم الإمام.. وكان يقول: لست أهلاً لذلك.. من حيث الطعام.. كان شديد العناية والإحتياط في ما يتناوله.. ورغم أنه كان مبتلى بضيق النفس.. الأمر الذي يستدعي الحمية من بعض الأطعمة الا أنه كان يتناول ما حضر..

ذات يوم جاءت إلى النجف الأشرف امرأتان كانتا تسكنان في بمبئي كانتا من أقارب (آقا كوچك) الذي كان من وجهاء النجف.. وقامتا بزيارة المحدث القمي وطلبتا الإذن بأن يدفعا له شهرياً مبلغ ٧٥ روبية يوسع بها على نفسه..

ولم يكن يلزمه آنذاك أكثر من خمسين روبية شهرياً.. إلا أنه رفض ذلك.. وتدخل ابنه الأصغر محسن ـ وبإصرار ـ ليقنع والده بالموافقة.. إلا أنه لم يقبل..

كان أحد تجار طهران يدفع له مبلغاً قليلاً.. وكان المحدث ينفقه بغاية الإقتصاد.. ظل هذا دأبه حتى التحق بجوار الله تعالى..

في أواخر عمره الشريف.. جاء شخص من همدان الى النجف لأشرف وزاره في منزله.. وأثناء الحديث سأله عن وضعه الشخصي فأخبره بما هو عليه ولدى خروجه قدم الهمداني مبلغاً من المال إلا أن المحدث رفض قبوله رغم الإصرار الشديد..

وبعد خروجه قال ابن المحدث الأكبر: يا والدي لماذا لم تقبله؟

أجاب المحدث: إن رقبتي هزيلة وبدني ضعيف ولا طاقة لي بجواب الله

تعالى يوم القيامة . .

ثم حدث أهل بيته بحديث أمير المؤمنين عليه السلام ليلة التاسع عشر من شهر رمضان ، وبكى ووعظهم[٤٩] . .

(٤٩) حاج شيخ عباس قمي مرد تقوا وفضيلت/٤٢/٤٥ ولاحظ البحار/٤٢/٢٧٦ حول كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة التاسع عشر من شهر رمضان ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة» .

* القسم السادس عشر...

* في مواجهة الظالمين...

* طيلة تاريخ الغيبة الكبرى. . كان علماء الإسلام ، الملتزمون والأمناء ، وما يزالون بالمرصاد لكل الظالمين والجائرين. . والطواغيت. . ولم يقدِّم أحد على الإطلاق في مجال نصرة المستضعفين والدفاع عن القيم الإنسانية وتحرير الشعوب من قيود الإستبداد والبطش ما قدمه هؤلاء العلماء: المجاهدون. .

لقد قدموا أرواحهم في سبيل الله تعالى. . لتبقى للناس حريتهم وكرامتهم. . ورسَّخوا خط الجهاد والشهادة فسلكه الذين اقتدوا بهم .

* يقول أحد الكتاب المعاصرين:

١ ـ توجيهات العلماء الشيعة. . وتعليماتهم ، أكسبت للشهادة والفداء في سبيل حفظ الدين الصفة الرسمية الدينية. . وأصبح من الواضح أن الحفاظ على العدالة كما يحددها الدين مقدم على الحفاظ على الروح التي هي أمانة مستودعة وعارية لا بد أن تسترد٤ . .

من هنا كان العلماء المصلحون يصرفون النظر عن أرواحهم بمجرد الدخول في ميادين الجهاد. .

ولعلك لا تستطيع أن تجد صفحة من تاريخنا تخلو من حادثة دموية. .

هذه الإستقامة المذهلة امتياز خاص للشيعة. . .[1]

قد يتصور من لا اطلاع له على حقائق التاريخ أن العلماء استيقظوا مؤخراً. . وأنهم تركوا الشعوب في الأدوار السابقة نهب سلاطين الجور وولاتهم الظالمين. . . وهذا تصور باطل من الأساس. . ويكفي لإدراك مدى بطلانه الإطلاع على كتاب «شهداء الفضيلة» للعلامة الأميني صاحب الغدير الذي ترجم فيه لمائة وثلاثين من أبرز العلماء الشيعة الشهداء. .

وليس الهدف في هذا القسم من الكتاب الحديث عن هذا الجانب فقد تكفلت بذلك المؤلفات الكثيرة. . بل الهدف هنا ذكر نماذج من مواقف العلماء التي تدل على اجتنابهم الحكام الظلمة أو التصدي لهم. . وذكر نماذج من أقوالهم التي تكشف عن يقظتهم ووعيهم لشؤون المجتمع. .

وقبل ذلك أنقل نصَّين للإمام الخميني والشهيد الثاني رضوان الله عليهما حول العلماء الأجلاء الذين خالطوا السلاطين حفظاً لمصلحة الاسلام ، أمثال المحقق الطوسي والعلامة الحلي والعلامة المجلسي والشيخ البهائي. . . ليتبين أن هؤلاء العظماء هم الذين حفظوا التراث الإسلامي والشريعة المقدسة. . ولولا جهودهم لم يصل الينا شيء. . ولما كنا شيئاً. .

* مع الإمام الخميني:

«إن تاريخ هذه المائة سنة الأخيرة ، بين أيدينا. . كلما تصفحنا مرحلة منه نجد بعض العلماء الذين تنازلوا عن بعض المقامات واتصلوا ببعض السلاطين. . رغم أنهم كانوا يرون الناس معارضين لذلك. . إلا أنهم اختاروا ذلك لترويج الدين وترويج الحق. . وقد حملوا هؤلاء السلاطين على ذلك. .

هؤلاء لم يكونوا علماء بلاط. . ويخطيء بعض كتابنا الذين ينسبون ذلك إليهم هؤلاء لم يكونوا من حواشي السلاطين ، بل كانت لهم أهداف سياسية

(١) حماسة غدير/ ٣٢٤ .

وأهداف دينية لا يصح أن يتصور أحد بمجرد أن يسمع مثلاً أن المجلسي أو المحقق الثاني أو الشيخ البهائي كانت له علاقة بهؤلاء السلاطين ، أن هؤلاء العلماء كانوا يتهافتون على الجاه والزعامة . . وأنهم كانوا محتاجين للسلطان حسين أو للشاه عباس . . لم يكن شيء من ذلك . . لقد ضحى هؤلاء العلماء . . جاهدوا أنفسهم (ليمكنهم القيام بذلك) .

أرادوا نشر الدين . . كانت هناك مناطق ـ في إيران ـ يسب فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) . . سمعت أن اتفاقاً تم في بعض البلاد على تأخير السب ستة أشهر! . في مثل هذه الأجواء كان هدف هؤلاء العلماء أن يمنعوا سب الأمير ، أن ينشروا الدين والمذهب . . وقد عرضوا سمعتهم للتجريح من قبل الناس الذين كانوا يعترضون عليهم آنذاك بسبب جهلهم ـ كما يعترض البعض الآن لعدم إدراكه حقيقة الأمر ـ ولم يعيروا اهتماماً لذلك . .

وفي زمن الأئمة (عليهم السلام) أمثال لما قاموا به . . كان علي بن يقطين من الوزراء . . وأمير المؤمنين (عليه السلام) بقي معهم نيفاً وأربعين سنة ، يشترك في صلاتهم ، يتردد اليهم حفظاً لمصلحة الاسلام العليا . . وسائر الأئمة كانوا أحياناً يسالمون . . أحياناً لا مجال لغير ذلك . . . فماذا يفعلون . .

إن مصلحة الإسلام فوق ما نتصور . .

هؤلاء العلماء الذين تحملوا أعباء التضحيات الجسم ليتكيفوا مع المهمة التي قاموا بها ثم أنتم تعترضون عليهم . . لأنكم لا تعرفون حقيقة الأمر . . لا بدافع سوء النية هؤلاء لم يكونوا علماء بلاط كانوا يريدون صناعة الإنسان[٢] . . . » .

*** مع الشهيد الثاني:**

«واعلم أن القدر المذموم من ذلك (اتباع السلطان) ليس هو مجرد اتباع

---

(٢) صحيفة نور ج١ /٢٥٨ /٢٥٩ من كلام للإمام بعد شهادة .

السلطان كيف اتفق ، بل (المذموم) اتباعه ليكون توطئة لـه ووسيلة إلى ارتفاع الشأن والترفع على الأقران ، وعظم الجاه والمقدار ، وحب الدنيا والرئاسة ونحو ذلك .

«أما لو اتبعه ليجعله وصلة إلى إقامـة نظام النـوع ، وإعلاء كلمـة الدين وترويج الحق وقمع البدن والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ونحـو ذلك ، فهو أفضل الأعمال فضلاً عن كونه مرخصـاً . .

«وبهذا يجمع بين ما ورد من الذم وما ورد أيضاً في الترخيص في ذلك ، بـل قد فعله جمـاعة من الأعيـان كعلي بن يقطين وعبـد الله النجـاشي ، وأبي القاسم بن روح أحد أبواب الشريعة ، ومحمد بن اسماعيل بن بزيع ونـوح بن دراج وغيرهم من أصحاب الأئمة ومن الفقهاء مثل السيدين الأجلين المـرتضى والرضي وأبيهما والخواجة نصيـر الدين الـطوسي والعلامـة بحر العلوم جمـال الدين ابن المطهر (العلامة الحلي) وغيرهم . .

«وقد روى محمد بن اسماعيل بن بزيع وهو الثقة الصدوق ، عن الرضـا (عليه السلام) : إن لله تعالى بأبواب الظالمين ، من نوَّر الله به البرهان ، ومكَّن له في البلاد ليدفع به عن أوليائه ، ويصلح الله به أمور المسلمين ، لأنه ملجـأ المؤمنين من الضرر وإليه يفزع ذو الحاجة من شيعتنا به يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، أولئك أمناء الله في أرضه ، أولئك نور الله تعالى في رعيتهم يوم القيامة ، ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهر الكـواكب الزاهـرة لأهل الأرض ، أولئـك من نورهم نـور القيامـة تضيء منهم القيامة ، خلقوا والله للجنة ، وخلقت الجنة لهم ، فهنيئاً لهم ، ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كله . .

«قال : قلت بماذا جعلني الله فداك؟ قال : تكـون معهم فتسرنـا بإدخـال السرور على المؤمنين من شيعتنا . . فكن منهم يا محمد . .

ويضيف الشهيد (رضوان الله عليه) :

واعلم أن هذا ثواب كريم لكنه وضع الخطر الوخيم ، والغرور العظيم ،

فإن زهرة الدنيا وحب الرئاسة والإستعلاء اذا نبتا في القلب غطيا عليه كثيراً من طرق الصواب والمقاصد الصحيحة الموجبة للثواب ، فلا بد من التيقظ في هذا الباب»[٣] .

* صاحب المعالم وصاحب المدارك:

لم يسافر صاحب المعالم وصاحب المدارك الى إيران خوف اضطرارهما للقاء بالشاه عباس الصفوي . . ولم يزور الإمام الرضا (عليه السلام) للسبب نفسه[٤] .

* اللهم اقبض إليك ابني:

عندما كان الشاه فتحعلي في زيارة الميرزا القمي (صاحب القوانين) طلب الشاه أن يزوج ابن الميرزا ابنته . . وانتهت الجلسة دون موافقة الشيخ . . إلا أنه بقي مضطرباً من هذا الإقتراح خشية أن يضطر إلى الموافقة عليه . . فما كان منه إلا أن لجأ إلى الدعاء قائلاً:

إلّهي . . إذا كان هذا الأمر سيتم فاقبض ابني الشاب إليك! وسرعان ما سقط ابنه غريقاً في حوض المنزل ، ثم فارق الحياة[٥] . . .

* الميرزا الشيرازي:

تشرف الميرزا الشيرازي الكبير بحج بيت الله الحرام سنة (١٢٨٧) أيام ولاية الشريف عبد الله الحسني ونزل في مكة في بيت موسى البغدادي . . فأخبر صاحب البيت الحاكم بوصول الميرزا . . فأمره أن يحضر الميرزا في مجلسه . . وعندما أخبر البغدادي الميرزا بذلك أرسل الميرزا إلى الشريف الحاكم:

إذا رأيتم العلماء على باب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك .

---

(٣) منية المريد/٦٤ ـ ٦٥ .

(٤) الأنوار النورانية ج٣/٣٤٢ وريحانة الأدب ج٣/٣٩٢ .

(٥) قصص العلماء/١٠ .

وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الملوك فما كان من الشريف إلا ان بادر إلى زيارة الميرزا الشيرازي . . ثم نزل الميرزا ضيفاً عليه في بيته[٦] .

* حجة الإسلام الشفتي ، وحاكم أصفهان:

المرحوم السيد محمد باقر الشفتي المعروف بحجة الإسلام ، لم يقم أبداً بزيارة حاكم أصفهان. . . وفي كل مرة كان الحاكم يأتي فيها لزيارته كان يقف على عتبة الباب ويسلم. . واتفق مراراً أن السيد لم ينتبه لمجيئه. . وبعد لحظات عندما يراه. . يأذن له بالجلوس ، ولم يتواضع له أبداً»[٧] .

* محاولات الأميرة:

جاءت الأميرة «ضياء السلطنة» لزيارة العتبات المقدسة في العراق ، وتشرفت بزيارة الشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب الفصول ، وطلبت منه أن يختارها زوجة له. . إلا أنه لم يوافق ورفض طلبها. .

وقبل ذلك كانت قد تقدمت بهذا الطلب إلى السيد محمد مهدي ابن صاحب الرياض. .

وفيما بعد. . أرسلت الأميرة رسولاً إلى السيد ابراهيم صاحب «الضوابط» طالبة الزواج منه. . إلا أنها منيت بالخيبة أيضاً. . لقد اعتذر السيد بأنك من عائلة ثرية ووضعي المالي لا يتحمل مصاريفك. .

أرسلت إليه لا أريد منك أية نفقة. . بل أنا على استعداد لتأمين مصاريفك مع عائلتك. .

وعندما سمع السيد ذلك فكر قليلاً ثم أرسل إليها:

إن زوجتي وفية لي ، تحملت معي صعوبات مرحلة الدراسة. . وصبرت

---

(٦) ميرزاي شيرازي ترجمة هدية الرازي/ ٣٩ ـ ٤٠ .

(٧) قصص العلماء/ ١٤٥ .

على مختلف المرارات وزواجي منك يعني الإنفصال عنها. . وهذا من الناحية الأخلاقية لشخص مثلي أمر في غاية السوء. .

أرسلت اليه مجدداً. . بإمكانك أن تبقى في بيتك مع عائلتك إن مجرد أن يقال إنك زوجي هو فخر لي. . وأصرت على ذلك بالتماس. . فما كان من السيد هذه المرة إلا أن يرد عليها بما بدل أملها باليأس(٨) .

* القرآن المرصع بالجواهر:

أرسل أحد الملوك الذين عاصروا الشيخ الوحيد البهبهاني رحمه الله نسخة نفيسة من كتاب الله تعالى. . كتبت بخط خطاط مشهور. . ورُصِّع جلدها بحبات الياقوت والماس والزبرجد وغير ذلك من الأحجار الكريمة. .

يقول أحد الذين أمرهم الشاه بإيصال هذه الهدية الى المرجع الوحيد البهبهاني: عندما وصلنا الى بيت الشيخ طرقنا الباب ، جاء الشيخ بنفسه وفتح الباب. . وقد شمر عن ساعده والقلم في يده. .

سألنا ، ماذا تريدون؟

-: لقد ارسل اليكم حضرة السلطان قرآناً. .

ألقى نظرة على القرآن وقال:

ما هذه الزينة على غلاف القرآن. . .

-: إنها مجواهرات ثمينة رصع بها غلاف القرآن. .

-: وما الداعي ليفعل ذلك بكتاب الله. . فيؤدي إلى تعطيله وعدم القراءة فيه استخرجوا هذه الحبات وبيعوها وأعطوا ثمنها للفقراء. .

-: هذا القرآن بخط الميرزا النّيْريزي. . وهو ثمين جداً. . فتفضل بقبوله.

-: من جاء به فليحتفظ به وليواظب على القراءة فيه. .

---

(٨) قصص العلماء/١١ .

قال ذلك وأقفل الباب ومضى[٩] .

* الشيخ محسن اليزدي ، مؤلف «مثير الأحزان»:

كان رحمه الله من مشاهير فضلاء ايران أيام الشاه فتحعلي . وكان من تلامذة السيد محمد المجاهد. . كما كان عابداً كبيرا . . وفي غاية الزهد والورع من خصوصياته تعلقه الخاص بخامس أهل البيت (عليهم السلام) الإمام الحسين (صلوات الله عليه). . كان مواظباً على اقامة مجالس العزاء والبكاء لمصائبه (عليه السلام). . ومن جملة كتبه «مثير الأحزان» .

أراد الشاه القاجاري أن يقيم علاقة عائلية معه. .

بأن يزوج الملك ابنته لابن الشيخ . . الا أن الشيخ حال دون تحقق ذلك رغم اصرار الشاه. .

لهذا العالم الكبير قصة أخرى. . في مواجهة الظالمين. .

عندما رأى رحمه الله حاكم يزد يمعن في ظلم الناس. . عبأ الناس واستنفرهم ضده حتى أخرجه من يزد ذليلاً. .

وعندما وصل الحاكم الى بلاط الشاه ، لم يحدثه بظلمه للناس بطبيعة الحال ، وإنما أوعز صدره على الشيخ. .

وقرر الشاه إحضار قائد الثورة في يزد الى طهران ليحاصر التحرك الجماهيري . . وفي أول لقاء بين الشيخ والشاه أغلظ الشاه للشيخ في القول وطلب منه أن يحدثه بما جرى. . وكان الشاه يريد أن يسمع من الشيخ محاولة تبرئة نفسه. .

قال الشيخ بمنتهى الشهامة: أنا أخرجته من المدينة. . لأنه حاكم ظالم ضج الفقراء من ظلمه لذلك ثرت عليه. .

---

(٩) بيدار گران أقاليم قبله/ ٢١٩ .

أمام هذه الصلابة . والصراحة . . استبد الغضب بالشاه وأمر جلاوزته أن يحضروا الفلقة لمعاقبة الشيخ . .

أحضرت الفلقة وجهزت . . وأصبحت رجلا الشيخ جاهزتين للضرب والتعذيب فقال الشاه لأمين الدولة الأصفهاني :

يقيناً ليس للشيخ أي دخل فيما جرى . . فهو لا يلوث نفسه بما حدث . . إنما كان ذلك من الأوباش والناس العاديين . .

كان يريد بذلك أن يلقن الشيخ أن يقول ولو كلمة واحدة . . صحيح . . لا دخل لي . . أنا بريء . .

وأدرك «أمين الدولة» قصد الشاه فهز رأسه موافقاً وقال :

إنه وفي لجلالة الشاه المقدس ، ولا يصدر منه أي سوء للمقام الملكي العظيم . .

وفجأة صرخ الشيخ مغضباً ورجلاه في الفلقة :

لماذا يكذب السلطان ، أنا أخرجت الحاكم ، أنا بنفسي ، الناس لا ذنب لهم .

وفوجيء الشاه بهذا الإصرار إلا أنه أفهم أمين الدولة أن يتوسط لإنقاذ الشيخ .

فخاطب أمين الدولة الشاه : إنه محترم ، ومن كبار العلماء ، اعف عنه اكراماً لي . . امنحه العفو الملكي . .

فأطلق سراح الشيخ . . وعاد إلى منزله(١٠) .

---

(١٠) قصص العلماء/١٠١ ـ ١٠٢ حسين (. . .) الموسوي (. . .) من أكابر متكلمي الإمامية ، وأعاظم علماء الشيعة المتبحرين في أوليات هذا القرن (. . .) وله تصانيف جليلة نافعة تموج بمياه التحقيق (. . .) وتعلم الناس بأنه بحر طامي لا ساحل له أهمها وأشهرها «عبقات الأنوار في مناقب الأئمة الأطهار فارسي .

*** صاحب «عبقات الأنوار»[11] .**

بعد أن عدد المرحوم الشيخ آقا بزرگ مؤلفات العالم الجليل السيد مير حامد حسين صاحب المجموعة النفيسة والعظيمة «عبقات الأنوار ، أشار إلى حسه الجهادي وغيرته الإسلامية ضد مظاهر النفوذ الإستعماري فقال:

«والأمر العجيب أنه ألف هذه الكتب النفائس ، والموسوعات الكبار وهو لا يكتب إلا بالحبر والقرطاس الإسلاميين ، لكثرة تقواه وتورعه ، وأمر تحرزه عن صنائع غير المسلمين مشهور متواتر . . »[12] .

*** ابن صاحب الرياض:**

في أواخر عمره ، لاحظ السيد محمد مهدي ابن صاحب الرياض أن اليهود لا يعملون بأحكام الذمة . . فتوجه من العتبات المقدسة إلى أصفهان حيث استقبله حجة الإسلام الشفتي بمنتهى الإجلال والاحترام . .

وغادر اصفهان إلى طهران حيث أمر بالتضييق على اليهود وقطع الماء عنهم وفعلاً تم ذلك إلا أن الشاه محمد القاجاري تحدى ذلك وناصر اليهود . . . وعندما جاء الشاه لزيارة السيد اعتذر بالمرض ولم يستقبله . . ثم غادر طهران استنكاراً ، وأقام بجوار حضرة عبد العظيم (عليه السلام) .

وعلم الشاه بمرض السيد فجاء لزيارته ثانية . . إلا أن هذا العالم الجليل رفض استقباله ولم يكترث به . . وانتقل الى جوار الله تعالى»[3] .

هذه نماذج من مواقف العلماء المجاهدين ، وفيما يلي نماذج من أقوالهم التي تتناول المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي .

---

(١١) جاء في نقباء البشر ج١/٣٤٧/٣٤٨: السيد الأمير حامد .

(١٢) نقباء البشر ج١/٣٤٩ .

(١٣) قصص العلماء /١٢٤/١٢٥ .

* مع المحدث النوري رحمه الله:

المحدث الجليل الشيخ حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل وأستاذ الشيخ آقا بزرگ ، والمحدث القمي . . يقول في كتاب «الكلمة الطيبة» الذي أنهى تأليفه في محرم سنة ١٣٠١ هـ .ق ، ما ترجمته:

الباب الثاني : في ذكر اختلال أمر الملة البيضاء ، وخراب الشريعة الغراء وإشراق حملتها على الإندثار ، وأسسها على الإنهدام ، وعودة الاسلام إلى حالة الغربة الأولى كما قال (صلى الله عليه وآله): بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً (. . .) ونجاة هذه الجماعة (الشيعة) في هذه الأعصار في غاية الصعوبة لأسباب عدة أهي تردد الكفار إلى البلاد المقدسة ايران التي هي الآن مركز الإيمان وبيضة الاسلام وكثرة اختلاط المسلمين بهم ومصادقتهم لهم وتداول أمتعتهم وأقمشتهم وأثاث البيت والمشروبات والمأكولات في كل مدينة وقرية . . وترويج المترفين والبطالين وأهل اللهو والطرب الذين لم يفكروا أبداً بصدق المعاد وحقيقته ولم يعينوا لأنفسهم في عمرهم ساعة لذلك ـ ترويج هؤلاء ـ عادات الكفرة والملحدين وتقاليدهم . . بحيث لم يبق شيء من ضروريات الحياة ولوازم الراحة إلا وللكفار فيه اسم وعلامة بل إن الزي والكلام والشكل الخارجي للبدن وطريقة التصرف كل ذلك أصبح يشبه المشركين . . بل هو مستمد من عاداتهم . .

ونتائج ذلك . . مفاسد ومضار لا تحصى لحقت بدين أحمد المختار (صلى الله عليه وآله) يكتفي بذكر بعضها:

الأول: زوال البغض القلبي للكفار والملحدين من القلوب ، مع أنه من أركان الدين وأجزاء الإيمان . . وظهور محبتهم ومودتهم وهما نقيضان لحب الله وأوليائه . . كالماء والنار . . بل إن معاشرتهم أصبحت سبباً للإفتخار والمباهاة . . مع أن الله يقول:

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو

كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[١٤] .

ويقول أيضاً :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[١٥] .

والآيات في هذا المجال كثيرة . .

وفي «من لا يحضره الفقيه» عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

«أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه ، قل للمؤمنين لا يلبسوا لباس أعدائي ولا يطعموا مطاعم أعدائي ، ولا يسلكوا مسالك أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي»[١٦] .

ثم يورد المحدث عدة روايات بهذا المضمون . . ويضيف :

الثاني : ظهور البغض القلبي للدين وطريق المسلمين ، وعداوة المتدينين ، والعلماء الصالحين المتأدبين بآداب الشريعة ، المنكرين بالقلب واللسان لمخالطة الكفار والتشبه بهم وهذا البغض من شأنه أن ينمو تدريجياً حتى يستحكم . .

ولقد بلغ من شدة هذه المفسدة أن التعامل مع أهل العلم والدين كاد يصبح كالتعامل ـ الذي ينبغي ـ مع اليهود . . عندما يرون أحداً منهم ـ أهل العلم والدين ـ يشمئزون وتنقبض قلوبهم ، وإذا استطاعوا أن يؤذوه فعلوا . . بل إنهم يتنفرون من المعمم بشكل خاص لأن وجوده ينغص عيشهم ويحول دون لهوهم وطربهم ويهزؤون به ويتغامزون استخفافاً وهزءاً . . .

بل إنهم يتندرون في مجالس لهوهم بمحاكاة حركات أهل العلم

---

(١٤) سورة المجادلة الآية (٢٢) .

(١٥) سورة الممتحنة ، الآية (١) .

(١٦) سورة المؤمن الآية (٢٣) .

وسكناتهم أثناء الدراسة والعبادة وأحياناً ينظمون ذلك شعراً. .

الثالث: أن نفقات هؤلاء تتجاوز الخبر وتزيد عن الدخل والشأن المتعارفين وقد زادوا في آلات فضول المعاش وأسباب اللهو والزينة وأنواع الثياب النفيسة والمأكولات الخبيثة والمشروبات النجسة ، بحيث أن جميع ما يحصل عليه أحدهم من الحلال والحرام ، وتعب الليالي والأيام ، لا يفي بثمن قليل منها. .

بلغت قيمة بعض صور الكفار المجسمة التي وضعت في عداد زينة إحدى غرف أحد المترفين عدة آلاف من التوامين كما نقل ذلك وثبت. . فكم ستبلغ نفقات سائر لوازم الزينة التي هي جزء من لوازم المعيشة (لهؤلاء) .

وهذه السيرة في الحياة ـ بالإضافة الى أن قسماً منها تبذير ، اعتبر الله تعالى صاحبه أخا الشيطان ، وقسماً منها إسراف وهو من الكبائر وبنص كلام الجبار ﴿**وان المسرفين هم أصحاب النار**﴾[١٧] فهي سبب الحاجة الدائمة. . وتحمل صاحبها على الكسب الحرام وظلم الأنام. . ذلك لأن الدخل الحلال بلحاظ التكاليف الإلّهية المترتبة عليه لا يصل أبداً إلى هذا الحد. . كما سيأتي من أن عشرة آلاف درهم أو عشرين ألف درهم لا تجمع من حلال أبداً. . وهذا المقدار لا يفي بعشر معشار هذه النفقات كما أن هذه السيرة في الحياة تمنع صاحبها من الإسهام مالياً في تشييد بناء الدين وإعانة العلماء والمشتغلين وترويج الشريعة وتعظيم شعائر المسلمين[١٨] .

* الشيخ جعفر الشوشتري:

العالم الحر ، الزاهد والمتقي ، والخطيب القدير الذي قل نظيره ، الشيخ جعفر الشوشتري رحمه الله ، والمتوفي عام ١٣٠٣ هـ . ق. . تحدث في هذا المجال في شهر محرم عام ١٣٠٠ هـ .ق . فقال:

---

(١٧) من لا يحضره الفقيه/٢٥٢ .

(١٨) كلمة طيبة/ باب دوم .

في البداية أخاطب الإسلام فأقول:

يا إسلام لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهـل السماوات. . لماذا عظمت مصيبة الإسلام علينا؟ لأن الإسـلام في هذه الأيـام بقي غريباً. . أعرض الناس عنه. . وأقبلوا على الكفر والضلال وأهل الباطل. .

لقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغربة الإسلام هذه. .

وتعود غربة الإسلام إلى عدة أسباب:

الأول: أن الكفار والمخالفين والمنافقين أصبحوا أقوياء ، وأهل الإسلام ضعفاء. . لهذا أصبح أهل الإسلام يميلون إلى أهل الكفر والباطل ، وهذا الود والميل إلى الكفار يرجع إلى ضعف الإيمان ووهن الإعتقاد. . فلو كان إيمانهم مكتملاً لاختلف الأمر .

الثاني : أن أهل الإسلام الآن يعملون بخلاف تعـاليم وأوامر المصـطفى (صلى الله عليه وآله) لا استقامة ولا صدق ولا إخلاص. . لا يجتنبون الحرام. . ولذلك أصبح الإسلام غريباً.

وأهل الكفر رغم أنهم لا يعتقدون بالرسول (صلى الله عليه وآله) بل هم أعداؤه. . فإنهم يعملون بأوامره وتوجيهاته. . . لذلك يتصور النـاس أنهم على حق. .

ولو أن المسلمين لم يتركوا سنة نبيهم وأئمتهم لمـا بلغ الأمر الى مـا هو عليه. .

الثالث: أن الحكام المسلمين ، يميلون إلى الكفـار والأجانب ، وحيث أن الناس غالباً يميلون حيث يميل سلاطينهم فقد توجهوا نحو الكفار. . ألا ترى أن الشخص المسلم يجب أن يقال له إنه متفرنج . . ولكن هل سمعت الى الآن شخصاً افرنجياً يقال عنه: اسلامي. .

نعم إن ميـل السلاطين والحكـام وغير ذلـك من الأسباب أدى إلى ميـل الناس إلى الكفر . . وأن يعود الاسلام غريباً .

تبدلت أركان الدين وتغيرت أوضاع الشريعة ، والمتدينون يعانون المرارات ويتجرعون الغصات ولا يقدرون أن يفعلوا شيئاً»[١٩] .

* مع الشيخ محمد التنكابني:

كتب الشيخ التنكابني صاحب قصص العلماء (رحمه الله) عام ١٢٩٠ هـ أيام الشاه ناصر الدين قائلاً:

«الظلم الآن في مدن إيران ، كثير ، وبلا حدود ، وبحيث أنه لا نظير له في أية دولة» .

وكتب في سنة ١٢٩٦ هـ . قائلاً:

منذ عدة سنوات والإفرنج يترددون إلى ولاية «تنكابن» وفي فصل الربيع والشتاء يقيمون فيها لشراء الخشب . .

وحتى السنة الماضية ١٢٩٥ هـ كان الناس السفلة يعاشرونهم ولا يحترزون منهم. . بل إن بعضهم كان يشرب الخمر كالماء. . وكان الإفرنج يهاجمون أهل الإسلام ويهزؤون بهم. .

وعندما رأيت الأمر كذلك تحدثت مع والي البلدة فقلت:

إن المسلمين يخالطون الكفار. . وهم يطمعون بهم نظراً لفقرهم وفاقتهم ويوادونهم ومودة الكافرين حرام بنص القرآن. .

(. . .) ثم إنهم يشربون معهم الخمر (. . .) واستمرار ذلك يؤدي إلى مزيد بعد الناس عن الإسلام. . .

لذلك أقترح أن تدعوهم إلى المناظرة. . وأنا على استعداد لذلك. . . وإذا لم يسلكوا طريق الإنصاف في المناظرة باهلتهم. . إلا أن الحاكم رفض

(١٩) فوائد المشاهد /١٨٤/ ١٨٦ بتصرف .

ذلك . .[٢٠] .

* الشيخ الهمداني:

يصف العالم والعارف الكبير الشيخ حسينقلي الهمداني أستاذ السيد جمال الدين الاسد آبادي ، وضع المجتمع الاسلامي في عصره فيقول:

« . . . أية جراحات أثخنت بها تلك الأيدي كبدر الدين . .

وأية مصائب ألحقتها بالشرع الشريف . .

خلعوا لباس الإلهيين ، وارتدوا ثياب الإفرنجيين . .

استبدلوا أطعمة الإسلام وأشربته بسم النصارى والدهريين وزقومهم . .

تركوا آداب الشرع والتزموا بآداب الكفر .

سوق الكفر والشرك في بلادهم معمورة ، وسوق اسلامهم خربة (مهجورة) وافضيحتاه . . عسكر الكفر في بلاد وجودنا منصور ومسرور . . وجيش الإسلام مقتول مأسور.

لا نحن في عاقبة أمرنا فكرنا . . ولا بسياسات الله (جميل صنعه) في الأمم الماضية اعتبرنا . .

قضية أبابيل الهائلة ، وقصة فرعون وقابيل . . ظنناها مزاحا . . »[٢١] .

* مع صاحب الكفاية:

حاول قائد ثورة المشروطة ، الشيخ الخراساني رحمه الله في بداية الأمر أن ينصح الشاه محمد علي ، فأرسل اليه مع ممثله الخاص السيد محسن نصيحة مشهورة تتألف من عشرة بنود . . وهذا بعضها:

٣ ـ ابذل غاية جهدك لرفع شأن المملكة وعظمتها ، لا سيما في مجال

---

(٢٠) قصص العلماء/٤٥٥ .

(٢١) تذكرة المنقين/٢١٨ .

التربية السليمة ، وترغيب الناس في تعلم الحرف والصناعات. . واعمل على ترويج المنسوجات والبضائع الوطنية. . لأنك اذا أقبلت شخصياً على استعمال المنتوجات الوطنية فإن ذلك يدعو المسئوولين والناس على الإقتداء بك. . الأمر الذي يؤدي إلى خروج البلد من أسر الحاجة للمنسوجات والصناعات الأجنبية .

لقد سلك «ميكادو» ملك اليابان هذا الطريق لأنه كان يدرك أن مفتاح رقي بلده يكمن في عدم حاجة شعبه الى المنتجات المستوردة. . وإثر ذلك حققت اليابان إنجازات هامة .

٤ ـ اعمل على نشر العلوم والصناعات الحديثة. . فذلك الذي أدى إلى تقدم سائر الشعوب. . ومن البديهيات المسلمة أن الإيرانيين من حيث الكفاءة والقابلية يفوقون سائر الشعوب وقد كانوا عبر التاريخ قدوة . . وما التخلف القائم الآن والذي أوصل السيد إلى هذا الحد من الفقر إلا نتيجة لعدم اهتمام الماضين إلى هذه النقطة. . وانصرافهم غير المبرر الى الصناعات الخارجية. . . وقد سرى منهم هذا المرض إلى سائر أفراد الناس. . إن وجود إيران وإعادة بنائها يتوقفان على ادراك هذه الحقيقة .

٥ ـ احذر. . واحذر كثيراً من تدخل الأجانب في شئوون البلد. . وراقب ، وراقب كثيراً لتقضي على مسببي الفتنة منهم ، لأنهم منشأ جميع الابتلاءات وأنواع الفساد ولا ينبغي الاعتماد عليهم أبداً. . وهذه القروض التي أثقلت كاهل الدولة ليست إلا مظهراً من مظاهر تدخلهم غير المبرر. .

من هنا فإن على الوطنيين الإيرانيين الذين يحبون بلدهم أن ينتخبوا أشخاصاً أكفاء لإدارة السلطنة .

٦ ـ ابذل جهدك في بسط العدالة والمساواة الواقعيتين بحيث يكون نفس الشاه مساوياً في الحقوق لأضعف أفراد الشعب. . . ولتنفذ الأحكام الشرعية على جميع الأفراد ودون استثناء. . وعندما يكون الشاه شخصياً مصراً على ذلك ماضياً فيه قدماً فإن المخالفين سيمنون بالهزيمة دون شك. . ويترسخ أساس

العـدالة. . طبعـاً ليس المقصود مجـرد توهم ذلـك والكـلام عنـه فقط. . بـل المقصود العمل به. .

٩ ـ بالرجوع الى التاريخ يتضح. . لجـلالة الملك أن ملوك إيـران سواءً قبل الاسلام أو بعده عندما كان أحدهم ينصرف الى اللهو والشهوات. . ويقتدي به المسئوولون. . فإن النتيجـة دائماً كـانت عجز المملكـة. . وذلة الشعب. . وضياع الثروة الوطنية . واضطراب الأمور. .

أما عندما كان أحد الملوك السابقين يصرف النظر عن الشهوات ويبذل كل ما في وسعه في العمل لرقي البلد وتربية الشعب ونشر العلوم والصناعات وتجهيز الجيش. . فإن النتيجة كانت في مدة قصيـرة تقدم البلد وعـظمته وازدهـاره. . وإحراز عصب السبق على سائر الدول. .

وآمل إن شاء الله أن يبتعد الشاه عن الـطريق الأول فإنـه طريق فـاسد ، ويختـار الـطريق الثـاني ويجعله نصب عينـه ليؤتي ثمـاره سـريعـاً إن شـاء الله تعالى. . .

١٠ ـ إننا نتوقع الإهتمام الدائم بحفظ مقام العلم الشامخ واحترام العلماء العاملين والفقهاء والمصلحين. . فإنه اذا وقع التقصير في هذا الأمر الهام تعرض البلد والشعب للهلاك والفناء. . عندها سنعض ـ إلى الأبـد ـ إصبع النـدامة. . حيث لا ينفع الندم .

وبالإضافة إلى هذه الرسالة التوجيهية ، كان الآخوند الخراساني يـوصي الشاه القاجاري باستمرار عن طريق البرقيات والرسائل بمراعاة حقوق الناس في إيران ، إلا أن هذه النصائح لم تنفع. . وتورط الشـاه بقتل النـاس بحجة حفظ الدين. .

أمام ذلك يئس الشيخ من اصلاح الشاه واقتنع بضـرورة عزلـه. . لذلـك أصدر هو وثلاثة من العلماء بياناً وأرسلوه برقياً إلى طهران وكان كما يلي :

«فعن حكم الله ، إلى عموم الشعب الإيراني : إن بذل الجهد اليـوم من

أجل إزاحة هذا السفاك الجبار والدفاع عن نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم هو من أهم الواجبات ، وإن دفع الضرائب لمأمورية من أعظم المحرمات وبذل الجهد في استحكام وتثبيت المشروطية بمنزلة الجهاد في سبيل إمام الزمان والمخالفة في ذلك والتسامح فيه قيد شعرة بمنزلة خذلانه ومحاربته (صلوات الله عليه) أعاذنا الله والمسلمين من ذلك»[٢٢] .

* آية الله النجفي القوچاني:

في كتاب «سياحة الشرق» الذي ألفه آية الله السيد النجفي قبل أكثر من نصف قرن يصف أوضاع العراق أثناء الحرب العالمية الأولى واحتلاله من قبل الانكليز ويعبر عن شديد أسفه لعدم اهتمام المسلمين بالجهاد ضد المستعمرين . . فيقول:

«قائد الجيش الإنكليزي (المكلف باحتلال العراق) لقب (في بلده) بالفاتح . . وقد دخل بغداد وبعد ثلاثة أيام ، مشى متبختراً ومن مسافة نصف فرسخ أمسك البندقية وسدد طلقة الى جهة سرايا الحكومة . . بعدها دخل الانكليز بحماس شديد وملء لسان حالهم التحدي والإستخفاف . . .

بل كان يُسمع علناً: أنا فاتح العراق وعاصمة المسلمين الكبرى والأدهى . . أن هذا «الفاتح» وبعد أقل من يومين أغمض عينه عن العراق وغير العراق ووصل الى جهنم ، إلا أن الإنكليز دفنوا الجثة النجسة لقائدهم العظيم! طبق أحكام الإسلام وبنوا على قبره مزاراً مقابل المقام العظيم للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وأخذوا يزورونه ، ليحترق ـ من الأسى ـ المسلمون السنة والشيعة . . بل ليموت من يمتلك الوعي منهم غيظاً وكمدا . . **﴿وقليل ما هم * ولكن أكثرهم لا يفقهون﴾** وفرنسا احتلت بلاد الشام وتواصلت مع الإنكليز في كركوك والموصل . وخرجت جزيرة العرب كلياً من يد العثماني ـ الذي لم يكن

---

(٢٢) زندگاني آخوند خراساني/١٤٢ و١٧٦ ـ ١٨٣ بتصرف .

له يد تذكر ـ ولسان حال فرنسا ينشد الأمر اجيز ويفتخر على بني أمية ، خصوصاً معاوية .

ثم يتحدث رحمه الله عن الملاحم التي سطرها المسلمون في صدر الإسلام . . ويقول:

لقد كانت قوتهم آنذاك تكمن فقط في العمل بهذه الآية :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[23]ثم تطمئن الآية في آخرها عُباد الدنيا **﴿وما تنفقوا من خير في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون﴾** وهذه الآية الشريفة موجودة الآن في القرآن ، ولم تنسخ ، لماذا لا يفسرها العلماء؟ . . ولماذا لا يوردونها في الرسالة العملية؟

ولماذا لا يحرض الوعاظ على المنابر على هذا الواجب ولا يحذرون من تركه . . في حين أن كل الواجبات الأخرى تسقط بأدنى عسر وحرج بينما يستمر وجوب هذا الواجب ما دامت الإستطاعة موجودة «ما استطعتم» وما ذلك إلا لأن الهدف حفظ الدين وحفظ البيضة . . وحفظها منوط بالأمان (في دار الإسلام) وعندما تصبح البلاد الإسلامية في قبضة الأجانب يزول الأمان . .

وقد أوجب تعالى تحصيل القوة الذي يشمل جميع المراتب «المعنوي منها والمادي في كل عصر ومصر . .

وعلى هذا فإن التدريب العسكري والقناعة وعدم الاسراف والتبذير في النفقات ، وعلم صناعة السلاح ، من القوة المعنوية التي لا وجود لها فينا بل نحن نتملص منها . . . إلى حد أن العلماء يحاربون ذلك استمالة للعوام ولمجرد إرضائهم ويأمرون عوضاً عن هذا الواجب المهم ، بالمستحبات . . وأية مستحبات؟ إنها من النوع النفساني غير الخالص من الشوائب . .

---

(٢٣) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

قال الصادق (عليه السلام): وكان الخضاب من القوة (أي أن الخضاب يوجب المهابة في قلوب الكافرين) فليقل علماء العصر: المدفع والرشاش والسفينة والدبابة من القوة..

طبعاً سيقول «المقدسون» كما سُمع مراراً: هذه الأمور هي واجب حضرة الحجة (عج) او سيقولون: ان الله تكفل بحفظ دينه لأنه قال: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(٢٤).

ولكنهم مخطئون.. لقد كان الله أيضاً موجوداً في زمان النبي وعلي.. وكان منذ البداية قد تعهد بحفظ دينه... فلماذا إذن كل جهود النبي وتجييشه الجيوش رغم الجوع والعطش المهلكين ورغم سموم قفار الحجاز الوعرة... ألم يكن لهم نساء وأولاد؟ ألم يكونوا يرغبون بالظل والإستراحة؟

ألم يكن الله تعالى يستطيع أن يسلط على عمرو بن عبد ود مرض قلب.. فلا يمكنه أن يتماسك على ظهر فرسه؟

نعم.. ألله يحفظ الدين.. بواسطة المؤمنين.. لا يصح أن يقال كبني إسرائيل: **﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾**(٢٥).

إن الله يحفظ الذكر بشخصٍ صاحب همةَ وعزيمة.. يجب تشمير الذيل كما فعل علي.. والمعاهدة أن لا يضع رداءه على كتفه حتى يجمع القرآن كما هو حقه.. حتى اذا أخذوا منه الرئاسة والسلطنة.. ولو أحرقوا باب داره.. ولو ضربوا زوجته المكرمة ابنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

لا أن أحفظ نفسي من الحر والبرد لتقر بي عين عمود الدين وعيون المؤمنين.

وأعتني بثيابي وطعامي ليظهر فيَّ جمال الدين وجلاله.. وأن أبني منزلاً

---

(٢٤) سورة الحجر، الآية (٩).

(٢٥) سورة المائدة، الآية (٢٤).

عالياً وعمارة جميلة حتى لا يصبح الدين ذليلاً في أنظار الناس. .

والله إنهم اختاروا طريقاً معوجّاً وهم يعلمون أن طريقهم أعوج وليس التدين من عالم الألفاظ الخالية. . فقد قال: الإيمان كله العمل. . بل إن وضع قبعة الديانة على رأس الدنيا الصرف، افتراء على الله والرسول والإفتراء على الله كفر. . والخوف شديد، والأمر على العلماء شديد. . وغفلتهم أشد من كل شيء. .

الله حافظ، وواجبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل أمر الغير ونهيه تأتي إطاعتهم هم أنفسهم. . «وإنما النَّهيُ بعد التناهي».

وهذه الواجبات متروكة كلها ولا يفكر بها أحد. . بل يريحون أنفسهم بأعذار غير موجهة. .

وبديهي أن اطمئنان العلماء واستراحتهم إلى عاقبة الأمر ـ مع اليقين بأنه كلما ارتفعت درجة المعرفة والعلم كلما اشتد الخوف من سوء العاقبة ـ اعتماد على الوعود الشيطانية الكاذبة واتكال عليها ولا شك أن غاية الجهل أن يعتمد الشخص على مواعيد عدوه العرقوبية ويعتبره مريداً للخير له . . إذن هؤلاء ليسوا أولئك العلماء الذين يحملون العلم الحقيقي. .

بعد سنة ونصف، عيّن (الإنكليز) أعضاء الحكومات المحلية في كربلاء، النجف، الكاظمية، سامراء من المسلمين باعتبار أن احترام المشاهد المشرفة يقتضي أن لا يحكمها كافر ورمموا كل ما احتاج الى ذلك من مسجد السهلة والكوفة. . وقرروا للمسجدين كمية شهرية من النفط للإنارة وأعطوا خدام المسجدين مرتبات شهرية حتى لا يؤذوا الزوار (بطلب المال منهم) كما كانوا يفعلون سابقاً. .

وفي شهر محرم. . أعطوا حوالات للحسينيات لاستلام السكر والشاي والنفط وتدريجياً أجروا على الألسن أن يدعوا الناس لهم. . وأجروا على ألسن الأراذل من العرب أن عيسى أعظم من محمد لأن لقبه روح الله ومحمد حبيب

الله وطبعاً الروح مقدم على الحبيب لأن الحبيب غير المحبوب. . بينما الروح ليس غيره. . وبدؤوا يوجهون هذا الإشكال إلى الطلاب. . قلت (في جواب هذا الإشكال) يا عديم الغيرة والدين. . بمقتضى الآية الشريفة فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» كلنا روح الله. . نعم هناك خصوصية للنبي عيسى. . (هذا بالنسبة لروح الله ، وأما بالنسبة الى حبيب الله) فإن الله تعالى نظر إلى أنبيائه فاختار من بينهم المصطفى حبيباً (مميزاً) له .

ومن جملة أعمالهم البارزة (الانگليز) التي استهوت أفئدة «المقدسين» وقصمت ظهر الدين ، أنهم أخيراً عمدوا إلى مبلغ الأربعة وعشرين ألف روبية الذي كان يصل من الهند من أوقاف هناك فيوزع على المجتهدين (ليوزعوه على الطلاب) فقسموه بين النجف وكربلاء بحجة أن المجتهدين لا يوصلونه إلى فقراء الطلاب ويجب أن نقسمه نحن بأيدينا. . فتحوا دائرة خاصة لذلك (في كل من النجف وكربلاء) وقد بادر أولئك الذين لبسوا العمامة من أجل أربعة ريالات «الدنيا» إلى تسجيل أسمائهم بعدة طرق في دفتر مالك النار. . وهم يذهبون شهرياً لأخذ هذه الدراهم المعدودة وبذل لا يوصف. . وهم مع ذلك يقدمون دعواتهم بإخلاص حضوراً وغياباً. .

المقدسون المزيفون بل الكافرون ، بل المنافقون ، بل جراثيم وحشرات الأرض أو أن الإنگليز مقدسون يستحقون الإعجاب. . وهم يقيناً من أهل الرحمة ، والعثماني الملعون الذي لم يكن له دين فضلاً عن القداسة ، كان يريد بقوله مرة واحدة «لا إله إلا الله» أن يدخل نفسه في بوتقة المسلمين. . أما جناب بريطانيا فإنها (تدرك أن العمل هو المحور) تصرف الأموال ألشؤون الاسلامية التي كانت متروكة لا يلتفت إليها أحد ، تعمل على إصلاحها ليلاً ونهاراً كأنها تفكر بالإسلام من تعمير زوايا مسجد الكوفة والسهلة وتأمين النفط والخدم ، وترويج مجالس العزاء. . حتى أنها تقدم النفط للمشاعل التي تحمل في مواكب اللطم. . وأمرت الشرطة مرافقة المواكب حتى الصباح لعن الله العثمانيين ، بل وحتى طلاب المشروطة والديمقراطيين ، الذين يذمون الإنكليز

باستمرار وقد أوقعونا في شبهة. . الحمد لله اتضحت لنا الأمور وزالت الشبهة لن نسمع كلامهم بعد اليوم وترى غيبة الانكليز حراماً. . أدام الله ظلهم على الضعفاء (قال لي أحدهم) يا أخي، ألا تفكر بهذا. . كان يصل الى المجتهدين شهرياً أربعة وعشرون الف روبية ولم يكن الفقير يصله من ذلك حتى نصف روبية الآن يقسمون اثني عشر ألف روبية (في النجف) فتصل إلى فقراء الطلاب الذين كانوا محرومين حتى من الخبز بدون أدام. . وعلى أقل تقدير يشبع شهرياً مائة ألف جائع. . وفي السنة أكثر من مليون جائع وقد قال الرسول(صلى الله عليه وآله) من أشبع جائعاً وجبت له الجنة والموظفون المباشرون لهذا العمل يتلقون الأوامر من الأعلى رتبة منهم. . وهكذا حتى تصل الى البرلمان الإنكليزي. . هؤلاء جميعاً شركاء في هذا الثواب الذي ورد في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). . بحيث يخشى أن تدخل الجنة كلها في عداد مستعمرات الإنكليز ولا يبقى مكان للمسلمين ليكونوا مستقلين كما أن الأمر في الدنيا كذلك. . حيث تكاد كل بلاد المسلمين تصبح في عداد مستعمرات الإنكليز. . فاستشطت غضباً، وقلت له:

(. . .) إن كيَّ جبهتك وعمامتك، لا يغطيان سواد صحيفة أعمالك!. .

يا أسوأ من الإنكليز، أيها النهرواني عابد البطن وقصير النظر، حشرك الله مع الإنكليز. . حيثما مالت الدنيا فإن أمثالك كدوار الشمس تجعلون ذلك المكان (الذي فيه الدنيا) قبلة وتنحنون أمامها وتسجدون «فهو عبد لها ولمن في يده شيء منها».

لا يصح أبداً أن تتفوه بهذا الكفر مقابل الأمير. . بل إن كلامك هذا أشد إيلاماً للأمير من السيوف النهروانية التي سلت في وجهه. .

أيها الكافر. . متى يشار إلى قتيلك ويقال عنه **﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾**.

رأى عابد البطن هذا أن هيبة كلمة الحق مزقت ـ كما يُمزَّق بيت العنكبوت ـ الأبهة الساحرة لدولة الإنكليز التي كان قد تحصن فيها هذا الضعيف

العقل فتزلزلت أركانه وانسحب من ميدان المقاومة وولى هارباً . .

إجمالاً . . عندما دخل الإنگليز العراق . . ومن البديهي أن الدنيا هي قبلة ومعراج حركاتها وسكناتها ، وبحكم «إن الناس على دين ملوكهم» فإن النهروانيين من المسلمين الذين كانت الدنيا أيضاً وجهتهم الباطنية قد انكشف أمرهم وظهرت حقيقتهم . . بل إنهم كانوا دونما حياء يفتخرون . . ويعتبرون أن سيرة الإنكليز دليل عى أن الحق معهم (النهروانيين) .

بدأت الحرب الأخلاقية (الكلامية) بين المسلمين . . خصوصاً الطلاب . .

والقلة الذين كان إيمانهم مستقراً وراسخاً تصدوا للمقدسين (المزيفين) ومفاسد ديانة دولة بريطانيا ، ومرارات الدهر من الفقر والإضطراب والذل والهوان . . خصوصاً شماتة الأعداء يعني المحسوبين علينا . . .

«أنا لا أصرخ أبداً من أذى الأجانب فكل ما ألحق بي . . هو ممن أعرفه» .

وقفت هذه القلة أمام هذا السيل العرم وجبهته كل منها سندان . . وأسلمت الأجساد للمقادير وأحنت الرؤوس تسليماً وأغمضت العيون وتمسكت بالعروة الوثقى وتحصنت بالحصن الحصين «لا إله إلا الله» وانصرفت الى الجهاد والدفاع بمنتهى كظم الغيظ والصبر . .

لقد غطت الحروب دول الشرق والغرب والبحر والبر ووصل دخانها إلى السماء . . وكانت النجف كأنها قلب الدنيا ولم تكن الحرب الأخلاقية فيها بأقل من تلك الحروب . .

في الحقيقة . . عجوز الدنيا الشمطاء التي زينت نفسها بالمساحيق الكاذبة والشيطنة أي بريطانيا العظمى . . كانت في حرب وصراع مع عروس الآخرة الفتية المزينة بالصدق والصفاء والكمالات الواقعية الدائمة والجمال الحقيقي والزينة الإلّهية . . » الدنيا والآخرة ضرتان لا تجتمعان» .

وكثيراً ما يختار مُعْوَجُّ السليقة وقليل الذوق تلك العفريتة على هذه الوصيفة الجميلة.. بلى، الدنيا ساحرة، تعمي العيون.. «طريق الدنيا مريح، أخضر تنبت فيه الورود.. وطريق العقبى مليء بالأحجار والشوك»[٢٦](حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات).

* ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين:

وفي نهاية المطاف، ومن باب «وختامه مسك».

هذا نص البيان التاريخي الذي أصدره الإمام الخميني (رضوان الله عليه) عندما كان مبعوثو الرئيس الأمريكي كارتر في الجو في طريقهم الى ايران.. فكان السبب في أن يرجعوا من الجو خائبين...

إنه بيان يبعث على الاعتزاز..

وطيلة أدوار الغيبة الكبرى لم تبلغ عزة الإسلام الأصيل هذا الحد..

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغني أن الممثلين الخاصين لكارتر في طريقهم إلى ايران، وقد صمموا على المجيء إلى قم ولقائي، لهذا أرى من اللازم أن أذكر (بما يلي):

إن دولة أمريكا بإيوائها الشاه عبرت عن مخالفتها العلنية لإيران ومن جهة أخرى ـ كما قيل ـ سفارة امريكا في إيران مركز تجسس لأعدائنا ضد نهضتنا المقدسة..

لذا فإن اللقاء بي ليس ممكناً بأي وجه لممثلي كارتر الخاصين.. وبالإضافة إلى ذلك:

١ ـ على أعضاء مجلس شورى الثورة أن لا يقابلوهم أبداً.

٢ ـ ليس لأحد من المسؤولين على الاطلاق حق الإلتقاء بهم.

---

(٢٦) سياحت شرق/٥٦٩ ـ ٥٨١ بتلخيص وتصرف يسير.

٣ ـ إذا سلمت أمريكا الشاه المخلوع عدو الشعب رقم ١ إلى إيران وتخلت عن التجسس ضد نهضتنا ، يفتح باب المفاوضات في مجال بعض العلاقات التي هي لمصلحة الشعب .

١٦/٨/٥٨ (هـ . ش)

روح الله الموسوي الخميني

* * *

اللهم . . وفقنا لنكون خير خلفٍ للعظماء الذين وردت أسماؤهم في هذا الكتاب .

اللهم . . وفقنا للعمل بواجباتنا بشكل أفضل . . ووفقنا لمزيد السعي لما فيه رضاك . .

اللهم . . بدّل الخلافات القاتلة في البلاد الاسلامية بالإتحاد والإلفة . .

اللهم . . احفظ الثورة المقدسة في ايران حتى انطلاقة الثورة العالمية لوليك المهدي المنتظر أرواحنا فداه . . وتغمد قائد الأمة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) بواسع رحمتك واحشرنا معه . . وارزقنا شفاعته .

اللهم . . إحفظ ولي أمر المسلمين سماحة آية الله السيد الخامنئي دام ظله وأيده بتأييدك وانصره نصراً عزيزاً إنك أرحم الراحمين»

وقد وقع الفراغ من ترجمة هذا الكتاب «سيماء الصالحين» صبيحة يوم السبت الثالث عشر من ربيع الأول/١٤١٢ هـ . على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأتم السلام . .

والحمد لله رب العالمين . .

بيروت ـ حسين كوراني

الفهرس